

بُلُوغُ الْأَرَبِ
فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْعَرَبِ

تأليف
السيد محمود رشدي الألويسي
البنف تاديني

تحقيق: بشر عبد الوصود وكتبه
محمّد بن جهمّة الأشرقي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



0091294



Bibliotheca Alexandrina

بُلُوغُ الأَرَبِ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْعَرَبِ

تَأَلَّفَ
السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ شَكْرِي الْأَشَّيْ
الْبَغْدَادِي

عَنِّي بِشَرْحِهِ وَتَصْحِيحِهِ وَضَبْطِهِ
مُحَمَّدُ بَهجَةُ الْأَشَّيْ

الجزء الثالث

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

سُمِّيَ الدُّيُورُ الْحِجْرُ الْحَمِيمُ

قد سبق في اواخر الجزء الثاني من هذا الكتاب نبذة مما كان يعتقده بعض العرب من النكت الممتعة ولم نستوف ذكرها هناك ملاحظة ان يخرج حجم الجزء من مشكلة امثاله فاقتضى ايراد تنمة ذلك البحث في هذا المقام حرصاً على ما انطوى عليه من الادب فنقول متمسكين بحبل التوفيق .

ما ثبت عنهم في الغائب اذا لم يلقوا على خبره

كانوا اذا غُمَّ^(١) عليهم أمر الغائب ولم يَعْرِفُوا له خبراً جاءوا الى بئر عادية (أى مظلمة بعيدة القعر وبالتشديد منسوبة الى عاد كناية عن قدمها) أو جاءوا الى حفر قديم ونادوا فيه : يا فلان ، أو يا أبا فلان ثلاث مرات ويزعمون أنه إن كان ميتاً لم يسمعوا صوتاً وإن كان حياً سمعوا صوتاً ربما توهموه وهماً أو سمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم . قال بعضهم :

دعوت أبا المنوار في الحفر دعوةً فإصَّصَ صوتي بالذي كنتُ داعياً
أظنُّ أبا المنوار في قعر مظلم تجر عليه الداريات السوافيا^(٢)
ومعنى أصَّصَ : رجع . وقعر مظلم : كناية عن القبر . وقال آخر :
وكم ناديته والليل ساجٍ^(٣) بعادي البِثَّارُ فإ أجابا
وقال آخر :

ألم تلعى أنى دعوت مجاشعاً من الحفر والظلماء باد كسورها
لجاوبى حتى ظننت بأنه سيطلع من جوفاء صعب جلورها

(١) بالبناء للمفعول أى خفى . (٢) الداريات : الرياح الهائجة والسوافي جمع سافية وهى هنا التراب .

(٣) يقال سجا الليل يسجو سجوا : أى سكن . ومنه قوله تعالى : والليل إذا سجا . قال الزجاج وابن الأعرابي : أى سكن . وقال الفراء : سجا الليل ركد وظلم ومعنى ركد سكن . وفى المصباح : سجا الليل ستر بظلمته .

لقد سكنت نفسى وأيقنت أنه سيقدم والدنيا عجباً أمورها
والكسور: الأرض ذات صعود ونزول . والجوفاء : شجرة ذات جوف
وأراد بها البئر التى صاح ونادى فيها . ومعنى حدورها : الانحدار إليها وقال آخر :
دعوانه من عادية نضب ماؤها وهدم جاليتها اختلاف عصور
فرد جواباً ما شككتُ بأنه قريب إلينا بالإياب بصير^(١)
أقوى^(٢) فى البيت الثانى وسكن (نضب) ضرورة كما قال « لو عصر منه
البانُ والمسك انمصر »^(٣) ومعنى جاليتها : جوانبها . وقال آخر :
غاب فلم أرج له إياباً والحفر لا يرجع لى جوابا
وما قرأت مذ نأى كتابا حتى متى استنشد الركابا
* عنه وكل يمنع الخطابا *

(ومن مذاهب العرب وأعاجيبها) أنهم كانوا فى الحرب ربما أخرجوا النساء
فهنَّ بين الصفتين يرون أن ذلك يعطى نار الحرب ويقودهم إلى السلم . قال بعضهم :
لقونا بأبوال النساء جهالةً ونحن نلاقيهم ببيض قواضب
والبيض : السبوف . والقواضب : القاطعات . وقال آخر :

(١) نضب الماء نضوباً من باب قعد : غار فى الأرض ، ونضب بالكسر لغه .
وسكن الضاد للضرورة ومن هذا القبيل الشاهد الذى أورده الأستاذ .
والإياب : الرجوع . (٢) أقوى : أى خالف قوافيه برفع بيت وجر آخر .
والأقواء من عيوب القافية ، مأخوذ من قولهم حبل قو بمعنى مختلف القوى
أى الطاقات من عدم أحكام قتله بأن تقتل إحدى الطاقتين على اليمين والأخرى
على اليسار ثم إذا جمعت بينهما لا يفتل هذا الحبل للمخالفة بل ينفك .
سمى العيب المذكور بذلك لما فيه من المخالفة بين القافيتين أو مأخوذ من قولهم :
أقوى الربع إذا تغير وخلا من سكانه لأن الروى تغير وخلا عن حركته الأولى
.. وقلت قصيدة لشعراء الجاهلية ينشدونها بلا أقواء ثم لا يستنكرونه لأنه
لا يكر الشعر وايضاً فان كل بيت منها كأنه شعر على حياله ، كذا فى
التاج . ولنا هنا بحث لا نسمه مثل هذا المقام وتجده فى كتابنا (العروض
والقوافى) . (٣) هذا الشطر لأبى النجم المعلى وقبلة :
كانهما فى نشرها إذا نشر فغمة روضات ترددين الزهرس
هيجها نفع من الطلل سحر وهزت الريح الندى حتى قطر
قال البطريقسى : ويروى (لو عصر منها) فمن أنت الضمير اعاده على
المرأة التى تغزل بها . ومن ذكر الضمير اعاده على الفرع المذكور قبل هذا
البيت فى قوله :
بيضاء لا يشبع منها من نظر خود يعطى الفرع منها المؤثر

بالت نساء بني خراشة خيفة منا وأدبرت الرجال شللاً^(١)
وقال آخر :

بالت نساؤهم والبيض قد أخذت منهم ماخذ يستشقى بها الكلب^(٢)
وهذان البيتان يمكن أن يراد بهما أن النساء بُلْنَ خفيفة وذعراً لا على المعنى
الذى نحن في ذكره فحينئذ لا يكون فيهما دلالة على المراد .

وقال الآخر :

هَيْهَاتَ رَدِّ الخليل بالأبوال إذا غدت في صور السعالى^(٣)
وقال آخر :

جعلوا السيوف المشرفية منهم بول النساء وقل ذاك غناء^(٤)
فأما مذهبهم في الخرزات والأحجار والرقى والعزائم فمشهور
فن خرزتهم (السؤانة) ويقال لها السؤوة وهى خرزة يسقى العاشق منها
فيسافر في زعمهم وهى بيضاء شفافة . قال الراجز :

لو أشرب السلوان ماسلتُ ما بنى غنى عنكم وإن غَنَيْتُ
السلوان جمع سلوانة . وقال اللحياني : السلوان تراب من قبر يسقى منه العاشق
فيسلو . قال عروة بن حزام^(٥) :

(١) قال الزبيدي : ذهب القوم شللاً أى انشلوا مطرودين وجاؤا شللاً
إذا جاء يطردون الأبل والشلال القوم المنفرون . قال ابن النونية :
أما والذي حجت قريش قطينه شللاً ومولى كل باق وهالك
(٢) الكلب : داء يعرض للإنسان من عض الكلب فيصيبه شبه الجنون فلا
يموت أحداً إلا كلب وتعرض له أعراض وريضة ويمتنع من شرب الماء حتى
يموت عطشاً . وزعمت العرب أن دواؤه فطرة من دم ملك يخلط بماء
فيسقاه ، ومنه يقال كلب الرجل إذا أصابه ذلك . (٣) هيهات : بعد .
والسعالى جمع سعلاة وهى أخبث الغيلان وقيل نوع من التشيطنة مغايرة
للغول . وقد ذكرها العرب في شعرهم كثيراً . وقال بعضهم : لم تصف
العرب بالسعلاة إلا المعجائز والخيل . (٤) المشرفية بفتح الميم المنسوبة إلى
مشارف وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف ، وقيل هذا خطأ بل هى
نسبة إلى موضع من اليمن . (٥) هو أحد المثيمين الذين قتلهم الهوى . قيل
لا يعرف له شعر إلا فى (عفراء) ابنة عمه عقاب بن مھاصر . وفى الإغاني طرف
من أخباره مع عفراء . وأبياته هذه من قصيدة له رنانة ، ذكرها أبو على
القالي البغدادي في نوادره . (راجع ذيل الامالى والنوادر ص ١٥٩ من طبعة
المطبعة الكبرى الاميرية سنة ١٣٢٤) .

جعلتُ لمرآف اليمامة حُكمه وعراف نجد إن هما شَقِيَانِي^(١)
فقالا : نعم نشفى من الداء كله وقاما مع العَوَادِ يبتدران
فما تركا من رُقِيَةٍ بعرفانها ولا سلوةٍ إلا وقد سقياني
وقال آخر :

سقوني سلوةً فسلوت عنها سقى الله للنية من سقاني
أى سلوت عن السلوة واشتد في العشق ودام . وقال الشمر دُلُ :

ولقد سُمِّيتُ بسلوة فكأنما قل الدأوى للخيال بها ازد
ومن خرزاتهم (الهنة) وهى خروزة يحتلب بها الرجال ويستعطف بها قلوبهم
فيا يزعمون . ورقبتها : أخذته^(٢) بالهينة ، بالليل زوج والنهار أمة ، ومنها (القطسة
والقبلة . والدرديس) وكلها لاستجلاب قلوب الرجال . قال الشاعر :

جَمَعَنْ مِنْ قَبْلِ لَمَنْ وَقَطَسَ والدرديس تمامًا فى المنظم^(٣)
فانقاد كل مُشَذَّب مَرَسِ الْقَوَى لحبلمن وكل جَلَد شَيْطَم^(٤)

وقيل : الدرديس خروزة سوداء يتحبب بها النساء إلى بعولتهن توجد
فى القبور العادية ورقبتها : أخذته بالدرديس ، تدثر العرق اليبس وتذُرُ الجديد
كالدريس^(٥) . وأنشد :

قطعت القيد والخزات عني فن لي من علاج الدرديس
وأصل الدرديس فى اللغة الداهية ونقلت إلى هذه الخروزة لقوة تأثيرها بزعمهم .
ومن خرزاتهم (الْفِرْزَحَلَّة) أنشد ابن الأعرابي :
لا تنفع الفِرْزَحَلَةُ المِجَازُ إذا قطعنا دونها المفاوزا^(٦)

(١) قال ابن خلدون : عراف اليمامة هو رباح بن عجلة ، وعراف الأبلق
الأسدى . والعرافة : سياتى الكلام عنها فى هذا الجزء (٢) أى رقيته . (٣)
القبيل : جمع قبلة والقبلة والقطسة خرزتان . والمنظم : الخيط ينظم الخرز فيه ؛
وقوله « تمامًا » يروى ايضا « مقابلًا » .
(٤) المشذب : الشارد ، والمشذب الطويل الحسن الخلق . والمرس :
التشديد المراس . والشيطم : الطويل الجسيم الفتى من الناس (٥) الدريس :
التقديم البالى من الثياب (٦) المفاوز جمع مفازة وهى الموضع المهلك مأخوذ من
فوز - بالتشديد - إذا مات لأنها مظنة الموت وقيل من فاز إذا نجا وسلم
وسميت به تفأولا بالسلامة

وهي من خرز الضرائر ، إذا لبستها المرأة مال إليها بطلها دون ضررتها .
ومنها خرزة (المقررة) تشدها المرأة على حَقْوَيْهَا ^(١) فتمنع الحبل ذكر ذلك ابن
السكيت في (إصلاح اللطوق) . ومنها (الينجلب) ورُقَيْتِها : أخذته بالينجلب فلا
يَرِمُ ولا يَنْقِبُ ، ولا يَزَلْ عند الطَّنْب . ومعنى لا يرم لا يبرح من مكانه وذكر الأزهري
هذه الخرزة في الرامى قال : ومن خرزات الأعراب الينجلب وهو الرجوع بعد الفرار
والمعطف بعد البعض . ومنها (كَرَار) مبنية على الكسر . ورُقَيْتِها : يا كَرَار كَرِّيه
إن أقبل فسرِّيه ، وإن أدبر فسرِّيه ، من فرجه إلى قيِّه . ومنها (الهمرة) ^(٢) ورُقَيْتِها
باهرة أميرية ، من استه إلى فيه ، وما هو بنيه . ومنها (الخَصْنة) وهي خرزة للدخول على
السلطان والخصومة تجعل تحت فص الخاتم أو في زر القميص أو في حائل السيف قال بعضهم :
يملأ غيرى (خصمة) في لقائهم ومالى عليكم خصمة غير منطقي
ومنها (الوجيبة) وهي كالخصمة حمراء كالعقيق . ومنها (العطفة) وهي
خرزة العطف ، والكعكة خرزة سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم .
والقبة خرزة بيضاء تجعل في عنق الفرس من العين . والفطسة خرزة يمرض
بها العدو ويقتل . ورُقَيْتِها : أخذته بالفطسة ، بالشُّو ^(٣) والمطسة ، فلا يزل
في تمسه ، من أسره ونكسه ، حتى يزور رمسه . (ومن رقاهم للحب) هوايه
هوايه ^(٤) ، البرق والسحابة ، أخذته يَمْرُكَن ^(٥) ، غبه تمككن ، أخذته بإبره ،
فلا يزل في عَبره ، جلبته بإشقى ^(٦) فقلبه لا يهدأ ، جلبته يَمْرِد ، فقلبه لا يبرد .
وترق الفارك ^(٧) زوجها إذا سافر عنها فتقول : بأقول القمر ، وظل الشجر ،

(١) الحقو : موضع شد الأزار وهو الحاصرة . ثم توسعوا حتى سماوا الأزار
الذي يشد على العورة حقوا والجمع أحق وحقى مثل فلس وفلس وفلوس
(٢) قال في اللسان : الهمرة خرزة الحب يستعطف بها الرجال . يقال :
ياهمرة أهمريه ، وباهمرة أهمريه ، إن أقبل فسرِّيه ، وإن أدبر فسرِّيه .
(٣) الشُّوَاء بالمد فترة تعترى الشخص فيفتح عندها فمه . وهي هنا
بالقصر مراعاة لوزن المنهوك (التاج) . (٤) الهوابة : النار المنتهية والشمس
المتوهجة . « من كتاب المرأة العربية للعفيفي » (٥) المكن : أمانة تفصل فيها
التياب ونحوها . (٦) الأشقى : بالكسر والقصر ، المثقب يكون للاس كفة .
(٧) الفارك : المرأة التي تبغض زوجها .

شمال تشمله^(١)، ودُّبُور تدبره^(٢) ونسكها^(٣) تنسكبه ، شيك فلا انتقش^(٤) .
ثم ترمي في أثره بحصاة ونواة وروثة وبررة . ونقول : حصاة حصت أثره ، ونواة
نأت داره ، وروثة رائت خبره ، لقفته^(٥) يبره . . وقالت فارك في زوجها —
والفارك هي المبتضة لزوجها :

أنبمته إذ رحل العيس ضحى بعد النواة روثه حيث انتوى
* الروث للريث وللنأى النوى^(٦) *

وقال آخر :

رمت خلفه لما رأت وشك بينه نواة تلتها روثه وحصاة
وقالت : نأت منك الديار فلا دنت ورائت بك الأخبار والرجعات^(٧)
وحصت لك الآثار بعد ظهورها ولا قارن الترحال منك شتات
وقال آخر يخاطب أسرته :

لاتنقذ خلني إذا الركب اغتدى روثه غير وحصاة ونوى
لن يدفع المقدار أسباب الرق ولا التهاويل على جنّ الفلا^(٨)
هذا الرجز أورده الخالغ في هذا المرض وهو بأن يدل على عكس هذا المعنى
أولى لأن قوله :

لن يدفع المقدار أسباب الرق ولا التهاويل على جنّ الفلا
كلام يشمر بأن قذف الحصاة والنواة خلفه كالمؤذنة له لا كما تفعله الفارك

(١) الشمال : الريح تقابل الجنوب . (٢) الدبور : وزان رسول ريح تهب
من جهة المغرب تقابل الصبا ، ويقال تقبل من جهة الجنوب ذاهبة نحو المشرق .
وفي الحديث : نصرت بالعرب واهلكت عاد بالدبور . (٣) هي ريح انحرلت
ووقعت بين ريحين أو بين الصبا والشمال .

(٤) الانتقش : استخراج الشوك من الرجل ومنه حديث أبي هريرة (رض) :
وإذا شيك فلا انتقش أي دخلت فيه الشوك فلا خرجت وهو دعاء عليه .

(٥) كذا ويظهر أن في العبارة سقطا . (٦) انتوى : قصد ، والريث : الإبطاء ،
والنأى : البعد . (٧) رمت : أبطلت

(٨) التهاويل جمع تهويل وهو ما هول به الإنسان . والفلا : جمع فلاة
وهي الأرض التي لا ماء فيها ، والعير : الحمار وغلب على الوحش .

التي تمنى القراق . وقد أبطل الشرع ذلك كله والأحجار لا تنفع ولا تضر في مثل
ما سبق من الأمور . ومثل ذلك النشر والتمائم ، ففي سنن أبي داود عن جابر بن
عبد الله رضي الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن النشرة
فقال : هي من عمل الشيطان . والنشرة ضرب من الرقية والعلاج بمالج به من كان
يظن أن به مس الجن . وقيل سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه أي يحل عنه ما خافه
من الداء . وعن الأصمعي قال : النشرة من السحر . وأنشد من قول جرير :

أدعوك دعوةً ملهوفٍ كأنَّ به مساً من الجنِّ أوريحاً من النَّشْرِ

وعن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول :
ما أبالي ما أتيت إن أنا شربت ترياقاً أو تملقت تيمية أو قلت الشعر من قبل نفسي
قال الخطابي : ليس شرب الترياق مكروهاً من أجل أن التداوى محظور ، وقد أباح
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التداوى والعلاج في عدة أحاديث ولكن من
أجل ما يقع فيه من لحوم الأفاعي وهي محرمة . والترياق أنواع فإذا لم يكن فيه لحوم
الأفاعي فلا بأس بتناوله والله أعلم . والتيمية يقال إنها خززة كانوا يعلقونها يرون
أنها تدفع عنهم الآفات ، واعتقاد هذا الرأي جهل وضلال إذ لا مانع ولا دافع غير
الله سبحانه ، ولا يدخل في هذا التعوذ بالقرآن والتبرك والاستشفاء به لأنه كلام الله
سبحانه ، والاستعاذة به ترجع إلى الاستعاذة بالله سبحانه . . ويقال بل التيمية قلادة
تعلق فيها المود . قال أبو ذؤيب :

وإذا المنية أنشبتْ أظفارها ألفت كل تيمية لا تنفع^(١)

(١) البيت من شواهد التلخيص ، والشاهد فيه الاستعارة بالكنابة
والاستعارة التخيلية فهو هنا شبه في نفسه المنية بالسبع في اغتياله النفوس
بالقهر والقلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقة لرحوم فأثبت لها الأظفار
التي لا يكمل الاغتيال في السبع بدونها تحقيقاً للمبالغة في التشبيه فتشبيه المنية
بالسبع استعارة بالكنابة وإثبات الأظفار لها استعارة تخيلية . والبيت من قصيدة
لأبي ذؤيب - واسمه خويلد بن خالد بن محرز بن ربيد - بالراء المهملة ، بن
مخزوم ، ينتهي نسبه لنزار - قالها وقد هلك له خمس بنين في عام واحد
وكانوا فيمن هاجر الى مصر فرثاهم بهذه القصيدة وأولها :

وقال آخر :

بلادُ بها عرقُ الشبابِ تميمي^(١) وأول أرض مسَّ جلدي ترابها
وقد قيل إن المكروه من المؤذ هو ما كان يغير لسان العرب فلا يفهم معناه
وله قد يكون فيه سحر ونحوه من المحظور وتام الكلام في الرق والتماويذ بطلب
من كعب العقائد ونحوها والله أعلم .

وهن مذاهب العرب في الجاهلية الوشم

وهو على ما ذكره أهل اللغة أن يفرز في العضو إبرة^(٢) ونحوها حتى يسيل
الدم ثم يحشى بنورة^(٣) أو نحوها فيخضر وكانوا يقصدون بذلك التزين فينقشون
به غالب أبدانهم أنواعا من النقوش من صور حيوانات وغيرها وكذلك الشفاء

والدهر ليس بمعتب من يجزع
منذ ابتدئت ومثل مالك ينفع
إلا أقض عليك ذاك المضجع
أودي بني من البلاد فودعوا
عند الرقاد وعبرة لا تقلع
كحلت بشوك لهنى هوى تدمع
واخال إلى لاحق مستنقع
فتخروا ولكل جنب مصرع
فاذا المنية أقبلت لا تدفع
القيت كل تمينسة لا تنفع
أني لريب الدهر لا اتضعع
بصفا المشرق كل يوم تفرع
جون السحاب له جدائد أربع

أمن المنون وريبها تتوجع
قالت أمانة ما لجسمك شاحبا
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعا
فأجبتها أرني لجسمي أنه
أودي بني فاعقبوني حسرة
فالعين بعدهم كان حداثتها
فغيرت بعدهم بميش ناصب
سبقوا هوى وأمنقوا لهواهم
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم
وإذا المنية أنشبت أظفارها
وتجلدى الشسامتين أربعم
حتى كاني للحوادث مسرورة
والدهر لا يبقى على حدائنه .

- (١) يقال للصبي إذا نشأ مع حي حتى شب وقوى فيهم فقت تميمته في بني فلان
والأصل في ذلك أن الصبي ما دام طفلا تعلق أمه عليه التمام تموده من العين
فاذا كبر قطعت عنه . ووقع في خطبه المفلول للسعد إبلاذ بها نيلت على تمالك .
وما ذكره الأستاذ هو الأصح . راجع تاج المصروس ج ٧ ص ١٨
(٢) الصواب أن يقال : (أن يفرز) أي ينخس العضو بإبرة ونحوها الخ .
(٣) كذا الصواب « ثم يحشى بنؤور أو نحوه » والنؤور كصبور النياج
ودخان النحم وحصة كالأنمد تدق فتسفعها اللة .

فقرى شفاه غالب نساءهم زرقاً ، وأما الرجال فكانوا يستعملون الوشم في بعض المواضع من الجسد يزعم أنه يقوى للفصل الذى وشم عليه . والأطفال منهم يوشمون في بعض الحال من وجوههم لقصد الزينة ، وهو مذهب باطل وعادة مستقبة جداً فلذلك أبطلته الشريعة المحمدية لما فيه من تغيير خلق الله . فى الحديث : لمن الله الوشامات والمستوشمات والمتنصصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله . والمتنصصات جمع متمصة . وحكى ابن الجوزى : متمصة وهى التى تطالب النماص والنامصة هى التى تنقله والنماص إزالة شعر الوجه بالمنقاش ويسمى المنقاش ناصاً لذلك وهى حديدة يؤخذ بها الشعر ويقال إن النماص يختص بإزالة الشعر من الحاجبين ليرقةها أو ليسويهما . والمتفلجات جمع متفلجة والتلج تباعد ما بين الثنايا والرباعيات بهرد ونحوه والحاصل أن كل ما فيه تغيير خلق الله حرام .

ومن مذاهبهم النياحة على المالك منهم والندب ونحو ذلك

كان العرب فى الجاهلية يوصون أهلهم بالبكاء والنوح عليهم إذا ماتوا وكان ذلك مشهوراً من مذاهبهم وهو موجود فى شعرهم كقول طرفة بن العبد :

فإن مُتْ فأنمى بما أنا أهلهُ وشقى ظلى الجيبَ يا ابنةَ مَعْبِدٍ^(١)

وقال ليبد لابنتيه لما حضرته الوفاة :

تمنى ابتئى أن يعيشَ أبوما وهل أنا إلا من ربيعةٍ أو مُصرَمٍ؟^(٢)

فوقما وقولا بالذى تملانه ولا تنمشا وجهاً ولا تحلقا شعر

وقولا : هو المرء الذى لا صديقة أضع ولا خان الأمين ولا غدر

(١) النعى : اشاعة خبر الموت . والجيب من القميص هو الذى يدخل منه الرأس . وابنة معبد : ابنة أخيه معبد . (٢) قال السيد المرتضى فى أماليه : أراد هل أنا إلا من أحد هذين الحيين فسبيلى أن أفنى كما فنى وأنما حسن ذلك لأن قصده الذى أجرى إليه وغرضه الذى نجاه هو أن يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به أجمال ما أجمل من كلامه فأضرب عن التفصيل لأنه لا فائدة فيه ولأنه سواء كان من ربيعة أو مضر فموته واجب ...

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر^(١)
وبعد وفاته كانتا تلبسان نياهما في كل يوم وتأتیان مجلس جعفر بن كلاب
قبيته فترتيانه ولا تسولان فأقلمتا على ذلك حولا كاملا ثم انصرفتا . ومعنى
قوله : وهل أنا الخ أن جميع آبائي من ريعة أو مضر قد ماتوا ولم يسلم أحد منهم
من الموت فكذاك أنا لا بد لي من الموت . وإنما قال إلى الحول لأن الزمان
ساعات وأيام وجمع وشهور وسنن والسنن هي النهاية فالحول والسنة مدة هي
نهاية الزمان في التقسيم إلى أجزائه ويمكن أن يكون ذلك لما روى في بعض الآثار
أن أرواح الموتى لا تنقطع من التردد إلى منازلهم في الدنيا إلى سنة كاملة فكذا
إنما أمرها بما ذكر من الذكر والدعاء وغير ذلك ليشاهد ذلك منها . ولذلك قال
ومن يبك حولا الخ . وقال بعضهم إنما وقت بالحول لأنه مدة عزاء الجاهلية وهذا
لا يصح هنا لأن قائله صحابي ومثل هذا كثير في أشعارهم وقد أبطلت ذلك الشريعة .
وفي الحديث : إن الميت ليعذب ببكاء أهله . قال أهل الحديث : الميت إنما
تزره العقوبة في ذلك بما تقدم من أمره إلام بذلك وقت حياته وإن لم يأمر
لا يلحقه عقوبة (ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) والوزر إنما هو على من نأح
وأظهر الجزع من تلقاء نفسه . وفي الحديث : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب
ودعا بدعوى الجاهلية » . وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم « برىء من الصالحة والخالقة والشاقة » . والصالحة :
هي التي ترفع صوتها بالنيابة . والخالقة : هي التي تخلق شعرها عند المصيبة . وفي
الصحيحين أيضا عن أم عطية قالت : « أخذ علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه

(١) هذا البيت يورده بعض النحاة على أن لفظ (اسم) مقحم . قال ابن
جنى : هذا قول أبي عبيدة ، وكذلك قال في بسم الله . ونحن نعمل الكلام
على أن فيه معلولا ، قال أبو علي : وإنما هو حد حذف المضاف أي ثم اسم
معنى السلام عليكما واسم معنى السلام هو السلام وكأنه قال ثم السلام
عليكما فالعنى لعمرى ما قاله أبو عبيدة لكنه من غير الطريق التي اتاه هو
منها إلا تراه هو اعتقد زيادة شيء واعتقدنا نحن نقصان شيء ؟

وسلم في البيعة أن لا تنوح » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة يرفه : « اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت » . والنياحة : رفع الصوت بالنندب . والنندب : تعديد التاديب بأعلى صوتها محاسن الميت وقيل هو البكاء مع تمديدتها وأما البكاء على الميت لرفة ورحمة خاليا عما ذكر فلا محذور فيه فإن الله تعالى أودع الرحمة في قلوب عباده وإنا نرحم الله من عباده الرحاء .

(ومن عوائدهم في هذا الباب) ما حكاه الأصمعي قال : كانت العرب إذا مات فيهم ميت له قدر ركب راكب فرما وجل يسير في الناس ويقول : نماء فلانا أي انه وأظهر خبر وفاته وهي مبنية على الكسر مثل نزال وعلى ذلك قول المتنخل الهذلي :

أقول لما أتاني الناعيان به : لا يبعد الريح ذو النصلين والرجل
رمح لنا كان لم يقلل نوء به توق به الحرب والضرأ والجلل
رَبَاءُ شَمَاءَ لَا يَأْوِي قَلَّتْهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأَوْبُ وَالسَّيْلُ^(١)
أي هو رباء لأصحابه بالهدم إذا صار ريثة لم أي طليعة فوق شرف وموضع
مرتفع والشماء مؤنث أشم من الشم وهو الارتفاع أراد هضبة شماء فخفف الموصوف
بدليل القلة وهي رأس الجبل . والهضبة الجبل المنبسط على وجه الأرض . ومن
المعلوم أيضا أن التي لا يأوي إلى قتلها إلا السحاب والمطر لا تكون إلا هضبة .
والأوب قال الخوارزمي : هو المطر لأنه بخار ارتفع من الأرض ثم آب إليها أي
رجع ولذلك سمي رجما فسموه أوبا ورجما تفاؤلا ليرجع ويثوب . وقيل لأن الله
تعالى يرحمه وقتا فوقتا وإليه ذهب صاحب الكشف عند قوله تعالى (والسماء
ذات الرج) وأنشد هذا البيت على أن المطر يسمى رجما كما في الآية وأوبا

(١) هذا الشعر من قصيدة طويلة يرثى بها ابنه ائيلة (مصفرا) قتلتها
بنو سعد بن فهم بن عمرو بن قيس ميلان بن مضر . راجع الاغانى ج ٢٠ ص
١٤٥ من طبعة الساسي . وقوله : ذو النصلين ، النصل حديدة السهم والنصلان
مثنى عبارة عن النصل والرج . ومعنى تنوء : تنهض . والجلل محركة الامر
المعظم والصغير ضد والمراد هنا الاول .

كافى البيت تسمية بمصدرى رَجَعَ وآبَ ، وذلك أن العرب كانت تزعم أن السحاب يحمل الماء من البحر ثم يرحمه إليه . والسَّيْلُ يفتحون المطر المنسبل أى النازل . (ومن مذاهبهم) أنهم يقولون الميت إذا مات لا تبعد : قالت الخُرَيْقُ (١) : لا يَبْعَدَنَّ قوى الذين هُمُ سُمُّ السُّدَاةِ وَأَفَةُ الْجَزْرِ النازلينَ بكلِّ مُتْرَكٍ والطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ وفى كتاب اللب : أن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ولم فى ذلك غرضان . أحدهما : أنهم يريدون به استعظام موت الرجل الجليل وكأنهم لا يصدقون بموته وقد بين هذا المعنى زهير بن أبى سُلَيْمٍ بقوله :

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجال جَنُوح
ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزلْ نجوم السماء والأديم صحيح
يريد أنهم يقولون مات حصن ثم يستظلمون أن ينطقوا بذلك ويقولون كيف يجوز أن يموت والجال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تنجوج موتاها وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث . والترض الثانى : أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا يذهب لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته ألا ترى إلى قول الشاعر :

فأثنا علينا (لا أبأ لأبيكم) بأفاننا إن الثناء هو الخلد

وقال آخر يرى يزيد بن الشيبانى :

فإن تلك أفنته الليالى فأوشكت فإن له ذكراً سيفى الليالى

(١) هى بنت بدر بن هنان بن مالك وهى اخت طرفة لأمه . . وهذان البيتان أوردهما سيبويه فى باب الصفة المشبهة : قال الاعلم ، الشاهد فيه (أى البيت الثانى) نصب معاقِدَ الْأُزْرِ بقولها الطيبون تشبيهاً بالفعول به لانه معرفة بأضافته إلى الْأُزْرِ فهو كقولك الحسنون أوجه الأخ . وصفت قومها بالظهور على العدو ونحر الجزر للأضياف والملازمة للحرب والعفة عن الفواحش فجعلت قومها لأعدائهم يقضى عليهم ، وأفة للجزر لكثرة ما ينحرون منها . والمترك : موضع ازدحام فى الحرب . ويقال فلان طيب معقد الأزار إذا كان عفيفاً لا يطله لفاحشة .

وقال المتنبي وأحسن :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفضول الميش أشغال^(١)
وقد بين مالك بن الربى للزنى ما في هذا الحال من قصيدة تقدمت على غيرها :
يقولون لا تبتعد وهم يدفونى وأين مكان البعد إلا مكانيا^(٢)
وقال الفرار السلى^(٣) :

ما كان ينفعنى مقالُ نساتهم وقُتلتُ دون رجالهم لا تبتعد^(٤)

ومن مذاهبهم جز النواصى

كانت العرب إذا أنعمت على الرجل الشريف بعد أسرهِ جرُّوا ناصيته وأطلقوه
فتكون الناصية عند الرجل يفخر بها والنواصى جمع ناصية وهى الشعر فى مقدم الرأس
فوق الجبهة . قال بشر بن أبى خازم الأسدى :

وإذ جرت نواصى آل بدر فأدوها وأسرى فى الوثاق
وإلا فاعلسوا أبا وأتم بُغاةً ما بقينا فى شقاق^(٥)
وسبب هذا الشعر أن قوماً من آل بدر الفزاريين جاؤوا بنى لأم من طي
فعمد بنو لأم إلى الفزاريين فجزوا نواصيهم وقالوا : قد مننا عليكم ولم تقتلكم

(١) قال ابن القطاع : صحف الرواة هذا البيت فرووه (فانه) بالفاء والصواب بالقاف وعليه فسر الواحدى فقال : إذا ذكر الإنسان بعد موته كان ذلك حياة ثانية له وما يحتاج إليه فى دنياه قدر القوت وما فضل من القوت فهو شغل كقول سالم بن وابصة :
غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة فان زاد شيئاً عاد ذلك الفتى فقرا
(٢) البيت من قصيدة له قالها وهو مريض يذكر مرضه وغرته . وقد أوردتها القالى فى أماليه (ج ٣ ص ١٢٧) . (٣) اسمه حيسان بن الحكم : حيان فعلا من الحياء . والسلمى منسوب الى سليم بالتصغير (٤) وقُتلت دون رجالها جملة وقعت حالا وجملة لا تبعد وقعت مقول القول . يقول : ما ينفعنى أن يبتدبننى ويقلن لا تبعد وقد بعدت (٥) البغاء جمع باغ وهو الظالم من البغى وهو الطلب لانه يطلب ما ليس له بحق . والشقاق العداوة لان كل واحد من المتعادين يفعل ما يشق على الآخر ، او من الشق بمعنى الجانب لان كل واحد يكون فى طرف غير طرف الثانى . وفى البيت شاهد العطف على محل اسم ان بعد مضى الخبر تقديرا .

وبنو فزارة حلفاء بنى أسد فغضب بنو فزارة لأجل ما صنع بالبدريين فقال بشر
هذين البيتين من قصيدة يذكر فيها ما صنع بنى بدر ويقول للطائيين فإذا قد جزرتم
نواصيهم فاحلوهما إلينا وأطلقوا من قد أسرتم منهم وإن لم تفعلوا فاعلموا أنا نبغيكم
ونطلبكم فإن أحببنا أحداً منكم طلبتمونا به فصار كل واحد منا يبنى صاحبه فنبى في
شقاق وعداوة أبداً . وربما جزت ناصية مطلق الأسير شريفاً كان أم لا ، وأخذ
للافتخار والعرب متفانون في المذهب . وقال زهير من قصيدة مدح بها هرم بن
سنان المري أحد الأجواد في الجاهلية :

حَدَّبَ عَلَى الْمَوْلَى الضَّرِيكَ إِذَا نَابَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ
عَظُمَتْ دَسِيعَتُهُ وَفَضَلُهُ جَزَّ النَّوَاصِي مِنْ بَنَى بَدْرِ
أَيَّامَ ذِيَّانٍ مِرَاعَةً فِي حَرْبِهَا وَدِمَائِهَا تَجْرِي
وَمُرْهَقُ النَّيِّرَانِ يَعْلَمُ فِي الْأَوْدَاءِ غَيْرَ مُكَلَّنٍ الْقَدَرِ

الحلبد : المشفق . والمولى : ابن المم . والضريك : العقير المحتاج .
والدسيسة : العطية الجزيلة . وجز النواصي تقدم معناه . وراغهم : نابذهم وهجرهم
وعاداهم . ومرهق النيران : أى تقشى ناره يقال رهقت الرجل إذا غشيت وأحطت
به والمشدد للتكثير : يصف أنه يوقد النار بالليل للطبخ وإطعام الناس وليمشو إليها
الضيف والغريب . وكثرة النيران للأخبار عن سمة مروفة . والأوداء شدة
الزمان والقطع . وقوله : غير ملن القدر أى لا يؤكل ما فيها دون الضيف
والجار واليتيم والمسكين فهو محمود القدير لا مذمومها وأوقع اللحن على القدر مجازاً ،
وهو يريد صاحبها . وما أحسن قول الخنساء في هذا الباب مفتخرة بقومهم
على الأصحاب :

جَزَرْنَا نَوَاصِي فُرْسَانِهِمْ وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ لَا تَجْزَا
وَمِنْ ظَنٍّ مِمَّنْ يَلَاقِي الْحُرُوبَ . بَأَنَّ لَا يَصَابُ فَقْدَ ظَنٍّ مِجْزَا^(١)

(١) تقول : إن من دخل الحرب وقارع الأبطال : وظن أنه لا يصاب بشيء
فقد ظن ظننا باطلاً وسمنه عجزاً تجوزاً .

نضيف ونعرف حق القرى . وتتخذ الحدة ذُخْراً وكزراً
ونابس في الحرب سرد الحديد وفي السلم خزاً وعصباً وقزاً^(١)

ومن مذاهب العرب شد اللسان

كان من مذاهب العرب أنهم إذ أسروا أسيراً وكان شاعراً ربطوا لسانه بنسمة
وعلى ذلك قول عبد يغوث القحطاني الحارثي البني من قصيدة :

أقول وقد شدوا لساني بنسمة : أمعشر تيمر أطلقوا عن لساني
أمعشر تيمر قد ملكتكم فأسجحوا فإن أخاكم لم يكن من بواثيا
فإن تقتلوني تقتلوا بي سيداً وإن تطلقوني تحرّبوني بماليا

الانسمة بكسر النون : سير منسوج . وأسجحوا بتقديم الجيم على الحاء المهملة
بمعنى سهلوا ويسروا . والبواء : السواء أي لم يكن أخاكم نظيراً لي فأكون بواء له
وتحرّبوني نسلوني وتغلبوني . وبما ذكرنا من المذهب فسر البيت جمع وقالوا :

إنهم شدوا لسانه بنسمة حقيقة وإليه ذهب الجاحظ في البيان والتبيين والأصفهاني في
الأغاني وحكاه أيضاً ابن الأنباري بأنهم ربطوه بنسمة مخافة أن يهجوم وكانوا سمعوه
ينشد شعراً فقال أطلقوا لي عن لساني أذم أصحابي وأنوح على قضى . فقالوا : إنك
شاعر وتحذر أن تهجوننا فاهدّم أن لا يهجوم فأطلقوا له عن لسانه .

قال الجاحظ : وبلغ من خوفهم من الهجاء أن يبق ذكرهم في الأعقاب
ويسب به الأحياء والأموات أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه الموائيق وربما
شدوا لسانه بنسمة كما صنعوا بسيد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسرته تيم يوم

(١) السرد : نسج الدرع واسم للدروع وسائر الحلق . والخز : قتل
القيومي ، اسم دابة تم اطلق على الثوب المتخذ من وبرها . والقزمعرب قال
الليث هو ما يعمل منه الابريسم ولهذا قال بعضهم القز والابريسم مثل الحنطة
والدقيق . والعصب : مثل فلس برد يصبغ غزلة ثم ينسج .
(٢ — ثالث)

الكلاب . وفي تفسير شد اللسان قول آخر وهو : إن هذا مثل وذئب إليه شراح
آيات الشعراء والقالى فى أماليه ، وحكاه ابن الأثيرى فى شرح المفضليات وقال :
لأن اللسان لا يشد بنسمة وإنما أراد افعلوا بى خيراً لينطلق لسانى بشكركم وإنكم
ما لم تفعلوا فلسانى مشدود ولا أقدر على مدحك . والوجه ما تقدم فإن الحقيقة هى الأصل !

ومن مذاهمم خضاب النحر

كانت العرب فى الجاهلية تعيش فى الغالب بلحوم الصيد وكانت خيلهم
لجودتها وعراقها تسمل عليهم ما يراء غيرهم من الصعوبة فى ذلك وتمنيهم على نيل
مقاصدكم فكانت عندهم من أعر الأموال ، تلحظ لديهم كما يلحظ العيال ، وكان
السابق منها يرفع له فى الفخر رايات ، وتوضع عليه لأجل المباهاة علامات ، ولذلك
كان من دينهم وعوائدهم أنهم إذا ساقوا الخيل على الصيد وأغاروها نحوه فالسابق
على غيره فى الوصول إليه يخضبون نحره بدم ما يمسكونه من الصيد علامة على كونه
لا يدرك فى الثارات ، وأنه سباق غايات ، وقد بطلت بعد ظهور الإسلام هذه
العادة ولم يعرفها سكان البوادرى من العرب اليوم ، غير أن لأعراب الحجاز عادة
قريبة من ذلك وهى أنهم إذا نزل بهم ضيف يعتنى بشأنه ذبحوا له أو نحروا فإذا
سافر منهم وترحل عنهم لطخوا طرفى ستام بعيره بدم ما ذبحوه على شكل
الثلث إيداناً بأنه من الرجال للعتنى بشأنهم بين قبائل العرب ومن الأماجد الأعرزة
الحرى بأن يعز .

ومن مذاهمم التعقية

قال أبو العباس ثعلب . التعقية منهم الاعتذار : وقال ابن الأعرابى : أصل
هذا أن يقتل الرجل رجلاً من قبيلته فيطلب القاتل بدمه فيجتمع جماعة من
الرؤسا . إلى أولياء المقتول بدية مكملة ويسألونهم العفو وقبول الدية فإن كان أولياؤه
ذى قوة أبوا ذلك وإلا قالوا لهم : بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهى .

فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون أن تأخذ منهما فترمي به نحو السماء فإن رجع إلينا مضرجا بالدم فقد نهينا عن أخذ الدية وإن رجع كما سمعنا فقد أمرنا بأخذها وحينئذ مسحوا لحامهم وصالحوا على الدية وكان مسح اللحية علامة الصلح . قال الأشعر^(١) الجعفي :

عَمُوا بِسَهْمٍ ثُمَّ قَالُوا : سَالُوا يَالَيْتَنِي فِي الْقَوْمِ إِذْ مَسَحُوا اللَّحَى !
قال ابن الأعرابي : ما رجع ذلك السهم قط إلا نقياً ولكنهم يعتذرون به عند الجهال . ومن شعر الهذلي ما أنشده أبو عبيد البكري في شرح نوادر القالي :

لا ينسئ الله منا معشراً شهدوا يوم الأملج لا عاشوا ولا مرحوا^(٢)
عقوا بسهم فلم يشعر به أحد ثم استفتاءوا وقالوا حبذا الوضخ^(٣)
قال البكري : هذا من شعر يهجو به ناساً من قومه كانوا مع أبيه حجاجاً^(٤)
يوم قتل وقوله لا ينسئ الله أى لا يؤخر الله موتهم من الإنساء وهو التأخير .
وعقوا بضم القاف وفتحها لأنه جاء من باين فإنه يقال عق بالسهم إذا رمى به نحو السماء وذلك السهم يسمى عقبة بقافين ويقال له أيضاً سهم الاعتذار فعقوا بضم القاف . ويقال عقى بسهمه تعقبة إذا رمى في الهواء فعقوا بفتح القاف . وكانت العرب تعيب على من يأخذ الدية ويرضى بها من درك ثأره وشفاء غيظه كقول قائلهم يهجو من أخذ الدية من الإبل :

وإن الذى أصبحتم تحلبونه دمٌ غير أن اللون ليس بأشقر

(١) هكذا بالشين المعجمة ومثله في التاج (مادة عق) وصوابه «الاسعر» بالسسين المهمل كسا ورد في كتب الأئمة ، ومنهم الأصمعي في مختصراته (الأصمعيات) المطبوعة في (ليبسك) . وقد ورد صحيحاً في موضع آخر من التاج (مادة سسر) قال : والاسمر لقب مرند بن أبى حمران الجعفي الشاسر ، سمي بذلك لقوله :

فلا تلعننى الأقوام من آل مالك إذا أنا لم أسمر عليهم وانقب
(٢) الأملج ، موضع في بلاد همدان كانت به وقعة . ومعنى لا مرحوا لا جرحوا . يقول لم يغيبوا فنكفى أن يؤسروا أو يقتلوا ولا جرحوا أى ولا قاتلوا إذا كانوا ممناً . عن اللسان .
(٣) أخبر أنهم آثروا إبل الدية والبانها على دم قاتل صاحبهم ، والوضخ ههنا اللبن .
(٤) في بعض الكتب (كانوا مع ابنة «حجاج») . ولا أعلم أن كان له .

ابن يهرق بهذا الاسم .

وقال جرير يعبر من أخذ الدية فاشتري بها نخلا :
 ألا أبلغ بنى حجر بن وهب بأن القمر حلو في الشتاء
 وقال آخر :

خليلان مختلف شكلنا أريد العلاء وتبغى السمن
 أريد دماء بنى مالك ورأى للملى يياض اللابن
 ولهذا كان يأبى أولياء للمقتول عن قبول الدية إذا كانوا أقوياء . هذا وإن
 كانت الشريعة قد أبطلته وجاءت بما هو خير منه وأصلح في الماش والمعاد من
 تخيير الأولياء بين إدراك الثأر ونيل التشفي وبين أخذ الدية فإن القصد به أن العرب
 لم تكن تعبر من أخذ بدل ماله ولم تده ضففاً ولا هجراً البتة بخلاف من أخذ
 بدل دم وليه .

ومن مذاهمهم حل الملوكة على الأعناق إذا مرضوا
 قال أبو عبيدة : وكانت ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على
 أكتافها يتماقبون لأنه عندهم أوطأ له من الأرض ^(١) .
 قال النابغة الذبياني :

ألم أقسم عليك لتخبرني أمحول على النعش الهمام ^(٢) ؟
 فأي لا ألومك في دخول ولكن ما وراءك يا عصام ^(٣) ؟

(١) معنى أوطأ له من الأرض : أن ذلك أسهل له وأكثر راحة مما لو وضع
 على الأرض .

(٢) المراد بالنعش هنا مركب شبه الهودج . والهمام : الملك العظيم الهمة
 ويطلق أيضاً على السيد الشجاع السخي . (٣) قوله : ما وراءك يا عصام مثل
 يضرب في استعلام الخبر . قيل أول من قاله الحرث بن عمرو ملك كندة
 وذلك أنه لما بلغه جمال ابنة عوف بن معلم الشيباني وكمالها وقوة عقلها دعا
 أمراؤه من كندة يقال لها (عصام) ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها
 اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف فعمضت فدخلت إليها فنظرت إلى مالم
 ترقط مثله فخرجت وهي تقول : ترك الخداع ، من كشف القناع ، فأرسلتها
 مثلاً ثم انطلقت إلى الحرث فلما رآها مقبلة قال لها . ما وراءك يا عصام .؟
 الخ . وقيل إن المثل على التذكير وفاتأه النابغة الذبياني قاله (عصام ابن
 شهير) حاجب النعمان . . ويجوز أن يكون أصل المثل ما ذكر أولاً ثم اتفق
 الاسمان فخطوب كل بما استحق من التذكير والتأنيث . ومعنى البيت :
 لست ألومك بمنعك إياي من الدخول ولكن أعلمني حقيقة خبره .

فَإِنْ يَمْلِكُ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكُ ربيعُ الناسِ والشَّهرُ الحرامُ؟^(١)
وَنَأْخُذُ بَعْدَهُ بِذُنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظُّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ^(٢)

ومن حديث هذه الأبيات أن النابذة كان عند النعمان ملك العرب بالحيرة كبيراً عنده خاصاً به وكان من ندمائه وأهل أنسه فحسد على منزلته منه فاتهموه بأمر ففضب عليه النعمان وأراد البطش به وكان للنعمان بواب يقال له عصام ابن شهبر الجرمي قال للنابذة إن النعمان موقع بك فانطلق فهرب النابذة إلى ملوك غسان ملوك الشام فكان يمدحهم وترك النعمان فاشتد ذلك عليه وعرف أن الذي بلغه كذب فبعث إليه : إنك لم تتذرع من سخطة إن كان بلفتك ولكننا نتمرنا لك عن شيء مما كنا لك عليه ولقد كان في قومك متمتع وحسن فتركته ثم انطلقت إلى قوم قتلوا جدى وبنى وبينهم ما قد علمت وكان النعمان وأبوه وجده

(١) أبو قابوس كنية النعمان بن المنذر . وقابوس ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة لأنه معرب كاووس كذا في القاموس وغيره . ونرى أنه عربي مأخوذ من القبس وهو النار أو الشعلة من النار ، والقابوس لغة ، الرجل الجميل الوجه الحسن اللون ، ومنعه من الصرف يجوز أن يكون للعلمة وشبه العجمة . وقوله « ربيع الناس والشهر الحرام » يريد أنه كاربيع في الخصب لمجنبته وكالشهر الحرام لجاره لا يوصل إلى من أجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام إلى أحد .

(٢) قوله (نأخذ) قال النحويون : (روى بالجزم عطفاً على جواب الشرط ، والرفع استئنافاً ، والنصب بأن مضرة وجوبا) . والذنب بالكسر خيط يشد به ذنب البعير لئلا يخطر بذنبه فيلطم راحبه ، ومن كل شيء عقبه ومؤخره . والأجب المقطوع ، وقد شبه العيش بجمل أجب الظهر أى مقطوعه بمعنى أنه لا سنام له . فهو يقول أنا بعده سنكون في ضيق من العيش كمن يمسك بذنب بعير لا سنام له وذلك أن البعير إذا قطع سنامه أو أكله الرجل لا ينمو فكانه كان لميشهم بمنزلة السنام للبعير فإذا ذهب سنامه لم يرج منه خير . والظهر يروى بالرفع والنصب والجزم . قال الامام ابن مالك في (الكافية) في باب الصفة المشبهة باسم الفاعل :

والرفع والنصب حكوا والجرا
قال في شرحها - قال النابذة :

وَنَأْخُذُ بَعْدَهُ بِذُنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظُّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
يروى أجب الظهر بالرفع وهو نظير قولنا جميل الوجه . ويروى أجب الظهر على الإضافة وهو نظير قولنا جميل الوجه انتهى . وفي حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك : وروى في أجب الجر صفة لعيش وجره بالكسرة أن أضيف إلى ما بعده والا فبالفتحة نيابة عن الكسر لأنه ممنوع من الصرف للوصفية ووزن الفعل والرفع خبراً لمبتدأ محذوف والنصب حالاً .

قد أكرموا النابغة وشرفوه وأعطوه مالاً عظيماً وبلغ النابغة أن النعمان ثقيل من مرض أصابه حتى أشفق عليه منه فأتاه النابغة فآلفاه محمولاً على رجلين ينقل ما بين النمر وقصوره التي بين الحيرة فقال لبوابه عصام « ألم تقسم عليك لتخبرني » الأبيات المذكورة ، فعافاه الله وعفا عن النابغة . قال حسان بن ثابت : وفدت إلى النعمان فحسدت النابغة على ثلاث لا أدرى على أيهن كنت أشدّ حسداً : أعلى إذناء النعمان له بعد المباحدة ومساحرته له وإصفاؤه إليه ؟ أم على جودة شعره ؟ أم على مائة بعير من عسافيره ^(١) أمر له بها ؟ قال أبو عبيدة : قيل لأبي عمرو ؛ أمن مخافته امتدحه وأتاه بعد هربه منه أم لتبر ذلك ؟ قال : لا لعمرك الله ما لخافته فعل . إن كان إلا آمناً من أن يوجه إليه النعمان جيشاً . وما كان النابغة يأكل ويشرب إلا في آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وأبيه وجده ولا يستعمل غير ذلك .

ومن مذاهبهم في دية الملوك وغيرهم

كان عامة العرب يأخذون في دية النفس مائة من الإبل وكان هذا الحكم جارياً بين قبائلهم . وقد ذكرنا سابقاً أول من سن لهم ذلك ولما كان الملوك يمتازون عندهم في كثير من الأحكام جعلوا دية أحدهم إذا قتل ألف بعير . قال قراد بن حنش الصاردي ^(٢) :

(١) في الصحاح : عسافير المنذر إبل كانت للملوك نجائب . وفي التهذيب : روى أن النعمان أمر للنابغة بمائة ناقة من عسافيره ، قال بن سيده : ناظنه أراد من فتايا نوقه . وقال الأزهري : كان النعمان بن المنذر نجائب يقال لها عسافير النعمان قال حسان بن ثابت : فما حسدت أحدا حسدى للنابغة حين أمر له النعمان بن المنذر بمائة ناقة بريشها من عسافيره وحسام وآنية من فضة . قوله بريشها : كان عليها ريش ليعلم أنها من عطايا الملوك . كذا في اللسان .

(٢) هو قراد بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن عبد العزى بن صبيح بن سلامة . من بني صاردة بتقديم الراء على الدال . قال في التاج : (وبنو الصاردة حى من بني مرة بن عوف بن غطفان وهو لقب واسمه سلامة . قال ابن دريد : هو من صرد السهم أو من صرد الرجل من البرد) .

ونحنُ رَهْنًا القوسُ ثمت فوديت ^(١) بآلفٍ على ظهر الفَزَايَ أقرعا

بمشرٍ مئينٍ للملوكِ سَمَى بها ليوفى سيار بن عمرو فأسرعا

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد : إن سيار بن عمرو بن جابر الفَزَايَ احتمال للأَسود بن المنذر دية ابنه الذي قتله الحرث بن ظالم ألف بعير وهى دية الملوك ورهنه بها قوسه فوفى . وكان هذا قبيل قوس حاجب بن زوارة . وقال أبو عبيدة في مقاتل الفرسان : إن أخا سيار لأمه الحرث بن سفيان الصاردى تسكنها للأسود فقام منها بنائة ثم مات فرهن سيار قوسه على المائتين الباقيتين لا غير فلما مدح قراد بن حنش بنى فزارة جمل الحماله ^(٢) كلها لسيار . ومثل هذا ما قاله الفرزدق من قصيدة طويلة :

فدى لسيوف من تميم وفى بها ردائى وجلت عن وجوه الأهاتم ^(٣)

شفين حزازات الصدور ولم تدع علينا مقالاً فى وفاء للأثم ^(٤)

أبأنا بهم قتلى وما فى دماهم وفاء وهن الشافيات الحوائم ^(٥)

جزى الله قومى إذ أراد خفارى قبيصة سى الأفضلين الأكارم

هم سمعوا يوم المحصب من مئى ندائى إذا التف رفاق المواسم ^(٦)

(١) الف أقرع أى تام . يقال : سقت إليك الفأ أقرع من الخيل وغيرها أى تاما وهو لكل ألف كما أن هنيذة اسم لكل مائة كما فى الصحاح قال الشاعر :
قتلنا لو أن القتل يشفى صدورنا بتدمر ألفا من قضاة أقرعا
وقال آخر :

ولو طلبونى بالعقوب اتيتهم بآلف أؤديه الى القوم أقرعا
والآلف مذكر ولذلك قالوا ألف أقرع ولم يقولوا قرعاء . وقيل : لو أنت باعتبار الدراهم لجاز بمعنى هذه الدراهم ألف . (٢) الحماله : كسحابة ، الدية يحملها قوم عن قوم . (٣) قال البغدادى فى الخزائنه : قال الميى - الرداء فى البيت بمعنى السيف وأنشد عليه بيتا . . . وجلت بالتشديد بمعنى جلته بالتخفيف من جلا القوم عن البلد يجلون بالضم اذا جلاوا وخرجوا ، والمعنى كشفت ردائى حين وفى بدية الملوك الثلاثة هم ذلك وتمادى الحروب من اعيان الاهاتم وكبرائهم فانهم ، هذا كلامه وهو كلام من لم يصل الى المنقود . ١ هـ (٤) حزازات الصدور : غيظ الصدور .

(٥) قوله : أبأنا بهم ، يقال أبأت فلانا بفلان قباء به اذا قتله به ولا يكاد يستعمل هذا الا والثانى كفاء للاول . والحوائم من الابل العطاش التى تحوم حول الماء (٦) المحصب : موضع رمى الجمار بمكة ، ومئى : قال ياقوت بالكسر والتنوين فى درج - الوادى الذى ينزله الحاج ويرمى فيه الجمار من الحرام سعى بذلك لما يعنى به من الدماء أى يراقى

وقصة رداء الفرزدق رواها أبو عبيدة قال : كان الفرزدق بالمدينة حين جاءت وقعة وكيع ، وحج سليمان بن عبد الملك قبلته بمكة وقعة وكيع بقتيبة فخطب الناس بمسجد عرفات فذكر غدر بني تميم ووثوبهم على سلطانهم وإسراهم إلى الفتن وأنهم أصحاب فتن وأهل غدر وقلة شكر فقام إليه الفرزدق فقال وفتح رداؤه : يا أمير المؤمنين هذا ردائي رهن لك بوفاء بني تميم والذي بلغك كذب . فقال الفرزدق في ذلك حيث جاءت بيعة وكيع لسليمان تلك الأبيات . يعني بالأهاتم الأهم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحرث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن مناة بن تميم فعرف أن الأهم ليس لقباً لسنان بن خالد . والحوائم : المعطاش التي تقوم حول الماء .

ومن مذاهبهم تحريم الخمر على نفوسهم إلى أن يأخذوا بثأرهم

كانت العرب تحرم الخمر على أنفسهم في مدة طلبهم لأنها مشغلة لهم عن كريم الأخلاق والإقبال على الشهوة . قال الشنفرى يرى خاله تأبط شراً ويذكر إدرا كه تأره من قصيدة له ^(١) :

(١) نسبة القصيدة التي منها هذان البيتان إلى الشنفرى وإنه رثى خاله تأبط شراً غير صحيحة لأن الشنفرى مات قبل تأبط شراً ورناء تأبط شراً بأبيات مشهورة وممن رواها أبو الفرج الأصبهاني وابن الأنباري وأولها : على الشنفرى صوب الضمام ورائج غزير الكلى وصيب الماء باكر — ولان تأبط شراً ليس بخال للشنفرى . والصحيح أن هذا الشعر مولد . قال أبو زكريا الخليل في شرح ديوان الحماسة : « وذكر أنه خلف الأحمر وهو الصحيح وقيل : قال ابن أخت تأبط شراً . قلل النمرى : ومما يدل على أنها خلف الأحمر قوله فيها (جل حتى دق فيه الإجل) فان الأعرابي لا يكاد يتغفل إلى مثل هذا . قال أبو محمد الأعرابي : هذا موضع المثل : ليس هذا بعشك فادرجي ليس هذا كما ذكره بل الأعرابي قد يتغفل إلى أرق من هذا لفظاً ومعنى وليس من هذه الجهة عرف أن الشعر مصنوع لكن من الوجه الذي ذكره لنا أبو الندى قال : مما يدل أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلماً وهو بالمدينة وابن تأبط شراً من سلح . وإنما قتل في بلاد هذيل ورمى به في غار يقال له رخمان وفيه تقول أخته تربيته :

نعم الفنى غادرتم بريخمان بنابت بن جابر بن سفيان
من يقتل القرن ويروى التمدان » .

فأدركنا الثأر منهم ولما ينج من لحيان إلا الأثل^(١)
 حلت الخمر وكانت حراماً وبلاؤي ما ألتت تحيل^(٢)
 وفي كتاب (مساوي الخمر) غزا امرؤ القيس بنى أسد ثائراً بأبيه وقد
 جمع جموعاً من حمير وغيرهم من ذؤبان العرب وصعاليكها^(٣) وهرب بنو أسد
 من بين يديه حتى أنقضوا^(٤) الإبل وحسروا^(٥) الخيل ولحقهم فظفر بهم وقتل
 بهم مقتلة عظيمة وأبار^(٦) حلة بن أسد ومثل في عمرو وكاهل ابني أسد وذكر
 السكاجي عن شيوخ كندة أنه جبل يسم^(٧) أعينهم ويعمى الفروع فيلبسهم
 إياها . وروى أبو سعيد السكري مثل ذلك وأنه ذبحهم على الجبل ومزج الماء
 بدماهم إلى أن يبلغ الحضيض^(٨) وأصاب قوماً من جذام كانوا من بني أسد .
 وفي ظفركه بنى أسد يقول :

قولا لدؤدان عبيد العصا : ما غركم بالأسد الباسل ؟
 إلى أن قال :

لا تسقيني الخمر إن لم يروا قتلى فتاماً بأبي الفاضل
 حتى أبيض الحى من مالك قتلاً ومن يشرف من كاهل
 ومن بنى غم بن دؤدان إذ تذف أعلام على السافل
 نعلوهم بالبيض مستونة حتى يروا كالخشب الشائل
 حات لي الخمر وكنت امرأ عن شرها في شغل شاغل

(١) أدركنا أخلدنا . ومن لحيان صوابه ملحيين أى من الحييين (٢) قوله :
 ما ألتت يجوز أن تكون (ما) صلة ويجوز أن تكون مع الفعل بعده في تقدير
 المصدرية ، يريد ، بلاى - أى يببط - ألتت خللا أو المامها خللا . والالام :
 الزيارة الخفيفة وتوسع فيه فاجرى مجرى حصلت (٣) ذؤبان العرب :
 لصوصها . والصعاليك جمع صعلوك وهو الفقير
 (٤) يقال : انضى الرجل بعيره إذا هزله بالسيف فذهب لحمه (٥) حسرت
 الدابة : أتعينها .
 (٦) أى أهلك (٧) سمل عينه سمل من باب قبل : فقساها بحديدة محمادة
 (٨) هو التقرار فى الأرض :

فاليوم أشرب غير مستحب إنما من الله ولا واغل^(١)
 قوله قولاً للدودان الخ دودان بالضم هو ابن أسد بن خزيمه ، وأراد القبيلة
 وكان أبو امرئ القيس إذا غضب على أحد منهم ضربه بالعصا فسموا عبيد
 العصا أى يعلون على الضرب والموان . وأراد بالأسد الباسل أباه . والفتام بكسر
 الفاء بعدها همزة ممدودة : الجماعة . وأبير : أفنى . ومالك : هو ابن أسد وأراد
 بمن يشرف من كاهل علياء بن الحرث من بني كاهل بن أسد . وقوله : نقذف أى
 نرى بعضهم على بعض إذا قتلوا . والمسنونة المحدودة . والشائل الساقط . وقوله :
 (حلت لى الخمر الخ) قال السعدى فى مساوى الخمر : إنما قال هذا لأنه لم يكن
 حضر قتل أبيه وكان أبوه أقصاه لأنه كره منه قول الشعر وإنما جاءه الأعور المجلى
 يخبره وهو يشرب فقال : ضيعنى صغيراً ، وحملنى ثقل الثأر كبيراً ، اليوم خمر ،
 وغداً أمر^(٢) ، لاسمى اليوم ولا سكر غداً ، ثم شرب سبهاً ، ثم لما صحا
 حلف أن لا يفسل رأسه ولا يشرب خمرأ حتى يدرك ثأره فذلك قوله :
 حلت لى الخمر . وهذا معنى ما زالت العرب تطرقه . قال إسماعيل بن هبة الله
 اللوصلى فى كتاب الأوائل : أول من اخترع هذا المعنى امرؤ القيس
 فى هذا الشعر . وقوله فاليوم أشرب الخ للمستحب المكتسب وأصله من

(١) يستشهد النحويون بهذا البيت على تقدير رفع الحرف الصحيح
 كما فى — أشرب — فالباء حرف صحيح وظاهر كلام السيوطى فى الهمع أن
 ذلك لغة وهو الصحيح لثبوت القراءات التى اشارت إليها . وقال سيبويه :
 انه ضرورة ، وانكر المبرد هذه الرواية وزعم ان الرواية : — فاليوم فاشرب —
 وتبعه السيد المرتضى وبعض المعاصرين . . قال ابن جنى : اعتراض أبى
 العباس المبرد هنا على الكتاب انما هو على العرب لا على صاحب (الكتاب)
 لانه حكاه كما سمعه ولا يمكن فى الوزن أيضاً غيره ، وقول أبى العباس « انما
 الرواية : فاليوم فاشرب » فكانه قال لسبويه : كذبت على العرب ولم تسمع
 ما حكيتنه عنهم ، واذا بلغ الامر هذا الحد من السرف فقد سقطت كلفة القول
 معه . وكذلك انكاره عليه قول الشاعر (وقد بدا منك من المئزر) فقل : انما
 الرواية (وقد بدا ذاك من المئزر) وما اطيع العروس لولا النفقة « ولو كان
 الى الناس تخير ما يحتمله الموضع لكان الرجل اقوم من الجماعة به واوصل
 الى المراد منه . (٢) قال الميدانى : « أى يشغلنا اليوم خمر وغدا يشغلنا امر
 الحرب ومعناه اليوم خفض ودعة وغدا جد واجتهاد وهو يضرب للدول
 الجالبة للمحجوب والمكروه .

استحقب أى وضع فى الحقيبة وهى خرج يربط بالسرج خلف الراكب . وإنما مفعول، مستحقب كأن شربها بدد وفاء النذر لا إثم فيه بزعمه ، والواغل : الذى يأتى شرابه القوم من غير أن يدعى إليه وهو مأخوذ من الوغول وهو الدخول ومعناه أنه وغل فى القوم وليس منهم ، والله أعلم بحقائق الأمور .

ومن مذاهبهم فى الخليع والرجل اللعين

كانت العرب فى الجاهلية إذا قال قائل منهم : هذا ابنى قد خلعتك كان لا يؤخذ بحريته وذنبه . وقال الفاضل الزوزنى فى شرح معقلة امرئ القيس عند الكلام على قوله :

وإِذْ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعَتْهُ بِهِ الذَّنْبُ يَمْوَى كَالْخَلِيعِ الْمَعِيلِ^(١)

الخليع الذى قد خلعه أهله نحيته ، وكان الرجل منهم يأتى بابه إلى الموسم ويقول : ألا إني قد خلعت ابنى هذا فإن جرّ لم أضمن وإن جرّ عليه لم أطلب فلا يؤخذ بمجرأته انتهى . وفى كتاب فتح البارى : الخليع فصيل بمعنى مفعول يقال تخالغ القوم إذا تقضوا الخلف فإذا فعلوا ذلك لم يطالبوا بمجانيته فكأنهم خلعوا اللعين التى كانوا لبسوها معه ومنه سعى الأمير إذا عزل خليعاً ومخلوعاً . وقال أبو موسى فى اللعين خلعه قومه أى حكموا بأنه مفسد فقبلاً منه ولم يكن ذلك فى الجاهلية يختص بالخليف بل كانوا بما خلعوا الواحد من القبيلة ولو كان من

(١) الجوف : باطن الشيء . والعير : الحمار والقفر : المكان الخالى . والمعيل : الكثير المعيل . وقد عيل تعيلاً فهو معيل والعواء صوت الذئب وما أشبهه . زعم صنف من الأئمة أنه شبه الوادى فى خلاله عن الانس بطن العير وهو الحمار الوحشى إذا خلا من العلف . وقيل : بل شبهه فى قلة الانتفاع به بجوف العير لأنه لا يركب ولا يكون له حر . وزعم صنف منهم أنه أراد كجوف الحمار فغير اللفظ إلى ما وافقه فى المعنى لا قامة الوزن . والخيع زعم الأئمة أنه فى هذا البيت المقامر . والمعنى : ورب واد يشبهه وادى الأحمار والخلاء من النبات والانس أو يشبهه بطن الحمار فيما ذكرنا طويته سيراً وقطعة وكان الذئب يموى فيه من فرط الجوع كالمقامر الذى كثر عياله ويطالبه عياله بالنفقة وهو يصيح بهم ويخاصمهم إذ لا يجد ما يرضيهم به . انتهى ملخصاً من شرح الزوزنى .

صميمها إذا صدرت منه جناية تقتضى ذلك وهذا مما أبطله الإسلام من حكم الجاهلية . وفى البخارى : وقد كانت هذيل خلعوا خليعاً لهم فى الجاهلية ففرق أهل بيت من اليمن بالبطحاء فأتته له رجل منهم فحذفه بالسيف فقتله فجاءت هذيل فأخذوا اليماني فرفعوه إلى عمر بالموسم وقالوا : قتل صاحبنا . فقال : إنهم قد خلعوه فقال يقسم خمسون من هذيل ما خلعوا ، قال : فأقسم منهم تسعة وأربعون رجلاً وقدم رجل منهم من الشام فسأله أن يقسم فافتدى يمينه منهم بألف درهم فأدخلوا مكانه رجلاً آخر فدفعه إلى أخى للقتول فقرنت يده بيده . قال : قالوا ؛ فانطلقنا وانضمون الذين أقسموا حتى إذا كانوا (بنحلة) أخذتهم السماء فدخلوا فى غار فى الجبل فأتهم النار على الخمسين الذين أقسموا فأتوا جميعاً وأقلت القرينان واتبهما حجر فكسر رجل أخى للقتول فمأش حولاً ثم مات . وحاصل القصة : أن القتال ادعى أن للقتول لص وأن قومه خلعوه فأذكروا هم ذلك وحلفوا كاذبين فأهلكهم الله بحنث القسامة وخلص المظلوم وحده . وهذيل : القبيلة المشهورة وهم ينتسبون إلى هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر . ويسمى الخليع الرجل اللعين أيضاً . قال أبو عبيد البكري فى شرح أمالى القاتلى : كان الرجل فى الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جعل له مثال من حزين ونصبه ؟ وقيل ألا إن فلاناً قد غدر فالنحو كما قال الشاعر :

فلنقتل بخالف سرواتكم ولنجعلن لظالم تمثالا

فالرجل اللعين هو هذا التمثال . وبعضهم يقول الرجل اللعين هو نفس الخليع . وقد اختلف أهل اللغة فى المراد بقول الشاعر بن ضرار فى مدح عرابة بن أوس من قصيدة :

وما قد وردت لوصل أروى عليه الطير كالورق اللجين^(١)

(١) اللجين : الخطب الملجون . قال الليث هو ورق الشجر يخبث بدقيق أو شعر فيملأ الأبل وكل ورق أو نحوه فهو ملجون أو لجين وفى الصحاح : اللجين الخطب وهو ما سقط من الورق عند الخطب .

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذنب كالرجل اللعين
فقالوا : يريد بقوله ذعرت به القطا الخ أنه جاء إلى الماء متكرراً وذعرت
خوفت ونفرت ونفيت طردت وخص الذنب والقطا لأن القطا أهدى الطير
والذنب أهدى السباع وما السابقان إلى الماء قال شارح الديوان : أى ذعرت القطا
بذلك الماء ونفيت عن ذلك الماء مقام الذنب أى وردت الماء فوجدت الذنب
عليه فنجيته عنه أراد مقام الذنب كالرجل اللعين المنفى المتصى انتهى . فاللعين
على هذا بمعنى الطريد وهو وصف للرجل . وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة في أبيات
المعاني : قال اللعين المطرود وهو الذى خله أهله لكثرة جنائياته . وقال بعض
شراح أبيات المفصل : اللعين المطرود الذى يلعبه كل أحد ولا يؤويه أى هذا
الذنب خليم لا مأوى له كالرجل اللعين وقال صاحب الصحاح : الرجل اللعين
شئ ينصب فى وسط الزرع يستطرد به الوحوش وأنشد هذا البيت . وقد سبق
قول أبى عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى فى ذلك وقد أغرب فإنه لم يظهر
للبيت معنى على قوله . وعلى كل حال فهذا المذهب للعرب يدل على أنهم قد بلغوا
فى الجاهلية إلى غاية التافيات ، فى ميلهم لحاسن الأخلاق وجمل الصفات ، حتى
أنهم تجاوزوا الحد فى ذلك فبلغوا إلى درجة العقوق ، وعدم المبالاة بما يجب للأقارب
والبنين من الحقوق ، حتى على اجتناب كل ما يشين من الأخلاق النعمة ،
وزجرأ عن تعاطى سفاسف الأمور والجرائم العظيمة ، والخلاء كانوا قد خلعوا
عنهم لباس المروءة والإنصاف ، وكبروا بأردية الجور والظلم والاعتساف ، فلذلك
عوملوا بهاتيك المعاملة ، ولم تراعى فيهم جهود الموافقة والمسألة ، ولما كان كل أمر
تجاوز الحد ، انقلب بما يستنتج من المفاسد إلى الضد ، نهى الشرع عن كل
ما يستوجب المفاسد ، وأمر — والحمد لله تعالى — بما يستحق الحماد من المقاصد .

ومن مذاهب العرب : المعاقرة

وهو أن يتبارى الرجلان كل منهما يجادل صاحبه فيمقر هذا عدداً من إبله ويقر صاحبه فأيهما كان أكثر عقراً غلب صاحبه ونفزه . وفي شرح سنن أبي داود للخطابي عند الكلام على قوله نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاقرة الأعراب وكره أكل لحومها لثلاث يكون مما أهل لنفیر الله ، ثم قال : وفي معناه مما جرت به عادة الناس من ذبح الحيوان بحضرة الملوك والرؤساء عند قدومهم البلدان وأوان حدوث نعمة تتجدد لهم ونحو ذلك من الأمور انتهى . وقد وقعت معاقرة عظيمة في صدر الإسلام من غالب أبي الفرزدق الشاعر الشهير وذلك في خلافة الإمام على كرم الله تعالى وجهه ، وإليها الإشارة بقول جرير من قصيدة يهجو بها الفرزدق :

تعدون عقراً النبي أفضل مجدكم بنى ضوطرى لولا الكمي المتقما^(١)

يعنى أنكم تعدون عقراً الإبل المسنة التي لا ينفع بها ولا يرجى نسلها أفضل مجدكم هلا تعدون قتل الشجعان ، ومنازلة الأقران . . وقضية عقراً الإبل هذه مشهورة في التواريخ حصلها : أنه أصاب أهل الكوفة مجاعة فخرج أكثر الناس إلى البوادي وكان غالب أبو الفرزدق رئيس قومه فاجتمعوا في أطراف السماوة^(٢) من بلاد كلب على مسيرة يوم من الكوفة فسقر غالب لأهله ناقة صنع منها طعاماً وأهدى إلى قوم من تميم جفاناً وأهدى إلى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذي أتى بها وقال أنا مفتقر إلى طعام غالب ! ونحر سحيم لأهله ناقة ، فلما كان من الغد نحر غالب لأهله ناقتين ونحر سحيم ناقتين ، وفي اليوم الثالث نحر غالب

(١) معنى تعدون : تجعلون وتحسبون ولهذا عداه إلى مفعولين . والنبيب جمع ناب وهي الناقة المسنة . وعقر الناقة إذا ضرب قوائمها بالسيف ، وربما قيل عقر الناقسة بمعنى نحرها . ويقال للقوم الذين لا يفتنون غشاء بنو ضوطرى . وقوله : لولا الكمي يريد هلا الكمي — وهو الشجاع أو لابس السلاح . والمقنع : الذي على رأسه البيضة والمفقر . وقد زعم ابن السجري أن البيت للاشهب ابن زميلة وليس ذلك بصواب . (٢) يقال لهذا المحل الذي اجتمعوا فيه (صوار) .

ثلاثا فحمر سحيم ثلاثا ، فلما كان اليوم الرابع نحر غالب مائة ناقة ولم يكن لسحيم هذا القدر فلم يعمر شيئا . فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم : جررت علينا عار الدهر ! هلا نحرمت مثل ما نحر غالب ! وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين ! فاعتذر أن إبله كانت غائبة ونحر نحو ثلثمائة ناقة . وكان في خلافة علي ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنه فنع الناس من أكلها . وقال : إنها مما أهل لنير الله به ولم يكن النضر منه إلا للفاخرة والمباهاة فجمعت لحومها على كناسة الكوفة فأكلها السكلاب والعقبان والرخم ^(١) . وقد أورد القائل هذه الحكاية في ذيل أماليه ^(٢) . بأبسط مما ذكرناه وأورد ما قيل فيها من أشعار ممدوح به غالب وهجى به سحيم والله أعلم . ومن مذاهبهم تفرد العزيز منهم بالحمى ^(٣)

كان من عوائد العرب في الجاهلية أن يفرد العزيز منهم بالحمى كالذى كان يفعله كليب بن وائل فإنه كان يوافى بكلب على نشاز من الأرض —

(١) العقبان بكسر العين المهملة جمع عقاب بالضم طائر . والرخم كعقب جمع رخصة كعقبة طائر يأكل العذرة وهو من الخبائث وليس من الصيد . (٢) ص ٥٣ طبعة بولاق .

(٣) الحمى بالكسر والقصر وأصله في اللغة الموضع فيه كذا يحمى من الناس أن يروعوه أى يمنعونهم يقال حميت الموضع اذا منعت منه واحميتها اذا جعلته حمى لا يقرب . قال الأصمعي : الحمى حميان ، حمى ضرية وحمى الربذة . قال ياقوت الحموي البغدادي (٣-٢٤) : وجدت أنا ، حمى فيد وحمى النير وحمى ذى الشرى وحمى النقيع — فاما حمى ضرية فهو أشهرها واسبرها ذكرنا وهو كان حمى كليب بن وائل فيما زعم لى بعض أهل بادية طي . قال : ذلك مشهور عندنا بالبادية يرويه كابرننا من كبار . قال : وفي ناحية منه قبر كليب معروف ايضا الى اليوم وهو سهل الموطيء كثير الخلة واراضه صلبة ونباته مسمنة وبه كانت ترمى إبل الملوك . . وحمى الربذة ايضا اراده رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : لنعم المنزل الحمى لولا كثرة حياته . . وحمى النير بكسر النون . قال ياقوت ، وفيه قبر كليب بن وائل على ما خبرنا فاما في اشعار كلب فهو حمى بلادهم قريب من المدينة بينها وبين عرب . . وحمى النير بكسر النون . قال قوت ، وفيه قبر كليب بن وائل على ما خبرنا بعض طيوى على الجبلين قال وهو قرب ضرية (٨-٣٥) . . وحمى الشرى : كانوا قد حموه لدى الشرى وهو صنم كان لدوس (٥-٢٤) . . وحمى النقيع : حماه عمر بن الخطاب رضى الله عنه لخييل المسلمين وهو من اودية الحجاز يدفع سيله الى المدينة يسلكه العرب الى مكة منه وهو على عشرين فرسخا أو نحو ذلك من المدينة (٨-٣١٢) والعرب في الحمى اشعار كثيرا ما يعنون بها حمى ضرية . انتهى ملخصا من معجم البلدان .

وهو المكان للرفع - ثم يستويه ويمحي ما انتهى إليه عُواؤه من كل الجهات ويشارك الناس فيما عداه حتى كان ذلك سبب قتله . وفيه يقول العباس بن مرداس من قصيدة :

كما كان يبغيها كَلِيبٌ بظلمِهِ من العزّ حتى طاحَ وهوَ قَتِيلُها
على وائلٍ إذ يترك الكلبَ نابعِها وإذ يمنع الأفناء منها حلولِها^(١)

« قال اليداني » في تفسير المثل الدائر على ألسنة العرب (أعزُّ من كليب وائل) هو كليب بن ربيعة بن الحرث بن زهير وكان سيد ربيعة في زمانه وقد بلغ من عزه أنه كان يحمي الكَلأَ^(٢) ، فلا يُقَرَّبُ حماه ويحجر الصيد فلا يهاج وكان إذا سَمَرَ بروضةٍ أحبته أو غدير ارتضاه كنعم^(٣) كليباً ثم رعى به هناك فحيث بلغ عُواؤه كان يحى لا يرعى . وكان اسم كليب بن ربيعة وائلاً فلما حى كليبهُ الرعى الأكلاء قيل : أعز من كليبٍ وائلٍ ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظنوه اسمه . وكان من عزه (أنه لا توفد نار مع ناره ولا يستبق أحد إلى الورد إلا بأمره) ولا يتسكلم أحد في مجلسه ولا يجتبي^(٤) أحد عنده . ولذلك قال أخوه مهلهل بعد موته :

نُبِئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدَتْ واستبَّ بِدُكِّكَ يَا كَلِيبُ الْجَلِيسُ^(٥)
وتسكلموا في أمرٍ كل عَظِيمَةٍ لو كنت شاهدَهُمْ بها لم يَنْدِسُوا^(٦)

(١) طاح : سقط . والأفناء من الناس الإخلاط (٢) الكلا مهموز العشب رطباً كان أو يابساً (٣) أى شد وطرح (٤) احتبى بالتوب : اشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها وقد يكون الاحتباء باليدين عوض العمامة أو التوب . ومنه : الاحتباء حيطان العرب أى ليس في البرارى حيطان فإذا أراد أن يستند احتبى لأن الاحتباء بمنعهم من السقوط ويصير لهم كالجدار « التاج » . (٥) قال التبريزي : كان كليب وائل لا توفد مع ناره للضيفان نار في أحمائه وفيما يقرب من منزلة وأوطانه وكان إذا حضر مجلسه الناس لا يجسر أحد أن يفاخر أو يسابه أعظماً لقدره فلما فقد تجرأوا على الكلام (٦) لم ينسوا : لم يتكلموا ، وهذا نحو قول صفية ابنة عبد المطلب وبروى لقريها :

قد كان بعدك انباء وهنبشة لو كنت شاهدِها لم تكثر الخطب
الهنايت : الأمور الشداد . راجع شرح ديوان الحماسة لأبي زكريا الخطيب التبريزي خ ٢ ص ١٩٧ .

وفيه أيضاً يقول معبد بن سَعْنَةَ التميمي: ^(١)

كفعل كليب كنت خبرت أنه يَخْطُطُ أكلاء المياه ويمنع
يحير على أنفاء بكر بن وائل أرايب ضاح والظباء فترن ^(٢)
وكليب هذا هو الذي قتله جساس بن مرة الشيباني انتهى . وقال الإمام
الخطابي في شرح سنن أبي داود عند الكلام على قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
لا حي إلا لله ولرسوله : قال ابن شهاب بلغني أن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم حى النقيع . قال الخطابي : قوله لا حي إلا لله ولرسوله يريد لا حي إلا على
معنى ما أباحه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الوجه الذى حماه . وفيه
إبطال ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من ذلك ، وكان الرجل العزيز منهم اذا
انتجع ^(٣) بلداً مخصباً أوفى بكلب على جبل أو على نَشْر ^(٤) من الأرض ثم
استعوى الكلب ووقف له من يسمع منه صوته بالعواء فحيث انتهى صوته
حماه من كل ناحية لنفسه ومنع الناس منه . فأما ما حماه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لما زيل الصدقة واضعفى الخليل كالتقيع وهو مكان معروف مستنقع
للمياه ينبت فيه الكلاء . وقد يقال إنه مكان ليس يحد واسع يضيق بمنزله على
المسلمين للرعى ، فهو مباح . وللأمة أن يفعلوا ذلك على النظر ما لم تضق منه على
العامة للمراعى والله أعلم ، وهذا الكلام الذى سفته معنى كلام الشافعى في كتبه
انتهى كلام الخطابي . وقد علم منه أن الشريعة أبطلت هذا المذهب الذى كان
عليه أهل الجاهلية وأن المشروع ما كان على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

(١) في القاموس وشرحه : ابن سَعْنَةَ شاعر جاهلى واسمه معبد ضبة انتهى
ورود في (تهذيب الالفاظ — ص ٢١٦ — طبعة المطبعة الكاثوليكية في بيروت)
« معبد بن شعبة » بالشين المعجمة والباء الموحدة وهو تصحيف فاحلره .
(٢) الخطأ الأرض التى تنزلها ولم ينزلها نازل فلك وقد خطلها واختلطها
أى اتخذها لنفسه وأعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد اختارها لبيتها داراً .
والانفناء : مر تفسيره قريباً . وضاح : موضع غريب سلمى فيه ماء يقال لها
مخربة . وقيل رملة . وقيل وادى ديلر كلاب . (٣) انجع : طلب الكلاء فى
موضعه . (٤) النشز : المكان المرتفع .

وفي كتاب (الأحكام السلطانية) للإمام الماوردي أنم تفصيل لهذه المسئلة . فقد قال ^(١) : قد حى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وصعد جبلا بالنقيع — قال أبو عبيدة النقيع بالنون وقال هذا حى وأشار بيده الى القاع وهو قدر ميل في ستة أميال حماه نخيل للمسلمين فأما حى الأئمة من بعده فإن حوا به جميع اللوات أو أكثره لم يجوز إن حوا أقله لخااص من الناس أو لأغنيائهم لم يجوز وإن حوه لكافة للمسلمين أو للفقراء والمساكين ففي جوازه قولان « أحدهما » لا يجوز ويكون الحى خاصا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الرواية صعب بن جثامة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) حين حى النقيع قال : لا حى إلا لله ولرسوله . « والقول الثانى » أن حى الأئمة بعده جائز كجوازه له صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه كان يفضل ذلك لصالح المسلمين لا لنفسه فكذلك من قام مقامه فى مصالحهم . قد حى أبو بكر رضى الله تعالى عنه بالربذة لأهل الصدقة واستعمل عليه مولاه أبا سلامة . وحى عمر رضى الله تعالى عنه من السرف ^(٢) مثل ما حاه أبو بكر من الربذة وولى عليه مولى له يقال له حى . وقال يا حى : ضم جناحك عن الناس واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة وأدخل رب الشريعة ^(٣) ورب التئيمة ، وإياك ونعم

(١) - ص ١٦٤ . (٢) السرف : بفتح أوله وكسر ثانيه : موضع على عشرة أميال من مكة وقيل أقل أو أكثر قرب التنعيم تزوج به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ميمونة بنت الحرث وبنى بها بسرف وكانت وفاتها أيضا بسرف ودفنت هنالك . قال القاضي عياض : وأما الذى حى فيه عمر (رض) فجاء فيه انه « حى السرف والربذة » كذا عند البخارى بالسسين المهملة ، وفى موطا ابن وهب « الشرف » بالسسين المعجمة وفتح الراء وكذا رواه بعض رواة البخارى وأصلحه وهذا الصواب وأما سرف فلا يدخله الألف واللام . (انظر معجم البلدان : ج ٥ ص ٧١ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٥ ص ٣٥) . (٣) تصغير الصرمة وهى بالكسر القطعة من الأبل واختلف فى تحديدتها فقتيل هى نحو الثلاثين كما فى الصحاح وقيل هى ما بين العشرين الى الثلاثين أو ما بين الثلاثين الى الخمسين والأربعين فإذا بلغت الستين فهى الصدعة ، أو ما بين العشرة الى الأربعين أو ما بين عشرة الى بضع عشرة كأنها اذا بلغت هذا القدر تستقل بنفسها فيقطعها صاحبها عن معظم ابله .

ابن عفان وابن عوف فإنهما إن تهلك ما شيتهما يرجعان إلى نخل وزرع وإن رب
الصريمة ورب الغنيمة يأتيا بعيالهما فيقولان . يا أمير المؤمنين أفتأركهم أنا لا بألاك
فالكلاء أهون على من الدينار والدرهم ، والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحمل
عليه فى سبيل الله ما حيت عليهم من بلادهم شبرا . فأما قول رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم : لا حى إلا الله ورسوله : فمناه لا حى إلا على مثل ما حماه الله تعالى
ورسوله للفقراء والمساكين ، ولمصالح كافة المسلمين ، لا على مثل ما كانوا عليه فى الجاهلية
ثم قال : وإذا جرى على الأرض حكم الحى استبقاء لمواتها سائلا ومتما من إحيائها ملكا
روعى حكم الحى فإن كان للكافة تساوى فيه جميعهم من غنى وقير ومسلم وذى رعى
كثير بخلهم وما شيتهم . فإن خص به المسلمون اشترك فيه أغنياؤهم وفقراؤهم ومنع
منه أهل الامة ، وإن خص به الفقراء والمساكين منع منه الأغنياء وأهل الامة
ولا يجوز أن يخص به الأغنياء دون الفقراء ولا أهل الامة دون المسلمين ، وإن خص
به نم الصدقة أو خيل المجاهدين لم يشركهم فيه غيرهم ، ثم يكون الحى جاريا
على ما استقر عليه من عموم وخصوص فلواتسع الحى المخصوص لعموم الناس
جواز أن يشتركوا فيه لارتفاع الضرر عن خص به ، ولوضاق الحى العام عن جميع
الناس لم يمز أن يختص به أغنياؤهم وفى جواز اختصاص فقرائهم به وجهان .
وإذا استقر حكم الحى على الأرض فأقدم عليها من أحيائها ونقض حماها روى الحى ،
فإن كان مما حماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان الحى ثابتا والإحياء
باطلا والمتعرض لإحيائه مردوعا مزجورا لا سيما إذا كان سبب الحى باقيا لأنه
لا يجوز أن يمرض حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنقض ولا بإبطال .
وإن كان من حى الأئمة بعده فى إقرار إحيائه قولان « أحدهما » لا يقر ويمر
عليه حكم الحى كالذى حماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه حكم نفذ بحق
« والقول الثانى » يقر الإحياء ويكون حكمه أثبت من الحى لتصريح رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله : « من أحيأ أرضا مواتا فعلى له . ولا يجوز لأحد

من الولاة أن يأخذ من أرباب اللواشى عوضاً عن مراعى موات أو حى لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والنار والكلأ . انتهى . والمقصود من هذه القول أن ما كان عليه أعزاء العرب وأقرباؤهم من التفرد بالحى على الوجه الذى ذكرنا مما أبطله الشرع وهدمه .

مذهب العرب فى البحيرة والسائبة أيام الجاهلية

اعلم أن هذا المذهب من مبتدعات عروبن حلى الخزاعى أيضاً ، حمل العرب على التدين به فى جملة ما أحدث من المنكرات التى لم يكونوا يعملونها من شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وقد أبطلته الشريعة الإسلامية . قال تعالى : « مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُوا لَا يَقُولُونَ » أما البحيرة فهى فعيلة بمعنى مفعولة من البحر وهو الشق والتاء للنقل إلى الاسمىة أو لحذف الموصوف . قال الزجاج : كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بمروا أذنبا وشقوها وامتنعوا من نحرها وركوبها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى وهى البحيرة . وعن قتادة أنها إذا نتجت خمسة أبطن نظر فى الخامس فإن كان ذكراً ذبحوه وأكلوه وإن كان أنثى شقوا أذنبا وتركوها ترعى ولا يستعملها أحد فى حلب وركوب ونحو ذلك . وقيل البحيرة هى الأنثى التى تكون خامس بطن وكانوا لا يملكون لحما ولبنها للنساء ، فإن ماتت اشترك الرجال والنساء فى أكلها . وعن محمد بن إسحق ومجاهد أنها بنت السائبة وستأنى إن شاء الله تعالى قريباً وكانت تحمل أيضاً . وقيل هى التى ولدت خمساً أو سبعة وقيل عشرة أبطن وتترك هملأ ، إذا ماتت حل لحما للرجال خاصة . وعن ابن السيب إنها التى منع لبنها للطواغيت فلا تحلب . وقيل هى التى ولدت خمس إناث فشقوا أذنبا وتركوها هملأ . وجعلها فى القاموس على هذا القول من الشاء خاصة وكما تسمى بالبحيرة تسمى بالخريرة

أيضاً . وقيل هي السقب التي إذا ولد شقوا أذنه وقالوا : اللهم إن عاش فعبي وإن مات فذكي فإذا مات أكلوه . وقيل هي التي تترك في المرعى بلا راع ولما كان مذهب العرب مختلفاً فيها اختلف أئمة اللغة في تفسيرها . وكل قول يرجع إلى مذهب وبذلك يجمع بين الأقوال .

(وأما السائبة) فهي فاعلة من سببته أي تركته وأهملته فهو سائب وهي سائبة أو بمعنى مفعول كمشة راضية . واختلف فيها قليل هي الناقة تبطن عشرة أبطن إناث قتهمل ولا تترك ولا يميز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف ونسب إلى محمد بن إسحق . وقيل هي التي تسبب للأصنام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها إلا أبناء السبيل ونحوهم . وروى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم . وقيل هي البعير يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب . وقيل كان الرجل إذا قدم من سفر بعيد أو نجت دابته من مشقة أو حرب قال هي سائبة أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظماً وكانت لا تمنع عن ماء ولا كلاً ولا تترك وكأنه كان هذا نذراً من نذورهم إذا قدم الرجل منهم من سفر أو شئ من مرض وهذا الوجه مروى عن أبي عبيدة . وقيل هي ما ترك ليحجج عليه . وقيل هي التي تركت لأهلهم فقد كان الرجل يجيء بماشية فيتركها عندها ويسبل ابنها . وقيل هي العبد يتق على أن لا يكون عليه ولاء ولا عقل^(١) ولا ميراث وهو وجه غريب .

(وأما الوصلة) فهي فعيلة بمعنى فاعلة . وقيل مفعولة . والأول أظهر كما ينبغي . عن ذلك بيان المراد بها واختلف فيه فقال القراء : هي الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين عناقين وإذا ولدت في آخرها عناقاً وجدياً قيل وصلت أخاها فلا يشرب ابن الأم إلا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة . وقال الزجاج : هي الشاة إذا ولدت ذكراً كان لأهلهم وإذا ولدت أنثى كانت لهم وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لأهلهم . وقيل هي الشاة تلد ذكراً ثم أنثى فتصل أخاها

(١) المقتول : دية المقتول .

فلا يذبحون أخاها من أجلها وإذا ولدت ذكرًا قالوا هذا قربان لأهلنا . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هي الشاة تنتج سبعة أبطن فإن كان السابع أنثى لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء وكذا إن كان ذكرًا وأنثى قالوا وصلت أخاها فتتركه معه ولا ينتفع بها إلا الرجال دون النساء فإن ماتت اشتركوا فيها . وقال ابن قتيبة : إن كان السابع ذكرًا ذبح وأكلوا منه دون النساء وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على أزواجنا وإن كانت أنثى تركت في النعم وإن كان ذكرًا وأنثى فكقول ابن عباس رضى الله تعالى عنه . وقال محمد بن إسحق : هي الشاة تنتج عشر إناث متواليات في خمسة أبطن فما ولدت بعده للذكور دون الإناث فإذا ولدت ذكرًا وأنثى معًا قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوه لمساكنها . وقيل هي الشاة تنتج خمسة أبطن أو ثلاثة فإن كان جديًا ذبحوه وإن كان أنثى أبقوها وإن كان ذكرًا وأنثى قالوا وصلت أخاها . وقال بعضهم : الوصيلة من الإبل وهي الناقة تبكر فتلد أنثى ثم تنثى بولادة أنثى أخرى ليس بينهما ذكر فيتركونها لأهلهم ويقولون قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينهما ذكر . وقيل هي الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن لا ذكر بينهما .

(وأما الحامى) فهو فاعل من الحمى بمعنى اللحم واختلف فيه أيضًا فقال القراء : هو الفحل إذا لقح ولد ولده فيقولون : قد حمى ظهره فيهمل ولا يطرد عن ماء ولا مرعى . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه : وابن مسعود وهو قول أبى عبيدة والزجاج : إنه الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن فيقولون : حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ومرعى . وعن الشافعى : إنه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين . وقيل : هو الفحل ينتج له سبع إناث متواليات فيحمى ظهره . والجمع بين الأقوال المتقدمة في كل من تلك الأنواع بأن العرب كانت تختلف أنماطهم فيها كما سبق (ومعنى الآية السابقة) ما جعل الله من بحيرة الخ ما شرع . ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله

سبحانه وتعالى أمرنا بهذا وإمامهم عمرو بن لحي فإنه في المشهور أول من فعل تلك الأناعيل الشنيعة . أخرج ابن جرير وغيره عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لأكرم بن الجون : يا أكرم عرضت على النار فرأيت فيها عمرو بن لحي بن قمة بن خندف يجر^(١) قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه رجلا منك به ولا به منك فقال أكرم أخشى أن يضرني شبهه يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا إنك مؤمن وهو كافر إنه أول من غير دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبجّر البحيرة وسيّب السائبة وحى الحامى وجاء فى خبر آخر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ووصل الوصيلة . وأخرج عبد الرزاق وغيره عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إني لأعرف أول من سيّب السوائب ونصب النصب وأول من غير دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال عمرو بن لحي أخو بنى كعب لقد رأيته يجر قصبه في النار يؤذى أهل النار ريج قصبه وإني لأعرف أول من بجر البحائر قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام : رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجذع أذنتهما وحرم ألباهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج إليهما فشرب ألباهما وركب ظهورهما فلقد رأيته في النار وهما تقضمانه بأفواههما : واستدل بالآية على تحريم هذه الأمور وهو ظاهر ، واستنبط منه تحريم جميع تعطيل المنافع . واستدل ابن الماخشون بها على منع أن يقول الرجل لعبده أنت سائبة وقال لا يمتنع بذلك . وجعل بعض العلماء من صور السائبة إرسال الطير ونحوه وصرح بعض العلماء أنه لا ثواب فى ذلك ولعل الجمال لا يكتفى بهذا القدر ويدعى الإثم فيه والناس عن ذلك غافلون وأكثرهم لا يقولون إن ذلك افتراء باطل فما تقدم فعل الرؤساء وهذا شأن الأتباع وهم المراد بالأكثر وظاهر سياق النظم الكريم أنهم القائلون لأسلافهم المفترين من معاصرى رسول

(١) القصب بالضم : المعى .

الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهذا بيان لقصور عقولهم ومجزم عن الاهتداء بأنفسهم . والحاصل أن المراد بالآية رد ما ابتدعه أهل الجاهلية وأبطاله .

مذهبهم في الفرع والعتيرة

(أما الفرع) فهو أول النتائج وهو بفتح الفاء والراء بسدها مءمة . وفي الحكم الفرع أول نتاج الإبل والغنم كان أهل الجاهلية يذبحونه لأصنامهم ثم يأكلونه ويلقى جلده على الشجر ويقال إن الفرع ذبح كانوا إذا بلغت الإبل ما تنماه صاحبها ذبحوه وكذلك إذا بلغت مائة يمتز منها بغيراً كل عام ولا يأكل منه هو ولا أهل بيته ويطلق أيضاً على الطعام الذي يصنع لفتاح الإبل كالتخرس للولادة . وفي كتاب ضروب الأمثال للميداني عند الكلام على قولهم (أول الصيد فرع) ما نصه : الفرع أول ولد تنتجه الناقة كانوا يذبحونه لأهلهم يتبركون بذلك وكان الرجل يقول إذا أمنت إلى كذا نحرمت أول تنبج منها وكانوا إذا أرادوا نحره زينوه وألبسوه ولذلك قال أوس يذكر أزمه في شدة برد :

وَشَبَّهَ الْمَيْدَبُ النَّبَّامُ مِنْ آلِ أَقْوَامٍ سَقَبًا مَجَلَلًا فَرَعًا^(١)

المهيدب البمام : النى الثقيل . والسقب : الذكر من ولد الناقة . قال أبو عمرو : ويضرب عند أول ما يرى من خير في زرع أو ضرع وفي جميع المانع . ويروى أول الصيد فرع ونصاب . وذلك أنهم يرسلون أول شيء يصيدونه يتيمنون به ويروى أول صيد فرعة أى أراق دمه يضرب لمن يرى^(٢) منه خير قبل فعلته هذه انتهى . ولعل هذا الاختلاف مبنى أيضاً على اختلاف مذاهب العرب فيه فإنهم قلما يتواقفون في العوائد والأعمال .

(١) أى مجللاً جلد فرع فاختصر الكلام . والبيت من قصيدة يمدح بها فضالة بن كلفة في حياته ويرثيه بعد وفاته قال الأصمعي : لم ينتدى أحد من الشعراء مرثية أحسن من ابتداء مرثية أوس بن حجر وهو :
(أيتها النفس أجملى جزعا أن الذى تحلرين قد وقعا)
وقد ساق القالى القصيدة في ذيل النوادر ص ٣٢ فراجعها . (٢) في فرائد ذيل النوادر ص ٣٢ فراجعها . (٢) في فرائد اللال (ج ١ ص ٢٥) يضرب اللال (ج ١ ص ٢٥) يضرب لمن لم ير منه خير الخ ..

وأما (العتيرة) فهي بفتح الهملة وكسر اللثاء بوزن عظيمة ذبيحة كانوا يذبحونها في الجاهلية في رجب يتقربون بها لأصنامهم وهي الرجبية قاله أبو عبيد . وقال غيره : العتيرة نذر كانوا يندرونه من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منها رأساً في رجب . وفي الصحاح : العتيرة هي أن الرجل كان يقول في الجاهلية إن بلغ إلى مائة عثرت منها عتيرة في رجب . ونقل أبو داود تقييدها بالعرس الأول من رجب .

وروى الحليدي أنها الشاة التي تذبح عن أهل بيت في رجب وسميت بذلك لذبحها وهو المتر في قبيلة بمعنى مفعولة . واعلم أن الشريعة الإسلامية قد أبطلت كلاً من الفرع والعتيرة ، ففي الحديث الصحيح : لا فرع ولا عتيرة . وهذا الذي محمول على ما إذا كان الذبح لعير الله تعالى كصنيع الجاهلية فإنهم كانوا يذبحونه لطواغيتهم . وأما إذا كان الذبح لله تعالى فهو جائز جماً بين هذا الحديث وبين حديث « الفرع حق » روى الحاكم أنه سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الفرع فقال : الفرع حق وإن تركه حتى يكون بنت مخاض أو ابن لبون^(١) فتحمل عليه في سبيل الله أو تطيعه أرملة خير من أن تذبحه يلصق لحمه بوبره وتوله ناقته . وفي حديث آخر : نادى رجل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنا كنا نعتير عتيرة في الجاهلية فما تأمرنا ؟ قال : اذبحوا لله في أي شهر كان . قال : إنا كنا نفرع في الجاهلية قال : في كل سائمة فرع تفسدوه ما شئتك حتى إذا استجمل ذبحته فتصدقت بلحمه فإن ذلك خير . ففي هذا الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبطل الفرع والعتيرة من أصلهما وإنما أبطل صفة من كل منهما فن الفرع كونه يذبح أول ما يولد . ومن العتيرة خصوص الذبح في شهر رجب وكون الذبح في كل منهما لعير الله تعالى .

(١) بنت مخاض : الناقة التي دخلت في السنة الثانية سميت بذلك لأن أمها في الغالب تصير ذات مخاض أي حامل باخرى . وابن اللبون : ولد الناقة في السنة الثالثة سمع بذلك لأن أمه ولدت غيره فصار لها لبن .

ومن مذاهب العرب في الجاهلية الوأد

يقال وأد الموءودة يثدها دفنها حية والموءودة اسم كان يقع على من كانت العرب تدفنها حية من بناتها وهو وائد وهي وثيد ووثيدة وموءودة . أنشد ابن الأعرابي :

ومالقي الموءود من ظلم أمه كما لقيت ذهل جميعاً وعامر
وبعضهم يقول : للموءودة من الوأد وهو النفل كأنها سميت بذلك لأنها تنقل بالتراب حتى تموت . وقيل الوأد مقلوب الأود وحكاة المرتضى في درره عن بعض أهل اللغة وهو غير مرضى عند أبي حيان لأنه لم ينقل عن أحد من أئمة اللغة ذكر الهيم بن عدى على ما حكاها عنه الميداني أن الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الإسلام . وقد قل ذلك فيها إلا من بنى تميم فإنهم تزايد فيهم ذلك قبل الإسلام وكانت مذاهب العرب مختلفة في الوأد وقتل الأولاد (فنههم) من كان يثد البنات لمزيد الثيرة وخفاة لحوق العار بهن من أجلهن وهم بنو تميم وكندة وقبائل آخرون . قل الميداني : وكان السبب في ذلك أن بنى تميم منعوا الملك ضربة الإتاوة التي كانت عليهم فجرد إليهم النعمان أخاه الريان مع دؤسر « ودوسر إحدى كتائبه » وكان أكثر رجالتها من بكر بن وائل فاستاق نعمهم وسجى ذراريهم . وفي ذلك يقول أبو النضر الشمرج البشكري :

لما رأوا راية النعمان مُقْبِلَةً قالوا : ألا ليت أدنى دارنا عَدَنُ
يأليت أم تميم لم تكن عَرَفَتْ مَرًّا وكانت كمن أودى به الزمن
إن تقتلوننا فأعيارُ مُجَدَّةٍ أو تُنعموا فقدِمَا منكم المِنُّ

فوفدت وفود بنى تميم على النعمان بن المنذر وكلوه في الدراري فحكم النعمان بأن يجعل الخيار في ذلك إلى النساء فأية امرأة اختارت زوجها ردت عليه فاختلن

في الخيلار وكانت فيهن بنت لقيس بن عاصم فاختارت سابيها على زوجها فنذر قيس ابن عاصم أن يدس كل بنت تُؤله له في التراب فوَأد بضع عشرة بنتاً . و يصنع قيس ابن عاصم وإحيائه هذه السنة نزل القرآن في ذم وأد البنات . و روى أن أول قبيلة وأدت من العرب ربيعة وذلك أنهم أغير عليهم فنهبت بنت بنت لأُمير لم فاستردها بعد الصلح فخيرت رضى منه بين أيها ومن هي عنده فاختارت من هي عنده وأكثرته على أيها فغضب وسن لقومه الوأد ففعلوه غيره منهم وخافة أن يقع لهم بعد مثل ما وقع وشاع في العرب غيرهم والله تعالى أعلم بصحة ذلك . وغالب قبائل العرب كان غرضهم من الوأد ما ذكر .

وكيفية الوأد كما ذكر غير واحد أن الرجل منهم كان إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحيها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأُمها طيبها وزينها حتى أذهب بها إلى أحاسنها وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها أنظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالأرض . و روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه أنه قال : كانت الحامل إذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأس تلك الحفرة فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإذا ولدت ولداً حبسته .

(ومنها) من كان يثد من البنات من كانت زرقاء أو شياء أو برشاء أو كسحاء^(١) تشاؤماً منهم بهذه الصفات . ومن هذا حديث سودة بنت زهرة بن كلاب وذلك أنها لما ولدت على بعض هذه الصفات ورآها أبوها كذلك أصر بوأدها فأرسلها إلى الخججُون لتدفن هناك فلما حفر لها الخافر وأراد دفنها سمع هاتفاً يقول : لا تئد الصبية . وخلصها البرية . فالتفت فلم ير شيئاً فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسبح بسبح آخر في المعنى فرجع إلى أيها فأخبره بما سمع فقال : إن لها لشأناً

(١) الشيماء : السوداء والبرشاء : من البرش وهو بياض يظهر في الجسد مثل البرص . والكسحاء : العرجاء .

وتركها فكانت كاهنة قر يش فقالت يوماً لبني زهرة إن فيكم نذيرة أو تلك نذيراً فاعرضوا على بناتكم ففرضن عليها فقالت في كل واحدة منهن قولاً ظهر بمد حين حتى عرض عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة أو ستلك نذيراً في خير طويل ذكره أبو بكر النقاش وفيه ذكر جهنم ولم يكن اسمها مسموعاً عندهم يومئذ فقالوا لها : وما جهنم ؟ فقالت : سيخبركم عنها النذير . وفي السيرة الحلبية : الذي دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بني زهرة لولده عبد الله أن سودة بنت زهرة الكاهنة وهي عمه وهب والد آمنة كان من أمرها أنها لما ولدت رآها أبوها زرقاء شياء أى سوداء وكانوا يثدنون من البنات من كانت على هذه الصفة أى يدفنونها حية ويمسكون من لم تكن على هذه الصفة مع ذل وكآبة ، وذكر الخبر السابق . وهذا المذهب كان عليه قليل من قبائل العرب ولم يأخذ به جمهورهم .

(ومنهم) من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر وم الفقراء من بعض قبائل العرب وفيهم نزل قوله تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) وظاهر لفظ الآية النهي عن جميع أنواع قتل الأولاد ذكوراً كانوا أو إناثاً مخافة الفقر والفاقة . لكن روى أن من أهل الجاهلية من كان يثد البنات مخافة العجز عن النفقة عليهن فنهى في الآية عن ذلك فيكون المراد بالأولاد البنات وبالقتل الوأد والخشية في الأصل خوف يشوبه تعظيم قال الراغب : أكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه . والإملاق الفقر كما روى عن ابن عباس وأنشد له قول الشاعر :

وإني على الإملاق يا قوم ماجدٌ أعد لأضيائي الشَّواء المَضْهَبَا^(١)

(١) الإملاق : الافتقار وفي حديث فاطمة بنت قيس : أما معاوية فرجل أملاق من المال . أى قد نفذ ماله . واصل الإملاق الانفاق . يقال أملاق مامعه أملاقاً وملقه ملقاً إذا أخرجه من يده ولم يحبس به والفقر تابع لذلك فاستعملوا لفظ السبب في موضع المسبب حتى صار به أشهر . والمضهب كمعظم اللحم الذي شوى على حجارة محمأة أو الذي شوى ولم يبالغ في نضجه . قال امرؤ القيس :

نمشي بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقوله سبحانه (مَنْ نَزَرْنَاهُمْ وَإِيَّاكُمْ) ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بإبطال موجب في زعمهم أي نحن نرزقهم لأنهم فلا تخافوا الفقر بناء على علمكم بهجزم عن تحصيل رزقهم وقوله سبحانه (إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطَاً كَبِيراً) تعليل آخر ببيان أن المهي عنه في نفسه منكراً عظيماً لما فيه من قطع التناسل وقطع النوع والخطأ كالإنم لفظاً ومعنى . وكان كثير من عقلاء العرب لا يرتضى هذا الفعل ، وكان جمع منهم يفتنون هذا النوع من الموءودة من أهلها ، وفي صحيح البخاري أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يحبي الموءودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكتفيك مؤنتها فيأخذها فإذا ترعرت^(١) قال لأبيها : إن شئت دفنتها إليك وإن شئت كفتك مؤنتها والاحياء هنا مجاز والمراد بإحيائها إبقاءها وكان صمصمة بن ناجية يشتري البنت ممن يريد وأداها خشية الإملاق فأحيا ستاً وتسعين موءودة إلى زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وفي ذلك يقول الفرزدق مفتخراً :

ومنا الذي اختير الرجال سماحةً وخيراً إذا هبَّ الريحُ الزعازع^(٢)
ومنا الذي قاد الجيادَ على الوجي ليجرَّانَ حتى صبحتها الزنازع^(٣)
ومنا الذي أعطى الرسولَ عطيةً أسارى تميمَ والعيون دواع^(٤)
ومنا خطيبَ لأبوابٍ وحامل أغرَّ إذا التفتَّ عليه الجماع^(٥)

(١) ترعرت الصبي : تحرك ونشأ . (٢) الخير بكسر المعجمة الكرم وروى بدله (وجوداً) والزعازع جمع زعزع وهي الريح التي تهب بشدة وعنى بذلك الشتاء وفيه تقل الألبان وتعدم الأزواد ويبخل الجواد فيقول هو جواد في مثل هذا الوقت الذي يقل فيه الجود . (٣) الذي قاد الجياد هو الأقرع بن حابس وعمرو بن كلثوم ، وكلاهما غزوا نجران . والوجي : الحفا أو أشد منه وهو أن يرق القدم والحافر . والنزاع من الخيل التي نزعت إلى أعراق من اللقاح وفي الأساس : ومن المجاز خيل نزاع غرائب نزعته عن قوم آخرين وعنده نزيع ونزيمة نجيب ونجبية من غير بلاده . (٤) قوله ومنا الذي أعطى الرسول الخ هذا يوم بنى عمرو بن جندب حين رد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيهم . وقال أبو عبيدة : كلم الأقرع رسول الله (ص) في أصحاب الحجرات وهم بنو عمرو بن جندب فرد سبيهم (٥) الخطيب . هو عطارذ بن حمل الحملات يوم الريد يوم قتل مسعود بن عمرو العتكي .

ومنا الذى أحيا الوئيد وغالب^{١)} وحمرو^{٢)} ومنا حاجب^{٣)} والأفارع^{٤)}
 وأنتك آباءى فجئنى بمنزلهم إذا جمعتنا يا جرير الجامع
 ورأيت فى بعض كتب السير : أن صمصمة بن ناجية بن عقال كان يفتى
 للموءودة من القتل ولما أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : يا رسول الله
 إنى كنت أعمل عملا فى الجاهلية أفينفعنى ذلك اليوم ؟ قال : وما عملك ؟ فأخبره
 بخبر طويل فيه أنه حضر ولادة امرأة من العرب بنتا فأراد أبوها أن يئدها . قال
 فقلت له أتبيعها ؟ قال : وهل تبيع العرب أولادها . قال : قلت ؛ إنما أشتري
 حياتها ولا أشتري رقبها فاشتراها منه بناتين عشراوين وجعل وقد صارت لى
 سنة فى العرب على أن أشتري ما يئدونه بذلك فمضى إلى هذه الغاية ثمانون
 ومائتا موءودة وقد أئدتها ! فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لا ينفعك ذلك
 لأنك لم تتبع به وجه الله وإن تعمل فى إسلامك عملا صالحا تنب عليه . وأخرج
 الطبرانى عن صمصمة بن ناجية الجاشعى قال : قلت يا رسول الله إنى عملت
 أعمالا فى الجاهلية فهل فيها من أجر ؟ أحييت ثلثائة وستين من الموءودة أشتري
 كل واحدة منهن بناتين عشراوين وجعل فهل لى من ذلك من أجر ؟ فقال النهى
 صلى الله تعالى عليه وسلم : لك أجره إذ من الله تعالى عليك بالإسلام وهذه
 الرواية أصح من الرواية الأولى وقد ذكر الفرزدق إحياء جده للموءودة فى كثير من
 شعره : كما قال :

ومنا الذى منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يؤاد^{٥)}
 « ومنهم » من كان ينذر إذا بلغ بنوه عشرة نحر واحدا منهم كما فعله عبد
 المطلب فى قصته المشهورة وإليها أشار النهى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (أنا
 ابن الذبيحين) يعنى أباه عبد الله وجده إسماعيل عليه الصلاة والسلام . قال الإمام

(١) الذى أحيا الوئيد هو جده صمصمة بن ناجية .

لما وردى في كتاب أعلام النبوة^(١) : حكى الزهري ويزيد بن رومان وصالح ابن كيسان أن عبد المطلب بن هاشم نذر أنه متى رزق عشرة أولاد ذكوراً وراهم بين يديه رجالاً أن ينحر أحدهم للكعبة شكراً لربه حين علم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أمر بذبح ولده تصوراً أنه من أفضل قرابة ، فلما استكمل ولده العدد وصاروا له من أظهر المدد قال لهم : يا بني كنت نذرت نذراً علمتموه قبل اليوم فما تقولون ؟ قالوا : الأمر لك وإليك . ونحن بين يديك . فقال : لينطق كل واحد منكم إلى قدهه وليكتب عليه اسمه ففعلوا ثم أتوه بالقداح فأخذها وجعل يرتجز ويقول :

عاهدته وأنا موفٍ عهده والله لا يحمي شيء عهده
إذ كان مولاي وكنت عهده نذرت نذراً لا أحب رده
ولا أحب أن أعيش بعده

ثم دعا بالأمين الذي يضرب بالقداح فدفع إليه قداحهم وقال حرك ولا تعجل وكان أحب ولده عبد المطلب إليه عبد الله فضرب صاحب القداح السهم على عهد الله فأخذ عبد المطلب الشفرة وأتى بعبد الله وأصبحه بين أساف ونائلة وأنشأ مرتجزاً يقول :

عاهدته وأنا موفٍ نذره والله لا يقدر شيء قدره
هذا بنى قد أريد نحوه وإن يؤخره يقبل عذره
وهم بذبحه فوثب إليه ابنه أبو طالب وكان أخا عبد الله لأبيه وأمه وأمسك
بد عبد المطلب عن أخيه وأنشأ مرتجزاً يقول :

كلا ورب البيت ذى الأنصاب ما ذبح عبد الله بالتلعب
يا شيب إن الريح ذو عقاب إن لنا مرة في الخطاب
أخوال صدق كأسود الغاب

فلما سمعت بنو مخزوم هذا من أبى طالب وكانوا أخواله قالوا : صدق ابن
أختنا ووثبوا إلى عبد المطلب فقالوا يا أبا الحرث إنا لا نسلم ابن أختنا للذبح فاذبح
من شئت من ولدك غيره . فقال : إني نذرت نذراً وقد خرج القدح ولا بد من ذبحه
قالوا : كلا لا يكون ذلك أبداً وفيما ذوروح وإنا لنفديه بجميع أموالنا من طارف
وتالد وأنشأ للخيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم مرتجراً يقول :

يا هجياً من فعل عبد المطلب وذبحه ابننا كتمثال الذهب
كلا ويبت الله مستور الحجب ما ذبح عبد الله فينا باللاعب
فدون ما يبنى خطوب تضطرب

ثم وثب السادات من قريش إلى عبد المطلب فقالوا : يا أبا الحرث إن هذا
الذي عزمتم عليه لعظيم وإنك إن ذبحت ابنك لم تهنّ بالعيش من بعده ولكن
لا عليك أنت على رأس أمرك تثبت حتى نصير مملك إلى كاهنة نبي سعد فإمركت
من شيء فامثله . فقال عبد المطلب : لكم ذاك وكانوا يرون الكهانة حقاً . ثم
خرج في جماعة من بني مخزوم نحو الشام إلى الكاهنة فلما دخلوا عليها أخبرها
عبد المطلب بما عزم عليه من ذبح ولده وأرجز يقول :

يارب إني فاعل لما ترد إن شئت ألهمت الصواب والرشد
يا سائق الخير إلى كل بلد قد زدت في المال وأكثرت العدد

فقال الكاهنة : انصرفوا عني اليوم فانصرفوا . وعادوا من العدا فقلت :
كم دية الرجل عنكم ؟ قالوا : عشرة من الإبل قالت : فارجعوا إلى بلدكم وقدموا
هذا الغلام الذي عزمتم على ذبحه وقدموا معه عشرة من الإبل ثم اضربوا عليه
وعلى الإبل القدح فإن خرج القدح على الإبل فامحروها وإن خرج على صاحبكم
فزيدوا على الإبل عشرة عشرة حتى يرضى ربكم فانصرف القوم إلى مكة وأهلوا
عليه يقولون يا أبا الحرث إن لك في إبراهيم أسوة فقد علمت ما كان من عزمه
في ذبح ابنه إسماعيل وأنت سيد ولد إسماعيل فقدم مالك دون ولدك . فلما أصبح

عبد المطلب غدا بابنه عبد الله إلى الذبح وقرب معه عشرة من الإبل ثم دعا بأمين
القدح وجعل لابنه تدحاً وقال اضرب ولا تعجل فخرج القدح على عبد الله فجعلها
عشرين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثلاثين فضرب فخرج القدح على
عبد الله فجعلها أربعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها خمسين فضرب فخرج
القدح على عبد الله فجعلها ستين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها سبعين
فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثمانين فضرب فخرج القدح على عبد الله
فجعلها تسعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها مائة وضرب فخرج القدح
على الإبل فكبر عبد المطلب وكبرت قريش وقالت يا أبا الحرث إنه قد أنهى رضاه
ربك وقد نما ابنك من الذبح . فقال : لا والله حتى أضرب عليه ثلاثاً فضرب
الثانية فخرج على الإبل فضرب الثالثة فخرج على الإبل فلم عبد المطلب أنه قد
أنهى رضاه ربه في فداء ابنه فأتمجز يقول :

دعوت ربي مخلصاً وجوراً يارب لا تنحر بني عذرا
وفاد بالمال تجمد لي وفرا أعطيك من كل سوام عشرا
عنوا ولا تشمت عيوناً خزرا بالواضح الوجه المنشى بدرا
فالحد لله الأجل شكرا فلست والبيت المفعلى سترا
مبدلاً نعمة ربي كفرا مادمت حياً أو أזור القبرا

ثم قربت الإبل وهي مائة من جلة إبل عبد المطلب فنحرت كلها فداء لعبد الله
وتركت في مواضعها لا يصد عنها أحد يفتابها من دب ودوج فجرت السنة في الدية
بمائة من الإبل إلى يومنا هذا وانصرف عبد المطلب بابنه عبد الله فرحاً فكان
عبد الله يعرف بالذبيح . ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : أنا ابن الذبيحين
يعني إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام وأباه عبد الله بن عبد المطلب
(٤ — ثالث)

(ومنها) من يقول : للملائكة بنات الله سبحانه عما يقولون فالحقوا البنات به تعالى فهو عز وجل أحق بهن وإلى هؤلاء القوم وردهم بشير قوله تعالى : « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » وقدر التنزيل ما أعلى شأنه ، وأظهر برهانه ، فقد أبطل هذا المذهب الفاسد ، والاعتقاد الكاسد ، بلفظ موجز أى إجماز ، ودليل واضح أقصد أهل الإلحاد على الأعجاز ، فى التفسير ^(١) « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ » هم خزاعة وكنانة كانوا يقولون للملائكة بنات الله تعالى . وكأنهم لجلبهم زعموا تأنيها وبنوتها . قال الإمام : أظن أنهم أطلقوا عليها البنات لاستتارها عن العيون كائنساء ولهذا لما كان قرص الشمس يجرى مجرى المستتر عن العيون بسبب ضيوته الباهر ، ونوره القاهر ، أطلقوا عليه لفظ التأنيث . ولا يرد على ذلك أن الجن كذلك لأنه لا يلزم فى مثله الاطراد . وقيل أطلقوا عليها ذلك للاستتار مع كونها فى محل لا تصل إليه الأغيار فهى كبنات الرجل اللاتى يغار عليهن فيسكنهن فى محل أمين ، ومكان مكين ، والجن وإن كانوا مستترين ولكن لا على هذه الصورة ، وهذا أولى عما ذكره الإمام . وأما عدم التوالد فلا يناسب ذلك (سبحانه) تنزيه وتقديس له تعالى شأنه عن مضمون قولهم ذلك أو تعجب من جبرائهم على التفوه بمثل تلك العظيمة وهو فى المعنى الأول حقيقة وفى الثانى إجماز « وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ » يعنى البين ، « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ » أى أخبر بولادتها « ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا » من السكابة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن العيوس والنم والفكرة والنفرة التى لحفته بولادة الأثنى . قيل : إذا قوى الفرح انبسط روح القلب من داخله ووصل إلى الأطراف لاسيا إلى

(١) راجع ج ٤ ص ٢٩٢ من تفسير روح المعانى للإمام الكبير شيخ مشايخنا السيد محمود شهاب الدين الألوسى جد المؤلف .

الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فيرى الوجه مشرقاً مثلأثنا وإذا قوى النغم انحصر الروح إلى باطن القلب ولم يبق له أثر قوى في ظاهر الوجه فيربد ويتغير ويصفر ويسود ويظهر فيه أثر الأرضية فنلوازم الفرح استنارة الوجه وإشراقه ومن لوازم النغم والحزن إر بداده واسوداده فلذلك كنى عن الفرح بالاستنارة وعن النغم بالاسوداد ولو قيل بالجواز لم يبعد . (وهو كظيم) أى مملوء غيظاً وأصل الكظم مخرج النفس يقال أخذ بكظمه إذا أخذ بمخرج نفسه ومنه كظم الغيظ لإخفائه وحسبه عن الوصول إلى مخرجه . والظاهر أن ذلك الغيظ على المرأة حيث ولدت أنثى ولم تلد ذكراً . ويؤيده ما روى الأعمشى أن امرأة ولدت بنتاً سمىها الدلفاء فمجهرها زوجها فأشدت :

ما لأبى الدلفاء لا يأتينا بطلّ في البيت الذى يلينا
يحد أن لا تلد البينا وإنما نأخذ ما يعطينا^(١)

(. يتوارى من القوم) يستخفى من قومه (من سوء ما بشر به) عرفاً وهو الأذى والتعبير عنها بما الإسقاطها بزعمهم عن درجة العقلاء . ويروى أن بعض الجاهلية يتوارى في حال الطلق فإن أخبر بذكر ابنهج أو بأنثى حزن وحبى متوارياً أياماً يدبر فيها ما يصنع (أيسكه) أيتركه ويريه (على هون) أى ذل (أم يدسه) أى يخفيه (في التراب) والمراد يثله ويدفنه حياً حتى يموت وإلى هذا ذهب

(١) الدلفاء من أسماء نساء العرب . وأهل الدلف محرقة صفر الانف واستواء الارنية ، او صفرة في دقة او غلظ واستواء في طرفه ليس بحد غليظ . وحرد يحد حرودا اذا تنحى واعتزل عن قومه ونزل منفرداً لم يخالطهم ، وحرد : غضب فهو حارد وحرد . . وورد في البيان والتبيين للجاحظ (ج ١ ص ١٠٤) ما نصه : « وليغض النبات هجر أبو حمزة الضبى خيمة امراته ، وكان يقبل ويبست عند جيران له حين ولدت امراته بنتاً فمر يوماً بغيابها وإذا هى ترقصها وتقول : -

ما لأبى حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذى يلينا
غضبان ان لا تلد البينا تالله ما ذلك في ابدينا
وانما نأخذ ما اعطينا ونحن كالارض لزورينا
نسبت ماقد زرعه قينا

قال : « ففدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امراته وابنتها » .

السدى وقادة وابن جريح وغيرهم . وقيل المراد إهلاكه سواء كان بالدفن حياً أم بأمر آخر فقد كان بعضهم يلقى الأتني من شاق . روى أن رجلاً قال : يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما أجد حلاوة الإسلام منذ أسلمت وقد كانت لى فى الجاهلية بنت وأمرت امرأتى أن تزينها وأخرجتها فلما انتهت إلى وادٍ بميد القمر أقيمتها فقالت : يا أبتِ قتلتنى فكلما ذكرت قولها لم ينفعنى شيء ! فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : ما فى الجاهلية فقد هدمه الإسلام وما فى الإسلام يهدمه الاستغفار . وكان بعضهم يرقها وبعضهم يذبها إلى غير ذلك ولما كان الكل إمامة تُفصى إلى الدفن فى التراب قيل أم يدسه فى التراب . وقيل : المراد إخفاؤه عن الناس حتى لا يعرف كالمندسوس فى التراب . (ألا ساء ما يحكمون) حيث يعملون لمن تنزه عن الصاحبة والولك ما هذا شأنه عندهم والحال أنهم يتحاشون عنه ويمتنعون لأنفسهم البنين فقد ار اخطأ جعلهم ذلك لله تعالى شأنه مع إباثهم إياه لا جعلهم البنين لأنفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه وجوز أن يكون مغاره التكيس كقوله تعالى (تلك إذا قسمة ضيرى) وقال ابن عطية : هذا استنباح منه تعالى شأنه لسوء فعلهم وحكمهم فى بنائهم بالإمسالك على هون أو الواد مع أن رزق الجميع على الله تعالى فكأنه قيل ألا ساء ما يحكمون فى بنائهم وهو خلاف الظاهر جداً . وروى الأول عن السدى وعليه الجمهور والآية ظاهرة فى ذم من يحزن إذا بشر بالأتني حيث أخبرت أن ذلك فعل الكفرة . وقد أخرج ابن جرير وغيره عن قتادة أنه قال فى قوله سبحانه (وإذا بشر أحدكم بالأتني ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) : هذا صنيع مشركى العرب أخبرهم الله تعالى بخبئه فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له وقضاء الله تعالى خير من قضاء المرء لنفسه . ولمرى ما ندرى أى خير ! رب جارية خير لأهلها من غلام وإنما أخبركم الله عز وجل بصنيعهم لتجنبوه ولتتهوا عنه .

(والحاصل) أن هذا الفعل الشنيع على اختلاف أنواعه قد أبطلته الآيات

القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأجمع النصوص الواردة في ذلك قوله سبحانه « وإذا للوؤدة سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » حيث دل على أن السؤال إنما توجه إليها لإظهار كمال الفيلق على قاتلها حتى كأنه لا يستحق أن يخاطب ويسأل عن ذلك وفيه تبهكت لقائلها وتوبخ له شديد بصرف الخطاب عنه وإسقاطه عن درجة الاعتبار فإن المجنى عليه إذ سئل بمحضر الجاني ونسبت إليه الجناية دون الجاني كان ذلك بعين الجاني على التفكر في حال نفسه وحال المجنى عليه فيرى براءة ساحته وأنه هو المستحق للعتاب والعقاب وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التريض كما في قوله تعالى : « أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْلِيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ » وهذه الطريقة أقطع في ظهور جناية القاتل وإلزام الحجة عليه . وعدة من الواد العزل . فقد أخرج الإمام أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم أنه سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن العزل فقال : ذلك (الواد الخفي) وفي حديث آخر (تلك الموءدة الصغرى) وفيه تفصيل محله كتب الفقه والتفسير . ومن الآيات الواردة في هذا الباب قوله تعالى « وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ كَأَوْفَاهُمْ وَلِيْلَيْسُوا عَلَيْهِمْ دِيْنَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ » ومنها قوله عز وجل « تَذْخِيرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ » إلى غير ذلك مما يطول ذكره وهكذا الأحاديث الصحيحة الواردة في إبطال هذا العمل وشهرتها تنفي عن ذكرها وإيرادها في هذا الحل .

ومن مذاهب العرب في الجاهلية الميسر

الميسر القمار وهو مصدر ميمي كاللوعده والمرجع من يسر يسر يقال يسره إذا قرته . واشتقاقه أما من الميسر لأنه أخذ مال الرجل يسر ومسهولة من غير كد ولا تعب . أو من اليسار لأنه سلب يساره . وعن ابن عباس رضى الله

تعالى عنه كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله . قال الشاعر :

أقول لهم بالشعب إذ يسروننى ألم تعلموا أنى ابن فارس زهدم^(١)
أنى يفعلون بى ما يفعل الياشرون باليسور . وقيل من يسروا الشئ إذا
اقتسموه وسعى المقامر يأسراً لأنه بسبب ذلك الفعل يحزى لم الجزور . وقال
الواحدى : من يَسَرَ الشئ إذا وجب والياسر الواجب بسبب القِدْح . وكان
الميسر من مفاخر العرب لأنهم كانوا يفعلونه في أيام الشدة وعدم اللبن وأيام الشتاء .
قال شاعرهم :

وإذا تعدرت السواعد والتوت جال المُفَدَّى وسطها المضبوط
أغلى به رخو الإزار مُعَدِّل ففدا يُمَار له دم مسفوح
السواعد مجارى اللبن في الضرع يقول إذا تعدر اللبن جال المفدى يعنى القِدْح
والمضبوط الذى ضيق وهو أثر النار لأنه يقوم بالنار . وأغلى به من الغلاء أى أخذ
به أى بالقِدْح سهاما كثيرة لكثرة فوزه ولقلة سعى المفدى لما يتكرره من الفوز .
ومعدل أى يعذل كثيراً على الإنفاق ففدا يعنى القِدْح يمار له دم الناقة التى قامر
عليها . وقال لبيد بن ربيعة في معلقته الشهيرة يفتخر بلعب الميسر ونجاحه فيه على
غيره وكرمه^(٢) .

وجزور يسار دعوت كَلَفَهَا بمفالق متشابه أجسامها
أدعو بهن لاقر أو مطلق بَذَلَتْ لجيران الجميع لحامها

(١) البيت لسحيم بن وثيل الربيعي اليرباعي . وقيل لابنه جابر بن سحيم .
ويسروننى هو من الميسر أى يجزوننى ويقتسموننى ، ويروى يأسروننى من
الأسر ، وقوله ألم تعلموا يروى بدله : ألم تياسوا والمعنى واحد . وقوله أنى
ابن فارس زهدم يروى ، أنى ابن قاتل زهدم وهو رجل من عبس — وزهدم
اسم فرس بشر بن عمرو أخى عوف بن عمرو وعوف جد سحيم بن وثيل قاله
أبو محمد الأعرابي — فعلى رواية أنى ابن قاتل زهدم يصح أن يكون الشعر
لسحيم . قال الزبيدي : ويروى هذا البيت أيضاً في قصيدة أخرى على
هذا الروي :

أقول لأهل الشعب إذ يسروننى ألم تياسوا أنى ابن فارس لازم
وصاحب أصحاب الكنيف كأنما سقاهم بكفيه سمام الأراقم
قال : وعلى هذه الرواية أيضاً يكون الشعر له دون ولده لعدم ذكر زهدم
في البيت . (٢) راجع الجزء الأول ص ٧١

فالضيفُ والجارُ الجنبُ كأنما هبطاً تبالَّةً مُخصَّياً أعضائها
 الأيسار جمع يسر وهو صاحب اليسر والمفاتيح سهام اليسر سميت بها
 لأنها بها يفتلخ الخطر وهو السبق الذي يراهن عليه من قولهم غلقت الرهن يفتلخ
 غلقاً إذا لم يوجد له تخلص وفكاك . يقول : ورب جزور أصحاب ميسر دعوت
 ندمائى لنحرها وعقرها بأزلام متشابهة الأجزاء وسهام اليسر يشبه بعضها بعضاً
 حيث جعلت على قدر واحد . وتحرير المعنى : رب جزور أصحاب ميسر كانت
 تصلح لتقامر الأيسار عليها دعوت ندمائى لهلاكها أى لنحرها بسهام متشابهة .
 قال الأئمة : يفتخر بنحره إياها من صلب ماله لا من كسب قاره والأليات التى
 بعده تدل عليه وإنما أراد السهام ليقرع بها بين إبله أيها ينحر لندمائه . ومعنى
 البيت الثانى : إنه يقول : ادعوا القداح لنحر ناقة عاقر أو ناقة مطلق تبذل لحومها
 لجميع الجيران أى إنما أطلب القداح لأنحر مثل هاتين وذكر العاقر لأنها أسمى
 وذكر المطلق لأنها أنفس . . ومعنى البيت الثالث : أن الأضياف والجيران
 الزبراء عندى كأنهم نازلون وادى (تبالَّة) وهو من أخصب أودية اليمن فى حال
 كثرة أما كنهه المظمنة شبه ضيفه وجاره فى الخصب والسعة بتأزل هذا الوادى
 فى أيام الربيع ، وقال عمرو بن قتيبة صاحب امرئ القيس :

يودل^(١) ما قوى على أن تركتهم سليماً إذا هبت شمال وريحها
 إذا النجم أمسى مغرب الشمس رائباً ولم يك برق فى السماء يليحها
 وغاب شعاع الشمس فى غير جلبة ولا هبوة إلا وشيكا مصوحها
 وهاج غمام مُقَصَّر كأنه قيلة نعل بان منها سريحها
 إذا عدم الملوب عادت عليهم قدود كثير فى القدور قديحها
 يثور إليها كل ضيف وجانب كما رددهاه القلاص نضيجها

(١) قوله : « يودل » كذا هو فى الأصل ولعل صوابه « يودك » كما جاء فى بيت المرقش :

يودك ما قوى على أن هجرتهم إذا هب فى المشتاة ريح اطائف
 انظر كتاب الميسر والقداح للامام ابن قتيبة (ص ٥٦) ومعجم البلدان
 (ج ١ ص ٢٨٢)

بأيديهم مقرومة ومَنَاقِلُ يسود بأرزاق العباد منيحتها

قوله يودل الخ يريد يودل ياسليسي ومازائدة على أنك تركتهم وفارقتهم
وسليسي امرأته وكانت أرادت منه فراق قومه ورأبأ أى مرتفعاً والنجم الثريا وأشدد
البرد عند طلوع الثريا أول الليل ويليحها يظهرها ويضيئها والجلبة السحابة
وكذلك الجلب والوشيك السريع والمصوح الغهاب والمهوبة الضربة ومقشعر لاماء فيه
والثقيلة النمل البالية من النعال التي ينمل بها الإبل إذا حفيت وجسمها ثقائل
والسريح السيور التي تشد بها النمل الواحد سريحة والقديح ما يبقى في أسفل القدر
فيفرف بمجهد والدهاء صفار الإبل سميت بذلك لأن الإبل إذا وردت الماء دهدتها
ودحرجتها والنضيج الخوض والمقرومة بنى القداح بها علامات وليس اللنيح هنا
القدح الذي لاسهم له على ماسيجيء وإنما اللنيح هنا المنوح منها المعطى وهو
القدح الفائز ويجوز أن يعود الماء في منيحتها على العباد ويكون اللنيح بمعنى الفاعل
أى تمنحهم هذه القداح ما أصابوه من قرها . وقال شاعر آخر وهو ابن مقبل (١):
يا بيت آل هشام هل علت إذا أمشى المراضيع في أعناقها خضع
إني أنم أسارى بنى أود من فرع شوحط ضاح ليظه قرع

(١) هو تميم بن أبى (بالتصغير والتشديد) بن مقبل بن عوف : شاعر
مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، وكان يبيكى أهل الجاهلية وبلغ (١٢٠) سنة .
وكان يهاجى النجاشي الشاعر فهجاه النجاشي فاستمدى عليه أمير المؤمنين
عمر (رض) في قصة ذكرها البغدادي في الخزانة (ج ١ ص ١١٣) ، والعسقلاني
في الإصابة (ج ١ ص ١٩٥) ويضرب بقدح ابن مقبل المثل في حسن الاثر .
قال الثعالبي في المصاف والمنسوب (ص ١٧٣) : ويروى أن عبد الملك بن مروان
كتب الى الحجاج : ما أعرف أن أرى مثلاً الا قدح ابن مقبل . فلم يعرف معناه
واغتم لذلك حتى دخل عليه قتيبة بن مسلم — وكان راوية للشعر حافظاً عالماً
به — فسأله عنه . فقال : أبشر أيها الأمير فإنه قد مدحك أما سمعت قول ابن
مقبل وهو يصف قدحا له :

غدا وهو مجدول وراح كأنه من الصك والتقليب بالكف افطرح
خروج من القمى إذا صك صكة بدا والعيسون المستكفة تلمح
انتهى المراد منه . وقد ورد البيتان مشروحين في (كنز الحفاظ في تهذيب
الالفاظ) ص ٥١ و ٥٢

يحدو قتائلهبيض غطارفة شم الأنوف مغاليق الضحى خلغ
أولو الوفاء ولو أدوا قداحهم ولا يزال لهم من لهم قنع
قوله بذى أود يعنى القدح وإذا كان ذا أود كان أسرع لخروجه وشوحت
شجر تتخذ منه القسي أو ضرب من النيم وضاح ليطه ظاهر جلده وما ضحى منه
للمشمس أى برز والقتال الأشباه وهذا قتل هذا أى شبهه والجمع أقتال . ويقال
أيضاً فلان قتل فلان أى عدوه فقول ابن مقبل يحدو قتائله أى قتائل قدحى
ومغاليق الضحى أى ينفقون الرهن والخطر وخلع معناه يسلبون الرجال بالقمار
ويخلعونها . وأولو الوفاء أى يؤدون ما يلزمهم وفاؤه ولو لم يبق إلا قداحهم لأدوها
والقنع الزيادة والكثرة ويقال هو ذو قنع أى كثير المال جواد . وقال آخر وقد
مدح قوماً بأبيات منها قوله :

أعداء كوم الذى ترغوا أجنتها عند المجازير بين الحى والحجر
لا يفرحون إذا ما فاز فائزهم ولا يضيق عليهم أربة السر^(١)
ها الخضرار والأيسار إن ندبوا إذ لا تجيل قداحاً راحتا يسر
الكوم جمع كوما وهى الناقة العظيمة السنام وهم أعداؤها لأنهم ينحرونها
يعنى إنها تنحر وهى حوامل فيخرج الجنين حياً يرغو . وقوله لا يفرحون الخ .
يقول إذا فازوا لم يفرحوا بذلك ولا يبطروهم القوز ومنه قول الله عز وجل (إن الله
لا يحب الفرحين) والأربة الشدة أى لا يباليون بالفرم وإن كانوا معسرين
والخضرار الأسخياء والواحد خضرم وأصل الخضرم البحر . وقال الأعشى :

وجزور أيسار دعوت إلى النسدى ونياط مقفرة أخاف ضلأها
والشعر الذى فيه تفاخرهم باليسر وتمدحهم لا يمكن استيعابه فى مثل هذا
المقام (وصفة اليسر) أن يجتمع الفتيان منهم وذوو اليسار ويشقون جزوراً بما

(١) أورده ابن قتيبة هكذا : (ولا ترد عليهم أربة اليسر) وعزاه الى ابن
مقبل راجع ص ١٤٨ و ١٤٩

بلغت ويدعون الجزار ويسموه (التقدار) على وزن همam فينحرها ويجعلها عشرة أجزاء فإذا قسمت الجزور على ما تقدم حضر الأيسار (وهم القوم المجتمعون على الميسر وواحد هم يسر) وجيء بالتداح وهي عيدان من نبع قد بحثت وملست وجعلت سواء في الطول والنبع شجر للقسي ولل سهام ينبت في قلة الجبل والنابت منه في السفح أى أصل الجبل يقال له الشريان وفي الحضيض أى القرار في الأرض وهو المظمن منها يقال له الشوخط وقولهم : لو اقتدح بالنبع لأورى نارا مثل في جودة الرأي . وكما يقال لما اقتدح يقال لها الأزلام والأقلام . وهي عشرة : الفذ والتوأم والرقيب والجلس والنافس والمسبل والملى والنبيع والسفيح والوغد . وقد نظم أسماءها جمع من أعيان أئمة أهل الأدب منهم الإمام أبو الحسن على بن محمد الهمداني فقال :

يلى الفذ منها توأم ثم بعده رقيب وحلس بعده ثم نافس
ومسبها ثم الملى فهذه الـ سهام التي دارت عليها المجالس
وقد نظمها الشيخ ابن الحاجب على ترتيب أنصبتها أيضاً فقال :

هي فذ وتوأم ورفيق ثم حلس ونافس ثم مسبل
وللملى والوغد ثم منيع وسفح هذى الثلاثة تهمل
ولكل مما سواها نصيب ضمه إن عدت أول أول
ونظمها بعضهم أيضاً فقال :

كل سهام الياسرين عشرة فأودعوها صحفاً منتشرة
لها فروض ولها نصيب الفذ والتوأم والرقيب
والجلس يتلوهم ثم النافس وبعده مسبلن السادس
ثم الملى كاسمه الملى صاحبه في الياسرين الأعلى
والوغد والسفيح والمنيع غفل فما فيها^(١) يرى ربيع

فلأول وهو القذ سهم إن فاز وفوزه خر وجهه وعليه غُرم سهم إن خاب أى لم يخرج وكذلك باقها على الترتيب فيما له وعليه إلى الملئ وهو السابع له سبعة وعليه سبعة يفرض فى كل سهم منها بحسب ماله وعليه حز وتسكتر هذه السهام بثلاثة آخر أغفال ليس فيها حزوز ولا لها علامات ليكون ذلك أنفى للثمة وأبعد من الحباة وهى المنيع والسفيح والوعد . فإذا حضرت القداح وحضر الأيسار أخذ كل منهم من القداح على قدره وقدرته وطاقته ورأسته فمنهم من لا يبلغ حاله أكثر من القذ فأخذه له فإن خاب غرم سهماً ورأى ذلك سهلاً . وإن فاز أخذ سهماً ورأى ذلك كافياً ، ومنهم من يأخذ الملئ ولا يبالى بالغرَم إن خاب وينال النصيب الأوفر إن فاز . ومنهم من يأخذ الملئ وسهماً إن لم يحضر من يتمم السهام فيأخذ ما فضل من القداح ويقول للأيسار قد تمتكم . وفى ذلك يقول متم ابن نويرة فى أخيه مالك :

إذا ابتدر القوم القداح وأوقدتْ لهم نار أيسارٍ كفى مَنْ تَصَجَّما
يقول : من تضعج من الفتيان ولم يأخذ ما بقى أخذ هو ما بقى حتى يتممهم
والتضعج التكاسل والإعراض عن العمل . وقال الفنوى :

إذا شهد الأيسار أو غاب بعضهم كفى الحى وضاح الجبين أريب
وتسمى القداح مغالق لأنها تفلق الرهن إذا ضربوا بها على ما سبق .
(والتجزئة) التى يقسمها القدار هى أن يجعل الكفتين جزءين كل واحد منهما
جزءاً والصدر جزءاً وهو الزور . وقال فى القاموس : الزور وسط الصدر أو ما ارتفع
منه إلى الكفتين أو ملتقى أطراف عظام الصدر . والمضدان : جزآن ويقال لهما ابنا
ملاط والكاهل جزء وهو ابن مخدش . وفى القاموس : هو كئبر ومحدث كاهل
البعير . والممحاء وهو ما بين السنام إلى العجز جزء . والعجز جزء . والفخذان كل
واحد منهما جزء . ويزاد على الفخذين خرزات العنق والطفائف وهى جمع
طفيفة ويكسر الخاصرة أو أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع أو كل لحم مضطرب
أو الرخص من مرق البطن وهو الشئ الناعم . ثم يقسم على الأجزاء العشرة

ما فضل من الجنين والسنام والكبد ومن قطع اللحم حتى تستوى فإذا استوت الأجزاء البشرة كلها بقي العظم القذى لا يصلح أن يكون على واحد من الأجزاء فإن شاء الجزار أخذه وإلا كان لأهل الفاقة والفقير من العشرة ولا يأخذ أحد من الأيسار ، لأن ذلك عندهم عيب وعار ، ويسمى ذلك العظم الريم . قال في الصحاح : الريم عظم يبقى بعد ما يقسم الجزور . وأنشد ابن السكيت .

وكنتم كعظم الريم لم يدر جازر على أى بدأى مقسم اللحم يوضع^(١)
البداء والبداة النصيب من الجزور والجمع أبداء وبدوء مثل جفن وأجفان وجفون . قال طرفة بن العبد :

وَهُمْ أَيْسَارُ لُقْمَانَ إِذَا أَغْلَتِ الشَّيْثَةُ أَبْدَاءَ الْجُزُورِ^(٢)

وغیر یعقوب یروی بدل یوضع یجعل . وقال ابن الأعرابي الريم القبر وقال :

إذا مت فاعتادى القبور وسلمى على الريم أسقيت النمام القواديا^(٣)

وأبو العلاء أيضاً فسر الريم في هذا البيت بالقبر . وأعلن أنه أراد الشاعر

العظم الباقي من الجسد مجازاً ، وبه قال أبو الحسن علي بن أحمد السخاوى . ثم يبقى الرأس والقوائم يأخذها الجزار في أجرته وتسمى الثنيا وتسمى الجزارة أيضاً ثم اتسعو في ذلك فسموا الرأس والقوائم جزارة قال ذو الرمة من قصيدة تسمى (المذهبة) في وصف ناعمة :

(١) قوله (وكنتم) يروى بدله (واث) . وقوله (يوضع) قال ابن سيده : المعروف يجعل — وهى رواية اللحياني — ولم يرد يوضع أحد غير ابن السكيت . . والبيت لشاعر من حضرموت . وقال ابن برى : لأوس بن حجر من قصيدة عينية وهى للطرماح الأجدى من قصيدة لامية . . وقيل لأبي نضر بن حجر ، قال : رصابه يجعل وهكذا انتسده ابن الأعرابي وغيره . (٢) البيت من قصيدة لطفه يصف بها أحواله في أسفاره وتنقله في البلاد ولهوه وقوله « إيسار لقمان » قال الميداني : هو نعمان بن عاذ كان من العمالقة وهو أضرب الناس بالقذاح فضرب به المثل في ذلك وكان له إيسار يضربون معنق ذلك وهم نعامية : بيض وحميمة وطفيل وزفافة ومالك وفرعه ونعيل وعمار فضربت العرب بهؤلاء الإيسار المثل كما ضربه بلقمان فيقولون للإيسار إذا شرفهم كإيسار لقمان وواحد الإيسار يسر . انتهى . (٣) عزاء الجوهرى فى الصحاح والقالى فى الامالى الى مالك بن الريب المازنى .

شَخَتْ الجَزَارَةَ مثل البيت سائرهُ من المَسُوحِ خِدَبٌ شَوْقُبٌ خَشِبٌ
وقد ذكر كثير من أبيات هذه القصيدة في كتاب (مناهج الفكر . ومباهج
العبر) وهو على أقسام قسم منه في الطبائع الحيوانية . والأبيات في مبحث النعامة
(أى أن الظليم المذكور هو دقيق القوائم وجسمه كثير الشعر كبيت الأعراب
وهو أسود كالسح وهو البلاس . والخدب . الضخم . والشوقب : الطويل .
والخشب : الجافى) فإذا أخذ كل واحد من الأيسار قذحه دفعوا جميعها إلى رجل
ويسمونه « الحُرْضَةُ » قال في الصحاح : وهو الذى يضرب للأيسار بالقداح ولا
يكون إلا ساقطاً برماً : وفسر في القاموس أنه مین للقاسرين ، ومن شأنه المعروف،
له أنه لم يأكل لحماً قط بثمن إنما يأكله عند غيره أو يهدى له الأيسار . وكانوا
أكثر ما يجتمعون على اليسر بالليل ويوقدون ناراً فذلك ثم يؤخذ ثوب شديد
البياض فيُلَفُّ على يد الحرضة ويسمى ذلك الثوب « المِجُول » وإنما يحمل ذلك
الثوب على يده ليفشى بصره فلا يعرف قذح زيد دون عمرو هذا بعد أن يلف
كفه بقطعة من جراب لثلا يجد مس قذح يكون له مع صاحبه محابة فإذا أخذ
القداح لم ينظر إليها وبمضهم يقول يحملها في الرابطة وهى خرطة ويجلس خلفه أخو
ويسمى الرقيب ويسمى أيضاً رابىء الضرباء يقعد خلف ضارب قداح اليسر
يرتجى لهم فيما يخرج من القداح فيخبرهم به ويعتمدون على قوله فيه (وهو مأخوذ
من : بيئة القوم وهو طليعتهم . والضرباء جمع ضريب ككريم وكرماء وهو الذى
يضرب بالقداح وهو الموكل بها ويقال له الضارب أيضاً) ثم يجلس الأيسار حوله
دائرين به . ثم يفيض بالقداح فإذا نثر — أى ارتفع — منها قذح استسلمه الحُرْضَةُ
من غير أن ينظر إليه ثم ناوله الرقيب فينظر الرقيب لمن هو فيدفعه إلى صاحبه
فيأخذ من أجزاء الجزور على قدر نصيب القذح منها وذلك هو القوز . فلن شاء بعد
ذلك أمسك . وإن شاء أعاد السهم على خطار آخر وهو جمع خطر وجمع الجمع خطر

وهو السبق يراهن عليه وهو ما يوضع بين أهل السباق جمعه أسباق وإعادة السهم
تسمى التثنية وهو مراد الثابتة في قوله :

إِنِّي أُنْتَمُ إِيسَارَى وَأَمْنَحُهُمْ مَثْنَى الْأَيْدَى وَأَكْسُوا الْجَفْنَةَ الْأُدْمَا

قال أبو عبيد : مثنى الأيدى هى الأنصباء التى كانت تفضل من الجزور
فى الميسر فكان الرجل الجواد يشتريها فيمطيها . وقال أبو عمرو : مثنى الأيدى
أن يأخذ القسم مرة بعد مرة ، وأنشد بيت الثابتة وهذا هو المولى عليه . فإن
خرج الفذ أخذ صاحبه نصيبه وله جزء واحد كما تقدم ثم ضربوا بالقдах الباقية
على التسعة الأجزاء الباقية . وإن خرج التوأم أخذ صاحبه جزءين وقصد إن شاء
وضربوا ببقاى القдах على السبعة الأجزاء الباقية فإن خرج المولى أخذ صاحبه
الأجزاء السبعة التى بقيت . ووقع الترم أعنى ثمن الجزور على من لم يخرج سهمه
وهم أربعة أصحاب الرقيب والحلس والنفاس والمسبل . ولجلة هذه القдах
ثمانية عشر سهماً فيجزأ الثمن على ثمانية عشر جزءاً ويلزم كل صاحب قدح من
هذه القдах مثل ما كان نصيبه من اللحم لو فاز قدحه ، فإن لم يخرج الفذ ولا
التوأم وخرج الرقيب أخذ صاحبه ثلاثة أجزاء ، ثم ضربوا ثانية فخرج المولى أخذ
صاحبه السبعة الأجزاء الباقية وهى تمة الجزور وكانت الفرامة على من لم يخرج
قدحه وهم أصحاب القдах الخمسة التى خابت وهى الفذ والتوأم والحلس والنفاس
والمسبل ومجموع سهامها ثمانية عشر . فإن خرج المولى أخذ صاحبه سبعة أجزاء
الجزور واحتاجوا إلى نحر جزور أخرى لأن فى القдах التى خبيت المسبل وله
سنة أجزاء . ولم يبق من اللحم إلا ثلاثة أجزاء ومن خاب قدحه فى الجزور
الأولى لم يأكل منها شيئاً وذلك عندهم قبيح يصاب . فإذا نحروا الجزور الثانية
وضربوا عليها بالقдах فخرج المسبل أخذ صاحبه ستة أجزاء منها الثلاثة التى بقيت
من الجزور الأولى ولزمه الترم فى الجزور الأولى ولم يلزمه فى الثانية شئ لأن قدحه
قد فاز فيها وصار غرم الجزور الثانية على من لم يخرج قدحه على ما سبق من

الحساب . وبقى من الجزور الثانية سبعة أجزاء يضرب عليها القداح من بقی فإن خرج النفس أخذ صاحبه خمسة أجزاء ولم يفرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً وزمه النرم في الأولى وبقى جزآن من اللحم وقد بقي من القداح الحلس وله أربعة أجزاء فاحتاجوا إلى نحر أخرى لتتمة الأجزاء الأربعة ولا يأكل من خاب في الجزور الثانية منها شيئاً فإن نحرُوا الجزور الثالثة وفاز الحلس أخذ صاحبه أربعة أجزاء منها جزآن من الثانية وجزآن من الثالثة ولم يفرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً لأنه قد فاز وكان ثمنها على من خاب قدسه وبقى من الجزور الثالثة ثمانية أجزاء فيضرب عليها القداح من بقی حتى تخرج قداحهم موافقة لأجزاء الجزور ، فإن كانت أجزاء اللحم موافقة لأجزاء القداح لم يحتاجوا إلى نحر شيء فإن أعاد من فاز قدسه مرة ثانية فخاب غرم من ثمن الجزور التي خاب قدسه فيها على هذا الحساب ، فإن فضل من أجزاء اللحم شيء وقد خرجت القداح كلها كانت تلك الفاضلة لأهل الوبد من العشرة ، وم أهل الضعف وسوء الحال وشدة العيش ، ويقال رجل وبد أي شيء الحال ويستوى في الوصف به الواحد والجمع كما تقول رجل عدل ويمجم على أو باد كما يقال عدل وعدول ومنه قول عمرو بن عداء الكلبي :

سعى عقلاً فلم يترك لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين
لأصبح الحى أو باداً ولم يجدوا عند التفريق في الهيجا رجالين^(١)

أنشدنا أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي في أمثاله وقال : استعمل معاوية

(١) قوله : أو باداً يروى بدله (أو قاصداً) وهو جمع وقص وهو ما بين الفريضتين من نصب الزكاة مما لا يجب فيه شيء . والمعنى لأصبح مال الحى أو قاصداً لا يجب فيه شيء من الزكاة . وجمالين إنما نساها لا نه جعلها صنفين صنف يحملون عليه أفعالهم وصنف يقاتلون عليه ويوضحه رواية الأغانى . يوم الترحل والهيجا . ويستشهد النحويون بهذا البيت على جواز ثنية الجمع على تاريل فرقتين . ومثله قول شعبة بن قمر شاعر مخضرم :
لنسا ابلان فيهما ما علمتم فمن أية ما شئتم فتنكبوا

وقول ابى النجم العجلي :

تبقت من أول التيقل بين رماحى مالك ونهشل
وقولهم : لقنا حان سوداوان . وفي الحديث الشريف « مثل المنافق كالشاة العائر : بين الغنمين » الى غير ذلك ، ولكن القياس يا أباه لان الغرض من الجمع

ابن أبي سفيان ابن أخيه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان على صدقات كلب فاعتدى عليهم . فقال عمرو بن المداء هذا الشر . وسعى في الموضعين من سعى الرجل على الصدقة أى الزكاة يسعى سعيًا عَمَل في أربابها . وعقالا وعقالين منصوبان على الظرف أراد مدة عقال ومدة عقالين والعقال صدقة عام . والسبد بفتحين الشعر والوبر قال ابن السيد في شرح أدب الكاتب : إذا قيل ماله سبد ولا لبَد فمعناه ماله ذو سبد وهى الإبل والمز ولا ذو لبَد وهى النعم . ثم كثر ذلك حتى صار مثلاً مضروباً للفقر فقيل لسكل من لاماله له أى شئ كان . يقول : تولى هذا الرجل علينا سنة في أخذ الزكاة منا فلم يترك لنا شيئاً لظلمه إيانا فلو تولى سنتين علينا على أى حال كنا نكون . وقوله : لأصبح الحى الخ الحى القبيلة . والأوباد : جمع وَبَدَ بفتحين ، قال الجوهري : الوبد بالتحريك شدة العيش وسوء الحال مصدر يوصف به فيستوى فيه الواحد والجمع ثم يجمع فيقال أوباد كما يقال عدل وعدول على توم النعت الصحيح وأنشد البيت . وقال ابن برى . الوجه أن يكون جمع وبد وهو السوء الحال كنعذ والخاذ وثنى الجمال لأنه جعلها صنفين صنفاً لترحالهم يحملون عليها أقتالهم وصنفاً لحرهم يركبونه إذا جنّبوا خيلهم : وقد أفرد ابن قتبية ^(١) للميسر كتاباً بين فيه مذاهب العرب ييانا شافياً

الدلالة على الكثرة والنشئة تدل على القلة فهما معنيان متدافعان وأولا هذا التاويل لم يسغ ذلك بحال . ومعنى يبتى عمرو : ان هذا الرجل سعى في صدقاتنا سنة فلم يترك لنا ذات شعر ولا ذات وبر فكيف لو تولى علينا سنتين إذن لأصبح رجال الحى على أسوأ حال ولم يجدوا من صنفى الجمال شيئاً يستعينون به في ارتحالهم وقتالهم .

(١) أقول : وقد صنف كثير من العلماء في الميسر واحسن ما وقفت عليه كتاب (المسفر عن الميسر) لشيخنا المؤلف . وكتب الامام برهان الدين البقاعي في تفسيره . نظم الدرر في تناسب الآي والسور (بحثاً ممتعاً في الميسر ، ولزبيدي شارح القاموس كتاب فيه ايضاً اسمه) نشوة الارتياح في بيان حقيقة الميسر والقداح (وقد ضمنه نرح عبارات البقاعي مع ابضاح ما أغفله ، وكانت هذه الرسالة بخط مؤلفها محفوظة في إحدى «مكتبات» برلين ثم طبعت هناك . وصنف فيه بعض الالمانيين ايضاً كتاباً مستقلاً جمع فيه أقوال الأئمة . . هذا ما كتبه هنا منذ ثلاثة اعوام تقريباً ، وقد اطعنا اليوم على كتاب ابن قتبية المسمى (الميسر والقداح) مطبوعاً احسن طبع بعناية صديقنا الاديب الجليل الاستاذ محب الدين الخطيب منتيء مجلة الزهراء بمصر ، فراقنا أسلوبه ودقة نظره وحسن استخراجهِ ولا بدع فان

ولم تكن نسخته عندي وما ذكرته كاف في المقصود وقد خلا عن مثله كثير من الكتب والله تعالى الحمد على ذلك (وقد حرمته الشريعة الإسلامية وأبطلته) وفي حكم ذلك جميع أنواع القمار من الترد والشطرنج وغيرها حتى أدخلوا فيه لعب الصبيان بالجوز والكماب والقرعة في غير القسمة وجميع أنواع المخاطرة والرهان وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر . وفي ذلك ورد قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) ففنازع الميسر أن أهل الثروة والأجواد من العرب كانوا في شدة البرد وكلب الزمان ييسرون أى يتقارون بالقداح فإذا قر أحدهم جعل أجزاء الجوز لدوى الحاجة وأهل المسكة واستقراش الناس وعاشوا . وكانت العرب تمدح من يأخذ القداح وتيب من لا ييسر وتسميه البرم . قال متمم بن نويرة يرى أخاه مالكا : ولا برمًا تهدي النساء لعرسه إذا القشع من برد الشتاء تقمعا^(١)

(وأما مفاسده) فكثيرة منها أن فيه أكل الأموال بالباطل وأنه يدعو كثيرا من القمارين إلى الدقة وتلف النفس وإضاعة المال وارتكاب الأمور القبيحة والذائل الشنيعة والمداوة الكامنة والظاهرة وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من أعماه الله تعالى وأصمه . وفي كتاب فتح الباري : والحكمة في تحريم الميسر ما فيه من المخاطرة بالمال والتعرض للفقر واستجلاب المداوات للفضية إلى سفك الدماء وهتك الحرم وغير ذلك من المفاسد التي لا يقابلها ما يترتب على الميسر من المنفعة كصير الشيء إلى الإنسان من غير تب ولا كد وما يحصل من السرور والأريحية عند أن يصير له منها سهم صالح ، وقد ذكر الله سبحانه في آية أخرى

الإمام ابن قتيبة هو أبو عذرة . أمثل هذا البحث العويص واليه المرجع في معرفة تاريخ العرب وأطوارهم وعاداتهم . ومن مزايا هذا الكتاب أن مؤلفه رحمه الله نهج في تاليفه منهجا علميا حيث جمع أبيات شعراء العرب في الميسر وجعل يتدبرها ويستدل على كفيته باعتبارها ثم أودع كتابه ما أدى إليه النظر ودل عليه الاستخراج .

(١) راجع الجزء الأول ص ٧١

ما فيه من المفساد الدنيوية والدينية ، أما الدنيوية فما يوقمه الشيطان في البين من
العداوة والبغضاء فقد يقامر الرجل حتى لا يبقى له شيء وتنتهي به القامرة إلى أن
يقامر بولده وأهله على ما سبق فيؤدى به ذلك إلى أن يصير أعدى الأعداء لمن
قره وغلبه . وأما المفساد الدينية فهي الصد عن ذكر الله وعن الصلاة وغير ذلك
من أفعال الخير . فإن الميسر إن كان اللاعب به غالباً انشرفت نفسه ومنعه
حب القلب والقهر والكسب عما ذكر ، وإن كان مغلوباً حصل له من الانقباض
والقهر ما يئمه على الاحتيال لأن يصير غالباً فلا يكاد يخطر بقله غير ذلك ، وقد
شاهدنا كثيراً ممن يلعب بالنرد والشطرنج ونحوها يجرى بينهم من اللجاج والحنف
الكاذب والغفلة عن الله تعالى وغير ذلك من الأمور المنكرة ما يحل بالمروءة
ويزرى بذوى العقول السليمة ومن عوفى من ذلك فليحمد مولاه ، ومن ابتلى به
فليسأل من الطافه سبحانه أن ينجيهِ من بلواه .

ومن مذاهبهم المشهورة الاستقسام بالأزلام

كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا سفراً أو تجارة أو نكاحاً أو اختلفوا
في نسب أو أمر قتيل أو تحمل عقل^(١) أو غير ذلك من الأمور العظيمة جاؤوا
إلى هُبَل وهو أعظم صنم لقريش بمكة وكان في الكعبة ومعه مائة درهم فأعطوها
صاحب القداح حتى يجيئها لهم وكانت أزلامهم سبعة قداح محفوظة عند سادس
الكعبة وخادما وهي مستوية في المقدار عليها أعلام وكتابة قد كتب على واحد
منها (أمرني ربي) وعلى واحد منها (نهاني ربي) وعلى واحد (منكم) وعلى
واحد (من غيركم) وعلى واحد (ملصق) وعلى واحد (العقل) وواحد عُقْل أى
ليس عليه شيء فإذا أرادوا الوقوف على مستقبل الأمر الذى تصدوا له ومعرفة
عاقبته أخبر هو أم شر استقسم لهم أمين القداح بِقِدْحِي الأمر والنهى فإن خرج

(١) العقل دية القتل .

قدح الأمر ائتمروا وباشروا فيما تصدوا له من حرب أو سفر أو زواج أو ختان أو بناء أو نحو ذلك مما يتفق لهم وإن خرج قدح النهي أخروا ذلك العمل إلى سنة فإذا انقضت أعادوا الاستقسام مرة أخرى . و يروى أن هذين القدحين قد كتب على أحدهما (نعم) وعلى الآخر (لا) فإذا ظهر للرجل قدح (نعم) مضوا فيما قصدوه من العمل وإذا ظهر قدح (لا) توقفوا سنة على ما سبق من البيان ، والمقصود من الروایتين واحد . وإذا وقعت منازعة في نسب أحد منهم استقسم لهم أمين القداح بالأزلام الموسومة (بمنكم . ومن غيركم . وملصق) فإن ظهر (منكم) أعزوا ذلك الرجل الذى اشتبهوا في نسبه وتنازعوا في أمره واحترموه غاية الاحترام وإن ظهر (من غيركم) نفروا عنه وتجنبوه وإن ظهر (ملصق) بقى ذلك الرجل مجهول النسب عندهم على ما كان عليه قبل فإظهار من هذه الأزلام وجب العمل بموجب ما ظهر فيه واعتمدوا عليه كل الاعتياد . وإذا تنازعوا في العقل — وهى دية المقتول — بأن اشتبه عليهم القاتل أحضروا من الشهود بالقتل بالقدحين الموسومين (بالعقل . والفعل) واستقسم لهم الأمين فن خرج عليه العقل تحمل الدية وإن خرج العقل أجالوا ثانياً حتى يخرج المكتوب عليه . وحكى أبو الفرج الأصبهاني : إنهم كانوا يستقسمون عند (ذى الخلصة) أيضاً وإن أمراً القيس لما خرج يطلب بثأر أبيه استقسم عنده فخرج له ما يكره فصب الصنم ورماه بالحجارة ، وأنشد :

لو كنت إذا انخلص الموتورا لم تنه عن قتل المداة زورا^(١)

قال : فلم يستقسم عنده أحد بعد حتى جاء الإسلام . والذى تحصل من كلام أهل النقل النفاذ أن الأزلام كانت عند العرب على ثلاثة أنحاء : أحدها : قداح الميسر العشرة وقد سبق تفصيلها على الوجه الأكمل . وثانيها : لكل أحد وهى ثلاثة على أحدها مكتوب (افعل) وعلى الثانى (لا تفعل) وعلى الثالث (غفل) وقال الفراء : كان على أحدها (أسرفى ربى) وعلى الثانى (نهائى ربى) وعلى الثالث

(١) راجع ص ٢٠٧ من الجزء الثانى

(غفل) فإذا أراد أحدهم الأمر جعلها في خريطة وهي الرابطة وأدخل يده فيها وأخرج واحداً فإن طلع الأمر فعل أو الناهى ترك أو النفل أعاد . وثالثها : للأحكام وهي التي عند الكعبة . ذكر ابن إسحق أن أعظم أصنام قريش كان هبل وكان في جوف الكعبة يتحاكون عنده فيما أشكل عليهم فما خرج منها رجعوا إليه ، وكان عند كل كاهن وحاكم للعرب مثل ذلك وكانت سبعة مكتوب عليها ما سبق ومعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالأزلام ، وقد حرمه الله تعالى في جملة ما حرم فقال عز اسمه : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ النِّمَيْتَةُ وَالْدِّمُ وَلَحْمُ الْخَيْزِيرِ وَمَأْكِلُ أَهْلِ لَيْسَ إِلَهِ بِهِ وَالْمُنْخَنَقَةُ وَالْمُوقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيلَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذَرَجَ عَلَى النُّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ » واستشكل تحريم ما ذكر بأنه من جملة التناول وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القفال . وأجيب بأنه كان استشارة مع الأصنام واستعانة منهم كما يشير إلى ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه أنهم إذا أرادوا ذلك أتوا بيت أصنامهم وفعلوا ما فعلوا فلهذا صار حراماً . وبعض العلماء يقول : إن سبب تحريم الاستقسام بالأزلام أنه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق إليه وافتراء على الله تعالى إن أريد (برئى) في قولهم : (أمرنى ربى) الله وجهالة وشرك إن أريد به الصنم .

قال (الجد) في تفسيره^(١) ناقلاً عن كتاب الأحكام للجصاص : إن الآية تدل على بطلان القرعة في عنق العبيد لأنها في معنى ذلك بعينه إذ كان فيها إثبات ما أخرجته القرعة من غير استحقاق كما إذا أعتق أحد عبيده عند موته على ما بين في الفتنة ، ولا يرد أن القرعة قد جازت في قسمة التنازيم مثلاً وفي إخراج النساء ؛ لأننا نقول إنها فيما ذكر لتطبيب النفوس والسيارة من التهمة في إثارة البعض ولو اصطالحوا على ذلك جاز من غير قرعة . وأما الحرية الواقعة على واحد من العبيد فيما نحن فيه فغير جائز نقلها عنه إلى غيره وفي استعمال القرعة

والنقل وخالف الشافعى فى ذلك فجوز القرعة فى العتق كما جوزها فى غيره وظواهر الأدلة معه وتحقيق ذلك فى موضعه . قال : والحق عندى أن الاستقسام الذى كان يفعله أهل الجاهلية حرام بلا شبهة كما هو نص الكتاب وأن حرمة ناشئة من سوء الاعتقاد وأنه لا يخلو عن نشاؤم وليس يتناول محض وإن مثل ذلك ليس من الدخول فى علم الغيب أصلا بل هو من باب الدخول فى الغن . انتهى ما هو المقصود من كلامه . ولابن القيم كتاب سماه (الطرق الحسكية^(١)) ذكر فيه القرعة وجعلها أحد طرق الأحكام الشرعية واستدل على ذلك بقوله تعالى : « ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ » قال^(٢) : روى عن قتادة كانت مريم عليها السلام ابنة إمامهم وسيدهم فتشاح عليها بنو إسرائيل فاقترعوا عليها بسهامهم أيهم يكفلها ففرع زكريا وكان زوج أختها فضمها إليه . وعن ابن عباس : لما وضعت مريم فى المسجد اقترع عليها أهل المصلى وهم يكتبون الوحي فاقترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها . وبقوله تعالى : « وَإِنْ يُؤْنَسْ لَئِنْ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ » أى فقارع فكان من المفلولين . قال : وقد احتج الأئمة الأربعة بشرع من قبلنا إن صح ذلك عنهم . وبعد أن أورد عدة أحاديث صحيحة . قال : فهذه السنة كما ترى قد جاءت بالقرعة كما جاء بها الكتاب وفعلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعده . قال البخارى فى صحيحه : ويذكر أن توما اختلفوا فى الأذان فأقرع بينهم سعد . وقد صنف (أبو بكر الخلال) مصنفًا فى القرعة وهو فى جامع . قال أحمد فى رواية الفضل ابن عبد الصمد : القرعة فى كتاب الله والذين يقولون القرعة قار قوم جهال .

وقد أحال ابن القيم فى الاستدلال على كون القرعة من الطرق الحسكية والدلائل الشرعية مما لا يسهل المقام . . ثم بين كيفية القرعة فى فصل مستقل فقال :

(١) طبع بمطبعة الاداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٧ هـ (٢) ص ٢٦٥

إنه يجب من القرعة ما نقل عن سعيد بن المسيب أنه كان يأخذ خواتيمهم فيضعها في كفه فمن أخرج أولاً فهو القارع . وقال أبو داود : قلت لأبي عبد الله في القرعة يكتبون رقاعاً ، قال : إن شاءوا رقاعاً وإن شاءوا خواتيمهم . وقال أبو منصور : قلت لأحمد كيف يقرع ؟ قال : بالخاتم والشئ . وقال إسحق بن راهويه : في القرعة يؤخذ عود شبيه بالقدح فيكتب عليه (عبد) وعلى الآخر (حرّ) . وقال بكير ابن محمد عن أبيه : سألت أبا عبد الله ! كيف تكون القرعة ؟ قال : يلقي خاتم . وعن الأثرم قلت لأبي عبد الله كيف القرعة ؟ فقال سعيد بن جبيرة يقول بالخواتيم أنزع بين اثنين في ثوب فأخرج خاتم هذا وخاتم هذا ، قال : ثم يخرجون الخواتيم ثم ترفع إلى رجل فيخرج منها واحداً . قلت لأبي عبد الله : فإن مالكا يقول : تكتب رقاعاً وتحمل في طين ، قال : وهذا أيضاً . وقيل لأبي عبد الله : إن الناس يقولون القرعة هكذا يضم الرجل أصابعه الثلاث ثم يفتحها فأنكرها وقال : ليست هكذا انتهى . . ومن أحب الوقوف على تفصيل هذا البحث ومعرفة مواضع القرعة فعليه بهذا الكتاب فإن فيه الكفاية . وعند الحكومة اليوم للقرعة طريق آخر فإنهم يستعملونها في بعض الأمور لا حاجة لنا إلى بيانها ، والله مدبر الأمور .

ومن مذاهب العرب المشهورة النسيء

اعلم أن سنى العرب كانت موافقة لسنى الفرس في الدخول والانسلاخ فحدث في أحوالهم انتقالات فسد عليهم بها الكبس^(١) إلى أوان السنة السادسة

(١) قال النسخ سحنون الميبدوى في كتابه (مفيد المحتاج في شرح السراج للعلامة الاخضرى (ص ١٦) : الكبس في اللغة هو الطي يقال الكبس فلان أى انطوى واجتمع بعضه ببعض وكبست الخرفة اذا طويتها . وفي الاصطلاح : ضم فضلات السنين بعضها لبعض حتى يجتمع منها يوم كامل أما في العجمي فيجتمع في أربع سنين يوم فيزاد في آخر دجنبر وفي السنة الكبسية فيكون من اثنين وثلاثين يوماً وكذلك كبس العربى . انتهى المقصود منه وفي التاج : . . الكبس في حسابهم في كل أربع سنين يزيدون في شهر شباط يوماً فيجعلونه تسعة وعشرين يوماً وفي ثلاث سنين يبعدونه ثمانية وعشرين يوماً يقيمون بذلك كسور حساب السنة ويسمون العام الذى يزيدون فيه عام الكبس

من ملك أغسطس^(١) ، وذلك بعد ذى القرنين بمائتين وثمانين سنة وأربعين يوماً فسئروا
كبس الربع من اليوم فى كل سنة فصارت سنوهم بعد ذلك الوقت محفوظة المواقيت .
ويقال إن العرب كانت فى جاهليتها على رسم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام
لا تسكبس سنيها إلى أن جاورتهم اليهود فى يثرب فأراد العرب أن يكون حجهم
فى أخصب وقت من السنة وأسهلها للتردد فى التجارة ولا يزول عن مكانه ففعلوا
السكبس من اليهود . ويقال : إن عمرو بن لحي الخزاعى أول من نسا الشهور وبحر
البحيرة وسبب السائية ووصل الوصيلة وحى الحامى وأول من دعا الناس
إلى عبادة الأصنام وقد سبق تفصيل ذلك على أتم وجه . ومعنى التسيء تأخير
حرمة شهر إلى آخر . وأصله من نسات الشيء إذا أخرته فإنهم يعتقدون أن
من الدين تعظيم الأشهر الحرم وهى أربعة : المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة
فسكانوا يخرجون^(٢) فيها من القتال ، وكانت قبائل منهم يستبجحونها فإذا قاتلوا
فى شهر حرام حرموا مكانه شهراً آخر من أشهر الحلال ويقولون نسيء الشهر
فيستحلون الحرم ويحرمون صفرًا فإن احتاجوا أيضاً أحلوه وحرموا ربيعاً الأول ،
وهكذا كانوا يفعلون حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها وكانوا يتنبرون
فى التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر المألومة ، وربما زادوا فى عدد الشهور
بأن يحملوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من

(١) فى صبيح الأعشى (ج ٢ ص ٢٨٧) : « أغيطش » وفى موضع آخر منه
« أغشيطش »

(٢) أى يكفون أنفسهم من حرج القتال أى ائمه . وفى الحديث كنا نخرج
أن نطوف بالصفا والمروة : وهذا مما ورد لفظه مخالفاً لمناه ومنه : تحنت
إذا فعل ما يخرج به عن الحنث وتأنم أى جانب الأثم وتحوب أى القى الحوب
— وهو الأثم — عن نفسه ، وتلوم إذا تربعص بالأمر يريد القاء الملامة عن نفسه
قال المرقش :

يا صاحبي تلوما لا تعجلا ان النجاح رهين ان لا تعجلا
الى غير ذلك مما يطول إيراده . وقد ألف فى هذا المتقدمون ولكن لم يصلنا
— روا أسفاه — شيء منه .

السنة حراماً أيضاً . ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة وكان يختلف وقت حجهم لذلك ، وكان في السنة التاسعة من الهجرة التي حج بها أبو بكر رضى الله تعالى عنه بالناس في ذى القعدة ، وفي حجة الوداع في ذى الحجة وهو الذى كان على عهد إبراهيم عليه السلام ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام ولذا قال صلى الله عليه وسلم : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والحرم ورجب مضر الذى بين جهادى وشعبان .. زعم يوسف بن عبد الملك في كتابه (تفضيل الأزمنة) أن هذه المقالة صدرت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في شهر مارس وهو آذار وهو برمهات بالقبطية وفيه يستوى الليل والنهار عند حلول الشمس برج الحمل والمراد بالزمان السنة . ومعنى كهيئته أى استدار استدارة مثل حالته الأولى . والمراد باستدارته وقوع تاسع ذى الحجة في الوقت الذى حلت فيه الشمس برج الحمل حيث يستوى الليل والنهار . وأضاف رجب إلى مضر لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم فيقال إن ربيعة كانوا يجعلون بدله رمضان وكان من العرب من يجعل في رجب وشعبان ما ذكر في الحرم وصفر فيحلون رجباً ويحرمون شعبان ، ووصفه بكونه بين جهادى وشعبان تأكيذاً . وفي رواية أنهم كانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذى الحجة عامين وفي الحرم عامين وهكذا . ووافقت حجة الصديق في ذى القعدة من سنتهم الثانية ، وكانت حجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الوقت الذى كان من قبل ولذا قال ما قال .

وحكى ابن إسحق صاحب السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام أن أول من نسا الشهور على العرب وأحل منها ما أحل وحرم ما حرم القلمس وهو حذيفة بن قيس بن عامر بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ثم قام على ذلك بعده ولده عباد ثم قام بعد عباد ابنه قلع ثم قام بعد قلع ابنه أمية ثم قام بعد أمية

ابنه عوف ثم قام بد عوف ابنه أبو ثمامة جنادة وعليه قام الإسلام فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت عليه بنى فقام فيها على جبل عند بَجْرَةِ الْعَقَبَةِ ، وقال بأعلى صوته : اللهم لا أعابُ ولا أخابُ^(١) ولا مرد لما قضيت اللهم إني أحللت شهر كذا وذكّر شهرًا من الأشهر الحرم وقع اتفاقهم على شن الفارة فيه وأنسأته إلى العام القابل أى أخرت تمريره وحرمت مكانه شهر كذا من الأشهر البواق فكانوا يحلون ما أحل ويمرمون ما حرم . وفي رواية عن الكلبي : أول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له فقيم بن ثعلبة وكان إذا هم الناس بالسدور من اللوسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت أنا الذى لا أعاب ولا أخاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه أن ينسئهم شهرًا ينزول فيه فيقول إن صفر العام حرام فإذا قال ذلك حلوا الأوتار وزعوا الأسنة والأزجة^(٢) وإن قال حلال عقدوا الأوتار وركبوا الأزجة وأغاروا . وعن الضحاك أنه جنادة بن عوف الكدائي وكان مطاعًا في الجاهلية وكان يقوم على جبل في اللوسم فينادى بأعلى صوته : إن آلهتكم قد أحلت لكم الحرم فأحلوه . ثم يقوم في العام القابل فيقول : إن آلهتكم قد حرمت عليكم الحرم فحرموه . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت النساء حياء من بنى مالك بن كنانة وكان آخرهم رجلًا يقال له القلمس وهو الذى أنسأ الحرم وكان ملكًا في قومه . وأنشد شاعرهم (ومنا ناسي* الشهر القلمس) وقال عمير بن قيس أحد بني فراس ابن غنم بن مالك بن كنانة يفخر بالنساء على العرب . ويروى إن القائل السكيت :

لقد علمت معدًا أن قومي كرام الناس إن لم كراما

(١) كذا بالخاء المعجمة ٢ هنا وفي كل موضع وردت في هذا الكتاب . وفي القاموس (مادة القلمس) احاب بالجمع ومثله في شرحه تاج العروس وعليهما اعتمادنا في تصحيح هذه الكلمة في (ج ١ ص ٣٣٥) وقد تبين لنا الآن أن صوابها (احاب) بالخاء المهملة من الحبوب وهو الاثم فمعنى لا احاب : لا اثم بآثم . فتدبر ! (٢) الازجة جمع زج وهو الحديد التى تتركب فى اسفل الرمح وانكر الجوهري ورود هذا الجمع . راجع التاج ج ٢ ص ٥١

فَأَيُّ النَّاسِ فَأَتُونَا بَوْتَرٍ وَأَيُّ النَّاسِ لَمْ تَمْلِكْ لِحَامَا
أَنَسْنَا النَّاسَيْنِ عَلَى مَحْدٍ شَهْوَرِ الْحَلِّ نَحْمِلُهَا حَرَامًا ؟
(وقال آخر)

أَتَزْعَمُ أَنِي مِنْ فَقِيمِ بْنِ مَالِكٍ لِعَمْرِي لَقَدْ غَيَّرْتَ مَا كُنْتُ أَعْلَمُ
لَهُمْ نَاسِيءٌ يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِ يَحِلُّ إِذَا شَاءَ الشَّهْوَرُ وَيَحْرَمُ
وَفِي الْقَامِرِ : إِنْ النَّاسِيءُ كَانَ يَقُولُ الْمَهْمُ إِنِّي نَاسِيءُ الشَّهْوَرِ وَوَضَعَهَا
مَوَاضِعُهَا وَلَا أَعَابُ وَلَا أَخَابُ اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَحَلَّتُ أَحَدَ الصَّفَرَيْنِ وَحَرَمْتُ صَفَرَ
الْمُؤَخَّرِ وَكَذَلِكَ فِي الرَّجَبَيْنِ يَمْنَى رَجَبٍ وَشَعْبَانَ انْفَرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى (إِنَّمَا الْأَشْيَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) وَحَكَى السَّهِيلُ فِي الرُّوضِ الْأَنْفِ أَنَّ
نَسِيءَ الْعَرَبِ كَانَ عَلَى ضَرَبَيْنِ . أَحَدُهُمَا : تَأْخِيرُ شَهْرِ الْحَرَمِ إِلَى صَفَرٍ لِحَاجَتِهِمْ إِلَى
شَنْ النَّارَاتِ وَطَلَبِ الثَّارَاتِ وَالثَّانِي : تَأْخِيرُ الْحَجِّ عَنْ وَقْتِهِ تَحْرِيماً مِنْهُمْ لِلْسَّنَةِ
الْشَّمْسِيَّةِ فَكَانُوا يُؤَخِّرُونَهُ فِي كُلِّ عَامٍ أَحَدَ عَشْرَ يَوْمًا حَتَّى يَدُورَ الدَّوْرُ فِيهِ إِلَى
ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَيَعُودُ إِلَى وَقْتِهِ فَلَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الثَّاسِعَةُ مِنَ الْمُهْجَرَةِ حَجَّ
بِالْبَاشِ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَوَافَقَ حُجَّتَهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ثُمَّ حَجَّ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ فَوَافَقَ عَوْدَ الْحَجِّ إِلَى وَقْتِهِ فِي ذِي
الْحِجَّةِ كَمَا وَضَعَ أَوَّلًا فَلَمَّا قَضَى حُجَّتَهُ خَطَبَ فَكَانَ مِمَّا قَالَ فِي خُطْبَتِهِ : إِنْ الزَّمَانُ
قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ الْحَدِيثَ . يَمْنَى أَنَّ الْحَجَّ قَدْ
عَادَ فِي ذِي الْحِجَّةِ . وَقَالَ الْعَسْقَلَانِيُّ فِي فَتْحِ الْبَارِي : كَانَتِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
عَلَى أَعْمَاءَ : مِنْهُمْ مَنْ يَسْمَى الْحَرَمَ صَفْرًا فَيَحِلُّ فِيهِ الْقِتَالُ وَيَحْرَمُ الْقِتَالُ فِي صَفَرٍ
وَيُسَمَّى الْحَرَمَ . وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَحْمِلُ ذَلِكَ سَنَةً هَكَذَا وَسَنَةً هَكَذَا . وَمِنْهُمْ مَنْ
يَجْعَلُهُ سَنَتَيْنِ هَكَذَا وَسَنَتَيْنِ هَكَذَا . وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَخِّرُ صَفَرَ إِلَى رَجَبِ الْأَوَّلِ وَرَجَبًا
إِلَى مَا بَلَّيَهُ . وَهَكَذَا إِلَى أَنْ يَصِيرَ شَوَالُ ذَا الْقَعْدَةِ وَذُو الْقَعْدَةِ ذَا الْحِجَّةِ . ثُمَّ
يَعُودُ فَيُعِيدُ الْعَدَدَ عَلَى الْأَصْلِ اتَّهَى . وَقَدْ اسْتَنْبَطَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ

مواقيت الحج لا يجري على حساب السنة الشمسية التي كانت الجاهلية تعتمد من قوله سبحانه (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) فإنه جل شأنه خص الحج بالذكر دون غيره من العبادات الموقته بالأوقات تأكيداً لاختباره بالأهلة . وما أحسن ما فصل أبو إسحق الصابي بين السنة الشمسية والقمرية بما يختص به كل واحدة منهما دون الأخرى . فقال : وأما العرب فإن الله تعالى فضلها على الأمم الماضية ، وورثها ثمرات مساعيها الثمينة . وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها ، وزكاة أهل ملتها ، وجزية أهل ذمتها ، على السنة الهلالية وتبديدها فيها برؤية الهلال إرادة منه أن تكون مناهجها واضحة ، وأعلامها لأئمة فيتكافأ في معرفة الفرض ودخول الوقت الخاص العام ، والناقص النقص والتمام ، والذكر والأثني وذو الصغر والكبير ، فحينئذ يجيئون في سنى الشمس حاصل الثلاث المنسومة وخراج الأراضى المسووعة ويمسبون في سنة الهلال الجوالى^(١) والصدقات ، والأرحاء والمقاطعات ، وسائر ما يجري على المشاهرات انتهى

ومن النصوص الواردة في إبطال النسيء قوله عز اسمه (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حُرُم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ، إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين) وما سبق من الكلام يوضح معنى الآية والدين القيم المستقيم . هو دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثته منهما . وكانوا يعظمون الأشهر الحرم حتى

(١) قال الخفافى في شفاء القليل : قال في الزاهر ، الجوالى هم أهل الدمة وإنما قيل لهم جوالى لأنهم جلوا عن مواضعهم . ١ هـ . والناس الآن يتجاوزون به عن الخراج وعن الوظائف المرتبة منه وهو ليس بعربى .

إن الرجل يلقى فيها قاتل أبيه وأخيه فلا يهيجه ويسمون رجب الأسم ومنصل
الأسنة حتى أجدثوا النسيء ففبروا . والمراد بظلم الأنفس فيهن هتك حرمتهم
وارتكاب ما حرم فيهن . ومعنى كون النسيء زيادة في الكفر الذى هم عليه
لأنه تحريم ما أحل الله تعالى وقد استحله واتخذوه شريعة وذلك كفر ضموه إلى
كفرهم . وقيل لأنه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه . وقيل إنه معصية ضمت
إلى الكفر وكما يزداد الإيمان بالطاعة يزداد الكفر بالمعصية . ومعنى ليواطئوا
عدة ما حرم الله ليوافقوا عدة ما حرم الله من الأشهر الأربعة أى ضلوا ما فعلوا
لأجل موافقة ذلك فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الأشهر المعينة . والحاصل أنه
كان الواجب عليهم العدة والتخصيص فحيث تركوا التخصيص فقد استحلوا
ما حرم الله كل ذلك اتباعاً لشهوات أنفسهم ، وطلباً لمزيد راحتهم وأنسهم .

الشهور العربية وما فُرد أسماؤها

الشهور العربية قسبان : قسم غير مستعمل وهو الذى وضعت العرب العاربة .
وقسم مستعمل وهو الذى وضعت العرب منها بالاسم الذى وضع له عند استئلال
هلاله . فأما القسم التير للمستعمل فأسماء شهور كانت العرب العاربة اصطالحوا
عليها ^(١) وهى : مؤتمر وناجر وحقوان (بالحاء المهملة والطاء المعجمة) وصوان ويقال
فيه ونصان وربى وأبدة والأسم وعادل وناطل وواغل وورنة وبرك . وفى هذه
الأسماء خلاف عند أهل اللغة . فإن منهم من يقول هى ناتق وتهييل وطيلىق وأسنح
وأنخ وحلك وكسح وزاهر ولوط وحرف وبنش . فئاتق هو المحرم وتهييل هو
صفر وهكذا ما بعده على سرد الشهور . وكانت تمود تسميها موجب وموجز
ومور ^(٢) ومازن ومصدر وهو بر وهو بل وموها وذيمر ^(٣) ودابر وحيقيل ومسيل

(١) اعتمدت فى تصحيح هذه الاسماء على صبح الاعشى (ج ٢ ص ٣٦٨)
والقاموس وتاج العروس ، ولقطة العجلان . وقد رايت الأستاذ نقل هذا
البحث عن اللقطة بالحرف الواحد تقريباً ...
(٢) فى لقطة العجلان « مورد » . (٣) كذا بالذال المعجمة وسنانى قريباً
بالمهملة وفى اللقطة : ديمر وديمر ايضاً .

فرجب هو الحرم وموجز صفر إلا أنهم كانوا يبلأون بالشهور من دهر وهو شهر رمضان فيكون أول شهور السنة عندهم . وبعض أولئك العرب يسميها بالأسماء الأول مع مغايرة يسيرة . ويقول هي : مؤتمر وناجر وخوان وصوان وحنم وزبا^(١) والأصم وعادل ونانق^(٢) وواغل وهواع وبرك . . ومعنى المؤتمر أنه يأتيه بكل شيء مما تأتي به السنة من أفضيتها . وناجر من النجر وهو شدة الحر . وخوان على وزن فعال من انخيانة . وصوان بكسر الصاد وضمها فصال من الصيانة والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمى بذلك لكثرة القتال فيه . ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بائدة وبعد بائدة الأصم ثم واغل وناطل وعادل ووربة وبرك . فالبائد من القتال إذا كان يبيد فيه كثير من الناس . وجرى المثل بذلك فقالوا « المعجب كل المعجب بين جهادى ورجب » وكانوا يستعملون فيه ويتوخون بلوغ النار والنفارات قبل رجب فإنه شهر حرام . ويقولون له الأصم لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح . والواغل الداخلى على شرب ولم يدهوه . وذلك لأنه يهجم على شهر رمضان وكان يكثر في شهر رمضان شربهم اخر لأن الذى يتلوه هي شهور الحج . وناطل هو مكيال الحرم سمي به لإفراطهم فيه بالشرب وكثرة استعمالهم لذلك للكيال . وأما العادل^(٣) فهو من العدل لأنه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل . وأما الزبا فلأن الأنعام كانت تزب فيه تقرب الذبح . وأما برك فهو لبروك الإبل إذا حضرت المنحر . وقد روى أنهم كانوا يسمون الحرم مؤتمر وصفر ناجر وريبع الأول وبسان^(٤) وريبع الآخر خوان وجهادى الأولى حتم وجهادى الأخرى ورنه^(٥) ورجب الأصم وهو شهر مضر وكانت العرب تصومه في الجاهلية وكانت تمتاز فيه وتمير أهلها وكان يأمن بعضهم بعضاً فيه ويخرجون إلى الأسفار ولا يخافون وشعبان عادله

(١) كذا والمشهور (ربي) كما صححناها في أول البحث من التاج والصبح (٢) في الأصل «بابق»
(٣) في القاموس وشرحه : « العادل » بالذال المعجمة (٤) في الأصل « نصار » (٥) في الأصل : « الرنة » .

ورمضان نائق وشوال واغل وذو القعدة هواع وذو الحجة برك ويقال فيه أيضاً أبروك وكانوا يسمونه الميمون .

(وأما القسم المستعمل) فالحرم وصفر وريمان وجاديان ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه الأسماء وضعت على هذه الشهور باتفاق حال وقت في كل شهر منها فسمى ذلك الشهر بها عند ابتداء الوضع فسموا الحرم محرماً لأنهم كانوا يغيرون فاتفق أن أغاروا في هذا الشهر فلم ينجحوا فحرموا القتال فيه فسموه محرماً وسموا صفرًا لصفر بيوتهم فيه منهم عند خروجهم إلى الغارات . وقيل لأنهم كانوا يغيرون الصفرية وهي بلاد . وشهر ربيع لأنهم كانوا يخصبون فيها بما أصابوا في صفر والربيع الخصب ، وقيل غير ذلك والذي ذكر أليق بالتعليل حكاه ابن النحاس في كتاب (صناعة الكتاب) وجاديان من جهد الماء لأن الوقت الذي سمي فيه بهذه التسمية كان الماء جامداً . ورجب لتعظيمهم له والترجب التعظيم وقيل رجب لأنه وسط السنة مشتق من الرواجب وهي أنامل الإصبع الوسطى ، وقيل إن المود رجب النبات فيه أي أخرجه فسمى بذلك ، وكذلك تشعب العود في الشهر الذي يليه فسمى شعبان ، وقيل سمي بذلك لتشعبهم فيه للغارات ، وسمى رمضان أي شهر الحر مشتق من الرمضاء وقد صادف ذلك وقت التسمية ، وشوال من شالت الإبل أذنانها إذا حالت أو من شال يشول إذا ارتفع وذو القعدة لعودهم فيه عن القتال إذ هو من الأشهر الحرم وذو الحجة لأن الحج اتفق فيه فسمى به .

ويقال أن أول من سماها بهذه الأسماء كلاب بن مرة ، ومن مجموع هذه الأشهر أربعة حرم : ثلاثة سرد وهي ذو القعدة وذو الحجة والحرم ، وواحد فرد وهو رجب مضر على الإضافة لأن ربيعة كانت تحرم رمضان وهذا الترتيب رواه الأصمعي عن العرب ، واخذوا غيره أن يبدأ في العدد بالحرم ثم رجب وذو القعدة وذو الحجة لتكون الأربع كلها معدودة في سنة واحدة . وروى عن ابن عباس

رضى الله تعالى عنه ، وأبدى بعضهم لترتيب الأشهر الحرم على هذا الوجه مناسبة لطيفة حاصلا أن للأشهر الحرم مزية على ما عداها فناسب أن يبدأ بها العام وأن تتوسطه وأن تختم به ، وإنما كان الختم بشهرين لوقوع الحج ختام الأركان الأربعة لأنها تشتمل على عمل مال محض وهو الزكاة وعمل بدن محض وذلك تارة يكون بالجوارح وهو الصلاة . وتارة بالقلب وهو الصوم لأنه كف عن المفطرات ، وتارة عمل مركب من مال وبدن ، وهو الحج فلما جمعهما ناسب أن يكون له ضعف ما لو احده منها فكان له من الأربعة الحرم شهران . وكانوا يعظمون هذه الأشهر ويمرمون القتال فيها حتى إن الرجل منهم لو لقي قاتل أبيه أو قاتل أخيه لم يكلمه وهم يعظمون أول يوم من رجب أوفر تعظيم حسبا يختر بالبال ، ومن سنتهم فيه أن يصلح بين من كان بينه وبين غيره موجلة . . ومن هذه الأشهر أربعة لا تكاد العرب تنطق بها إلا مضافة وهي شهر ربيع وشهر رجب وشهر رمضان والأشهر المتفقة أوائلها^(١) الحرم مثله شوال . صفر مثل رجب . ربيع الأول مثله

(١) ههنا ضابط لا ينبغي معنى هذا الكلام إلا بإيراد . وهو : أنهم وضعوا لكل شهر من شهور السنة حرفا وذلك لمن يريد أن يعرف اليوم الذي يدخل به الشهر العربي في عامه ويجمع تلك الحروف قوله (أجد وزب جهر أبد) فللمحرم الآلاف واصفر الجيم وهكذا . . . وكيفيتها : معرفة أول أي شهر أردت أنك تأخذ حرف شهرك المجهولة رؤيته وتبدأ بالعدد من اليوم الذي دخل به عامك العربي وهو المحرم فحيث انتهى لك العدد فذلك اليوم الذي يدخل به شهرك المطلوب .

مثال ذلك : أن أول المحرم من هذا العام — ١٣٤٠ — كان الاحد ، فإذا أردت أن تعرف اليوم الذي يتدنى به ذو القعدة مثلا فخذ حرفه وهو (الباء) وعدده بحسب الجمل (اثنان) فتقول : الاحد الاثنان فتقف على الاثنان فإنه أول ذو القعدة وهلم جرا . . فإذا عرفت هذا الضابط الذي هو مناط الترتيب على كثير من الناس تبين لك معنى قوله : والأشهر المتفقة أوائلها الحرم مثله شوال الخ . . واعلم أنك إذا ضل عنك الشهر العربي ولم تعلم في أي شهر أنت فيه من شهور العام تعد من يناير إلى الشهر المعجمي الذي أنت فيه وأحمل على العدد سبعة أبدا فما اجتمع بدأت به من جمادى الأولى متعديا على الشهور فعلى أي شهر وقف حسابك ففيه أنت إن شاء الله . وأيضا إذا لم تعلم بأي يوم دخل فانتظر بأي يوم أهل الهلال في الشهر الذي أنت فيه ثم خذ علامة ذلك الشهر وعدّها إلى وراء من اليوم الذي هل به الشهر الذي أنت فيه فحيثما انتهى حسابك فيما قبل فهو اليوم الذي يدخل به الحرم . وهناك ضوابط كثيرة مهمة من هذا القبيل تجدّها في كتب الفلك والله ولي التوفيق

ذو الحجة . ربيع الآخر مثله رمضان ، جمادى الآخرة مثله ذو القعدة ، والشهور النيرة للثقة جمادى الأولى وشعبان . والله ولي التوفيق وهو المستعان ، وقد أوردنا من أفعالهم وأعمالهم التي جربها الإسلام وأبطلها الشرع الحمدي ما فيه الكفاية في هذا المقام ، وأما استيعابها فيحتاج إلى كتب مفصلة ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد ، ومن تتبع كتب المتقدمين ، وشروح دواوين الجاهليين ، أمكنه أن يقف على أكثر مما ذكرنا .

ذكر ما ظله العرب في الجاهلية من العلوم والمعارف

قد أسلفنا في أوائل الكتاب أن العرب كانوا على أقسام مختلفة ، وأصناف متفارية ، وأن البائدة منهم كماد وثمود وطسم وجديس إلى غير ذلك من الأمم قد اقرضوا واقطعت عنا أخبارهم وتفاصيل أحوالهم . وأن غير البائدة (وهم موضوع الكتاب) قد تفرعوا من عدنان وقحطان : أما قحطان وهم عرب اليمن فقد كانوا على أحسن ما يكون من التمدن والغالب منهم سكن البلاد المصورة ، وبنوا القصور المشهورة ، وشيدوا الحصون المذكورة . وكانت لهم مدن عظيمة قد شرح حالها أهل الأخبار على أتم وجه . هذه (سبأ) قد ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم فقال عز اسمه (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِنتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) وكان لهم ملوك وأقيال دؤخوا البلاد واستولوا على كثير من أقطار الأرض ؛ كل ذلك يدل على كمال وقوفهم على العلوم التي لا بد منها في حفظ النظام وعليها مدار المعاش والانتعاش وسياسة المدن وتدير المنزل والجيوش وتأسيس المدن وإجراء المياه وغير ذلك مما لا يمكن وجوده مع الجهل وعدم المعرفة وكانت لهم أدبان مختلفة وقد أرسل الله تعالى لهم من بلنهم ما أراد من الأوامر

والأحكام فآمن مَنْ آمَن وكذب من كذب كحال غيرهم من الأمم وكانت لهم اليد الطولى في كثير من الصناعات وكانت للتبابعة والجبارة منهم مذاهب في أحكام النجوم وغيرها : كل ذلك من المسلمات التي لا يمكن لأحد التوقف في قبولها ولا التردد في الإذعان لها وقد نطق متواتر الأخبار الصحيحة بها . . وأما بنو عدنان ومن جاورهم من عرب اليمن بعد أن فرقتهم حادثة سيل الترم ، فشكلوا على شريعة موروثه وعلم منزل من السماء وهو ما جاء به إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى أن اختل أمرهم ، وتغير حالهم ، بمرور العصور ، وتطاول الدهور ، فأهلوا ما كانوا عليه من الدين ، وتركوا شديد القوانين ، ودانوا بما وضع لهم الخراسي^(١) وابتدعه لإغوائهم من الأحكام الباطلة واقتدوا بأقواله وأفعاله ، فن ذلك اليوم فشا الجهل بينهم وقل العلم فيهم وأضاعوا صنائعهم ونشبتوا في الأطراف والأكناف ، ووقع التنازع والتشاجر بين القبائل وتكاثر البغضاء بينهم ، فلم يبق عندهم علم منزل ولا شريعة موروثه من نبي ولا هم أيضاً مشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضة كالطب والحساب ونحوهما إنما عليهم ما سمحت به قرائعهم من الشعر والخطب أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء والنجوم أو من الحروب ونحو ذلك . وكانوا يقال لهم الأمة الأمية . قال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يَتْلُو عليهم آياتِهِ وَرَزَقَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْ قَدْ ضَلُّوا مُبِينٍ) فإن المراد من الأميين العرب والأُمى منسوب إلى أمة العرب ولما كانت علومهم القطرية ومعارفهم الطبيعية مما تدل على حدة أذهانهم ، وقوة فطنتهم ، وكال استمدادهم وأنها تدل على أنهم فاقوا على^(٢) غيرهم ، أحبت

(١) هو عمرو بن لحي (٢) الصواب : فاقوا غيرهم لأن فاق يتعدى بنفسه . . قال المجد : فاق أصحابه فوقاً وفوقاً علامه بالشرف . انتهى . وفي الحديث : جيب إلى الجمال حتى ما أحب أن يفوقني أحد بشراك نعل . وقال الشاعر : -
فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع

أن أذكر نبذة منها مع تعريفها وتوضيحها وبيان ما يناسب من الأخبار التي صحت بها الرواية ، وثبت عن الثقات من أهل الدراية . فن علمهم :

علم الشعر والفريضة

اعلم أن الشعر أكثر علم العرب ، وأوفر حظوظ الأدب ، وأحرى أن تقبل شهادته ، وتمثل إرادته ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : إن من الشعر لحكمة . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : نهم ما تعلته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم ؛ مع ما للشعر من عظم المزية ، وشرف الأبيية ، وعز الأنفة ، وسلطان القدرة . وفي عمدة ابن رشيقي^(١) : العرب أفضل الأمم ، وحكمتها أشرف الحكم كفضل اللسان على اليد ، والبعد عن امتهان الجسد ، إذ خروج الحكمة عن الذات ، بمشاركة الآلات ، فإنه لا بد للإنسان من أن يتولى ذلك بنفسه ، أو يحتاج فيه إلى آلة أو معين من جنسه ، وكلام العرب نوعان : منظوم ، ومنثور ولكل نوع منهما ثلاث طبقات : جيدة ، ومتوسطة ، وردئية ، فإذا اتفق الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ولم يكن لأحدهما فضل على الأخرى كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة . ألا ترى أن الدر وهو آخر اللفظ ونسيبه وإليه يقاس وبه يشبه إذا كان منثوراً لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب ، ومن أجله انتخب ، وإن كان أعلى قدراً ، وأعلى تمناً ، فإذا نظم كان أصون له من الابتغال ، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال ، وكذلك اللفظ إذا كان منثوراً تهدد في الأسماء ، وتذخر عن الطبع ، ولم يستقر منه إلا المفرطة في اللفظ وإن كانت أجمل ،

والواحدة من الألف وعسى أن لا تكون أفضله ، فإن كانت هي اليتيمة ^(١) المروفة
والقريدة الموصوفة ، فكم في سبط الشعر من أمثالها وظواهرها لا يهبأ به ولا ينظر
إليه ، فإذا أخذ سلك الوزن وعقدة القافية تألفت أشباته ، وازدوجت فرائده
وبناته ، واتخذته اللابس جمالاً ، والدخّر مالاً فصار قرطة ^(٢) الأذان ، وفلائد
الأعناق ، وأما في النفوس ، وأكالييل الرؤوس ، يقلب بالألسن ، ويخبأ في القلوب
مصوناً باللب ، ممنوعاً من السرقة والنصب ، وقد اجتمع الناس على أن المنشور
في كلامهم أكثر وأقل جيداً محفوظاً ، وأن الشعر أقل وأكثر جيداً محفوظاً
لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب جيد المنشور . وكان الكلام كله
منشوراً ، فاحتاجت العرب إلى الفناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعرافها ، وذكر
أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأنجاد ، وسمحاتها الأجواد ، لتمر
أنفسها إلى الكرم ، وتدل أبنائها على حسن الشيم ، فتوهوا أعاربض جملوها
موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لأنهم قد شعروا به أى فطنوا .
وزعم ^(٣) الرواة أن الشعر كله إنما كان رجزاً أو قطعاً وأنه إنما قصد على عهد هاشم
ابن عبد مناف . وكان أول من قصده مهلهل واسرؤ القيس ، وبينهما وبين محيى
الإسلام مائة وثيف وخمسون سنة ذكر ذلك الجحى وغيره . . وأول من طول الرجز
وجعله كالتقصيد الأغلب العجلي شيئاً يسيراً وكان على عهد النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ، ثم أتى المعجاج فافتن فيه فالأغلب العجلي والمعجاج في الرجز كاسرىء القيس
ومهلهل في القصيد . . وسئل أبو عمرو بن العلاء ^(٤) : هل كانت العرب تطيل ؟
قال : نعم ليسمع منها . قيل : هل كانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها . ويستحب
عندهم الإطالة عند الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب والإصلاح بين التبتائل
كما فعل زهير والحارث بن حنظلة ومن شابههما ، وإلا فاقطع أطير في بعض المواضع
والطوال للمواقف المشهورة .

(١) أى البدة التى لا نظير لها . (٢) قرطة : على وزن منبة جمع قرط
وهو ما يعلق في شحمة الأذن (٣) العمدة : ج ١ ص ١٢٦ (٤) العمدة : ج ١
ص ١٢٤ .

امتطاء الفبائل بشعرائها

ومن مذاهب العرب أن القبيلة منهم كانت إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل
فهنأها بذلك وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالزاهر كما يصنعن
بالأعراس ، وتباشروا به لأنه حاية لأعراضهم ، وذبح عن أحسابهم وتخليد لما ترم ،
وإشادة بذكورهم ، وكانوا لا يهتئون إلا بغلام يؤلد أو فرس تذبج أو شاعر ينبغ
فيهم . فمن حى قبيلته زياد الأعجم : وذلك أن الفرزدق هم بهجاء عبد القيس
فبلغ ذلك زياداً — وهو منهم — فبعث إليه : لا تعجل فإني مهدي إليك هدية
فا تظر الفرزدق الهدية فجاءه من عقده هجو وهو هذا :

وماترك الهاجون لي إن هجوته مصحاً أراه في أديم الفرزدق
ولا تركوا عظماً يرى تحت لحيه لكاسره أبقوه المتعرق
سأكسر ما أبقوا له من عظامه وأنكت مخ الساق منه وأنتقى
فأنا وما تهدي لنا إن هجوتنا اسكالبحر مهما يلقي في البحر يفرق

فلما بلغت الأبيات كف عما أراد ، وقال : لا سبيل إلى هجاء هؤلاء ما عاش
(العبد) هذا فيهم . وهجا (عبد الله) بن الزبيري السهمي بنى قصي فدفعوه
برمته إلى عتبة بن ربيعة خوفاً من هجاء الزبير بن عبد المطلب وكان شاعراً مُلقاً
شديد المعارضة قذع الهجاء ، فلما وصل عبد الله بن الزبيري إليهم أطلقه حمزة بن
عبد المطلب وكساه . فقال عبد الله :

لعمرك ما جاءت بنكر عشيرتي وإن صالحت إخوانها لا ألومها

(١) جمع مظهر كمنبر وهو العود يضرب به . (٢) عرق العظم وتعرقه :
اكل ماعليه من اللحم نهتسا باسمائه (٣) نكت العظم : اخرج مخه . ونقوت
العظم وانتقيته : استخرجت مخه . قال الشاعر :

ولا يسرق الكلب السروق نعالنا ولا ننتقى المخ الذي في الجمجم
وفي حديث عمرو بن العاص يصف سيدنا عمر (رض) : ونكت له محتنتها ،
يعنى الدنيا يصف ما فتح له منها .

فود جُناةُ الشرَّانَ سَيُوفَنَا بِأَيِّماننا مسلولةٌ لَانْشِيمُهَا^(١)
فإنَّ قَصِيًّا أهلَ عَزْرٍ وَنَجْدَةٍ وَأهلَ فَعَالٍ لَا يُرَامُ قَدِيمُهَا
مُمْ مَنَعُوا يَوْمَئِذٍ عَكَاظَ نِساءنا كَأَنَّ الشَّوْلَ المِجَنَّ قَرُومُهَا^(٢)
وكانَ الزَّبيرُ غائبًا في الطائِفِ فلما وَصَلَ إلى مَكَّةَ وَبَلَغَهُ الخَبَرُ قالَ :

فَلَوْلَا نَحْنُ لَمْ يَلْبِسَ رِجالٌ ثِيابَ أَعْزَرٍ حَتَّى يَمُوتُوا
فِيهِمْ سِمَالٌ أَوْ طِمَارٌ بِهَا دَسَمٌ كَمَا دَسَمَ الْحَمِيَّتُ^(٣)
وَلَكِنَّا خَلَقْنَا إِذْ خَلَقْنَا لَنَا الحِجْرَتِ وَالْمَسَكُ الْقَتَبُ^(٤)

والأخبار في هذا الباب ، لا يحيط بها الاستقصاء والحساب ، وقد عمل بهذا المذهب إلى صدر الإسلام ، ولولا خوف التتويل لأوردنا شيئاً من ذلك في هذا المقام .

تنقل الشعر في القبائل

ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الجحى في كتاب الطبقات وغيره من المؤلفين أن الشعر كان في الجاهلية في ربيعة . وكان منهم مهلهل بن ربيعة واسمه عدى . وقيل امرؤ القيس وسعى مهلهلاً لهلملة شعره أى رفته وخفته ، وقيل لاختلافه ، وقيل بل سعى بذلك لقوله :

(١) شام سيفه يشيمه : غمده واستله ضد . (٢) يوما عكاظ : هما من أيام العرب الشهيرة ، وعكاظ سوق يصحراء بين نخلة والطائف . راجع الجزء الأول (ص ٢٦٦) ، والشول جمع شائلة على غير قياس والشائلة من الأبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجفت لبنها ، والشائل بغير هاء التى تشول - ترفع - بلذنها اللقاح ولا لبن لها أصلاً والجمع شول كرفع جمع راعى . والهجان : من الأبل الخالصة اللون والمتقى وهى أكرم الأبل : والقروم : جمع القرم سبالفتح - وهو الفحل (٣) قوله : سمال . يقال سمل الثوب سمولاً وسمولة ، أخلق كاسمل وسمل ككرم فهو ثوب أسمال كما يقال رمح أقصاد وبرمة أعشار ، والطمار : الثياب البالية . والدسم : الودك من لحم ودسم . والحميت : وعاء السمن كالعكة ، وقيل وعاء السمن الذى متن بالرب ، وقيل الزرق الصغير أو الزق بلا شعر . (٤) الحبرة وزن منبة ثوب يمانى من قطن أو كتان مخطط يقال برد حبرة على الوصف وبرد حبرة على الأضافة والجمع حبر وحبرات مثل مثل عنب وعنبات . قال الأزهري : ليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً إنما هو وصى معلوم أضيف الثوب إليه كما قيل ثوب قرمز بالأضافة والقرمز صبغه فأضيف الثوب إلى الوشى والصبغ للتوضيح (المصباح) .

لما تقول في السكرع شريدم هلهت اثار جابراً أو صنبلاً^(١)
ويروى (لما تومر^(٢) في الكلاب هجينهم) قال أبو سعيد الحسن بن الحسين
السكرى : يعنى بقوله امرأ القيس بن حمام الذى ذكره امرؤ القيس في شعره
حيث يقول :
عوجا على الطلل المحيل لأنا نبكى الديار كما بكى ابن حمام^(٣)

(١) صنبيل : قال المجد « صنبيل كخندف علم رجل من تغلب » والهجين :
قال الزبيدي « هو امرؤ القيس بن الحمام ، وجابر وصنبيل من بنى تغلب » .
وروى الجوهري « مالكا » بدل « جابراً » وهو غير صواب (٢) أى أخذ في مكان
وعر . (٣) البيت هو من قصيدة لامرئ القيس استشهد به صاحب الكشف
عند قوله تعالى (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) بفتح الهمزة في قراءة
اهل المدينة بمعنى (لعل) كما ان (لائنا) في البيت بمعنى (لعلنا) . قال ابن
رشيقي في العمدة (ج ١ ص ٥٤) : (يروى في البيت — لائنا بمعنى لعلنا وهى
لغة امرئ القيس فيما زعم بعض المؤلفين والذي كنت اعرف (لعلنا) (بالعين
ونونين) والمحيل : الذى اتى عليه الحول . وعوجا : أمر من عجت البعير
أوجه عوجا ومعاجا اذا عطف راسه بالزمام . وابن حمام : شاعر قديم ، وليس
هو ابن حذيم الطبيب المشهور الذى يضرب به المثل في الطب فيقال (طب
بالحى من ابن حذيم) كما وهم ابن الأثير في المصنع . قال العلامة الشيخ عبد
القادر الخدادى في خزنة الأدب (ج ٢ ص ٢٣٤) : (جميع من ذكر ابن حمام
الشاعر لم يقل أنه هو ابن حذيم الطبيب ، وقد اختلف في ضبط اسمه فالذى
رواه الأمدى — ابن خدام — بمعجمتين . قال : من يقال له ابن خدام منهم
ابن خدام الذى ذكره امرؤ القيس في شعره وهو أحد من بكى الديار قبل امرئ
القيس ودرس شعره قال امرؤ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لأنا نبكى الديار كما بكى ابن خدام
قوله (لائنا) يريد (لعلنا) ذكر ذلك أبو عبيدة وقال : قال لنا أبو الويثيق
ممن ابن خدام ؟ قلنا ما تعرفه . فقال : رجوت أن يكون علمه بالأمصار . قلنا :
ماسمعنا به . فقال : بلى قد ذكره امرؤ القيس وبكى على الديار قبله فقال
(كانى غداة البين يوم تحملوا) البيت انتهى . وقال ابن رشيقي في العمدة :
الذى اعرف ان (ابن خدام) بدال معجمة وجاء غير معجمة كما روى الجاحظ
وغيره . انتهى . وضبطه بعضهم (ابن حمام) بحاء مهملة مضمومة بعدها
ميم غير مشددة واسم امرؤ القيس . قال الأمدى عند ذكر المسمين بامرئ القيس :
ومنهم امرؤ القيس بن حمام . ثم ذكر نسبه ، وقال : والذي أدركه الرواة
من شعره قليل جدا وكان امرؤ القيس هاربا فقال مهلهل :

لما توغل في الكراع هجينهم هلهت اثار جابراً أو صنبلاً
في قصة المذكورة في أخبار زهير بن جندب وبهذا البيت قيل لمهلهل (مهلهل)
وبعض الرواة يروى بيت امرئ القيس بن حمام :
عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن حمام

وكان مهلهل تبعه يوم السكالب فقاته ابن الحام بعد أن تناوله بالرمح وقد كان ابن الحام أغار على بنى تغلب مع زهير بن جَناب فقتل جابراً وصنبلاً . وروى لأتينا بمعنى لعلنا وهى لمة فيما زعم بعض المؤلفين ، وكان مهلهل أول من قصد القصائد . قال الفرزدق (ومهلهل الشعراء ذاك الأول) وهو خال امرئ القيس ابن حجر وجد عمرو بن كلثوم لأمه . ومنهم للرفشان والأكبر منهما عم الأصفر والأصغر عم طرفة ابن العبد واسم الأكبر عوف بن سعد وعمرو ابن قَيْثَة ابن أخته ^(١) ، ويقال إنه أخوه ، واسم الأصفر حرملة ، وقيل ربيعة ابن سفيان وهذا أعرف . . ومنهم سعد ابن مالك الذى يقول :

يا يابُوسَ للحربِ التى وضعتْ أراهِطَ فاستراحُوا ^(٢)

يعنى امرأ القيس هذا ويرى ابن خدام . انتهى . ومثله للعسكري فى كتاب التصحيف قال : ومنهم امرؤ القيس بن حمام بن عبيدة بن هبل ابن أخى زهير بن جَناب بن هبل ويزعم بعضهم أنه الذى عنى امرؤ القيس بقوله (بنكى الدبار كما بنكى ابن خدام) وكان يغزو مع مهلهل وأياه أراد مهلهل بقوله (لما توغل فى الكلاب هجينهم ، البيت فالهجين هو امرؤ القيس ابن حمام وجابر وصنبل رجلاً من بنى تغلب . انتهى . . .) .

(١) فى العدة : (ابن أخيه) فليحقق ؛ (٢) هذا البيت من قصيدة له قالها فى حرب البسوس حين هاجت بين بكر وتغلب لقتل كليب ، واعتزل الحرث بن عباد وقال هذا أمر لاناقة لى فيه ولاجمل فعرض سعد فى هذا الشعر بقعوده وقد أوردنا القصيدة فى الجزء الثانى (ص ١٤٩) فلتراجع . وقوله يابُوس للحرب اللام فيه لتأكيد الإضافة وهى إضافة لانتخصص ولا تعرف وهذه اللام على هذا الحد لا توجب إلا فى بايبن أحدهما فى باب النفى بلا وذلك نحو لا غلامى لك ولا أبالك وما أشبههما ، والثانى فى باب النداء فى مثل قوله يابُوس للحرب وانما المعنى يابُوس الحرب ألا ترى أنه لو لم يرد الإضافة لئون يابُوس فى النصب لكونه تكرة أو كان يجعله معرفة فيبنيه على الضم وقد اتى الشاعر به فى باب النفى على أصله فى الإضافة فقال :

أبا موت الذى لا بد أنى ملاقى لا أباك تخسوفينى

والذى يدل على أن هذه الإضافة لانتخصص أن (لا) قد عمل معها وهو انما تعمل فى التكرات . وأراهِط جمع أراهط وهو النهر من ثلاثة الى عشرة ، فإذا نصبت أراهِط جعلت الحرب القاطلة ، وليس الوضع هنا ضد الرفع وانما المراد أنها تركتهم فلم تكفلهم القتال وانما يعنى الحرث ابن عباد ومن كان مثله فى اعتزال الحرب ، ومن رفع أراهِط فالمعنى يابُوس للحرب التى وضعها أراهِط وهذا اللفظ هو الأصل لأن قولك ترك بنو فلان الحرب هو واجب الكلام ، وقولك تركت الحرب بنو فلان مجاز واتساع . انتهى بتصرف من شرح ديوان الحماسة .

وطرفة بن العبد بن سفيان وعمرو بن قميصة والحارث بن حازمة والمتلمس وهو خال طرفة ، واسمه جرير بن عبد المسيح . والأعشى واسمه ميمون بن قيس ابن جندل . وخاله السيب بن علس واسم السيب زهير . ثم تحول الشعر في قيس فنهج النابتان ، وزهير بن أبي سلمى ، وابنه كعب لأنهم ينسبون في بني عبد الله ابن عطفان ، واسم أبي سلمى : ربيعة ، ولبيد ، والحطيئة ، والشماخ واسمه معقل ابن ضرار ، وأخوه مزرد واسمه جزء بن ضرار . وقيل يزيد وجزء (أخوها) وكان مزرد ^(١) شرباً يهجو ضيوفه وهجا قومه عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال :

تعلم رسول الله أنا كأنما أفأنا بأعمار ثمالب ذى ضحل
تعلم رسول الله لم أر مثلهم أجز على الأدنى وأحرم للفضل
الضحل : الماء القليل في الأرض لا عبق له جمعه أضحال . ومنهم خدش ابن زهير وكان له السبق في الشعر في وقته . ثم استقر الشعر في تميم ومنهم أوس ابن حجر شاعر مضر في الجاهلية ولم يتقدمه أحد منهم حتى نشأ النابتة وزهير فأخلاه وبقي شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع . وكان الأصمعي يقول : أوس أشعر من زهير ولكن النابتة طأطأ منه وكان زهير راوية أوس ، وكان أوس زوج أم زهير وسئل حسان بن ثابت : من أشعر الناس ؟ فقال : أرجل أم حيا ؟ قال : حيا فقال : أشعر الناس حيا هذيل . وقال ابن سلام الجعفي : وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع . وقال الأصمعي : قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح الناس لساناً وأعربهم ^(٢) أهل السروات وهن ثلاث وهى الجبال المطلة على تهامة بما يلي اليمن فأولها هذيل وهى تلى السهل من تهامة ثم بحيلة السراة الوسطى . وقد شركتهم ثقيف في ناحية أخرى منها ثم سراة الأزرد أزد شنوءة قوم بنو الحارث بن كعب بن الحارث ابن نصر بن الأزرد وقال أبو عمرو : أفصح الناس عليا تميم وسفلى قيس . وقال أبو زهد : أفصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة يعنى عجز هوازن . قال ولست أقول :

(١) ترجمته في الاصابة للعسقلاني ج ٥ ص ٨٥ . (٢) في العمدة (واعلم بهم)

قالت العرب إلا ما سمعت منهم ، وإلا لم أقل قالت العرب . . وأهل العالية أهل المدينة ومن حولها ومن يليها ومن دنا منهم ولتهم ليست بتلك عندهم^(١) . وقوم يرون تقدمه الشعر لئيم في الجاهلية باسمي القيس وفي الإسلام بحسان بن ثابت ، وفي المولدين بأبي نواس وأصحابه مسلم بن الوليد وأبي الشيص ودعل كلهم من البين . وفي الطبقة التي تليهم بالطائفتين أبو تمام والبحرئ ويختصون الشعر بأبي العليب وهو خاتم الشعراء لا محالة . وكان ينتسب^(٢) في كندة وهي رواية ضعيفة وإنما ولد في كندة بالكوفة فيما حكاه ابن جني . وإلا فكان غامض النسب فيقولون بدى الشعر بكندة يعنون أمراً القيس — وختم بكندة — يعنون أبا العليب وزعم بعض المتأخرين أنه جني ، وقوم منهم صاحب بن عباد يقولون : بدى الشعر بملك وختم بملك . يعنون أمراً القيس وأبا فراس الحرث بن سعيد بن حمدان . وقال آخرون : بل رجع الشعر إلى ربيعة ختم بها كما بدى بها يريدون مهلاً وأبا فراس وأشعر أهل المدر بإجماع من الناس واتفاق حسان بن ثابت . وقال أبو عمرو بن العلاء : ختم الشعر بدى الرمة والرجز بروبة بن العجاج . وزعم يونس أن العجاج أشعر أهل الرجز والقصيد . قال : وإنما هو كلام وأجودهم كلاماً أشعرهم ، والعجاج ليس في شعره شيء يستطيع أحد أن يقول : لو كان مكانه غيره كان أجود ، وذكر أنه صنع أرجوزته (قد جهر الدين الإله خبر^(٣)) فيها نحو مائتي بيت وهي موقوفة مقيدة . قال : ولوأطلقت

(١) في — ع — (عنده) (٢) في — ع — (ينسب) (٣) هذا الشطر مطلع أرجوزة طويلة له ، وهي — كما قال — نحو مائتي بيت مدح بها عمر بن عبد الله بن معمر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجهه لقتال أبي فديك الحروري فأوقع به وبأصحابه . . . وبعدة :

وعصور الرحمن من ولي الصور
فالحمد لله الذي أعطى الشجر موالى الحق أن المولى شكر
إلى أن قال : —

واختار في الدين الحروري البطر في بشر لا حور سرى وما شعر
والقصّة في نهاية الأرب للنويري، وخزانة الأدب الشيخ عبد القادر البغدادى
(ج ٢ ص ٩٧)

فيها وتباعدها فيها الوزن لكأنت منصوبة كلها . وقال أبو عبيدة : إنما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك إذا حارب أو شاتم أو ظفر حتى كان المبحاج أول من أطله ، وقصده ، ونسب فيه ، وذكر الديار ، واستوقف الركاب عليها ، ووصف مافيا ، وبكى على الشباب ، ووصف الراحلة ، كما فصل الشعراء بالقصيد ، فكان في الرجاز كأمري^١ القيس في الشعراء . وقال غيره : أول من طول الرجز الأغلب العجلي وهو قديم . وزعم الجحى وغيره أنه أول من رجز ، وما أظن ذلك صحيحاً إلا أنه إنما كان على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك . وكان أبو عبيدة يقول : افتتح الشعر بأمري^٢ القيس وختم بان هرمة ولم أر أهد من الذي قال : أشعر الناس من أنت في شعره .

أنف شعراء العرب مع التكسب بالشعر

كانت العرب لا تتكسب بالشعر وإنما يصنع أحدهم ما يصنع فكاهاة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها . قال امرؤ القيس بن حُجر يمدح بني تميم رهط المولى :

أفرّ حشئ امرئ القيس بن حُجر^(١) يَنو تسم مَصاييحُ الظلام

لأن المولى أجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء فقبل لبني تميم مصاييح الظلام بيت امرئ القيس . وقال أيضاً لسعد بن الصباب :

سأجزيك الذي دافعت عني وما يميزيك عني غير شكري

فأخبره أن شكره هو النافاة في مجازاته ، حتى نشأ النافاة الذُبْياني فسدح الملوك ، وقبل الصلة على الشعر ، وخضع للنعمان بن المنذر ، وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو سار إليه من ملوك غسان ، فسقطت منزلته

(١) لى سكن روعه .

وكسب مالا جزيلًا حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيها من عطايا الملوك. وتكسب زهير بن أبي سُلَيْمٍ يسيرًا مع هَرَمِ بْنِ سَنان ، فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجرًا يتجر به نحو البلاد ، وقصد حتى ملك العجم فَأَثَابَهُ ، وأجزل عطيته ، لعله بقدر ما يقول عند العرب ، واقتداء بهم فيه ، على أن شعره لم يحسن عنده حين فسر له بل استخف به واستهجنه لكنه حَذَا حَذْوَ ملوك العرب ، . وأكثر العلماء يقولون إنه أول من سأل بشعره وقد علمنا أن النابغة أَسَنَ منه وأقدم شعراً وقد ذكر عنه من التكسب بالشعر مع النعمان بن المنذر مع ما فيه قبيح من مجاعة^(١) الحاجب ، ودسّ الندماء على ذكره بين يديه ، وما أشبه ذلك . وذكر أن أبا عمرو بن العلاء سئل : لم خضع للنعمان النابغة ؟ قال : رغب في عطاياه وعصافيره وأما زهير بن أبي سُلَيْمٍ فما بلغ الطائي قط معرفة باحتذاء من يمدحه ويدلّك على ذلك ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لابنة زهير حين سألتها : ما فعلت حلل هَرَمِ بْنِ سَنان التي كساها أباك ؟ قالت : أبلاها الدهر . قال : لكن ما كسا أبوك هَرَمًا لم يبله الدهر . وقال لبعض ولد هَرَمِ بْنِ سَنان : أنشدني ما قال فيكم زهير فَأَنشده . فقال : لقد كان يقول فيكم فيحسن . قال : يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل . قال : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم . . ثم إن الخطيئة أكثر من السؤال بالشعر وانحطاط الهمة فيه حتى مقت وذل أهله ، وهلم جرا إلى أن حرم السائل وعدم المشول . وأما أكثر من تقدم فالتألب على طباعهم الأنفة من السؤال بالشعر وقلة التعرض به لما في أيدي الناس إلا فيما لا يزرى بقدر ولا مروءة مثل الفتنة النادرة ، والمهمة العظيمة ، ولهذا قال عمر رضى الله تعالى عنه : نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته . ألا ترى أن ليبد بن ربيعة لما

(١) جاعله مجاعة وجمالا : رشاه . وفي الأساس هو يجاعله أى يصانعه برشوة .

(٢) راجع صفحة ٢٢ من هذا الجزء

بعث إليه الوليد بن عقبة مائة من الإبل ينحرها لمادته عند هبوب الصبا وقد أسن وأقل ، وكان يطمئ الناس ما هبت الصبا ، قال لبنته : اشكرى هذا الرجل فإنى لا أجد نفسى تحببى وقد أراى لا أعيا بجواب شاعر فقالت :

إذا هبت رياحُ أبى عقيل دَعَوْنَا عند هبتها الوليداً^(١)
أغرَّ الوجهَ أبيضَ عَشِيمًا أعان على مروءته لبسدا^(٢)
بأمثالِ الهضابِ كأنَّ ركباً عليها من بنى حامٍ قموداً^(٣)
أبا وهبٍ جزاك اللهُ خيراً نحرناها وأطمعنا الثريدا
فمدُّ إنَّ الكريمَ له مَعَادٌ وظنَّى بآبى أرؤى أن يَمُوداً

وعرضها عليه فقال : أجدت لولا أنك استعذت ! كراهيةً في قولها (فد إن الكريم له معاد) ويروى : لولا أنك استعذت . . وقالوا : كان الشاعر في مبتدأ الأمر أرفع منزلة من الخطيب لحاجتهم إلى الشعر في تخاليد المآثر ، وشدة المارضة ، وحماية العشيرة ، وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل ، فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته ، فلما تسكسبوا به وجعلوه طعمةً وتولوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه ، وعلى هذا النهاج كانوا حتى فشت فيهم الضراعة وتطمعوا أموال الناس وجشعوا فحشعوا وإلما نَّت بهم دار الثلة إلا من وقر نفسه وقارها ، وعرف لها مقدارها ، حتى قبض نقيّ العرض مصون الوجه مالم يكن به اضطراب يحل الميتة . فأما من وجد الكفاف والبُلغة فلا وجه لسؤاله بالشعر

(١) هبوب الصبا : كتابة عن القحط (٢) عَشِيمًا : منسوباً الى بنى عبد شمس . ويروى أشم الأنف اروع عَشِيمًا (٣) بأمثال : متعلق بأعان . والهضاب جمع هضبة وهى ما ارتفع من الأرض أو هى كل جبل منبسط . والمعنى : أعان بجمال ضخام أمثال الهضاب لضخامتها . وقد شبهت أسنمتها بقوم سود قاعدين عليها ، وضربت لسواد أسنمتها مثلاً وهم بنو حام اى السودان .

ذكر نبذة من مآثر شعراء العرب وغُرر شعريهم

قد كتبت في هذا المقام عند تأليف هذا الكتاب من أخبار شعراء الجاهلية وأحوالهم ، ما كفانا عنه كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة وغيره من الكتب المؤلفة في هذا الشأن فأسقطته عند الطبع ، وتوضعت عنه بذكر ما انتقاء بعض الأئمة من عيون الأشعار ، وأحاسنها ، وفصوصها ، وفرائدها ، والمختص من الأمثال السائرة ، وللمعاني النادرة ، والألفاظ الفاخرة ، في الفنون المتنايرة ، لسجرة الشعراء وأمراء الكلام الحر ، من لدن امرئ القيس ، ومن يليه من فحول الجاهليين ، ومن يتلوم من مُفلقى المختصرين وهم جراً إلى أعيان الإسلاميين ، وما أورده لكل من المذكورين ، على اختلاف طبقاتهم ، وتباين درجاتهم من أمير شعره ، وواسطة عقده ، ودرة تاجه ، وغرة كلامه ، وبيت قصيده ، وفريدة قلاذته ، ليعلم الناظر في كتابنا هذا ما كان عليه القوم من الميزة الرفيعة فيما امتاز به النوع الإنساني عن غيره ، وما أوتوه من الحكمة وفصل الخطاب ، وما توفيق إلا بالله .

امرؤ القيس بن ميمر الكندي

هو أمير الشعراء ، بشهادة خير الأنبياء ، وسيد الفصحاء ، صلوات الله وسلامه عليه . وذلك أنه ذكر عنده يوماً فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك رجلٌ مذكورٌ في الدنيا منسى في الآخرة يحى يوم القيامة ويده لواء الشعراء يتقدم إلى الدار) فيروى أن كلاً من لبيد وحسان بن ثابت قال : لبت هذه المقالة في وأنا المدهدى فيها فيقال إن أمير شعر أمير الشعراء قوله من قصيدة :

البرّ أجمع ما طلبت به والبرُّ خيرُ حقيبة الرجل

ومن أمثاله السائرة قوله في القناعة والرضى باليسير عند تندر الكثير :

إذا ما لم تكن إبلٌ فَمِعْزَى كَانَ قُرُونُ جِلَّتْهَا مِعْزَى^(١)
فملاً بيتنا أقطاً وَسَمْنَا وحسبك من غنى شبع ورى^(٢)
وبما يضاد هذه الحالة من بعد الهمة والسمو إلى معالي الأمور قوله :

فلو أن ما أسى لأدنى مَعِيشَةٍ كَفَانِي ولم أطلب قليل من المال^(٣)
ولكننا أسى لجد مؤثِّل وقد يدرك الجَدَّ المؤثِّل أمثالي^(٤)
ومن أمثاله السائرة

وقام جَدُّهم بيني أبيهم وبالأشقيين ما حلَّ العِقَابُ^(٥)
وقوله

أراهن لا يحبين من قلَّ ماله ولا من رَأَيْنَ الشَّيْبَ فيه وقومًا
ألا إنَّ بعد العُدْمِ المرءَ فَنَوَّةٌ وبعد المشيب طول عمرٍ ومَلَبَسَا^(٦)

(١) المعزى : ذوات الشعور من الفهم : قال الامام سيبويه : معزى منون مصروف لأن الالف لللاحاق لا للتانيث وهو ملحق بذرهم على فعل لان الالف الملحقه تجري مجرى ما هو من نفس اكلم ، يدل على ذلك قولهم معيل واربط في تصغر معزى واربطى في قول من نون فكسروا ما بعد باء التصغير كما قالوا دريهم ولو كانت للتانيث لم يقبلوا الالف باء كما لم يقبلوها في تصغير حبلى واخرى . وقال الفراء : المعزى مؤنثة وبعضهم ذكرها . وقال ابن الاعرابى : معزى بصرف اذا شئت بمفعول وهى فعلى ولا تصرف اذا حملت على فعلى . وهو الوجه عنده . . و « جلَّتْها » بكسر الجيم وتشديد اللام جمع جليل اى عظيم وهو فى الاصل المسن من الابل فاستعمله الشاعر فى المسن من الفهم مجازاً . ويورد العروضيون البيت (شاهدا فى البحر الوافر) بهذا اللفظ : لنا غنم نسوقها غزار . كان . . . الخ (راجع المختصر الشافى ص ١٧ من طبعة المطبعة الازهرية والحاشية الكبرى للدمهورى ص ٤٦) . (٢) قوله « فتملاً بيتنا » فى رواية اخرى « فتوسع اهلها » . والاقط : بفتح الهزلة وكسر القاف شيء يتخذ من الخيش الفنى (٣) اختلف النحويون فى هذا البيت فمعهم من جعله من باب التنازع ومنهم من لم يجعله ولهم فى توجيهه كلام طويل . وفى كتاب سيبويه : ولا يكون الفعل بغير فاعل واما قول امرئ القيس : فلو ان ما أسى الخ فانما رفع لانه لم يجعل القليل مطلوباً وانما كان المطلوب عنده الملك وجعل القليل كافياً ولو لم يرد ذلك ونصب فسد المعنى . قال الاعلم : اراد كفانى قليل من المال ولم اطلب الملك وعليه معنى الشعر ولو اعمل التانيث ونصب به القليل فسد المعنى . وصف بهد همته ، يقول : لو كان سعى فى الدنيا لادنى حظ منها كفتنى البلغة من العيش ولم اتجشم ما اتجشم . انتهى (٤) المؤثِّل : المؤصل . (٥) يروى (كان) بدل (حل) ، (وما) مقحمة (٦) القنوة : بالكسر والفهم : الكسبة .

وقوله

وقد طَوَّفْتُ فِي الْأَعَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنْ الْفَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

وقوله

إِذَا الرَّمْيُ لَمْ يَمُزِّنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِمُجَزَّانٍ^(١)

وقوله

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كِفَاخِرٍ ضَمِيفٍ وَلَمْ يَنْفَلِكْ مِثْلُ مُفْلَبٍ
وقوله (جَرَّحَ اللِّسَانَ كَجَرَحِ الْيَدِ) وقوله : إِنْ الشَّقَاءُ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَصْبُوبٌ
وَمِنْ قَلَانْدِهِ الْفَاخِرَةُ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ الْفَرَسِ وَلَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَلْحَقْ فِيهِ :
مِسْكَرٌ مِيفَرٌ مُقِيلٌ مُذِيرٌ مَمَّا كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطُّهُ السَّيْلُ مِنْ قَلٍ^(٢)
لَهُ أَبْعَلًا ظَلِي وَسَاقًا نَسَامَةً وَإِرْخَاءَهُ سِرْحَانٍ وَتَقَرِيبُ تَقْفَلٍ^(٣)
وقوله فِي طَوْلِ اللَّيْلِ وَاسْتِمَارَةِ أَوْصَافِهِ مِنَ الْجَلِّ النَّاهِضِ بِالْجَلِّ الْثَقِيلِ :
وَلَيْلٌ كَتَوَجَّحَ الْبَحْرُ أَرْخَى سُدُولَهُ قَلَى بِأَنْوَاعِ الْهُومِ لِتَبْتَلَى^(٤)

(١) يقول : إذا لم يخزن الرمي لسانه على نفسه ولم يحفه مما يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه (٢) قال أبو عبدالله الزوزني : الكر المطف يقال كر فرسه على عدوه أى عطفه عليه والكر والكرور جميعا الرجوع يقال كر على قرنه يكر كرا وكرورا والكر مفعول من كريك ومفعول يتضمن مبالغة قولهم فلان مسعر حرب وفلان مقول ومصقع وإنما جعلوه متضمنًا مبالغة لأن مفعلا قد يكون من أسماء الأدوات نحو المصول والمكتسل والمخزر فجعل كأنه أداة للكرور وآلة لسعر الحرب وغير ذلك . ومفسر : مفعول من فر يفر فرارا والكلام فيه نحو الكلام في مكر . والجلمود : الصخر العظيم . والحط : القاء الشيء من علو إلى سفلى . ومن عل : من فوق ، وفيه سبع لغات . وقوله : كجلمود صخر من إضافة بعض الشيء إلى كله مثل باب حديد وجبة خبز ، أى كجلمود من صخر . انتهى باختصار . (٣) الأيطل : الخاصرة . والإرخاء : ضرب من عدو اللذب يشبه خبيب الدواب . والسرخان : اللذب . والتقريب : وضع الرجلين موضع اليدين في العدو . والتنتقل : ولد الثعلب . . شبه خاصرته هذا الفرس بخاصرته الظبي في الضمر ، وساقيه بساقى النعام في الانتصاب والطول ، وعدوه بارخاء اللذب ، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب فجميع أربعة تشبيهات في هذا البيت .
(٤) شبه ظلام الليل في هوله وصعوبته وتكادته أمره بأمواج البحر . والسدول : السطور الواحد منها سدل ، والإرخاء : إرسال الستر وغيره . والابتلاء : الاختبار . والباء في قوله « بأنواع » بمعنى مع .

فقلت له لِمَا تَعَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكُلِّكِلٍ (١)
 أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا إِنِّجَلِي بِصَبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلٍ (٢)
 أَفَأَظِلُّمٌ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلِّي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْمَعْتُ صَرْمِي فَأَجَلِي (٣)
 وَإِنْ كُنْتُ قَدْ سَاءَتْكَ مَنَى خَلِيقَةٍ فَسَلِّ ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلُ (٤)
 وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمِيكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبِي مَقْتَلٍ (٥)
 لو قاله محدث في الزمان الرقيق لاستظرف ذلك منه فكيف في مثل

(١) تعطى : تمدد . والارداف : الاتباع . والاعجاز : الأخير . وناء : مقلوب نأى بمعنى بعد ، كما قالوا : راء بمعنى رأى ، وشاء بمعنى شأى . والكلكل : الصدر . . استعمار الليل صلباً ، واستعمار لطوله لفظ التمتع ليلائم الصلب ، واستعمار لأوائله لفظ الكلكل ولأخيره لفظ الأعجاز . (٢) الانجلاء : الانكشاف ، يقال : جلوته فانجلي أى كشفته فانكشف ، والأمثل : الأفضل . ومنك : متعلق بأمثل والأصل « بأمثل منك » . وروى : (وما الا صباح فيك) وعليها افتصر الأعلام . وبعد هذا البيت قوله :

فيا لك من ليل كان لنجومه بكل مفار القتل شدت يبذل
 كان الثريا علقت في مصابها بامراس كتان الى صم جندل .
 (٣) هذا البيت لا مناسبة لهيا قبله . بل قد ذكر هو وما بعده في المعناة قبل نحو . (٢٥) بيتا . . . بمعنى مهلاً : رفقاً . والادلل والتدل : أن يثق الإنسان بحب غيره أياه فيؤذبه على حسب ثقته به . وازمعت الأمر وازمعت عليه : وطنت نفسى عليه . والصرم : يقال صرمت الرجل صرمة صرماً إذا قطعت كلامه والصرم الاسم . (٤) الخلقة : الطبيعة . والثياب : من الناس من جعلها في هذا البيت بمعنى القلب كما حملت الثياب على القلب في قوله عنتره : فشككت بالرمح الاسم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم فالمعنى على هذا القول : أن ساءك خلق من أخلاقى وكرهت خصلة من خصالى فردى على قلبى أفارتك . ومن الناس من حملها على الثياب الملبوسة وقال : كنى بتباين الثياب وتباعدها عن تباعدهما . . . والنسول : سقوط الرضى والوبر ، والصوف والشعر ، يقال : نسل ريش الطائر ينسل وينسل نسولاً واسم ماسقط النسل والنسال ومنهم من رواه تنسلي وجعل الانسلاء بمعنى التسلى . والرواية الأولى وأولاهما بالصواب - كما في شرح المعلقات للزوزنى ، وبعد البيت : ومنهم من يرويه قبله أغرك منى أن حبك قاتلى وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل

(٥) ذرفت : دمعت وروى « لتقدحى » موضع « لتضربى » وهو بمعناه . وسهميك : ثننيه سهم والمراد بهما عيناهما . ومعنى في أعشار قلب : أى لتجملية عشر قطع كما تخرق أعشار البرمة إلا أن القلب لا ينجر والبرمة تنجر . وقيل المراد بسهميها العللى والرقيب وهما من سهام الأيسر فالرقيب له ثلاثة انصباء والعللى له سبعة تستولى على قلبى كله . والمقتل : المدلل غاية التذليل .

ذلك الزمان ؟ وهو أول من شبه شينين بشينين في بيت واحد حيث قال في وصف العقاب :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْمُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي (١)
ويستجد من تشبيهه قوله :

كَأَنَّ عُمُونَ الْوَحْشِ حَوَّلَ خِيَانِنَا وَأَرْحَانَا الْجَزْعُ الْقَى لَمْ يُنْقَبِ (٢)
وقد سبق إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعته عليها الشعراء من استيقافه صحبه في الديار ورقة النسيب وقرب للأخذ .

زهير بن أبي سلمى (٣)

هو أحد الأربعة الذين وقع عليهم الاتفاق على أنهم أشعر العرب . وم :
أمرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى . فأما الاختلاف في تفضيل بعضهم

(١) البيت من شواهد التلخيص ، والشاهد فيه التشبيه المكشوف — وهو أن يؤتى على طريق المطف أو غيره بالمشبهات أولا ثم بالمشبهة بها — فهنا شبه الرطب الطرى من قلوب الطير بالعقاب ، واليابس العتيق منها بالحشف البالي (وهو اردا النمر والضعيف الذي لا نوى له) اذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ولذا قال الشيخ الإمام عبد القاهرة : انه انما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا أن للجمع فائدة في عين التشبيه . (٢) قال الأصمعي : الطي والبقرة اذا كانا حين فعيونهما كلها سود فاذا ماتا بدا بياضهما وانما شبههما بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما موتت والمراد كثرة الصيد يعنى مما أكلناه كثرت العيون عندنا . وبه يتبين بطلان ما قيل ان المراد انها قد اطالت مسائرتهم حتى الفت الوحوش رحالهم واخبيتهم . والجزع : يفتح الجيم الغرز اليماني الصيني وفيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش لكنه أتى بقوله « لم ينقب » ايلا فالتحققا للتشبيه ، لان الجزع اذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون . والبيت من قصيدته المشهورة التي عارض بها قصيدة علقمة الفحل . ومطلعها :

خليلي مرابي على ام جندب نقضى لآيات الفؤاد المعذب
ومطلع قصيدة علقمة :

ذهبتم الهجران في غير مذهب ولم يك حقا كل هذا التحنب
وتحكيمهما لام جندب امرأة امرئ القيس وحكما لعلقمة وطلائ امرئ
القيس اياها ، وترويح علقمة لها كله مشهور فلا نطيل به . ومن ارادة فليرجع
الى الأغاني (ج ٧ ص ١٢١)

(٣) سلمى بضم السين وتسكين الهم ليس في العرب سلمى بالضم غيره

على بعض فقام على ساق . وكان يقل : أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والناثبة إذا رهب . والأعشى إذا طرب . وكان زهير أجمع الناس للكثير من اللما في القليل من الألفاظ ، وأحسنهم تصرفاً في اللحن والحكمة .
ويقال إن آياته في آخر قصيدته التي أولها :

أَمِنْ أَمْ أَوْ فِي دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةٍ الدَّرَاجِ فَالْمُتَلَمِّمُ^(١)
تُشَبِّهُ كَلَامَ الْأَنْبِيَاءِ وَهِيَ أَحْكَمُ حِكْمِ الْعَرَبِ . وَهِيَ :

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرِّسُ بِأَنْيَاسٍ وَيُوطَأُ بِمَذْهِمٍ^(٢)
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَرْفُوفَ مَنْ دُونَ عَرْضِهِ يَفْرُهُ وَمَنْ لَا يَنْتَقِي الشَّتْمَ يُشْتَمُ^(٣)
وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يَهْدُمُ وَمَنْ لَا يُطْلِمُ النَّاسَ يُطْلَمُ^(٤)
وَمَنْ يَفْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ^(٥)
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُخَلِّ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُشَقَّقَنَّ عَنْهُ وَيُذْذَمُ^(٦)
وَمِمَّا تَكُنْ عِدَامِي مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ^(٦)

ومن أمثاله السائرة

وَهَلْ يُبْنِيتُ الْخَطِيءُ إِلَّا وَشِيعَةً وَتُفْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النُّخْلُ^(٧)

(١) أم أوفى : اسم عشيقته . والدمنة : ماسود من آثار الدار بانبعث والرماد وغيرهما . وحومانة الدراج والمتنلم : موضعان (٢) المصانعة : الترفق والمداواة . والفرس : المضى على الشيء بالفرس والتفريس مبالغة والتفريس : خف البعير . (٣) وفرت الشيء أفره وفرا كثيره
(٤) اللدود : المنع . وأراد بالحوض الحريم . (٥) يقول : من كان صاحب فضل ومال فيبخل به ويحرص عليه استغنى عنه وذم ، فظاهر التضعيف على لغة أهل الحجاز لأن لغتهم أظهر التضعيف في محل الجزم ، والبناء على الوقف . (٦) الخليفة الطبيعة . يقول : ومهما كان للإنسان خلق وطن أنه يخفي على الناس علم ولم يخف ، يعني أن الأخلاق لا تخفى ، والتخلق لا يبقى . . قيل : أنشد سيدنا عثمان رضي الله عنه هذا البيت فقال : أحسن زهير وصدق فلو أن الرجل دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس (٧) الخطي : الريح نسبة إلى الخط وهي جزيرة في البحرين ترفأ إليها السفن . والشيع شجر الرماح وأحدثه وشيعة . أي لا تنبت القناة إلا القناة ، ولا تفرس النخل إلا بحيث تنبت وتصلح ، والمراد أنه لا يلد الكرام إلا الكرام .

وقوله :

وَالْتَر دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَنْفَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ
وما وقع الاتفاق على أنه أمدح بيت للجاهلية قوله :
تراه إذا ما جئته مُهْتَلَاً كأنك تُعْطِيهِ الذِي أَنْتَ سَائِلُهُ (١)

قال ثعلب وهو من قدم زهيراً : كان أحسنهم شعراً ، وأبدعهم من سنف ،
وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدّهم مبالغة في المدح ، وأكثرم
أمثالاً في شعره . وقال ابن الأعرابي : زهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه
شاعراً وخاله شاعراً وأخته سلمى شاعرة وأخته الخنساء شاعرة وابناه كعب وبجير
شاعر بن وابن ابنه المضرب بن كعب شاعراً . وهو الذي يقول :
إِنِّي لِأَحْبَسُ نَفْسِي وَهِيَ صَابِرَةٌ (٢) عَنْ مُضْعَبٍ وَلَقَدْ بَأَنْتَ لِي الطَّرْفُ
رَعُوا عَلَيْهِ كَمَا أُرْعَى عَلَى هَرِيمٍ جَدَى زَهِيرٍ وَفِينَا ذَلِكَ الْخَلْقُ
مَدَحَ الْمُلُوكِ وَسَى فِي مَسَرَّتِهِمْ ثُمَّ الْفَنَى وَيَدِ الْمَذْذُوحِ تَنْطَلِقُ
وكعب هو ناظم قصيدة (بانت سعاد) في مدح الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم . قال ابن قتيبة : وكان زهير يتأله ويتصف في شعره ، ويدل على إيمانه
بالبعث ، وذلك قوله :

يُؤَخَّرُ قِيُودُغٍ فِي كِتَابٍ فَيُذَخَّرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُجَلَّ فَيَنْقَمَرُ (٣)
وقد شبه زهير امرأه بثلاثة أوصاف في بيت واحد فقال :

(١) المتهلل : الطلق الوجه المستبشر . يقول : هو مسرور بمن يسأله
مستبشر به كما يستبشر الإنسان بأن يوصل ويمطى . ولم يرد أنه حريص
على الأخذ مستبشر به ولكنه قال هذا على ما جرت به العادة من محبة
النفس للأخذ وكراهيتها للاعطاء .

(٢) في الأغاني ج ٩ ص ١٥١ : « صادية » . (٣) جميع الأفعال بالبناء
للمفعول ما عدا الأخير . يقال : نعم منه (من باب ضرب) بمعنى عاقبه وانتقم
منه . وقد أخطأ من بناء للمفعول . ويؤخر بدل من (يعلم) في البيت قبله :
فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
وقيل جزم في جواب النهى . وهو الصواب .

تَنَازَعَهَا الْمَاهَا شَبِيهَا وَدُرُّ الْـ تُحُورٌ وَشَاكَهَتْ فِيهَا الظُّلُبَةُ (١)
 ففسر ثم قال :

فَأَمَّا مَا فُوقَ الْعَقْدِ مِنْهَا فَمِنْ أَدْمَاءٍ مَرْتَمُهَا الْخِلَاءُ (٢)
 وَأَمَّا الْمُقْلَتَانِ فَمِنْ مَهَاةٍ وَلِلدُّرِّ الْمَلَاخَةُ وَالصَّنَاءُ (٣)

وقال بعض الرواة : لو أن زهيراً نظر إلى رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى
 الأشعري رضى الله تعالى عنهما مازاد على ما قال :

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جِلَاءُ (٤)

يعنى يميناً ، أو منافرة إلى حاكم يقطع باليمينات ، أو جلاء . وهو بيان وبرهان
 — يملو به الحق وتتضح الدعوى — وروى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال لابن
 زهير (٥) : ما فعلت الحلل التي كساها هرم أباك ؟ قال : أبلاها الدهر ! قال : لكن
 الحلل التي كساها أبوك هرمك لم يبلها الدهر ! ويستجد قوله في هرم :

قَدْ جَعَلَ الْمُبْتَغُونَ الْخَيْرَ فِي هَرَمٍ وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طَرَقًا (٦)
 مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَبْقَى السَّهَابَةُ مِنْهُ وَالنَّدَى خَلْقًا (٧)

(١) الماهي : بقر الوحش . وشاكت : شاكلت وشابهت . ومعنى : تنازعها
 الماهي شبيها أي فيها من الماهي شبه وهو حسن العينين ، وفيها من الدر شبه
 وذلك صفاته وملاحته ، وأشبهتها الظباء في طول العنق . وأصل المنازعة
 مجاذبة الدلو فضربت مثلاً لكل ما أخذ فيه وتشبث به ، ومنه التنازع في
 الحديث . وخص در التحور لأنه أملح ما يكون إذا قلت ، ويروى در البحور
 بالباء . (٢) قوله : فأما ما فوق العقد منها ، يعنى عنقها لأن موضع العقد
 النحر وفوقه العنق وصغر فوق لتقارب ما بين العنق والعقد . والأدواء :
 الظبية البيضاء ، والخلاء الموضع الخالي ، وإنما خص الظبية لأنه أراد أنها إذا
 نفرت تجزع فتتشوف وتمد عنقها وذلك أحسن لها . (٣) المقلتان : العينان ،
 شبه عينيهما بعينى المهابة في شدة أبيضاض بياضهما وأسوداد سوادهما .
 وشبه ملاحظتها وصفاءها بملاحة الدررة وصفائها . (٤) كان عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه يمجى بهذا التقسيم وهذا البيت ويردد أنشاده من
 التعجب . ورووا عنه أنه قال : لو أدركته لوليت القضاء لعرفت ما تثبت
 به الحقوق . انظر شرح بانت سعاد ص ١٦ والمصدرة ١ : ٣٠ والصناعتين
 ٢٦٨ والبيان والتبيين ١ : ١٣٥ وغيرها . (٥) راجع الجزء الأول ص ٨٦ .
 (٦) المبتغون : الطالبون . وقوله (في هرم) أي عند هرم أو من هرم .
 وترجمة هرم في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٨٤ . (٧) قوله (على علاته)
 يقول : إن تلقه على قلة مال أو عدم تجده سمحا كريما كيف به وهو على
 غير تلك الحال ؟ وورد في الجزء الأول ص ٨٥ هذا البيت :

وروى أن زهيراً كان ينظم القصيدة في شهر ، وينقحها ويهذبها في سنة ، وكانت تسمى قصائده (حوليات زهير) وقد أشار إلى هذا البها زهير في قوله من قصيدة :

هذا زهيرُكَ لا زهيرَ مزينةٍ وأفالكَ لا هَرَمًا على عِلَاتِهِ
دَعُهُ وَحَوَليَاتِهِ ثم استمع زهيرَ عَصْرِكَ حَسَنَ لَيْليَاتِهِ

وكان رأى زهير في منامه في أواخر عمره أن آتيا أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسها بيده ثم تركه فهوى إلى الأرض ، فلما احتضر قصر رؤياه على بابه كعب . ثم قال : إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدى فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه . ثم توفي قبل للبعث بسنة . فلما بعث صلى الله تعالى عليه وسلم خرج إليه ولده كعب^(١) بقصيدة (بانت سعاد) وأسلم . وروى أيضاً أن زهيراً رأى في منامه أن سبيكاً تدلى من السماء إلى الأرض كأن الناس يسكنونه وكما أراد أن يسكنه فتخلص عنه فأولاه بنبي آخر الزمان فإنه واسطة بين الله تعالى وبين الناس وأن مدنه لاتصل إلى زمن مبعثه ، وأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره .

الناصفة الزبائني

واسمه زياد بن معاوية : اتفقت الآراء على أنه أحسن الشعراء ديباجة شعر ، وأكثر رونق كلام ، وكان كلامه كالكتاب ليس فيه تكلف ولا نعسف . ويقال إن أجود شعره ما اعتذر به إلى النعمان بن المنذر . وأمير ذلك قوله :

فإنك كالليل الذي هو مذكرى وإن خلت أن المتقأ عنك واسع^(٢)

متى تلاق على علاه هـرما تلق الساحة في خلق وفي خلق
وامله من قصيدة له أخرى فليحقق .
(١) الذي خرج إلى النبي وآمن به هو بجير أخو كعب وأما كعب فقد أهدر
النبي دمه عام الفتح ثم قدم إلى النبي ثائباً وأسلم ومدحه بقصيدة (بانت
سعاد) وخلع النبي عليه برده . (٢) المتقأ : اسم موضع من إنتأى
منه أي بعد . . وشبهه بالليل لأنه وصفه في حال سخطه وهوله . والمعنى
أنه لا يفوت المدوح وأن أبعد في الهرب وصار إلى أقصى الأرض ، لسعة
ملكه ، وطول بده ، ولأن له في جميع الأفاق مطيعاً لاوامره يرد الهارب إليه .
قال أبو بكر : اعترض على هذا البيت فقيل لا معنى لتخصيص الليل لأن
النهار يدركه كما يدركه الليل . قال أبو جعفر : الليل يغشى كل شيء بظلمته

ومن أمثاله المشهورة قوله :

نَبَيْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا مَقَامَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ^(١)
وَيُرَى أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ يَوْمًا لَجُلَسَائِهِ مِنَ الْقَاتِلِ ؟
حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلرَّهْ مَذْهَبُ^(٢)
لَنْ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِ جَنَابَةِ لَمْبَائِكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ^(٣)
قَالُوا : النَّابِغَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : هَذَا أَشْعَرُ شَمَائِكُمْ . وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ
بَيْتُهُ السَّائِرُ :

فَلَسْتُ بِمُسْتَبْقِي أَخًا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ أَيْ الرِّجَالِ الْمَذْذَبِ^(٤)
وَبَيْتُهُ الْفَاخِرُ :
فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ^(٥)

فيصير له كالفناء والوعاء فيمنع التصرف لسرعة انطباعه على الأرض في
الأرض القريبة من خط الاستواء والنهار وإن البس كل شيء فإنه لا يمنع
من التصرف والانتشار ، وإيضاً فإن الليل يهاب لظلمته والنهار ليس كذلك .
وقال بعض النحاة : إنما قدم الليل لأنه أول ولأن أكثر أعمالهم كانت فيه
لشدّة حر بلادهم فصار عندهم ذلك متعارفاً . . وفي معنى هذا البيت قول
علي بن جبلة :

وَمَا لِأَمْرِي حَاقِلُهُ مِنْكَ مَهْرَبٌ وَلَوْ رَفَعْتَهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِعِ
بَلَى هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَالِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ سَاطِعِ
وَكَثُرَ الْأَدْبَاءُ يَرْجِعُ عَلَى بَيْتِ النَّابِغَةِ ، وَقَدْ تَنَاوَلَ الشُّعْرَاءُ هَذَا الْمَعْنَى
وَكَثُرُوا مِنَ الْإِتْيَانِ بِهِ فِي فَصَائِدِ الْمَدِيحِ أَنْظِرْ مَعَاهِدَ النَّصِيصِ لَعَبْدِ الرَّحِيمِ
الْعَبَّاسِيِّ (ج ١ ص ١١٢) .

(١) أَبُو قَابُوسَ : كُنْيَةُ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْكَرِ . وَأَوْعَدَنِي : هَدَدَنِي . وَزَارَ
الْأَسَدَ وَزَنِيهَ وَاحِدٌ وَهُوَ صَوْتُهُ . أَيْ لَا يَسْتَقِرُّ أَحَدٌ بَلْفُهُ أَنْ النُّعْمَانُ أَوْعَدَهُ كَمَا
لَا يَسْتَقِرُّ مَنْ يَسْمَعُ زَلْزِلَةَ الْأَسَدِ .

(٢) الرِّيْبَةُ : التَّلَكُّ . يَقُولُ حَلَفْتُ بِاللَّهِ وَلَيْسَ بَعْدَ الْيَمِينِ بِاللَّهِ يَمِينٌ وَلَا
مَذْهَبٌ فِي يَمِينٍ أُخْرَى فَيَنْبَغِي أَنْ تَصْدُقَنِي وَلَا تَذْهَبَ إِلَيَّ مَا كُنْتُ تَذْهَبُ إِلَيْهِ
مِنْ ظَنِّكَ بَعْدَ مَا حَلَفْتُ لَكَ بِاللَّهِ تَعَالَى (٣) الْوَاشِي : الَّذِي يَزِينُ الْكَذْبَ ، وَيُرَدِّى
(خِيَانَةً) مَوْضِعٌ (جَنَابَةً)

(٤) اسْتَبْقَيْتُ فَلَانًا فِي مَعْنَى أَنْ تَعْفُوَ عَنْ زَلَلِهِ فَتُسْتَبْقَى مَوَدَّتُهُ . وَالشَّعَثُ :
التَّفَرُّقُ وَالْفَسَادُ . وَتَلْمُهُ : تَجْمِيعُهُ وَتَصْلُحُهُ . وَالْمَعْنَى لَا تَقْدِرُ عَلَى اسْتِبْقَاءِ
مَوَدَّةِ أَحَدٍ حَالِ كَوْنِكَ مِمَّنْ لَا تَلْمُهُ وَلَا تَصْلُحُهُ عَلَى تَفَرُّقِ وَذَمِّهِمْ خِصَالُ ثُمَّ
فَسَّرَ فَقَالَ أَيْ الرِّجَالِ الْمَذْذَبِ ! أَيْ أَنْكَ لَا تَجْعَلُهُمْ لَا عَيْبَ فِيهِمْ (٥) قَالَ الْوَزِيرُ
أَبُو بَكْرٍ : وَهَذَا مِثْلُ أَيْ إِذَا ظَهَرَتْ غَمَرَتِ الْمُلُوكُ كَمَا يَغْمُرُ ضَوْءُ الشَّمْسِ النُّجُومَ

« ومن قلأئده قوله »

فإن بك عامرٌ قد قال جهلاً فإن مظنةً الجهل الشباب^(١)

وله في المجاء

وكنت أمينة لو لم تخنهُ ولكن لا أمانة لليامى^(٢)

ومن أمثاله السائرة قوله

الرفقُ يُمنُّ والأنأةُ سُمادةٌ فاستأنِ في أسرٍ تلاقٍ نباحاً^(٣)

والأس عَمَّاتٍ يعقبُ راحةً ولربِّ مطمعةٍ تسودُ ذُباحاً^(٤)

فاستبقِ وذكَّ للصديق ولا تسكنِ قتباً بعضُ يضاربٍ ملحاحاً^(٥)

وسمى النابغة لقوله (فقد نبئت لنا منهم شؤون) وقيل لأنه لم يقل الشعر حتى

صار رجلاً . وقيل هو مشتق من نبئت الحماة إذا تفتت . وحكى (ابن ولاد)

أنه يقال نبغ الماء ونبغ بالشعر فسكأنه أراد أن له مادة من الشعر لا تنقطع كمادة

الماء النافع .

(١) المظنة : الموضع الذى لا تكاد تطلب الشيء الا وجدته فيه . ويروى : مظنة الجهل السباب . يقول : ان كان عامر قد قال جهلاً فهو اهل ان يقول الجهل وأن ينطق به لانه شاب والفرارة والجهل مقترنان بالشباب . قال الوزير ابو بكر : ومن رواه بالطاء (اى مظنة) أراد ان الجهل يمتطى الشباب أى يركبه ويصرفه حيث يشاء . (٢) البيت في هجاء يزيد بن عمرو . وقوله : ولكن . . الخ قال ابو الحسن : انما قال ذلك لان منازل بعض بنى عامر مما إلى اليمن وكل ما كان إلى اليمن فهو يعماني . ويقال ان يزيد بن عمرو هذا المهجو كان هو وقومه منازلهم قريب من محل بنى الحرث بن كعب وهم من اليمن ، فلما سمع هذا البيت قال لقومه : اجيبوه فاجابه يزيد بابيسات لا محل المذكرها . (٣) الرفق : خلاف العنف . واليمن : البركة والأناة كقناة الحلم والوقار . (٤) قوله (عما) في رواية (مما) و (مطمعة) في رواية (مطمعة) والذباح كغراب نبت من السموم يقتل آكله ، كذا في اساس البلاغة والقاموس وشرحه التاج . (٥) القتب : الا كاف على قدر سنم البعير ، والغارب : الكاهل أو ما بين السنم والمنق ويقولون للماج : هو قتب بعض بالفارب ، يعنى اذا يعلق بخصم لا ينفصل منه حتى يؤثر كما يؤثر القتب بظهر الدابة ، وكتب ملحاح يلزق بظهر البعير فيعقره وكذلك هو من الرحال والسروج وهو مجال .

أوس بن حجر^(١) الأوسى

قال أبو عمرو بن العلاء : كان أوس خَلَّ مُعَرَّسَ شَى نَشَأَ النَّابِغَةُ وَزَهِيرُ فَأَخْلَاهُ
وكان زهير راوية أوس . ومن إحصان أوس للشهور قوله فى للرثية التى أولها :
أيتها النفسُ أجلى جَزَعًا إن الذى تُحَذِّرِينَ قد وَقَمًا
وليس للعرب مطلع قصيدة فى للرثية أحسن من هذا البيت . وبيت
القصيدة قوله :

الألمى الذى يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وقد سَمِعَا^(٢)
ومن أمثاله السائرة قوله
فإنكما يا ابْنَى جناب وجدتما كَنَ دَبَّ يَسْتَحْفَى وفى الخلق جَلْبَلُ
وقوله

ولست بخائى لِفَدَى طَمَامَا حِذَارَ غَدٍ لِسَكَلٍ غَدٍ طَمَامُ
بُشْرَ بن أبى خادِم الأوسى^(٣)

من أمثاله السائرة قوله .

ألم ترَ أَنَّ طُولَ العهدِ يُسْلَى وينسى مثلما نسيْتُ جُدَامَ^(٤)

(١) حجر بفتح الحاء ، وليس فى أسماء الأشخاص على هذا البناء غير هذا .
(٢) الألمى واليلمى : الذكى المتوقد الذكاء . وقد تداول الشعراء معنى
هذا البيت كثيرا قال أبو تمام :
ولذلك قيل من الظنسون جبلة علم وفى بعض القلوب عيون
وقال المتنبى :

يرى قلبه فى يومه ما يرى غدا ذكى تظنيه طليعة عينه
(٣) خازم : بالخاء المعجمة والزأى . وكان الأصل (هنا وفى غير ما موضع)
بالحاء المهملة فصحناءه (٤) يروى « طول الدهر » موضع « طول العهد »
وجذام : كغراب قبيلة بجبال حسمى من معد . قال أبو عمرو بن العلاء .
فحلان من فحول الجاهلية كانوا يقويان : بشر بن أبى خازم . والنابغة الذبياني .
فاما النابغة فدخل يشرب فبنى بشعره فلم يعد . واما بشر فقال له أخوه
سواده أنك لتقوى . قال : وما الا قواء ؟ قال قولك :

وقوله

يكن لك في قومي يد يشكرونها وأيدى الندى في الصالحين فروض
ومنه أخذ الناس قولهم « الأيدى فروض » وقوله عند موته من أبيات :
تَسْأَلُ عَنْ أَيِّهَا كُلُّ رَكْبٍ وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ السَّهْمَ صَالِحٌ
فَرَجَّيْهِ الْخَيْرَ وَاتَّقِظِي لِإِيَّيْ إِذَا مَا الْقَارِظُ الْغَزَى آيَا (١)
وقضية القارظان مشهورة .

الأفوه الأورى (٢)

كان أحد الحكماء في الجاهلية . ومن أمثاله السائرة قوله :
إِنَّمَا نِعْمَةٌ قَوْمٌ مَعَّةٌ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ تَوْبٌ مُسْتَمَارٌ (٣)

الم تران طول الدهر يسلى وينسى مثلما نسيت جلدالم
ثم قلت :
وكانوا قومنا فيبغوا علينا فستقناهم الى البلد الشام
فلم يعد للاقواء . انتهى .
(١) قوله . « القارظ الغزى » قيل هما قارظان من عنزة اكبرهما بذكر
بن عنزة لصلبه واصغرهما رهم بن عامر وقيل هو عامر بن رهم ، يقال انهما
خرجا في طلب القرظ يجتنيانه فلم يرجعا فضرب بهما المثل فقالوا « لا آتيك
او يؤوب القارظان » يضرب في انقطاع النية . وايابهما اراد ابو ذؤيب بقوله :
وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب ووائل
والقرظ : محرقة ورق السلم يدبغ به كما في الصحاح . . وأورد الزبيدي
البيت الاول هكذا :

وان الوائلى أصاب قلبى بسهم لم يكن تكسبا لفايا
(٢) الأفوه لقب واسمه صلاة (لا صلاة كما وهم صاحب مجموعة
شعراء النصرانية ج ١ ص ٧٠) ابن عمرو بن مالك بن موف بن الحرث بن
منبه (او ضبة) بن اود بن صعب ابن سعد العنيرة . كان من كبار الشعراء
القدماء في الجاهلية وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصيدون
عن رايه والعرب تصده من حكماها . وانما قيل له الأفوه لانه كان غليظ
الشفتين ظاهر الاسنان (٣) هذه الايات من قصيدته التى اولها :
ان ترى راسى فيه نزع وشوائى خلة فيها دوا
وهذه القصيدة من جيد شعر العرب ، وهى التى نهى النبى صلى الله عليه
وسلم عن انشادها لما فيها من ذكر اسماعيل عليه السلام ، واباه عنى بقوله :
ريشت جرهم نبلا فرمى جرهما منهن فوق وغرار

ولياليه إلّا للقوى ومدى قد تجليها وشفار^(١)
وصروف الدهر في أطباقه خلفه فيها ارتفاع وانحدار
بيننا الناس على عليائها إذ هو وافي هوة منها فزاروا^(٢)

« وقوله وفيه حكمة بالغة »

والبيت لا يبتنى إلا على عمدة ولا عماد إذا لم تُرس أوتاد^(٣)
فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن يلفوا الأمر الذي كادوا^(٤)
لا يصلح الناس قوضى لا سرّة لم ولا سرّة إذا جهّلم سادوا^(٥)
إذا تولى سرّة الناس أمرهم نأ على ذلك أمر القوم فازدادوا^(٦)
تهذى الأمور بأهل الرأي ماصححت فان توت فبالأشرار تنقاد
أمارة القى أن تلقى الجميع لدى البرام للأمر والأذئاب أكتاد^(٧)
كيف الرشاد إذا ما كنت في قر لم عن الرشاد أغلال وأقياد
أعطوا غواتهم جهلاً مقادتهم فكلهم في جبال القى مُنقاد
وهذه من أبلغ الآيات :

(١) الالال : جمع آلة مثل جفان وجفنة وهى الحرية العريضة النصل
وفرق بعضهم بين الآلة والحرية فقال الآلة كلها حديدة والحرية بعضها خشب
وبعضها حديد . والملى : جمع مدية مثلية وهى السكين . والشفار بالكسر
جمع شفرة يفتح فسكون وهى السكين العظيم وما عرض من الحديد وحدد
(٢) الهوة كقوة ما انهبط من الأرض أو الوهدة الغامضة منها .
(٣) العمد بفتحتن جمع عماد وهو ما يسند به والواد جمع واد بكسر
التاء فى لغة الحجاز وهى القصوى : وهو مازر فى الأرض أو الحائط من
خشب . ورسا الشيء ثبت .

(٤) معنى كادوا : أرادوا . (٥) يقال قوم قوضى إذا كانوا متساوين لارئيس
لهم . والسرّة بالفتح جمع سرى وهو الرئيس وهذا الجمع عزيز لا يكاد يوجد
له نظير لأنه لا يجمع فعيل على فعلة وجمع السرة سروات . كذا فى المصباح
(٦) معنى نما : زاد (٧) الامارة : العلامة وزنا ومعنى ، والإبرام أحكام العقيد .
والاكتاد جمع كند وهو مجتمع الكتفين وبعضهم يقول ما بين الكاهل الى الظهر
وقيل مفرز المنق فى الكاهل عند الحارك . ويرى « اقتاد » جمع فتد وهو
خشب الرحل وقيل جميع أذانه . والمعنى ظاهر

(١) **عبيد بن الأبرص**

هو جاهل قديم ، وكان من غول العرب وشعرائها للمفقيين . ومن أمثاله السائرة قوله :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يُحْرَمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَنْجِبُ (٢)
وَكُلُّ ذِي غَيَّةٍ يُؤْوِبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُؤْوِبُ

وقوله

الظُّرُ يُبْقِي وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادٍ

وقوله

الظُّرُ لَا بَأْسَ عَلَى عَجَلٍ وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَبِيلَهُ مَطَرُهُ

المرقش

كان من مُفَلِّقِ شعراء الجاهلية . ومن أمثاله السائرة قوله :

وَمَنْ يَلْتَنِي خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَفُوْ لَا يَدْعُمُ عَلَى الْغَىِّ لَأَمَّا

(١) عبيد يفتح العين وكسر الواو لا بالتصغير كما وهم في ضبطه لوبس شيخوا صاحب مجموعة شعراء النصرانية في كتاب تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص ٢٥٨ و ٢٧٨ و ٥٧٤ ، وقد ذكر العلامة أحمد تيمور باشا المصري الأدلة على ذلك وفصل الكلام فيه فيما كتبه على مادة (ق رح) من رسالته (تصحيح لسان العرب) بالقسم الأول منها ، فارجع إليها . وعبيد من فحول شعراء الجاهلية وقد عده ابن سلام في الطبقة الرابعة وقرنه بطرفة وعلقمة بن مبيد وعدي بن زيد العبادي . قال وعبيد بن الأبرص قديم عظيم الشهرة وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله :

أَفْهَمَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَاتَّقَطَّبِيسَاتٍ فَالْغُتُوبُ

قال : ولا أدري ما بمد ذلك . وقال الجاحظ : ان مبيدا وطرفة دون ما يقال عنهما ان كان شعرهما ما في أيدي الناس فقط ، وقد أشار أبو العلاء الممرى الى اختلال بانيته بقوله :

وَقَدْ يَخْطِئُ الرَّأْيَ أَمْرُوْ وَهُوَ حَازِمٌ كَمَا اخْتَلَتْ فِي نَظْمِ الْقَرِيضِ عَبِيدُ
(٢) قال ابن الأعرابي : هذا البيت ليزيد بن ضبة الثقفي (٣) يؤوب :

يرجع

(٤) هو المرقش الأصغر . واسمه عمرو بن حرملة وقيل ربيعة بن سفيان . والمرقش الأكبر عمه وهو (أي الأصغر) عم طرفة بن العبد ، قال أبو عمرو : والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمرا (٥) هذه الأبيات من قصيدة بقولها في قصة جرت له مع معشوقته فاطمة بنت المنذر ووليدتها بيت ألمجلان . ومطلعها :

أخوك الذى إن أخرجتك مُلّةً من الدهر لم يبرح لها الدهر وإِجاءاً (١)
وليس أخوك بالذى إن تشعبت عليك أمور ظل يلحاك دائماً (٢)

مهملل واسم ربيعة (٣)

وهو أول من رقى الشعر فسمى مهمللاً . ومن أمثاله السائرة قوله . وقد خطبت
إليه بنته وهى فى دار غربة :

لو بأبائين جاء يخطبها صرّج ما أنفُ خاطبٍ بدم (٤)

الأيام اسلمى لاصبرلى عنك فاطما ولا أبدا ما دام وصلك دالما
وقد ساق أبو الفرج الأصبهانى القصيدة فى أغانيه بيد أنه لم يذكر البيتين
الأخمين

(١) الملمة : النازلة ، وأخرجتك فى الحرج . ويروى «أجرضتك»
والواجم : العابس المطرق لتسدة الحزن أو الساكت على غيظ (٢) يلحاك :
يلومك (٣) اسمه — على ما هو المشهور فى كتب الأدب — عدى بن ربيعة
التغلبى ولكن ورد فى القاموس ما نصه «ومهلل الشاعر واسمه عدى أو ربيعة»
لقب لأنه أول من أرق الشعر أو بقوله :

«لما توغل فى الكراع هجينهم هلهلت أنارمالكا وصنبلا» فتدبرا
(٤) قوله (بأبائين) أبان جبل وهما أبانان أبان الأسود وأبان الأبيض .
وصرّج : لطح . يعنى رد عنها . وزيدت (ما) بين الفعل ومرفوعه للضرورة . .
والبيت من أبيات له سببها أنه نزل فى آخر حرب البسوس فى جنب بن عمرو
بن جلد بن مالك وهو مذ حج وجنب حى من أحيائهم وضيع فخطبوا بنته
ومهرت أدماء فلم يقدر على الامتناع فزوجها فقال :

اتكحها فقصدها الأراقم فى جنب وكان الحياء من ادم
أو بأبائين جاء يخطبها صرّج ما أنفُ خاطبٍ بدم
أصبحت لا منفسا أصبت ولا ابت كريما حرا من الندم
هان على تغلب الذى لقيت اخت بنى المالكين من چشم
ليسوا بأفئتنا الكرام ولا يفتنون من عيلة ولا عدم
وقد أشار أبو نواس الى هذه القصة فى قصيدته التى هجا بها بنى نزار
فقال :

وتغلب تنسب الطول ولم تشار قتيلا على ذنابها
نيكت بأبنى المهوّر اختهم قسرا ولم تدم أنفُ خاطبها

وقوله

قَرَّبَا مَرْبَطَ النِّعَامِ مِنِّي لَقِيتُ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنِ حِيَالٍ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا شَهِيدَ اللَّهِ وَإِنِّي بِمَحْرَبِهَا الْيَوْمَ صَالِي
وقوله في مريئة أخيه كليب بن وائل :

بُنَيْتُ أَنْ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلَيْبُ الْجُلُوسُ
وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرٍ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهُمْ بِهَا لَمْ يَنْبَسُوا

الأُسُودُ بْنُ يَسْفَر

غرة شعره قصيدته التي أولها :

نَامَ انْخَلَى وَمَا أَحْسَى رِقَادِي وَالْهَمُّ يُخْتَصِرُ لَدَيَّ وَسَادِي
وفيه أبيات سائرة يتمثل بها في فناء السادة ومساكنهم الخاوية بهم
(وهي :

مَاذَا أَوَّلُ بَعْدَ آلٍ مُحَرَّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادٍ
أَهْلَ الْخَوَرَنَقِ وَالسَّيْرِ وَبَارِقٍ وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادٍ

(١) النعامة : اسم فرس . ولقحت : حملت . والحيال ان يضرب الفحل الناقة فلا تحمل وهذا مثل ضربه لان الناقة اذا حالت وضربها الفحل كان اسرع للقاحا وانما يعرض امر الحرب لما تولد منه من الامور التي لم تكن تحتسب . . وقد تقدم هذا البيت في الجزء الثاني (ص ١١٨) منسوباً الى الحرث بن عباد فتدبر ! (٢) راجع ص ١٤٩ من الجزء الثاني .
(٣) محرق : لقب امرئ القيس بن عمرو بن عدى اللخمي وهو المحرق الاكبر وهو المراد هنا لافره . وايدادى من معد . قال الربيعي : وهم اليوم باليمن . وقال ابن دريد : هما ايدادان : ايداد بن نزار وايداد بن سود بن الحجر بن عمار بن عمرو . (٤) الخورنق كفدوكس قصر بالعراق النعمان بن المنذر . والسدير كامي نهر بناحية الحيرة وقيل قصر قريب من الخورنق . وبارق : ماء بالعراق بين البصرة والقادسية . وسنداد ، بالكسر على الاصل والفتح فتكون النون حينئذ زائدة اذ ليس في كلام العرب فعال بالفتح نهر معروف . وفي سفر السعادة : انه موضع وقيل اسم قصر بالهدب وبه صدر في الراصد . وقيل هي منازل لايداد اسفل سنواد الكوفة وكان عليه قصر تحج العرب اليه .

نزلوا بأشيرةٍ يسهلُ عليهم ماء الفرات يجيء من أطواد^(١)
أرض تخبرها لطيب مقلها كعب بن مامة وابن أم دؤاد^(٢)
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميماد^(٣)
ولقد غنوا فيها بأنهم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد
فإذا النعم وكل ما يُلهى به يوما يصيرُ إلى يلى ونفساد^(٤)

طرفة بن العبد

هو أجود الشعراء قصيدة وله بعد اللقطة شعر حسن وليس عند الرواة من
شعره وشعر عبيد إلا القليل^(٥) . وقتل وهو ابن ست وعشرين سنة . وقاته
عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة وقد ذكر القصة ابن قتبية في كتاب (الشعر
والشعراء) وذكرها يعقوب بن السكيت في شرح ديوانه بأبسط من ذلك .
ويقال إن أول شعر قاله طرفة أنه خرج مع عمه في سفر فنصب فخاً فلما
أراد الرحيل قال :

يالك من قبرة بمعم^(٦) خلالك الجو^(٧) فيبيض واصفري ا

(١) انقرة : بالفتح ثم السكون وكسر القاف ، موضع بنواحي الحيرة
وقيل : بل المراد هنا أنقرة التي ببلاد الروم نزلتها أباد لما نفاهم كسرى عن بلاده ،
وحسنه الحموي والله أعلم . والفرات نهر مشهور . والأطواد : الجبال
(٢) لراد كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة بن سلولة بن شيبانة الأبادي
الذي يضرب المثل بجوده . وكان أبوه مامة ملك أباد . وابن أم دؤاد : هو
أبو دؤاد الأبادي الشاعر المشهور . وهذا دليل على أن سنداد كانت منازل
أباد (٣) قوله « محل » يروى بدله « عراض » ويروى « أيفسا » مكان «
والعنى : كأنهم كانوا من الفناء على وعد محقق وأجل مصدق فلما دعوا أجابوا
ولما رسلوا استجابوا . (٤) التفاد : الفناء
(٥) جمعت اشعار طرفة في ديوان طبع بشالون بفرنساسة ١٩٠٠ م بناية
ساكسن .

(٦) معم : موضع بمينه . وقيل العمر المنزل الذي يقال فيه . قال
ساجهم (يبيك في الأرض معمرا) . (٧) قال أبو عمرو : هذا مثل والجو
هنا ما اتسع من الأودية ويروى عن ابن عباس قال لابن الزبير حين خرج
الحسين إلى العراق خلالك الجو فيبيض واصفري .

وتقرى ما شئت أن تنقرى ^(١) قد رُفِعَ الفخ فاذا تحدرى ^(٢)

لا بدّ يوماً أن تُصَادى فاصبرى ^(٣)

ومن أمثال السائرة على الدهر :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود ^(٤)

ومن أمثاله في ذم الأخلاء :

كلّ خليل كنتُ خالتهُ لا ترك الله له واضحة ^(٥)

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة ^(٦)

ومن أمثاله السائرة لصبر بن هند :

أما مُندِرُ أفئيتٍ فاستبق بعضنا حتاتيك بعضُ الشراهُون من بعض ^(٧)

وقوله :

قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى نطسل له الدماء تصب

(١) التنقير : البحث والطالب ، وقيل التنقير تسوية الطائر لعشه .
(٢) الفخ : المصيدة . وقوله فماذا تحدرى أى فماذا تحلرين فحذف النون للضرورة . ويروى « فلا تحلري وما تحلري » . (٣) في بعض الكتب (لا بد من أخلك يوماً فاحلري) . وقد روى أن هذا الرجز لكليب والى (راجع الاقتضاب ص ٣٨٢) لعل طرفه استشهد به (٤) يقول : ستطلمك الأيام على ما تفعل عنه . وسينقل اليك الأخبار من لم تزوده أى الذى لم تعطه متاع سفره (٥) الخليل : الصديق ؛ وخالته : صادفته وعاشرته . والواضحة : الأسنان التى تبدو عند الضحك (٦) الثعلب : حيوان معروف . وراغ الثعلب : روغانا ؛ ذهب بمعنى وبصرة في سرمة خديعة فهو لا يستقر في جهة . وقوله ما أشبه الليلة بالبارحة أى ما أشبه بعض القوم ببعض وهو مثل يضرب في تساوى الناس في الشر والخديعة
(٧) أبو مندر : كنية عمرو بن هند الملك . ونصب حتاتيك على المصدر

الموسوع موضع الفعل والتقدير : تحنن عليه نحننا وثنى مبالغة وتكثر أى تحنن نحننا بعد تحنن ولم يقصد بهذا مقصد التشنية خاصة وإنما يراد به التكثر فجعلت التشنية علماً لذلك لأنها أول تضييف وتكثر . وكذلك ما جاء من نحوه في الباب . والبيت من قصيدة لطرفة خاطب بها عمرو بن هند حين أمر بقتله وذكر قتله لئلا يقاتل من قومه تحريضا لهم على طلب ثارده ، وقصته معه ومع المتلمس مشهورة

وقوله

واعلمُ علماً ليس بالظنِّ أنه إذا ذلَّ مولى الرء فهو ذليل^(١)
وإن لسانَ الرء ما لم تكن له حصاةٌ على عَوَراتِهِ لدليل^(٢)

جبريل بن عبد المسيح الشيرازي بالتخلص

هو شاعر مشهور وبلغ مذكو ومن أمثاله السائرة قوله في الاحتياط :
قليل للمال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ على الفساد
وحفظ المال خيرٌ من بناء^(٣) وجول^(٤) في البلاد بغير زاد
وقوله في الإغضاء عن ذنوب الأقرباء :

ولو غيرُ أخوكم أَرادوا قَتَيْصَتِي جملت لهم فَوَقَّ الرَّائِينَ مَيْسَا^(٥)
وما كنتُ إلا مثلَ قاطِعِ كَفِّهِ بكفِّ له أخرى فأصْبَحَ أَجْدَمًا^(٦)
وقوله في الامتناع عن القتل :
ولا يُقِيمُ على ذلِّ يَرَادُ بِهِ إلا الأذْلَانِ : صِيْرُ الحَيِّ ، والوَتْدِ^(٧)

(١) لفظة العلم قد تطلق على الظن الغالب لقيامه مقام ما هو علم في الحقيقة وأكد قوله (واعلم علماً) بهووله (ليس بالظن) وليس بالظن صفة العلم، لأنه لا يكون العلم على التحقيق إلا علم اليقين . وسمى علم الظن علماً على المجاز . والضمير من قوله (أنه) للأمر والثاني .
(٢) الحصاة : العقل ويقال للرجل ذى العقل أنه لدو حصاة وأصاة وهو ذو حصاة إذا كان يكتم على نفسه ويحفظ سره . والمعنى ظاهر .
(٣) ويروى : بفاة وفناه
(٤) وفي رواية : وضرب . (٥) العرائين : جمع عرنين وهو من كل شيء أوله . ومنه عرنين الأنف وهو ما تحت مجتمع الحاجبين وهو موضع الشم وقد يطلق العرنين على الأنف . يقول : أهجوهم هجاء يلزمهم لزوم الميسم في الأنف (٦) الأجلم : المقطوع اليد . يقول لو هجوت قومي كنت كمن قطع يده بيده الأخرى (٧) قوله « ذل » يروى مكانه (خسف) والخسف النقيصة . والعير : بفتح المهلة الحمار وغلب على الوحشى والمناسب هنا الأهلئ . والاستثناء في (إلا الأذلان) استثناء مفرغ وقد استند إليه فصل الإقامة في الظاهر وإن كان مسنداً في الحقيقة إلى العام المحذوف .

هذا على الخلف مربوط رُمْتِه وذا يُشجُّ فلا يَرِنِي له أحدٌ (١)
 علفم بن عبدة (٢)

من غر شعره قوله :

فإنت تَأْلُونِي بالنساء فَأَنْتِي بِصِيرٍ بِأَدْوَاهِ النَّسَاءِ طَبِيبٌ (٣)
 إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدَّهِ نَصِيبٌ
 يَرِدُنْ ثَرَاءَ لَمَالٍ حَيْثُ عَلِمَتْهُ وَشَرَحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ (٤)
 وقوله من قصيدة أخرى :

وكلُّ حصنٍ وَإِنْ دَامَتْ سَلَامَتُهُ عَلَى دَعَائِمِهِ لَا يَدُّ مَهْدُومٌ (٥)
 وَمِنْ تَمَرَضٍ لَغَرِبَانٍ يَزْجُرُهَا عَلَى سَلَامَتِهِ لَا يَدُّ مَشْوُومٌ (٦)
 وَمُطْعَمُ النَّفْسِ يَوْمَ النَّفْسِ مُطْعَمٌ أُنَى تَوَجَّهَ وَالْحَرُومُ مَحْرُومٌ
 وَكُلُّ قَوْمٍ وَإِنْ عَزَّوْا وَإِنْ كَثُرُوا عَرِيفُهُمْ بِأَثَانِي الشَّرِّ مَرْجُومٌ (٧)

(١) الرمة : القطعة من الجبل البالى . والضمير يعود الى العير . ويشج : يبدق رأسه بالفهر
 (٢) عبدة مفتوح الباء . قال ابن السيد فى الاقتضاب : ومن سكنها فقد اخطأ هذا بقوله :

اعتقت عبدي فى القريض معا عبدة والفحل من بنى عبده
 قال : واما عبدة بن الطبيب فسكن الباء وقد قيد ابن الرومى هذا ايضا بقوله :

يتباشرون بان عبدة مقبل كلا وما جمع الحجيج الى منى
 (٣) البصير : العالم . والطبيب : الحاذق . والأدواء : جمع داء
 (٤) شرح الشباب اوله

(٥) الحصن : المكان الذى لا يقدر عليه لارتفاعه . والدعائم جمع دعامة بالكسر
 وهى ما يستند به الحائط اذا مائل يمنعه السقوط (٦) قال الفصيح : هذا
 يعانه بالطيرة . يقول من يزجر الطير وان سلم فلا بد ان يصيبه شؤم
 وأنشد :

امام كان لقمان بن عباد أشار له بحكمته مشير
 تعلم انه لا طير الا على متغير وهو الثيبور
 بلى شيء يوافق بعض شيء احاييننا وباطله كشيء
 قال الرستمي : يقول ، الضريان يتشام بها فمن تمرض لها يزجرها
 ويطردها خوفا ان يصيبه الشؤم فلا بد ان يقع بها . جاف ريحدر
 (٧) العريف كامر : من يعرف اصحابه ، والعريف رئيس القوم سمي
 به لانه عرف بذلك ، او التقى وهو دون الرئيس . والاثنى : جمع اتية
 بالضم ويكسر الحجر الذى يوضع عليه القدر

أبو دؤاد الزبيدي

قبل للحطيطية : مَنْ أشر الناس ؟ قال : الذي يقول :

لا أعدت الإقتار عدماً ولكن قدُ مَنْ قد رُزئتُه الإعدام^(١)
من رجاله من الأقارب بادؤا من حذاق هم الرؤوس الكرام^(٢)
فعلى إثرهم تُساقط نفسى حسرات وذكُرم لى سقام
ومن وسائل قلائده

إذا كنتَ مرتادَ الرجال لنفهم فَرشَ واصطنع عند الذين بهم ترمى^(٣)

لقبط بن مصر الزبيدي

أمير شعره قصيدته التي كتبها إلى قومه يحذرهم جند كِسرى ويحرضهم
على الجدل للمناعة والمقارعة . فنها قوله :

قُومُوا قِياماً على أشراطِ أرجلكم ثم انزعُوا قد ينال الأفر من فزعاً^(٤)
هيئات ما زالت الأموال مُذْأبد لأهلها إن أصيبوا مرةً تبما

ومنها في اختيار الرئيس المضطلع بقيادة الجيش وتدير الحرب وهو أحسن
ما قيل في معناه :

وقلِّدُوا أُمَرَكم فَهْ دُرُكُكم رَحَبَ الذراع بأمر الحرب مُضْطَماً^(٥)
لا مُغْزَفاً إن رَخاءَ العيش ساءدَه ولا إذا عَضَّ مكروه به جَزَعاً^(٦)

(١) الإقتار : الضيق في النفقة . ورزئته : أصبت به وفقدته (٢) بادؤا : هلكوا . وحذاق : يؤخذ من كلام الزبيدي في التاج أنه حذافة جد لأبي دؤاد أبو بطن من أباد حذف أبو دؤاد منه الهاء . وبه يتبين فساد قول من قال (الشعر والشعراء ص ٣٨) : إن « حذاقاً - هنا - جمع حذاق القاصح اللسان البين اللمعة » (٣) راثن الصديق بريشه رينسا اطعمه وسقاه وكساه . والاصطناع : المبالغة في اصلاح الشيء (٤) الامشاط جمع مشط وهو سلاميات ظهر القدم وهي العظام الرقاق المغترشة على القدم دون الاصابع . يقال انكسر مشط قدمه وقاموا على امشاط ارجلهم وهو مجاز (٥) مضطلع : مفتعل من الضليغ وهو التشديد يريد أنه قوى على أمر الحرب مستقل بها . ورحب الذراع : واسع القوة عند الشدائد (٦) المترف كعكرم : المتزوك يصنع ما يشاء لا يمنع منه والمنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها لا يمنع من تنعمه ، والجبار . وقوله : اذا عض مكروه كناية عن نزول المكروه واشتداده

ما زال يَحْلُبُ هذا الدهرَ أَشْطَرُهُ يكونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبِعًا (١)
 حتى استمرت على شَرْزٍ مَرِيرَةٍ مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ قَحْطًا وَلَا ضَرَعًا (٢)
 أَيْ لَا شَيْخًا خَرَفًا وَلَا شَابًا حَدَثًا

حاتم الطائي

قد سبق له ذكرى في الأجواد (٣) واتقضى المقام إعادة ذكره فنأمله
 السائرة قوله :

إِذَا لَزِمَ النَّاسُ الْبُيُوتَ رَأَيْتَهُمْ عَمَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ خَرَقَ الْمَكْسَبِ

وقوله يخاطب امرأته مابوة

أَمَاوَى إِنْ الْمَالَ غَادِرٌ وَرَائِحٌ ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ
 وقد عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفُرُ

وقوله أيضاً

وَأَنْتَ إِذَا أُعْطِيتَ بَطْنُكَ سَوْهٌ وفَرَاجُكَ نَالَا مَتْنَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا (٤)

وقوله أيضاً

أَمَاوَى مَا يَنْفَى الثَّرَاءُ عَنِ الْفَقَى إِذَا حَسَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهِ الصَّدْرُ (٥)

عمرو بن كلثوم

هو من شعراء الجاهلية وقد حاز قصب السبق في شعره وتقدمت له ترجمة مفصلة في فرسان العرب (٦) فإنه كما كان متقدماً في الشعر كان من أشجع الفرسان

(١) حلب الدهر أشطره : اختبر خير الدهر وشره . وقوله : يكون متبعا الخ أى قد اتبع الناس فعلم ما يصلح به أمر الناس ، واتبع ما يصلح الرئيس كما قال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : قد لنا وإبل علينا أى قد أصلحنا أمور الناس وأصلحت أمورنا (٢) قوله على شزر مريرة : مثل . يقال شزرت الحبل إذا كررت قتله بعد استحكامة راجعا عليه . والمريرة : الحبل . والضرع : الصغير الضعيف . والقحط آخر سن الشيخ (٣) ج ١ ص ٧٢ إلى ٨١
 (٤) السؤل : المسؤل وأراد به ما يشتهيه . والمعنى ان الشخص اذا اعطى بطنه وفرجه ما يشتهى واتبع هواه بقضاء ما تزينه له نفسه من شهواتها أصابه من الناس منتهى الذم والشتم (٥) ج ١ ص ٧٨ .
 (٦) ج ٢ ص ١٤١ - ١٤٣ .

وأجرأهم وهو قاتل عمرو بن هند الملك بسبب ما كان منه من الفخر والتعالي على العرب وتقدمت القصة في ترجمته . وبالجملة أنه كان من الطراز الأول من فحول الشعراء ، ولم يخالف في ذلك أحد من الأدباء ، وهو صاحب المعلقة المشهورة :
ومن أمثاله السائرة قوله

وإنَّ غَدًا وإنَّ اليومَ رَهْنٌ وَبَعْدَ غَدٍ بِمَالَا تَعْلَمِينَا^(١)
وفي هذه القصيدة بيتان ينسبان إليه . ويقال لهما عمرو بن عدى كما ذكره الإمام النجاشي في كتابه (لباب الأدب) وما :

صَدَدْتُ الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَزْرٍ وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا المِثِينَا^(٢)
وما شرُّ الثلاثة أُمَّ عَزْرٍ بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبِحِينَا^(٣)
ويروى أن عاملاً للإمام علي كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه قدم من عمله فأهدى إلى الحسينين الأحسنين رضي الله تعالى عنهما ولم يهد شيئاً إلى محمد ابن الحنفية فغضب علي كفه وتمثل بقول عمرو :

وما شرُّ الثلاثة أُمَّ عَزْرٍ بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبِحِينَا
فأهدى من الفد إلى ابن الحنفية كما أهدى إلى أخويه صلوات الله وسلامه على جدم وعليهم .

عنترة بن شداد العبسي

كان من مشاهير شعراء الجاهلية كما كان من الفرسان المذكورين وله وقائع كثيرة وتقدمت نبذة من أخباره في الكلام على الفرسان^(٤) . وحذاق الشعراء يرجعون شعر عمرو بن كلثوم على شعره على منزلته الرفيعة في البلاغة . وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبياته التي يقول فيها :

(١) أي بما لا تعلمين من الحوادث . يقول فان الأيام رهن بما لا يحيط علمك به أي ملازمة له . (٢) يروى « صبت » موضع « صددت » أي صرفت (٣) يقول : ليس بصاحبك الذي لا تسقينه الصبوح شر هؤلاء الثلاثة الذين تسقيهم أي لست شر أصحابي فكيف آخرتنى وتركت سقبي الصبوح ! (٤) ج ٢ ص ١٢٦ - ١٢٧

بَكَرَتْ تُخَوِّفِي الْمُنُونَ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضٍ لِلْمُنُونَ بِمَعْرِلٍ^(١)
فَأَجَبْتُهَا : إِنَّا لِلنَّبِيَّةِ مَنَهْلٌ لَا بُدَّ أَنْ أُشَقَّ بِكَاسِ النَّهْلِ
فَأَقْنِي حَيَاءَكَ (لَا أَبَالِكَ) وَأَعْلَى أَنِي أَنْزِلُ سَامُوثُ إِنَّمَا لَمْ أَفْتَلِ^(٢)
وَلَمَّا أَنْشَدَ قَوْلَهُ

وَلَقَدْ آيَتُ عَلَى الطَّوْى وَأَغْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمٍ لِلْأَكْلِ^(٣)
قَالَ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا وَصَفَ لِي أَعْرَابِي قَطُّ فَأُحْيَتُ أَنْ أَرَاهُ
إِلَّا عَنَقَةً .

وَمِنْ أَمْثَالِهِ السَّائِرَةِ قَوْلُهُ

نُبِئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نَسَقِي وَالْكَفَرُ مَحْبَبَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعَمِ^(٤)
وَبَيْتُهُ الَّذِي يَنْسَبُ إِلَيْهِ
إِنْ الْمَدْوُ عَلَى الْمَدْوِ لَقَائِلٌ مَا كَانَتْ لِي عِلْمٌ وَمَا لَمْ يَعْلَمْ

طُغْيَانُ الْفَنَوَى

كَانَ يُقَالُ لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْحَبْرُ أَيْ الْحَسَنُ لِحَسَنِ شَعْرِهِ . وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ يَوْمًا لِلْأَنْصَارِ : زَادَكُمْ اللَّهُ عَنَا يَامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ خَيْرًا فَمَا مَثَلُنَا
وَمِثْلُكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ طُغْيَانُ الْفَنَوَى :

جَزَى اللَّهُ عَنَا جَعْفَرًا حِينَ أَرْقَلَتْ بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتْ
أَبْوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنَا تَلَاقَى الَّذِي يَقُولُونَ مَنَا لَمَلَّتْ

(١) بكرت : أسرع . ولم يرد بكور الفدو . والمنون : الموت . والمنهل بفتح
الميم والهاء المورد (٢) غنى الحياء : لزمه وحفظه . وقناني الحياء أن أفعل
كذا : ردني ووعظني وهو يقنيني . قال الشاعر :
وَأَنِّي لَيَقْنِينِي حَيَاؤُكَ كُلَّمَا لَقَيْتَكَ يَوْمًا إِنْ أَبْثَكَ مَا بِيَا
(٣) الطوى : الجوع . ويروى « كريم المطعم » موضع « كريم المأكول »
(٤) التنبيه والتنبؤ مثل الانباء وهذه من سبعة أفعال تتعدى إلى ثلاثة
مفعول . والكفر : تحطية نعم المنعم بالجحود .

ومن غرر شعره قوله

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَتْنَ لَنَا مِنْهُنَّ مَرٌّ وَبَعْضُ الْمَرْءِ مَا كَوُلُّ
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يَنْهَيْنَ عَنْ خُلُقِي فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بُدَّ مَقْعُولُ

الأصبط بن قريع السعري

روى ابن الأنباري بإسناده قال : عاش الأصبط بن قريع مائة وخمسين سنة
ثم مات في آخر الزمان وأمير شعره قوله :

لِكُلِّ هَمٍّ مِنْ أَلْهُومٍ سَعَةٌ وَالصَّبْحُ وَالْمُسَى لَا بَقَاءَ مَعَهُ (١)
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ وَيَا كُلُّ الْمَالِ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ
لَا تَحْتَرِنَ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَحَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ (٢)
وَصِلَ حَيَالُ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَقْصَرَ الْقَرِيبُ إِنْ قَطَمَهُ (٣)
وَأَقْبِلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بَعِثْهُ نَفْعَهُ
مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابِكُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ وَزَعَهُ (٤)
أَذُودُ عَنْ حَوْضِهِ وَيُدْفَعِي يَقُومُ مَنْ عَاذَرِي مِنَ الْخُلْدَةِ (٥)

(١) ويروى « والمسي والصبح لا فلاح معه » . والمسي يضم الميم وكسرها
وسكون السين اسم من الأسماء . والصبح اسم من الأصباح . والفلاح : البقاء
(٢) قوله « لا تحقرن الفقير » هو رواية الجاحظ في البيان والتبيين ، ورواه
غيره « ولا تعاد الفقير » والرواية المشهورة عند النحاة « لا تهين الفقير » وهم
يوردون البيت شاهدا على حذف نون التوكيد الخفيفة من « تهين » لالتقاء
الساكنين والأصل « لا تهينن الفقير » فحذف النون وبقيت الفتحة دليلا
عليها . وله نظائر كثيرة في كلام العرب . وعمل : لغة في لعل . والركوع :
الانحناء والميل وأراد به الانحطاط من المرتبة والسقوط من المنزلة . (تنبيه)
زعم العيني وبعه أناس أن هذا البيت من الخفيف وهو وهم كبير والصواب
أنه من المنسرح — ويدل له التصيدة — لكن دخل في أوله الخرم (بالراء) بعد
خبئه فصار على وزن فاعلن وهذا جائز عند بعضهم وممتنع عند الخليل .
انتهى باختصار من شرحنا لكتاب الضرائر تأليف الأستاذ الألويسي المؤلف
ص ٩٩ و ١٠٠ من طبعة المطبعة السلطانية بمصر (٣) بمعنى : تقرب إلى البعيد
من النسب إذا طلب قربك وأهجر القريب من نسبك إذا هجرك .
(٤) المصاب بالغم : المصيبة . وروى « ما بال من فيه مصيبك » . وزعه
يزعه وزعا : كفه ومنعه . وكان في الأصل « ودعه » بالذال . يقول : ما بال
من تتألم لمصيبته وفقره إذا وجد شيئا من الخير كفه عنك .
(٥) قوله « أذود عن حوضه » هذا مثل للحماية ودفع المكروه عنه .

حتى إذا ما انجلت عمايته أقبلَ يَاحَى وَغَيَه فَجَمَه^(١)

عدي بن زيد العبادي

لا يخرج من شعر شاعر من الجاهلية من محكم الشعر وحكمة وما يصلح للثعلب به من حسن الديباجة وصفاء الزجاج ما يخرج من شعر عدي، وكان يسكن الحيرة ويجاور الربف فرقاً شعره وعذب منطقته، وكان يونس النحوي إذا أنشد قوله في الاعتبار بذهاب القرون وذهاب الملوك يقول: لو تمنيت أن أقول شعراً ما تمنيت إلا هذا:

أيها الشامتُ المميّز بالدهرم أنتَ المبرأُ الموفورُ؟^(٢)
أَمْ لديك العهدُ الوثيقُ من الأَيَّامِ ؟ بل أنتَ جاهلٌ منورُ !
أين كسرى كسرى الملوك أوثر وان أَمْ أينَ قبله سابورُ؟^(٣)
وأخو (الحضر) إذ بناه وإذ دجلة تجي إليه و (الخابور)^(٤)
شأده مرمرًا وجله كأ ساء فلطير في ذراه وكور^(٥)
وبنو الأصفر السكرامُ ملوكُ الروم لم يَبْقَ منهم مذكور^(٦)

و « الخدمة » بضم الخاء المحجمة وفتح الدال المهملة بطن من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وهم قومه . قاله صاحب الأغاني وغيره . وقال بعضهم : الخدمة في هذا البيت اسم للدهر لثقله ويقال دهر خادع وخدمة وهو مجاز (١) العمابة بفتح العين المهملة : الشدة التي تلتبس منها الأمور . يقال : عمى عليه الأمر إذا التبس . وأقبل : نزع . وبلحى : يلوم . والشي : الضلال . وفجمه : أصابه بمكره (٢) شمت العدو : كفرح وزنا ومعنى (٣) كسرى أنوشروان : ملك الفرس . وسابور : ذو الاكتاف ملك المعجم معرب شاه بور ، معناه : ابن السلطان (٤) أخو الحضرم وهو بالفتح ثم السكون اسم مدينة بأزاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات . بناها الساطرون بن أسطرون الجرمي . . ودجلة : اسم للنهر الذي يمر ببغداد ولا تنصرف ولا يدخلها الألف واللام . وفلظ صاحب (المنجد - المعجم المدرسي) فادخلها عليها كما غلط في مسائل كثيرة فيه فليحذر منه ! وتجي : تجمع . والخابور : نهر بين رأس العين والفرات مشهور . وآخر شرقى دجلة الموصل بينه وبين الرقة عليه قرى كثيرة وبلديات (٥) شأده : بناه . والمرمر : وزان جعفر نوع من الرخام إلا أنه أصلب وأشد صفاء . وجله : فطاه . والكلس : بالكسر الصادروج وهو النورة . وذرى الشيء : أعلاه (٦) بنو الأصفر : الروم وقيل ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم يعصو بن بن اسحق . وقيل الأصفر لقب روم لا ابنه . وقال ابن الأثير : إنما سموا بذلك لأن أباهم الأول كان أصفر اللون وهو جد روم ابن يعصو ويقال عيصون . أو لغير ذلك .

وتفكر رب (الخورتق) إذ أشرف يوماً وللهدى تفكير^(١)
 سره ملكه وكثرة ما به وبه والبحر مريضاً و (السير)
 فارعى قلبه فقال وما غبطة حتى إلى المات يسيراً^(٢)
 ثم أضحوأ كأنهم ورك جف فألوت به الصبا والدبور^(٣)
 ثم بعد الفلاح والملك والإمة وأرتهنم هناك القبور^(٤)
 ومن أمثاله السائرة

كنى واعظاً للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتفتدى^(٥)
 عن المرء لا تسأل وسل عن قريبه فإن القربى بالمقارب مقتدى
 وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على الحر من وقع الحسام المهند^(٦)
 وقوله في حبس النعمان بن المنذر

أبلغ النعمان عنى مألوكاً أنه قد طال حبسى وانتظارى^(٧)
 لو بغير الماء حلقي شرق كنت كاتنصان بالماء اعتصارى^(٨)
 وقوله

فهل من خالك إما هلكنا وهل بالموت يا للناس عار

- (١) الخورتق والسدير : مر ذكرهما في ص ١٠٩ من هذا الجزء .
 (٢) ارعوى : ارتدع . والغبطة : حسن الحال وهي اسم من غبطته غبطاً
 إذا تمنيته مثل ما ناله من غير أن تريد زواله عنه لما أعجبك منه وعظم منك
 وهذا جائز فإنه ليس بحسد فإن تمنيت زواله فهو الحسد
 (٣) ألوت به : ذهبت به . والصبا : كعصى الريح التي تهب من مطلع
 الشمس . والدبور : كرسول الريح التي تهب من جهة المشرق تقابل الصبا .
 ويقال تقبل من جهة الجنوب ذاهبة نحو المشرق . كذا في المصباح
 (٤) الأمة بالكسر النعمة . قال الأصمعي :
 ولقد جررت إلى الفنى ذا فاقة وأصاب غزوك أمة فازالها
 (٥) الرواح يكون بمعنى القدر وبمعنى الرجوع وقد طابق بينهما في قوله
 تعالى « غدوها شهر ورواحها شهر » أى ذهابها ورجوعها .
 (٦) المضاضة : الألم . والحسام : السيف . والمهند : المطبوع من حديد
 الهند . ويقال سيف مهند وهندوانى إذا عمل ببلاد الهند .
 (٧) المالك : يضم اللام الرسالة . (٨) قوله : قوله : « شرق » من شرق الماء
 إذا غص . والفصان : الفاص بالطعام أو بالماء . والاعتصار : المجأ . قال
 أبو عبيدة : الهنى لو شرقت بغير الماء أسفت شرقى بالماء فإذا غصصت بالماء
 فبما أسيفه . والبيت من شواهد التحويلين .

الحِمْيَرُ بْنُ حَمزةَ البَشَكْرِى

قال أبو عبيدة : أجود الشعراء قصيدة واحدة طويلة ثلاثة نفر :
عمرو بن كلثوم . والحِمْيَرُ بْنُ حَمزةَ . وطرفة بن العبد . وزعم الأصمعي أن
الحِمْيَرُ قال قصيدته للعلقة وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة ارتجالاً متوكفاً على
قوسه فزعموا أنه اقتطع كفه ^(١) وهو لا يشعر من الغضب . وقال ابن السدي
أدب السكائب كان مثكفاً على عذرة ^(٢) فارزرت ^(٣) في جسده وهو لا يشعر .
قال الصولي : ما يوصف تأهب القوم للسفر وإقبالهم على جمع الآلات للارتحال
بأحسن من قول الحِمْيَر :

أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لم ضوضاه ^(٤)
من مُنادٍ ومن مجيبٍ ومن نهْ هال خيلٍ خلال ذلك رُغاه ^(٥)

أمية بن أبي الصلت

له في التوحيد والحكمة شعر كثير . وفيه بقول النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم : آمن شعره وكفر قلبه . ويقال أنه أول من تلطف للسؤال في قوله لعبد الله
ابن جُدعان ^(٦) :

أأذكرُ حاجتي أم قد كفاني حياؤك ؟ إن شيمتك الحياء ^(٧)
وعلمك بالحقوق ^(٨) وأنت قرم لك الحسب المهذب والسناء ^(٩)

(١) اقتطع الشيء : عضه أو تناوله باطراف أسنانه وذاقه .
(٢) هي رميح بين العصا والرمح في طرفه سنان مثل سنان الرمح .
(٣) أي انفزرت . (٤) الضوضاء : الجلبة وهي اختلاط الأصوات .
واجتماع الأمر : فقد القلب وتوطين النفس عليه . (٥) التصهل : كالصهيل .
والرغاء : بالضم صوت البعير . يقول : اختلطت أصوات الداعين والمجيبين
والخيل والأبل . يريد بذلك تجمهم وتأهيمهم (٦) ترجمته في الجزء الأول
من هذا الكتاب ص ٨٧ (٧) الشيمة : الخلق والطبع . . . يعني أن حياءك
يكفي في قضاء حاجتي (٨) أي يكفيني معرفتك بما يجب .
(٩) القرم : السيد العظيم ، ويروى « وأنت فرع » أي شريف قوم .
والحسب المهذب : النقى المخلص . والسناء : الرقة .

كريمٌ لا يغيرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ (١)
إِذَا أَتَيْتُ عَلَيْكَ لَمَرُّهُ يَوْمًا كِفَاءً مِنْ نَمَرٍ ضَرَّ الشَّاءُ (٢)

وَمِنْ غُرُ شَعْرِهِ قَوْلُهُ

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لَأَمْرِي إِنْ حَبَّوْتَهُ بِخَيْرٍ وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ (٣)
وَلَيْسَ بِشَيْءٍ لَأَمْرِي بِذَلِكَ وَجْهَهُ إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ
وَقَدْ سَبَقَ لَهُ ذِكْرُ فِيمَنْ كَانَ عَلَى دِينِ أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ .

فَسِ بْنِ سَاعِدَةَ ابْنِ بَادِي

كَانَ لَهُ بَاعٌ طَوِيلٌ فِي الشَّعْرِ ، وَانْطَلَبَ ، وَسَافَرَفَنُونَ الْكَلَامَ ، مَعَ اشْتِهَالِهِ
عَلَى الْحَكَمِ الْبَالِغَةِ ، وَالْقَوَائِدِ الْبَدِيعَةِ ، فَمِنْ غُرُ شَعْرِهِ :

فِي الدَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ (٤)
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلدَّوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ (٥)
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا تَمَضَى الْأَصَاغِرُ وَالْأَكْبَرُ
لَا يَرْجِعُ اللَّاضِي إِلَى السَّيِّئِ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَائِرُ
أَبْقَنْتُ أُنَى لَا نَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

وَأَنْشَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ إِنَّهُ يَبْعَثُ أُمَّةً

عَلَى حِلَّةٍ .

(١) يَرُوى « خَلِيل » مَوْضِع « كَرِيم » وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ . وَيُرُوى بَعْدَهُ هَذَا
الْبَيْتُ :

وَارْضُكْ كُلَّ مَكْرَمَةٍ بَنْتَهَا بَنُو تَيْمٍ وَانْتَ لَهَا سَمَاءُ
(٢) يَعْنِي أَنَّ الْمَرْحَ يَكْفِي فِي نَيْلِ الْحَاجَةِ مِنْكَ بِدُونِ التَّعَرُّضِ لِمُطَالَبَتِكَ .
(٣) حَبَّوْتُهُ : أَعْلَيْتُهُ (٤) الْقُرُونُ : جَمْعُ قَرْنٍ وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ مَدَّةٍ فِيهَا نَبِيٌّ
أَوْ طَبَقَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ وَالْفَضْلُ سَوَاءٌ قَلَّتِ السَّنُونَ أَوْ كَثُرَتْ . كَذَا قَالُوا .
(٥) الْمَوَارِدُ : جَمْعُ مَوْردٍ ، وَهُوَ مَحَلُّ الْوُرُودِ أَيْ الْإِتْيَانِ . وَالْمَصَادِرُ : جَمْعُ
مَصْدَرٍ ، وَهُوَ مَوْضِعُ الصَّدُورِ أَيْ الْإِنْصِرَافِ وَالرَّجُوعِ (٦) غَائِرُ : اسْمُ فَاعِلٍ
مِنْ غَيْرِ بِمَعْنَى مَكْتُوبٍ وَبِمَعْنَى مَغْضَى أَيْضًا فَهُوَ ضِدُّ (٧) أَيْ أَبْقَنْتُ أَنِي
مَنْتَقِلٌ حَيْثُ انْتَقَلَ الْقَوْمُ ، فَصَائِرُ خَيْرٌ أَنْ . وَصَارَ بِمَعْنَى انْتَقَلَ . وَالْقَوْمُ
فَاعِلُهُ . وَلَا مَحَالَةَ : بَفَتْحِ الْمِيمِ — لَا تَغْيِيرَ وَلَا تَبْدِيلَ . وَأَبْقَنْتُ جَوَابَ لَمَّا فِي
الْبَيْتِ التَّالِي .

عائز بن محسن الشيرازي باللقب العبدى

ولقب بذلك لقوله فى قصيدة أولها :

أطاحمَ قَبْلَ يَبْنِكِ مَتَعِينِ وَمَنْعَكَ مَا سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِ^(١)
وَمِنْهَا (وَقَبْلَ الْوَصَافِ لِلْحَيَوْنَ)^(٢) وَأَمِيرَ شَعْرِهِ قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :
فَلَا تَمِيدِ مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ تَمُرُّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِ
فَلَوْ أَنَّ ثَمَانِدِي شِمَالِي لِمَا أَتَيْتَهَا أَبَدًا يَمِينِي
إِذَا أَقْطَعْتَهَا وَلَقَلْتُ يَمِينِي كَنْكَلِكَ أَجْتَوَى مَنْ يَجْتَوِينِي^(٣)
فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقِّي فَأَعْرِفَ مِنْكَ غَتِّي مِنْ سَمِينِي^(٤)
وَالَا فَطَرِحْنِي وَأَعْمِدْنِي عَدُوًّا أَتَقِيكَ وَتَتَقِينِي^(٥)
وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَمْتُ أَرْضًا أَرِيدُ الْخَلِيرَ أَهْمًا يَلِينِي^(٦)
الْخَلِيرَ الَّذِي أَنَا أَبْغِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَعِينِي^(٧)

ومن أمثاله أيضا قوله

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تَرُدَّ أَنْ تَسْمَ الْوَعْدَ فِي شَوْءٍ « نَعَمْ »
حَسَنٌ قَبْلَ « نَم » قَوْلُكَ « لَا » وَقَبِيحُ الْقَوْلِ « لَا » بَعْدَ « نَعَمْ »
إِنْ « لَا » بَعْدَ « نَم » فَاحْشَا (قَبِيلًا) فَابِدًا إِذَا خَفَتْ النَّدَمُ

- (١) أى منعك ما سألتك كبينك عندي . والبين : الفراق . ويرى « ومنعك ما سألتك أن تبينى » والمعنى منعك ما سألتك لبينك ومن أجل بينك
(٢) قبله « ظهروا بكلة وسدوا أخرى » هكذا أورده الزبيدي . وفى الصحاح
والإساس « أرين محاسنا وكفن أخرى » وفى خزائن الأدب للبغدادى « رددن
تحية وكفن أخرى » والوصاوص جمع وصواوص وهو البرقع الصغير .
(٣) البين : الفرقة . واجتوى : أبغض (٤) قوله « فأعرف » بالنصب
معهطوف على تكون . والفعل : من غت اللحم يفت غشاة وغشوه فهو غت وغشيت
إذا كان مهزولا . وكذلك غت حديث القوم وأغش أى ردؤ وفسد . والمعنى
ههنا : أعرف منك ما يفسد مما يصلح . وقال الدمايينى : الغت الردى ،
والسمين : الجيد ، أى أعرف منك مساوئى من محاسنى فان المؤمن مرآة
أخيه أو أعرف ما يضرنى منك مما ينفعنى وأميز بينهما
(٥) أطرحنى : أتركنى ، وهو بتشديد الطاء افتعال من الطرح
(٦) يمممت : قصصت (٧) ويرى « أم الشر الذى لا يأتينى » أى
لا يأتى فى طلبى .

واعظمُ بأنَّ الدَّمَّ نَقَصُ لَفْتِي ومَتَى لَا تَتَقَى الدَّمَّ تَذَمُّ
أَكْرَمُ الْجَارَ وَرَاعَ حَقَّهُ إِنْ عَرَفَانَ الْفَتَى الْحَقَّ كَرَمُ
لَا تَرَانِي رَاتِمًا فِي مَجْلَسٍ فِي لَحُومِ النَّاسِ كَالسَّبْعِ الْفَرَمِ^(١)
إِنْ شَرَّ النَّاسِ مِنْ يَكْشُرُلِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غَبْتُ شَمُّ
وَكَلَامِ سَيِّءٍ قَدْ وَفَّرْتُ عَنْهُ أَذْنَائِي وَمَا بِي مِنْ صَمِّ^(٢)
فَصَدِيتُ خَشَاءَهُ أَنْ يَرَى جَاهِلٌ أَنِّي كَمَا كَانَ زَعَمُ
وَلِبَعْضِ الصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ ذِي الْخَلْقِ أَبْقَى وَإِنْ كَانَ ظَلَمُ^(٣)

المزوق العبدى

واسمه شاس بن نهار بن أسود بن حريك^(٤) بن حى بن غشاش^(٥) وكان
ابن أخت المنقب . وإنما لقب بالمزوق لبيت قاله لبعض اللوك وكان أسيراً عنده :
أَحَقًّا (أَبَيْتُ اللَّعْنَ) إِنْ ابْنَ فَرْتَنِي عَلَى غَيْرِ أَجْرَامٍ بَرِيقِي مَشْرِقِي^(٦)
فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوَلَا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَذْرِكُنِي وَلَسَا أُمَزْقِي
قال أحمد بن عبيد : إنما هو ممزوق بكسر الزاى . ولقب ببيته هذا :
فَنِ مِبلغِ النِّهانِ أَنْ ابْنَ أَخِيهِ عَلَى الْعَيْنِ يَتَادُ الصِّفَا وَيَمَزْقِي^(٧)

(١) أكل لحم أخيه : اغتابه . والضم : الشديد النهم إخلا من ضم النار
وهو البهائم . والسبع بضم الموحدة لكن سكنه للضرورة . (٢) وقوت أذنه
بالبناء للمفعول توقر وقرا فهى موقرة من الصمم . (٣) ذو الخنى : ذو الفحش
(٤) فى الأصل « حريك » بالجيم والتصحيح من التاج (٥) لم يذكر الزبيدي
هذا الاسم فى نسب المزوق الذى أورده فى مادة (مزق) من التاج .
(٦) أبيت اللعن : تحية ملوك العرب فى الجاهلية - راجع الجزء الثانى من
هذا الكتاب ص ١٩٢ والفرتنى : المرأة الزانية والأمة . وابن الفرتنى هو
ابن الأمة الألفى . قال الشاعر :

مهلاً يميث فإن أمك فورتنى حمراء انخنت العلوج رداما
وشرق بريقه : غص .

(٧) معنى يمزق يفتنى . قال المفضل : وهذا بقوى قول الجوهري فى كسر
الزاى فى « المزوق » إلا أن المعروف فى هذا البيت « يمزق » بالراء والتعريق
بالراء الفناء فلا حجة فيه على هذا لأن الزاى فيه تصحيف . . وقال الأمدى
فى الموازنة : المزوق بالفتح هو شاس بن نهار العبدى سُمى لقوله : فان كنت
ماكولا البيت .

(والتزريق وعين محم موضع بالبحرين^(١)) وروى له أبو عبيدة قوله :
 هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من واق^(٢) ؟
 ومنها قوله الذى سار مثلاً
 هوّن عليك ولا تولع يا شفاق فأعسا مالنا للوارث الباق
 ومن غرره قوله
 لن يجمعوا أودى ومعرفى أو يجمع السيفان فى غد^(٣)

عبد قيس بن خفاف

كان من البراجم^(٤) . ومن غرر مواظله ووصاياه لابنه قوله :
 فاقه فائقه وأوفر بنذره وإذا حلفت مमारياً فتحتل^(٥)
 واعلم بأن الضيف مكرم أهله بميت ليلته وإن لم يسأل
 والضيف أكرمهُ فإن ميته حق ولا تك لمة للزئل
 وصل للواصل ما صفا لك ودّه واحرز حبال الخائن المتبدل^(٦)
 واترك محمل السوء لا تحمال به وإذا نبأ بك منزل فتحوّل^(٧)
 دار الموان لمن راعا داره أفرحل عنها كن لم ير حل ؟
 وإذا هممت بأمر شر فائتد وإذا هممت بأمر خير فاعجل^(٨)
 وإذا أتت من العدو قوارص فاقرص هناك ولا تقل لم أفصل^(٩)

(١) لينظر ما وجه إيراد هذه الجملة هنا (٢) بنات الدهر : حوادثه ومصائبه . والواقى الحافظ . وحمام الموت بالكسر قضاؤه وقدره .
 (٣) الأود : الأعوجاج . والغمد : قراب السيف (٤) البراجم قوم من أولاد حنظلة بن مالك . (٥) نذر على نفسه ينذر نذرا ونذورا : أوجه . ونذر لله سبحانه كذا . أو النذر ما كان وعدا على شرط فعلى أن شفى الله مريضى كذا نذر وعلى أن اتصدق بدينار ليس بنذر . وقوله (مमारيا) أى شاكاً ومجادلاً . وتحال فى يمينه إذا حلف ثم استثنى استثناء متصلاً .
 (٦) احرز : أقطع . (٧) نبأه المنزل : لم يوافقه . (٨) اتاد وتواد : تانى فى الأمر . (٩) القوارص من الكلام هى التى تنفصك وتؤلك كالقرص فى الجسد . ولا تزال قرصنى من فلان قارصة أى كلمة مؤذية .

الشغرى

تقدم له ذكر أيضاً وأمير شعره قصيدته التي أولها :
إلا أمِّ عمرٍ وأجمت فاستقلت وما ودعت جيرانها إذ تولت
وبيت القصيدة قوله في وصف امرأة
فدقَّتْ وجلَّتْ واسبكرت وأظلفت فلو جنَّ إنسانٌ من الحسن جنَّتْ
أى دقت خاصرتها وجلت^(١) عجزتها وامتد قوامها واسودَّ شعرها فلو كان
إنسانٌ بمن من قرط الحسن لجنَّت هذه .

عمرو بن العورد

أمير شعره وغرة كلامه في الخطاب بالنفس لطلب المال قوله :
فن يكِّ مثلى ذا عيالٍ ومقتدٍ من المال يطرح نفسه كلَّ مطرح^(٢)
ليبلغ هذراً أو ينالَ رغبةً ويميلُ نفسٍ عزرها مثل منبج^(٣)
وقوله أيضاً
إذا آدا آذاك مالك فاشتتهه الجاديه وإنَّ قرعَ المراح^(٤)
أى إذا أعانك مالك فابذله لمن سألك إياه وإن بقيت صفراً منه .

أفصم النطلي

كان بعض الكهان أنذره بهلاكه من لدغة تصيبه ، وكان يتعزز منها بمجده
ولا ينأى إلا على ظهر راحلته . فبينما هو ذات ليلة على ناقته له ، وهى ترى ، إذ التوت
حيةٌ على مشقرها^(٥) فاضطربت فرمت بها إليه فلدغته ، فقال في وقته :

(١) أى عظمت (٢) أى من يك مثلى معيلاً مقتداً (أى صاحب عيال فقيراً)
يطرح نفسه في كل بلاء ومشقة (٣) يصيب رغبة : ينال مالا . والمنجح :
الفاتح . وفى الأغاني (ج ٢ ص ١٨٩) : (منك) بدل (مثل) . (٤) نسبة الزبيرى
في مادد (فرع) لابن أذينة . وآداه ماله : كثر عليه فطلبه . والمراح بالضم
المأوى ، وقرع مأوى المال ومراحه في المال قرعاً فهو قرع : هلك ما سيته .
ويروى « صفر المراح » بدل « قرع المراح » . والجادى : السائل .
(٥) المشقر للبعير كالشفقة للإنسان .

لَمَعْرُكًا مَا يَذْرَى الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقَى إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهُ وَاقِيَا
ثُمَّ خَرَّ مَيِّتًا لِسَاعَتِهِ .

قبس بن العظيم

أمير شعره قصيدته التي أولها :

أُتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ ^(١) أَمْرَةً وَخَشَا غَيْرَ مَوْقِفٍ رَاكِبٍ ؟

و بيت القصيدة قوله في وصف امرأة

تَرَأَيْتُ لَنَا كَالشَّمْسِ بَيْنَ غَمَامَةٍ بِدَا حَاجِبٍ مِنْهَا وَبَانَتْ بِحَاجِبٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ قَدْ جَدَّ جَدُّهَا لَبِستُ مَعَ الْبَرِّدِينَ ثَوْبَ الْحَارِبِ
يَقُولُ قَدْ جَمَعْتُ بَيْنَ ثَوْبِ الصَّلَاحِ وَثَوْبِ الْحَارِبِ لِأَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِي
فِي الْحَالِينِ . وَفِيهَا :

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خَطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا بِالتَّقَارِبِ

وَفِيهَا

لَوْ أَنَّكَ تَلَقَى حَنْظَلًا فَوْقَ يَمِينِنَا تَدْحَرُجُ عَنْ ذِي سَامَةِ الْمُتَقَارِبِ

أُمَيَّة بن الجهم

غرة شعره الذي يتمثل به قوله :

إِسْتَفْنُ أَوْمَتْ وَلَا يَفْرُكُ ذَوْنُ شَبٍّ مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالَ ^(٢)
إِنِّي يُقِيمُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمَرُهَا إِنَّ الْحَبِيبَ إِلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ

وقوله

وَمَا يَذْرَى الْفَقِيرُ مَتَى غَنَاءُ وَلَا يَذْرَى الْفَتَى مَتَى يَمِيلُ ^(٣)

(١) أي كتتابع المذاهب وهي جلود مذهبة بخطوط يرى بعضها في اثربعض

(٢) النسب بفتحيتين المال والعقار (٣) يميل : يفتقر .

عاصر بن الطفيل

هو من الشعراء المجيدين . ومن غرر شعره السائر سير الأمثال قوله :
إني وإن كنتُ ابنَ سيِّدٍ عاصِرٍ وفارسها المشهور في كلِّ مَوْكَبٍ (١)
فما سَوَّدَتْنِي عامِرٌ عن وَرَاقَةٍ (٢) أَيْ اللهُ أَنْ أُنْجُو بِأَمْرِ وَلَا أَبِ (٣)
ولكنني أحمى حماها وأتقى أذاها وأرى مَنْ رماها بمنسكبي
ويقع قوله هذا في كل اختيار لاشتغال الحسن والجودة على لفظه ومعناه .

أبو الطمَّاح القينى

واسمه الشرقى بن حنظلة (٤) . قال دجيل : إن أمدح بيتَ قاتك العرب في الجاهلية
قول أبي الطمَّاح :

وإنَّ بَنِي أَوْسَ بْنِ لَأْمٍ أَرْوَمَةٌ عُلْتُ فَوْقَ صَعْبٍ لَا تَرَامُ مَرَّاقِبُهُ
أَضَاءَتْ لِمِمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُحَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَاقِبُهُ (٥)
وكان أبو بكر الخوارزمي يقول ربما أردت البكاء في بعض مواطنه فيمتنع على
فأهو إلا أن أنشد أبيات أبي الطمَّاح القينى فيما بينى وبين نفسى حتى ينحل
عقد الهم . وهى هذه :

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ صَدْحِ النَّوْائِحِ وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الْجَوَانِحِ (٦)
وَقَبْلَ غَيْدٍ يَاهُفَى نَفْسِي عَلَى غَيْدٍ إِذَا رَاحَ أَحْمَابِي وَلَسْتُ بِرَاحٍ
إِذَا رَاحَ أَحْمَابِي تَقِيضُ دُمُوعُهُمْ وَغُودِرْتُ فِي لَحْدٍ عَلَى صَفَائِحِي (٧)

(١) الموكب : كمجلس اسم الجماعة من الناس ركباناً أو مشاة ، أو ركاب الإبل للزينة والتنزه (٢) أى ما جعلتنى سيد قبيلة بنى عامر بالارث من آبائهم بل سدتهم بأفعالي (٣) قوله إني الله الخ له معنيان أحدهما بمعنى كره وهو المراد هنا . والثانى بمعنى امتنع و (أن اسمو) مفعوله والسمو . العلو واستشهد النحاة بهذا البيت على أن النصب على الواو يقدر كثيراً لاجل الضرورة (٤) الصواب « حنظلة بن الشرقى » كما تقدم في الجزء الأول ص ٥٥ (٥) راجع الجزء الأول ص ٥٥ و ٥٦ (٦) التعليل : تطيب النفس بذكر ما تحب . والجوانح : ضلوع الصدور . وارتقاء النفس : بلوغها التراقى (٧) غودرت : تركت . والصفايح : الحجارة المريضة الرقيقة .

يقولون : هل أصلحتم لأخيك ؟ وما الالحد في الأرض القضاء بصالح
والشيء بالشئ يذكر . وذلك أن بعض الأدباء قال : إذا استجلبت ماء العين
أيضاً في وقته فأبى أنشدت قول بعض المحدثين فيما بيني وبين نفسي فإهو إلا أن
أمره ببالي وقد جاءت العبرات وهو هذا : —

ولتطلعنَّ الشمسُ بمد فراقنا بيضاء لم تأسفْ على فقداننا
كم من غداةٍ يُستطاب نعيمها ويدُ الليلِ تقضى على أبداننا

الرُّعْصَى

واسمه ميمون بن قيس . وكان يقال له (صَنَاجَةُ الْعَرَب) لكثرة ما تفنن
في شعره وهو أحد الأربعة الذين وقع الاتفاق على أنهم أشعر العرب ، وقد تقدم
ذكرهم (١) . وهو على ساقطة الجاهليين ، ومقدمة المخضرمين ، وكان قد أدرك
المبعث ومدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير أنه لم يتوفق للإسلام . فن أمثاله
السائرة قوله في النظم :

وكأس شَرِبْتُ على لَذَّةٍ وأخرى تداوَيْتُ منها رِيها
لكي يسلم أتَى امرؤٌ أُنيت المروءةَ مِنْ بارِها
وله البيت القى وقع الاتفاق على أنه أهدى بيت في الجاهلية . وهو قوله
في علقمة بن علاثة :

تَبَيَّنُونَ فِي الشَّقَى مِلَّةَ بَطُونِكُمْ وَجَارَاتِكُمْ غَرْنِي يَبَيَّنَ سَهْمَانِيَا (٢)
وروى أن علقمة لما قرع سمعه هذا البيت بكى ، وقال : اللهم اخزهِ واجزه
عني إن كان كاذباً . ومن غرر شعر الأعشى وأبيات قصائده وواسطة قلائده قوله

(١) في ترجمة زهير بن أبي سلمى ج ٣ ص ٩٧ (٢) غرني : جائعة والرجل
غرثان . والخمائن : الضامرات البطون ومفردها خميصة . . وقد كتب
الأعشى في هجوه لعلقمة ، فانه كان من أجواد العرب . وقد أسلم وحسن إسلامه
(٩ - ثالث)

وإن القريبَ مَنْ يقرب نفسه لَمَرُّ أَمِكَ الخير لا من تنسباً
وَمَنْ يقرب عن قومه لا يزل يرى مَصَارِعَ مظلوم مجراً ومسحياً
وتدفن منه الصالحات وإن يسىء يكن ما لساء النار في رأس كَبْكَبَا^(١)
ومن أمثاله السائرة قوله

أَلَسْتُ مِنْهُمْ عَنْ تَحْتِ أَنْتَلْنَا وَلَسْتَ ضَارَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ^(٢)
كناطح صخرة يوماً لِيَقْلَمَهَا فلم يضرها ، وأوهى قَرْنَهُ الْوَعْلُ^(٣)
وقوله

عَوَّدَتْ كَنْدَةَ عَادَةَ فَاصْبِرْ لَهَا اغْفِرْ لَهَا لَهَا وَرَوَّ سَجَالَهَا
أَوْ كُنْ لَهَا جَلَالاً ذُلُولاً ظَهَرَ واحل فانت مموّد تمها
ومن أمثال السائرة قوله .

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بَرَاءُ مِنَ النَّقَى وَلَا قَيْتَ بَعْدَ اللَّوْثِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتُ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَنَلِهِ فترصد للأمر الذي كان أُرصدَا^(٤)
ليبريع ربيعة العاصري الوائلي

وهو من الشعراء المخضرمين عاش في الجاهلية ستين سنة ، وفي الإسلام
مثلاً . وكان عذب المنطق ، رقيق حواشي الكلام . وفي النظم « أصدق كلمة
قالها شاعر قول أبيد » .

(١) كبكب كجفر اسم جبل بمكة ولم يقيد في الصحاح بمكان وقيد
غيره بأنه جبل بمرفات خلف ظهر الإمام إذا وقف وقيل هي ثنية . قال
الزبيدي : وقد صرفه امرؤ القيس ، والاعتى ترك صرفه (٢) قوله « عن
نحت اثنتا » أي من ذمنا والظن في حسبتا . والاثلة هي الاصل وواحدة
الاثل وهي شجرة الطرفاء ، ونحت الاثلة كناية عما تقدم . وضارها : ضار
بها . يقال ضاره الأمر يضره بمعنى أضربه . وأطت : حنت . يريد أنك
لا تضرنا أبداً مهما تنقصتنا لأن الناس يعرفون حقيقة فلا يابهون لذلك .
(٣) قوله « كناطح صخرة » يعني أنك بعمالك هذا كوعل ينطح صخرة
ليقلعها وفي رواية « ليوهنها » أي يضعفها . والوعل : حيوان يشبه بالفزال
ويقال هو تيس الجبل (٤) ترصد : أي ترصد وترقب .

الأكل شيء ما خلا الله باطل^(١) وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائل^(٢)
سوى جنة الفردوس إن نعيمها يدوم وإن الموت لا بد نازل^(٣)
وسئل ليبد عن أشعر الناس ؟ قال : الملك الضليل يعني أمراً القيس ، قيل :
ثم من ؟ قال : الغلام القتيل ، يعني طرفة . قيل : ثم من ؟ قال : صاحب المكاز
يعني الشيخ أبا عقيل ، وهو نفسه .. وسمع الفرزدق رجلاً ينشد قول ليبد :

وجلاً السيول عن الطاول كأنها رُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَفْلَاحُهَا^(٤)
فسجد ا فقيل : ما هذا يا أبا فراس ؟ فقال : أتم تعرفون سجدة القرآن وأنا
أعرف سجدة الشعر ! وروى أنه لما أنشد قصيدته هذه في الجاهلية وبلغ قوله :

يعلو طريقة متنها متواتر^(٥) في ليلة كفر الثجوم غامها^(٦)
سجد له شعراً زمانه ا وقيل لبشار بن برد : أخبرنا عن أجود بيت قالته
العرب . فقال : إن تفضيل بيت واحد على الشعر كله لشديد ، ولكن قد أحسن
كل الإحسان ليبد في قوله :

وأَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا^(٧) إِنَّ صَدَقَ النَّفْسَ يُزْرِي بِالْأَمَلِ^(٨)
وَإِذَا رُمْتَ رَحِيلاً فَارْتَحِلْ^(٩) وَأَنْصِي مَا يَأْمُرُ تَوْصِيهِ الْكَسَلِ^(١٠)
ومن أمثاله السائرة من قصيدة :

وما المالُ والأهلونُ إلَّا ودائعُ ولا بدَّ يوماً أن تُرَدَّ الودائعُ
وما المرءُ إلَّا كالشَّهابِ وضوئِهِ يَحْوَرُّ رَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ^(١١)

(١) قوله « لا محالة » بفتح الميم أي لا تغيير ولا تبديل . والباطل : هو في الأصل ضد الحق » وأراد به هنا الهالك (٢) جلا : كشف . والطول جمع طلل وهو الشاخص من آثار الديار . والزبر : جمع زبور وهو الكتاب . وتجد متونها : تجدها . والمتون جمع متن وهو في الأصل الظهر والمراد بها هنا الكتابة التي تكون في الزبور . ومفعول جلا محذوف والتقدير : جلت السيول التراب عن الطول . (٣) طريقة المتن : خط من ذهبها إلى متنها والكفر : التغطية والستر . يقول : يعلو صلبها قطر متواتر في ليلة ستر شمامها نجومها (٤) يزري يقصر (٥) التوصيم : الكسل والفترة (٦) يحور يرجع . وساطع مرتفع .

ومنها

أليس ورائي — إن تراخت منيقي لزوم المصا تحسني عليها الأبايع
أخير أخبار القرون التي معت أدب كأي كلا قت راكم
لمعرك ما يدرى السافر هل له نجاح ولا يدرى متى هو راجع
أنجزع مما أحدث الدهر بالقي وأي كرم لم تصبه القوارع
ومن أمثاله السائرة قوله

ذهب الدين يمش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب^(١)
وقوله

قوتوا وقولا بالقي قد علمتكم ولا تخشوا خذا ولا تحلقوا شمر
إلى الحول، ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا قد اعتذر
وحكي^(٢) أنه لم يقل في الإسلام غير بيت واحد وهو قوله :

المدد لله إذ لم يأتني أجلى حتى اكتسبت من الإسلام سربالا^(٣)
وحكي ابن دريد : أن ليبدأ عاش مائة وخمسا وأربعين سنة : خمسا وخمسين
في الإسلام ، وتسعين في الجاهلية . وقد كان معاوية م بأن ينقص عطائه فأرسل
إليه : « إنما أنا هامة اليوم أو غدا^(٤) فأعزني اسمها فلعل أن لا أقبضا » فات قبل
أن يقبضا . وكانت ابتناه تأتيا مجلس أبي جعفر فتؤبناه^(٥) فلا تألوان فبقيتا
عل ذلك حولا كاملا ثم كفتا . وله أخبار طيبة ذكرها ابن قتيبة في كتاب

(١) يقال فلان في كنف فلان أى في ناحيته وخيره . يقول ذهب الكرام
الدين ينتفع بهم وبقيت في قوم لا خير فيهم كجلد الأجرب وجلد الأجرب
من الجمال لا ينتفع به (٢) هذه الحكاية التي تناقلها المؤلفون خلفا عن سلف
لا تصح بحال . كيف وقد خاطب ليلى حين حضرته الوفاة ابنته بابيا
الشهيرة التي أورد منها المؤلف ههنا بيتين وهما قوله فقوما وقولا بالذي
تعرفانه الخ . (٣) السربال : ما يلبس من قميص أو درع وقد عزا المحققون
هذا البيت إلى رجل سلولى من المعمرين . (٤) يقولون هو هامة اليوم أو الغد
أى يموت اليوم أو غدا (٥) التأيين : الشناء على الشخص بعد موته .

الشعر والشعراء وابن عبد البر في الاستيعاب وأبو حاتم السجستاني في كتاب
المعربين .

كعب بن زهير بن أبي سلمى

هو من الأخضرمين . وكان له عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذنب وحين
أوعده عليه السلام قدّم عليه وأنشده قصيدته التي يقول فيها .

مُبْنَتْ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
إِنْ الرَّسُولُ لَنُورُ يُنْضَاهُ بِهِ وَحَارِمٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

رضي عنه وكساه بردته التي اشتراها (معاوية) من ورثته بستائة دينار ، وهي
البردة التي كانت عند الخلفاء يلبسونها في العيدين . ويقال إن أمير شعره وغرة كلامه
قوله ، ويقال إنه لأبيه :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَى ^(١) أَصَبْتَ لَيْثاً أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ

المعلاء بن الحضرمي

وفد المعلاء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له : أتقرأ شيئاً من
القرآن ؟ فقرأ سورة عبس ، ثم زاد فيها من عنده : (وهو الذي أخرج من الجبل
نَسْمَةً تسمى بين شراسيف وحشى ^(٢)) فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :
كفّ فإن السورة كافية : ثم قال : أتقول شيئاً من الشعر ؟ فأنشده :

وحيّ ذوى الأضغان تسبّ قلوبهم تحيتك الأذنى فقد يدبغ النعل ^(٣)

(١) الخنى : الفحش (٢) النسمّة : بفتحتين نفس الريح ثم سميت بها
النفس بالسكون . والشراسيف : جمع شرسوف وهو غضروف معلق بكل ضلع
او مقطع الضلع وهو الطرف المشرف على البطن . (٣) حيّ : امر من حيّاه تحية
واصله الدعاء بالبقاء والحياة ومته التحيات لله أى البقاء وقيل الملك ، ثم كثر
حتى استعمل في مطلق الدعاء ثم استعمله الشرع في دعاء مخصوص وهو
سلام عليك . وحي على الصلاة ونحوها دعاء . والأضغان : الاحقاد .

فإن دحسوا بالكره فاعفُ تنكراً وإن أخنسوا عنك الحديث فلا تسل^(١)
فإن الذى يؤذيك منه استماعه وإن الذى قالوا وراءك لم يقل
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً ، وإن من
الشعر لحكماً » .

النمر بن تولب العكلى^(٢)

عمر فى الجاهلية وأدرك الإسلام وقد خرف ، وكان شاعراً فصيحاً شجاعاً
جواداً كريماً . وكان هجيراً^(٣) فى خرفه أصبحوا الضيف أغبقوا الضيف^(٤)
كماداته التى كان عليها . وكانت امرأة فى زمانه خرفت أيضاً فكان دأبها أن
تقول : خضبوني كحونى زوجونى رجلونى . وبلغ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه ذلك ، فقال : لما لهج به أخو عكل أكرم مما لهجت به خرفة بنى فلان
ومن أمثاله قوله :

يود الفتى طول السلامة جاهداً وكيف يرى طول السلامة بفعل^٥

وقوله

خاطرٌ بنفسك كى تنالَ رغبةً إن القعودَ مع العيال قبيح^(٦)
إنَّ الحاطرَ مالاٌ أو هالكٌ والجدَّ يُجِدَى مرةً فيريح^٧

(١) دحسوا بالكره : دسوا بالشر . واخنسوا : سكتوا وانقبضوا .
(٢) قال المبرد فى الكامل (ج ١ ص ١٠٢ - طبعة التقدم العلمية) : « كل
نمر فى العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم الا النمر بن
تولب عن ابن دريد . قال أبو حاتم يقال النمر بفتح النون . وسكون الميم ولا
يقال النمر » . وفى الاقتضاب (ص ٣٠٣) « كان أبو حاتم يقول النمر يسكون
الميم ويزعم أن العرب لا تقولوه الا هكذا وهذا الذى ذكره . غير معروف »
(٣) أى دأبه وشأنه (٤) صبيحه : سقاه صبوحة وهو ما أكل أو شرب
غدوة . وغبقه سقاه غبقوا وهو ما يشرب بالعشى .. (٥) الرغبة : الامر
المرغوب فيه والعطاء الكثير .

وقوله :

ومتى تُصِيبَكَ خِصَاصَةٌ فَارْجُ النِّفَى وإلى الذي يَهَبُ الرِّغَابَ فَارْغِبِ^(١)
لَا تَتَضَيَّعَنَّ عَلَى أَمْرِيءٍ فِي مَالِهِ وعلى كِرَامِهِ أَصْلَ مَالِكَ فَاغْضِبْ

عبد بن ثابت

كان شاعر النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) والمناضل عنه ، وله قال (أهج مشركي قریش ومعك روح القدس والله إن كلامك لأشدَّ عليهم من وقع السهام في غُلس الظلام) . ومن غرر شعره قصيدته التي يقول فيها :

إذا ما الأشرِياتُ دُكِرْنَ يوماً فهنَّ لطِيبِ الرِّاحِ الفِداءِ^(٢)
ونَشْرِبُهَا فَتَقْرُنَا مَلُوكاً وأُسْدُ ما يَنْهِنُهَا القِواءُ^(٣)

ولما أشدها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانتهى إلى قوله :

هَجَوْتَ (عَمْداً) فَأُجِبْتُ عَنْهُ وعند الله في ذلك الجزاء^(٤)

قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جزاؤك على الله الجنة) فلما انتهى إلى قوله :

فإن أبى ووالدهُ وعرضى لِمِرْضٍ لِمُحَمَّدٍ منكم وفاء^(٥)

قال عليه الصلاة والسلام (وذاك الله هول للطلع) فلما انتهى إلى قوله :

(١) الخِصَاصَةُ : انقصر والحاجة . والرغائب جمع رغبة وهى العطاء الكثير
(٢) الأشرِيات جمع اشربة وهو جمع شراب وهو ما يشرب من أى نوع
كان وهى أى حال كان . والراح الخمر وكان حسان (رض) قد ابتداء هذه
القصيدة في الجاهلية ثم اكملها في الاسلام من قوله «عدمنا خيلنا ان لم تروها»
فلا اعتراض عليه من انه كيف يذكر في شعره الخمر ويمدحها . فانهم !
(٣) ينهينها : يكفها ويبرجها . وهذا البيت آخر ما قاله رضى الله عنه
من هذه القصيدة في الجاهلية وقد عابه عليه بعض الادباء فزعم انه فيه قصر
في الفخر فانهم اذا كانت الخمر تجعلهم ملوكا واسدا فليس في ذاتهم سيادة
وشجاعة وانما استفادوا ذلك من الشرب ! والجواب : ان المقام مقام صفة
الخمر لامقام الفخر فالمطلوب هنا انما هو توفيتها حقها واستيفاء صفتها
وتعديدها ما يأتى له مدحها به ولكل مقام مقال ، وكما قيل ان الخمرة تظهر
الشجاعة في الشجاع ولا تحدثها في الجبان . كذا قالوا . (٤) يخاطب به
ابا سفيان بن الحارث فانه كان قبل اسلامه يهجو رسول الله صلى الله عليه
وسلم والجزاء الكفاية على الشيء بالخير أو الشر . قال الله تعالى « وجزاء
سيئة سيئة مثلها » (٥) الوفاء : بالفتح والكسر ما وقيت به النىء .

أَنهَجَوْهُ وَلَسَتْ لَهُ بِنْدٌ قَشَرُ كَا غَسِيرُ كَا الْفَدَاءُ (١)
قال من حضر : هذا والله أنصف بيت قائله العرب . وكان في الجاهلية مذاحاً
لبنى جَفْنَةَ مَلُوكَ غَسَان . ويقال إن من غرر شعره قوله فيهم :
أولادُ جَفْنَةَ حَوَّلَ قَبْرَ أَبِيهِمْ قَبْرَ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضَلِ (٢)
بيض الوجوه نقيه أحسابهم شَمَّ الْأَنْوَفَ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ (٣)
يُفْشُونَ حَقِّي مَا نَهَرُ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُثْقَلِ (٤)

(١) الند : بالكسر النمل ولا يكون الند مخالفاً . والاستفهام للانكار أى مكان
ينبغي لك أن تهجوه ولست من أكفائه ونظرائه فلم تنصفه . وقوله فشر كما
لخبر كما الفداء مع علمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير منه بلا ريب
جار على أسلوب الكلام المنصف وهو أن ينصف المتكلم من نفسه أو ممن
يتكلم من جهته فيضطر السامع إلى الإذعان له ولا يجد سبيلاً لانتكاره والمنازعة
فيه نحو « وأنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » فان من المعلوم أن المتكلم
ومن معه على هدى وإن المخاطبين فى ضلال . وإنما أبهم الأمر بين الفريقين
ليكون ادعى المخاطب إلى الإذعان للحق وترك العناد حيث يرى المتكلم سائى
بينه وبين نفسه وأنصفه . (٢) جَفْنَةُ أَبُو مَلُوكَ التَّامَ وهو جَفْنَةُ بْنُ عَمْرٍو
مُزَيْقِيَاءُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ نَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جَفْنَةَ . وأراد
بأولاد جَفْنَةَ أولاد الحرث الأعرج بن مارية ، وهم النعمان بن المنذر والمُنْكَرُ
وجيلة ، وأبو شمر ، وهؤلاء كلهم ملوك وهم أعمام جيلة بن أبيهم ، ومارية
هى بنت أَرْقَمَ بْنِ نَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جَفْنَةَ . هذا قول ابن عبّيدة وقال ابن
الكلبي مثل قوله ثم قال وقالت كندة جمعاء هى مارية بنت ظالم بن وهب بن
الحرث بن معاوية بن ثور بن كندة وقال اتعنبى بنت ظالم بن وهب بن
الحرث . وقال ابن السكيت هى مارية بنت أَرْقَمَ بْنِ نَعْلَبَةَ . وأراد بقوله
حول قبر أبيهم أنهم فى مساكن آبائهم ورباعهم التى كانوا ورثوها عنهم .

(٣) النسم ارتفاع أرنبة الأنف وورودها يقال رجل أشم وامرأة شماء
وقوم شم والنسم الارتفاع فى كل شيء فيحتمل أن يكون أراد بشسم الأنوف
ما ذكرناه من ورود الأرنبة لأن ذلك دليل المتق والتجابه عندهم . ويجوز أن
يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنيا الأمور وذالها وخص
الأنوف بذلك لأن الحمية والغضب والانفة تكون فيها ولم يرد طول انفهم
وهذا أشبه أن يكون مراده لأنه قال بيض الوجوه ولم يرد بياض اللون ،
الحقيقة ، وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراسهم . وجميل أخلاقهم وفعالهم ،
كما يقول القائل جادنى فلان بوجه أبيض وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا
وإنما يعنى ما ذكرناه كما قال ذلك المرتضى . وقوله من الطراز الأول أى
أفعال آبائهم وسلفهم وأنهم لم يحدثوا أخلاقاً مدمومة لا تشبه نجادهم وأصولهم
(٤) يَفْشُونَ بالبناء للمفعول أى يتردد إليهم من غشيه إذا جاءه . وهو
الكلب إذا صوت وهو دون النباح يعنى أن منازلهم لا تخلو من الأضياف
والفقراء فكلاهما لا تهر على من يقصد منازلهم لاعتيادها بكثرة التردد إليها
من الأضياف وغيرهم وقوله لا يسألون أى هم فى سعة لا يسألون كم نزل
بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير (وهو السواد) إذا قصدوا نحوهم .

ومن أمثاله السائرة قوله :

رُبَّ علمٍ أضاعَهُ عَدَمُ الما ل وجهٍ غَطَى عليه النعيمُ
ومنها :

ما أبالي أَنبَ بالْحَزَنِ تَيْسُ أَمْ لَحَاقِي بظَهْرِ غَيْبِ لَيْثٍ^(١)

وواسطة قلادة شعره قوله :

وإنْ ائْتَرَأْتُ يَمْسِي وَيُصْبِحُ سَالِكاً مِنْ الناسِ إلّا ما جِئْتُ لَسَعِيدُ
فأجازته ابنه (عبد الرحمن) بقوله :

وإنْ ائْتَرَأْتُ ذلَّ الغنى ثم لم يَنْلُ صديقاً ولا ذا حاجةٍ لَزَهِيدُ
ثم أجازهما (سعيد بن عبد الرحمن) بقوله :

وإنْ ائْتَرَأْتُ قَدْ عاشَ سَبْعِينَ حِجَةً ولم يَرْضَ فيها رَبُّهُ لَطَرِيدُ
ثم أجازهما (أبو الحسن الحسنی) بقوله :

وإنْ ائْتَرَأْتُ عادَى أناساً على الغنى ولم يَسْأَلِ اللهَ الذیَ لَحْسُودُ

النابة الجعدي

اختلف في اسمه على أقوال أحدها أن اسمه قيس بن عبد الله بن وحوح بن عدس ابن ربيعة بن جمدة . وإنما لقب بالنابة لأنه تال الشعر في الجاهلية ، ثم أقام نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه فقاله فسمى النابغة وهو أسن من النابغة الذبياني لأن الذبياني كان مع النعمان بن المنذر . وكان النعمان بن المنذر بعد المنذر بن محرق وقد أدرك النابغة الجعدي المنذر بن محرق وناداه . ذكر عمرو بن شعبة أنه عمر مائة وثمانين سنة ، وأنه أشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه :

لَبِيتُ أناساً فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتَ بعدَ أناسٍ أناساً

ثلاثة أهلين أَفْنَيْتَهُمْ وَكانَ الإلهُ هوَ المُستَأَسَّ^(٢)

(١) يقول : قد استوى عندي نيبب التيس بالحزن ونبيل اللثيم من عرضي بظهر الغيب ونبيب التيس صوته عند هبابه للسفاه . والحزن ما غلظ من الأرض وخصه لأن الجبال ثم اخصب المعز من السهول (٢) المستأس : المستعاض

فقال له عمر : كم لبثت مع كل أهل ؟ قال : ستين سنة ! وقال ابن قتيبة : عمر الجندى مائتين وعشرين سنة . ومات بأصبهان . ولا يدفع هذا ماسر فإنه أفنى ثلاثة قرون في مائة وثمانين سنة . ثم عمر إلى زمن ابن الزبير وبعده . قال الثعالبي في كتابه لباب الأدب : قيس بن عبد الله من المحضرين للمعري . وأمير شعره قصيدته التي يقول فيها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالجرة نيرا (١)
بلقنا السماء نجذنا وجدودنا وإنا لدرج فوق ذلك مظهرا
ولا خير في حلم إذا لم يكن له بؤادر تحمي صفوه أن يكذرا (٢)

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : إلى أين يا أبا ليلى ؟ فقال : إلى الجنة فقال عليه الصلاة والسلام : إن شاء الله ! ويروى أنه عليه الصلاة والسلام لما أنشده البيت قال : « لافض الله فاك » فمر وهو أحسن الناس ثمرأ على كبره ولم تنقض له سن . ومن غرر شعره قوله في مريثة صديق له :

فنى كان فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعدا (٣)
فنى كلت أخلاقه غير أنه جواد فسا يبق من المال باقيا (٤)

المطبعة

واسمه جرؤل بن مالك . كان راوية زهير فنجم مقبول الكلام شروء القافية خبيث اللسان حتى كان لسانه مقرض الأعراض حتى إنه هجا أباه وأمه وزوجه ونفسه . فن قوله لأبيه :

(١) النبر المضيء . والمجرة البياض المعترض في السماء والنسران من جانبيه
(٢) البؤادر : جمع بادرة وهي ما يبدر من حدثك في الغضب من قول أو فعل وبدأت منه بؤادر غضب أي خطأ وسقطات عندما احتد .
(٣) فنى منصوب على الاختصاص ولما كان قوله « فيه ما يسوء الأعدا » يعلم منه أن في الناس من يجمع الضر دون الشر وخشى أنه إذا سكت على هذه الجملة ظن به القصور من التمام فلا تكون فيه التكاية في الإعداء والإساءة اليهم فتمم وصفه بأن قال على أن فيه ما يسوء الأعدا (٤) المعنى : وأذكر فنى جمع الأخلاق الفاضلة وكملها فما كان يعاب بشيء سوى أنه لم يستبق من ماله شيئا لما فيه من كثرة الجود وهو كمال على كماله الأول .

لَخْلَاكَ اللَّهُ ثُمَّ لَخْلَاكَ حَقًّا أَبَا وَلَخْلَاكَ مِنْ غَمٍّ وَخَلٍّ (١)
فَنِمَّ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْخَازِي وَبَسَّ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْعِيَالِ
جَمَعَ اللُّؤْمَ لَا حَيَاةَ رَبِّي بِأَنْوَاعِ السَّفَاهَةِ وَالضَّلَالِ
وقوله لأمه

فَهَا هُنَّ أَقْعَدَى مِنْهَا بَعِيداً (٢) أَرَاخَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ
أَغْرَبَالاً إِذَا اسْتَوْدَعْتَ مَرَأً وَكَانُوا عَلَى التَّحْدِيثِينَ (٣)
ومن قوله لاسرته

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ نَمَّ آتَى إِلَى بَيْتِ قَصِيدَتُهُ لَكَاغٍ (٤)
ومن قوله لنفسه

أَبَتْ شَفَاتِي الْيَوْمَ لَا تَكَلَّمَا بِشَرٍّ فَا أَدْرَى لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوْهَ اللَّهِ خَلَقَهُ قَفِيحٌ مِنْ وَجْهِ وَفُتِيحَ حَامِلُهُ
وصب الله به سوط عذاب على الزرقان بن بدر فإنه أمضه بهجانه إياه وأبكاه
وأقلقه وأحرقه وسير فيه قصيدته السائرة الطيارة التي يقول فيها :

وَقَدْ مَرَيْتُكُمْ لَوْ أَنَّ دَرَّتْكُمْ يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَسْحَى وَإِسَاسِي (٥)
أَزْمَعْتُ بِأَسَا مَرَبَعًا مِنْ نَوَالِكُمْ وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحَرِّ كَالْيَسْرِ (٦)

(١) لخاء الله : لئنه (٢) ويروي «تنحى فاجلسي مني بعيداً» . (٣) الغربال :
بالكسر ما ينخل به ، يريد أنها نعمة قتاتة . والكاثون : قيل هو الثقليل :
وقيل الذي إذا دخل على القوم كانوا حديثهم منه وقيل هو المصطلي وقيل أنه
هو كاثون النار لأنه يؤذى ويحرق . (٤) أطوف : أكثر الطواف إلى الدوران .
وآوى مضارع آوى إلى منزله إذا أقام به وانضم ولجا . وقعيدة الرجل : امرأته
وهي فعيل بمعنى فاعل . ولكاع : خبيثة أو سيئة الخلق أو وسخه وهذا بيت
مفرد . والمصراع الأول من قول قيس بن زهير ابن جديمة :

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ نَمَّ آوَى إِلَى جَارِ كَجَارِ أَبِي دُوَادٍ

(٥) مريتكم : طلبت ما عندكم . وأصله من مريت الناقة وهو أن يمسح
ضرعها لتدر . والدرة بالكسر اللبن . والإسباس : صوت تسكن به الناقة عند
الحلب . يقال بس بس .

(٦) الإزباع : تصميم العزم . والبيت من شواهد «مفنى اللبيب» أورده
على أن بعضهم قال (من) متعلقة بقوله (إسباساً) والصواب تعلقها بيشئت
محدوفة لأن المصدر لا يوصف قبل أن يأتي معموله .

من يفعل الخَيْرَ لا يَمُدَّمْ جَوَازِيَهُ لا يَذْهَبُ التُّرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ (١)
دَعِ الْمَكَارِمَ لِأَرْحَلٍ يُبَيِّتُهَا واقْعُدْ فَأَنْتَ لِعَمْرَى طَاعِمٌ كَأَسَى (٢)
ومن غرره في الملح قوله
أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ (لا أَبَا لَأَيِّكُمْ) من اللوم أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا وَإِنْ طَاهَدُوا أَوْفَرُوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا (٣)

أَبُو ذُؤَيْبِ الْهَزَلِيُّ

كان يقال هذيل أشعر القبائل وأبو ذؤيب أشعرها . وأمير شعره قصيدته
في المريّة التي أولها :

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَبِّهِ تَتَوَجَّعُ وَاللَّعْرُ لَيْسَ بِمُتَبِّعٍ مَنْ يَجْزَعُ ؟ (١)
وَتَجَلْدِي لِلشَّامَتِينَ أَرْبَعُ أَيْ لِرَبِّبِ الدَّهْرِ لَا أَنْضَمُّعُ (٢)
وبيت القصيدة (وكان الأصمعي يقول : هو أربع بيت قاله العرب) :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تردّ إلى قليل تنقع

ومن غرر هذه القصيدة قوله

وإذا المنية أنشبت أغفارها أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

أَبُو خُرَاشٍ الْهَزَلِيُّ

هو من الشعراء المفلّحين . وكان له أخ يسى عروة فقال أبو خراش يَحْمَدُ اللَّهَ
على تخليص ابنه من الأسر وهو أحسن ما قيل في التسلي :

(١) الجوازي : جمع جازية أو جاز أو جزاء وبكل فسر قول الحطيئة كذا
قال الزبيدي في التاج

(٢) أورده الفراء في معاني القرآن في سورة هود على أن الكاسي بمعنى المكسو
كما أن العاصم في قوله تعالى « لا عاصم اليوم » بمعنى المعصوم . قال ولا
تنكرن أن يخرج المفعول على فاعل إلا ترى أن قوله « من ماء دافق » بمعنى
مدقوق و « عيشة راضية » بمعنى مرضية ، ويستدل على ذلك بأنك تقول
رضيت هذه المعيشة ودقق الماء وكسي العريان بالبناء للمفعول ولا تقول ذلك
بالبناء للفاعل والرواية المشهورة في النظر الثاني « واقعد فأنك انت الطاعم
الكاسي »

(٣) شدوا : ونقوا (٤) المنون : المنية . وجزع ضعفت منه عن حمل
ما نزل به ولم يجد صبرا

(٥) السامت : الذي يفرح ببليّة العدو . وتضعضع : خضع وذل واغترق

حَدَّثْتُ إِلَى بَعْدِ عُرْوَةٍ إِذْ بَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ (١)
فَوَاللهِ لَا أُنْسَى قَتِيلًا رَزْنَتُهُ بِجَانِبِ قَوْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ (٢)
عَلَى أَنَّهَا (٣) تَعْمُو الْكَلُومَ وَإِنَّمَا نَوَكُلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَنْفَعِي (٤)
وَلَمْ أَذِرْ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِداءَهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ سَلَّ عَنْ مَا جَدَّ مَحْضُ (٥)
وَلَمْ يَكُنْ مَثْلُوجَ الْفُؤَادِ مُهَبَّجًا أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الرِّبِيلَةِ وَالْمَخْفَضِ (٦)
وَلَسَكْنُهُ قَدْ نَارَعَتُهُ مَجَاوِعٌ عَلَى أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ النَّهْضِ (٧)

وتزعم الرواة أنها لا تعرف رجلاً مدح من لا يعرف غير أبي خراش وشرح
هذه الأبيات مفصل في شرح ديوان الحماسة ، وكذا في الجزء الثاني من كتاب
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب .

المتنخل الهنلي

أمير شعره قوله :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَشَيْعٌ غِنَاهُ (٨)

(١) عروة أخو الشاعر . وخراش : ابنه ، والمعنى : أشكر الله بعد ما أغنى
من قتل عروة على نجاة خراش وبعض الشر أخف من بعض وكنت اعتقد
قتلهما معا (٢) رزنته : فجعت به . وقوسي : اسم مكان بالمرأة وبه قتل عروة
عروة أخوه . (٣) هذا الكلام يجري مجرى الاعتذار منه والاستدراك على
نفسه فيما أطلقه من قوله « لَا أُنْسَى قَتِيلًا رَزْنَتُهُ مَدَّةَ حَيَاتِي » والضمير في
(أنها) للقصة وخبر أن الجملة بعدها . (٤) الصفاء : الدروس والذهاب ،
والكلوم : جمع كلم وهو الجرح وجل : عظم : ، وموضع « على أنها » نصب
على الحال . وأراد بهذا تقادم العهد وتطول الزمن . (٥) من استفهامية وعلى
أنه في موضع الحال . والمعنى - لم أتحقق الذي اعتدى لهدم الكرمه فنزع
رداءه والقاه على أخى مع كونه مسئولاً عن كرم خالص التسبب (٦) مثلوج
الفؤاد : بارده . والمهيج : الذى استرخى لحمه وتغير لونه . والربيلة :
السمن يقول : أنه كان ذكى الفؤاد شهما لم يكن ممن ضيع شبابه في الخفض
والدعة وصلاح بدنه . (٧) المجاوع : جمع مجاعة وهى السنة التى يكون
فيها الجوع . وأراد منها هنا المخامص جمع مخمصة وهى خلط البطن من
الطعام جوعاً . وإنما اثرت فيه المجاوع لأنه إذا سافر آخر صحبه على نفسه
بزاده فيجوع ويشمهم . والمرأة : القوة . وقوله صادق النهض يريد النهوض
الى الكرام والمعالى لا يكذب فيها إذا نهض اليها (٨) أبو مالك : هو أبو الشاعر
واسمه عويمر لأن المتنخل اسمه مالك بن عويمر والمتنخل لقبه ، ولم يصب

إِذَا سَدَّتْهُ شُدَّتْ مِطْوَاةٌ وَمِهَا وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ (١)

أَبُو صَخْرَ الرَّهْزَلِي

يقال إن أغزل شعر العرب قوله :

أَمَا وَالَّذِي أَبْكِي وَأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرُهُ الْأَمْرُ (٢)
لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى الْيَفِينَ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا الدُّعْرُ
فِيَا جَبَاهُ زَذَنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سُلُوءَ الْأَيَّامِ مَوْعِدًا لِي الْحَشَرُ (٣)
عَجِبْتُ لِسَمَى الدَّهْرِ بِنِي وَيَنَاهَا فَلَمَّا اقْصَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ (٤)

ابن قتيبة في (الشعر والنسباء) في زعمه أنه يرى أخاه أبا مالك عويمر . وقاصر من القصر وهو الحبس . ومشيع من الإشاعة وهي الإذاعة - يريد أنه إذا افتقر أخفى فقره وإذا انرى أذاع غناه ليقصد من جهة وهذا من شرف النفس .

(١) معنى سدته من المساودة التي هي المسارعة والسواد هو السرار أيضا كانه قال إذا ساررت طواعك وساعدك وبروى سسته موضع سدته من سست الرعية سياسة . قال المرتضى : ولم أجد ذلك في رواية ! قلت هذه الرواية ألفتها أبو تمام صاحب الحماسة في مختار أشعار القبائل . والمطواع الكثير الطوع أي الانتقياد والناء لأكيد المبالغة . وقد روى هذا البيت في مختار أشعار القبائل لدى الأصبع العدواني مع بيتين آخرين وهما :

وَمَا أُنْ سَيْدَ أَبُو مَالِكِ بَوَانٍ وَلَا بَضْعِيْفَ قِسْوَاهُ
وَلَكِنَّهُ هَيْنَ لَيْلٍ كَمَالِيَةِ الرِّمَاحِ عَرْرُنْسَاهُ
فَإِنْ سِسْتَهُ سِسْتِ مِطْوَاةٌ وَمِهَا وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ

واسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة . والعمر الشديد . والنسباء مقصور عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر فإذا سمعت الدابة انفلقت فخذها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان ، وماجت الريلتان ، وخفى النسا . وإذا قالوا أنه لشديد النسا فأنما يراد به النساء نفسه . وقال السكري أراد غلبت موضع النسا . (٢) تكرار القسم للتفخيم ولذلك كان الجواب واحدا وقوله لقد تركتني هو الجواب . والضمير لحبيته . وراعه أفزعه والدمع الخوف . (٣) حرقه البعد

(٤) عجب لسمي الدهر : يجوز أنه يريد به سرعة تقضى الأوقات مدة الوصال بينهما فيكون المعنى أنني متعجب من الدهر حيث أسرع بتقضى الأوقات مدة الوصال بيننا فلما انقضى الوصل عاد إلى حالته في السكون والبطء وهذه عادتهم في استقصار أيام الوصل واستطالة أيام الفراق ويجوز أنه يريد بسمي الدهر سماعة أهل الدهر بالتحائم والوشايات وأنه لما أرفع مرادهم فيما طلبوه من الفساد بينهما سكنوا وكما أراد على هذا بسمي الدهر أهله كذلك يسكن الدهر . وقد روى بعد هذه الأبيات بيت وهو :

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فَجَاءَهُ فَأَبْهَتَ لَاهِرْفَ لَدَى وَلَا تَكَرَّ

نقيم بين مقبل (١)

هو مُحَضَّرٌ معدود في الفحول . ومن غرر شعره ما أنشد له دجيل :
فأخلف وأتلف إنما للال عارةٌ وكلُّهُ مع الدهر الذي هو آكلةٌ
وأيَّسَرُ مَقْغُودٍ وأهونُ هالكٍ على الحى من لا يبلغ الحى نائِلُهُ
وقوله

خليلى لا تستعجلا وانظرا غداً عسى أن يكون الرفقُ في الأمر أشداً

عبارة بين الطبيب

من مفتلى الخضرمين . وأمير شعره لاميته التى أولها :
هَلْ حَيْلٌ خَوْلَةً بعد الهجر موصولٌ أَمْ أَنْتَ عَنْهَا بِمَيْدٍ الدار مشغولٌ ؟
والزَّهْرُ سَاعٌ ، لأمره ليس يُذَرُّهُ والعيشُ شَحٌّ وإشفاقٌ وتَأْمِيلٌ
وكان عمر رضى الله تعالى عنه يتمجب من جودة هذا البيت وحسن تقسيمه .
ومن أمثاله السَّائرة قوله فى مَرثِيَةِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ :
وما كان قَيْسٌ هُنْكَهُ هَلْكَهُ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بَيْنَانُ قَوْمٍ تَهْدَمُ (٢)

محبير بين نور

كان من فحول الخضرمين والمعبرين وأمير شعره قوله :
أرى بَصْرَى قد رابنى بعد صحبةٍ وحَسْبُكَ داءٌ أَنْ تَصِيحَ وتَسْمَا
ولن يَلْبَثَ المصرايَ يوماً وَلَيْلَةً إِذَا طَلَبَا أَنْ يَذْرَكَ مَا تَيْعَمَا (٣)
وما هاجَ هذا الشوقُ إِلَّا حَامَةً دَعَتْ ساقَ حَرٍّ تَرْحَةً وَتَرْنَمَا (٤)

(١) فى كتاب السَّعْمِ والشَّعْرَاءِ تميم بن أبى مقبل ، وهو من بنى العجلان الذين هاجهم النجاشى وكان جاهلياً اسلامياً . (٢) الهلك : الموت . (٣) أى ما قصداً .

(٤) ساق حر ذكر القملوى سُمى لحكاية صوته فإنه يقول ساق حر ساق حر وقد وهم من قال أنه الهديل — راجع الجزء الثانى ص ٤٤

ومنها في وصف القمريّة :

- عَجِبْتُ لِمَا أَنِّي يَكُونُ غَنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَفْقَرْ بِمَنْطِقِهَا (١)
ومن نكت شعره قوله في وصف الدُّبِّ
يَنَامُ بِإِحْدَى مَقْلَتَيْهِ وَيَتَنَزَّلُ أَغَادِي بِأُخْرَى فَهُوَ يَقْطَانُ هَاجِجُ (٢)

منهم بن نوبرة

- غرة شعره قصيدته التي يرى بها أخاه مالكا . وغرتها قوله :
وَقَالُوا أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتُهُ لِقَبْرِ نَوَى بَيْنِ الْوَلَوَى فَالِدَكَادِكِ (٣)
فقلت لم إن الأسى يبعث الأسى ذَرُونِي هَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ (٤)
وقوله في قصيدته التي يرى بها مالكا أيضا :
وَكُنَّا كَنَدَمَانِي حَذِيمَةً حَفِيَّةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنَ يَتَصَدَّقَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعِهِ لَمْ نَنَيْتْ لَيْلَةً مَعَا (٥)

دربدر بن العسمة

أمير شعره قوله :

- أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ الْوَلَوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرِّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْفَدَى (٦)
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدُ غَزِيَّةٌ أَرَشِدْ (٧)

(١) ففر فاه كمنع ونصر وفرا وفغورا : فتحه . ويعنى بالمنطق بكاءها .
(٢) أي هو حذر أو هاجع بين اليقظة والهجوم . وروى « يقظان نائم » ولكنه يخالف أبيات القصيدة
(٣) نوى بالكان : أقام به . واللولى والدكادك : اسما موضحين (٤) الأسى : الحزن (٥) ندمانا حذيمة هما مالك وعقيل . ويقال انهما نادماه أربعين سنة ولهما حديث مشهور وفيهما يقول أبو خراش :
ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خيلا صفاء مالك وعقيل
والحقبة المدة من الزمان . (٦) المنعرج : المنطف والولى ما التوى واسترق
من الرمل يقول ابديت لهم رأيت بمنعرج الولوى ليكونوا على حذر فلم يظهر لهم
رشد قولي إلا حين أن دهمهم العدو في الضحى . (٧) هل للنفي وغزبة قومه ،
والعنى ما أنا الا من غزبة في حالتي التي والرشاد فغوايتي ورشادى متملق
بغوايتهم ورشادهم .

فال يونس النحوى : هذا أحزم بيت قالته العرب . وقوله :

ما إن رأيتُ ولا سمِمتُ به كاليوم هانيْ أينقِ جربِ
متبذلاً تبدو محاسنه يصعُ الهناء مواضع النقب^(١)

سويد بن أبي لهل

غرة كلامه وشعره قوله^(٢) :

رُبَّ مَنْ أنضجت غيظاً قلبه قد تمنى لى موتاً لم يُطع^(٣)
ويرانى كالشَّجَا فى حلقه عسراً مخرجه ما يندزع^(٤)
مُزِدٍ يخطر ما لم يَرَى فإذا أتممته صوتى انقمع^(٥)
قد كفانى الله ما فى نفسه ومتى ما يكف شيئاً لم يضع

(١) هانيء اسم فاعل من هنا الأبل يهناها ويهنتها ويهئوها هنا وهناء بكسر الهاء أى طلالها بالهناء وهو ضرب من القطر أن . وأينق جمع ناقة وجرب جمع اجر ب المذكر وجرباء اللاتى والاجرب من به جرب وهو بنور تعلق ابدان الناس والأبل . والمعنى ما رأيت هانيء أينق جرب كالذى رأته اليوم ولا سمعت به . وكان رأى الخنساء أخت صفخر تهنا ابلاها فقال فيها ذلك ، ثم خطبها من أبيها فعرض عليها ذلك فقالت ماكنت تاركة بنى عمى كأنهم عوالى الرماح ومرتنة شيوخ بنى جشم هامة اليوم أو غد . (٢) هذه الأبيات من قصيدة طويلة عدتها مائة بيت وتمانية أبيات له مسطورة فى المفضليات ويقال لها (البيضة) مطلعها : —

بسطلت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع
(٣) انضاج اللحم : جملة بالغيظ مستويا يمكن أكله ويحسن وهو هنا كناية عن نهائية الكمد الحاصل القلب ، أو استعارة شبه تحمير القلب واكμάده بانضاج اللحم الذى يؤكل . وغيظاً : مصدر غاظه إذا اغضب . . والنحويون يوردون هذا البيت شاهداً على أن جملة « انضجت » فى موضع جر على أنها صفة لمن لأنها نكرة بمعنى انسان بدليل دخول (رب) عليها . وروى البيت أيضاً : —

ربما انضجت غيظاً قلب من قد تمنى لى موتاً لم يطع
فلا شاهد فيه . وما حينئذ كافة مهيشة لدخول رب على الجملة ومجروح رب هنانى محل رفع على الابتداء والخبر أما جملة قد تمنى ولم يطع خبر بعد خبر وأما لم يطع وجملة قد تمنى صفة ثانية
(٤) الشجَا : الفصص ونحوه مقصور يكتب بالالف . (٥) مزيد : من ازبد . وأصل الخطر فى الناس تحريك اليد بنى المشى والاختيال بهما . وانقمع : دخل بعضه فى بعض .

لم يضرنى غير أن يحسّنى فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع^(١)
ويحيينى إذا لاقيته وإذا يخلو له لحي رتع^(٢)
كيف يرجون سقاى بعد ما جلّ الرأس مشيب^(٣) وصلح^(٤)

النجاشى الحرثى

هو شاعر أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه . وأما شعره قوله :
إنى امرؤ قلأ أنى على أحد حتى أرى بعض ما يأتى وما يذر
لا تمدحن امرأ حتى تجرّبه ولا تذهبن من لم يبيله الخبر
وهذا من أحسن الإحسان .

السماخ بن ضرار

هو من لحول الخضرمين . ومن أمثاله السائرة قوله :
لما للره يصلحه فيفى مفاقره أعف من القنوع
وغرة شعره قوله فى عرابة الأوسى :
رأيت عرابة الأوسى يسو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لجدي تلقّاها عرابة باليمن
عمرو بن معد يكرب

من أمثاله السائرة قوله :

إذا لم تستطع امرأ فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع^(١)

وقوله

ليس الجلال بمنزير فاعلم وإن رديت بُردا

(١) الضوع : طائر من طيور الليل كالبومة إذا احس بالصباح صدح .
قال الاعشى يصف فلاة :
لا يسمع المرء فيها ما يؤنسه بالليل إلا نثيم اليوم والضوعا
ويزقو - يصيح . (٢) رتع : أكل . (٣) السسقاط : الفترة . يقول على
طريق التعجب كيف يؤملون قترى وسقطى وقد بلغت هذه السن ! (٤) راجع
الجزء الاول ص ١٦٧ :

إنَّ الجَمالَ ما زُ و مناقِبُ أورثنَ نَجداً^(١)

وقوله

ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرَّماحِ دَرِيَّةٌ أَفْأَلُ عَنِ ابْناءِ جَرْمٍ وَفَرَّتْ^(٢)
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِماحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنْ الرِّماحُ أَجَرَتْ^(٣)

عمرو بن الاشم

أمير شعره ، وغرة كلامه ، قوله :

لَمَمَزَكَ ما ضاقتْ بِلادُ باهَلها وَلَكِنْ أَخلاقُ الرِّجالِ نَضيقُ

سهم عبد بنى الحساس^(٤)

أحسن شعره قصيدته التي أولها :

عِبرة وَدَّعْ إِنِّ تَرَحَّلْتَ غادِيا كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسلامُ المرءَ ناهِيا

وقوله

أشعار عبد بنى الحساس قُنَّ لَهُ يَوْمَ الفَخارِ مَقامَ الأَصمَلِ وَالورِقِ^(٥)
إِن كُنْتُ عِبدًا فَنَفْسِي حَرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسودَ أَتَخَلَّقُ إِنِّي أَيْضُ أَتَخَلَّقُ

أبو محجن النقفى

ليس له أحسن وأخبر من قوله :

لَا تَسأَلِ النَّاسَ عَنِ مالِي وَكَثرتِ وَسائِلُ النَّاسِ عَنِ بَأْسِي وَعَنِ خُلُقِي

هَلْ أَطْمَنَ الطَّمَعَةُ النِّجلاءَ عَنِ عَرَضٍ وَأَكْمُ السَّرِّ فِيهِ ضَرِبَةُ المُنَقِ^(٦)

(١) يقول - ليس الجمال فيما تلبسه من الثياب بل إن جمال الإنسان في أصوله الزكية ، وأفعاله الكريمة ، التي تورث الشرف والمجد . (٢) دريئة : عرضة ، وفرت : هربت وجرم : بالفتح قبيلة . (٣) أجرت من الأجراد وهو أن يشق لسان الفصيل ويجعل فيه عود لتلا يرضع أمه . يقول - لو أنهم أبلوا في الحرب بلاء حسنا لمدحتهم وذكرت بلاءهم ، ولكنهم قصروا فأجروا لساني فما أنطق بمدحهم والافتخار بهم . (٤) راجع الجزء الثاني ص ٣٢٢ (٥) الورق عند العرب المال من الأبل والفنم ، والورق الفضة . (٦) النجلاء : الواسعة الجرح .

كعب بن سعد

أحسن شعره قوله :

وما أنا للشيء الذي ليس نافعي وبغضب منه صاحبي يقول
ولست بمبدل للرجال مري ربي^(١) ولا أنا عن أسرارهم يسؤول

مع بن أوس

كان من الإسلاميين وأمير شعره قوله :

وفى الناس إن رئتُ حبلكَ واصلُ وفى الأرض عن دار القلي متحولُ
إذا انصرفتُ نفسي عن الشيء لم تنكد إليه بوجه آخر الدهر تُقبل^(٢)

ومن أمثاله السائرة قوله

أعلمه الرواية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى^(٣)
أعلمه الرواية كل يوم فلما قال قافية هجاني

كعب بن جميل

من الإسلاميين المقلين كان شاعر معاوية ، ومن غرر شعره قوله :

ندمتُ على شتى المشيرة بعدما مضى واستتبَّتْ للرواة مذاهبةُ
فأصبحتُ لا أطيعُ رداً لما مضى كما لا يرد الدُّرُّ في الضرعِ حالبةُ^(١)

(١) السريرة : كالسر . (٢) رئت : ضعفت والقلى : البفض ، والمعنى واضح .
والبيتان من قصيدة له قالها يستعطف بها صديقا له آلى أن لا يكلمه أبداً وكان
معن قد تزوج بأخته فاتفق أنه طلقها (٣) قوله « أشئت »
بالشين المعجمة ليس بشيء والرواية المشهورة « استد » بالسين المهملة أى
استقام . قال ابن برى : هذا البيت ينسب الى معن بن أوس قاله فى ابن أخت
له . وقال ابن دريد : هو لمالك بن فهم الأزدي وكان اسم ابنه سليمان بهيم
فقتله فقال البيت . قال ابن برى : ورايته فى شعر عقيل بن علفه يقوله فى ابنه
ميمس حين رماه بهيم وبعده :

فلا ظفرت يمينك حين ترمى وثلث منك حاملة البنان

(قلت) — والشهور أنه لمن كما عزاه اليه كثير من الأئمة منهم الجاحظ
فى البيان والتبيين (ج ٣ ص ١١٨ — طبعة الفتوح الأدبية بمصر) . { البيتان
— على ما فى كتاب الشعر والشعراء — لآخيه عمير لا له وذلك أنه هجا قومه
بشعر ثم ندم فقال : ندمت على شتى المشيرة ... الخ . .

زياد بن زبير العزري

أمير شعره قوله :

ولست بمفراج إذا الدهر سرني ولا جازع من صرّفيه للقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحل على الشرأرغب
وقوله

هل الدهر والأيام إلا كما تَرَى رزية مالٍ أو فراق حبيب !

أبو الأسود الدؤلي

بعدت في التابمين والشبهة والفصحاء وأحباب النحو وفي البخلاء وفي الفاليج
ومن غرر شعره في عبيد الله بن زياد وقد كساه جبة خز :

كسائي ولم أستكسه لخميدته أنح لي يُمطيني الجَزِيلَ وتامرُ
وإن أحق الناس إن كنتَ مادحاً بمدحك من أعطاك والوجهُ وافر
ومن أمثاله السائرة قوله

لا تنهى بعد إذ أكرمتني فشديد حالة منزعة
لا يكن برقك برقاً خُلِباً إن خير البرق ما النيث معة (١)

زفر بن الحرث

غرة شعره قوله في انهزامه يوم مرج راهط :

أيذهب يومٌ واحدٌ إن أسأته بصالح أيامي وحسن بلائيا
ولم ير مني زلة قبل هذه فرارى وتركى صاحبي من ورائيا
وقد بنبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هي (٢)

(١) الخلب : المطمع الخلف . (٢) الدمن . ما تلبس من السرجين وفي الحديث « اياكم وخضراء الدمن » يريد المرأة الحسناء في منبت السوء أي لا تتزوجوها . والثرى : التراب الندى . وحزازات النفوس فيظنها

عبد الله بن قيس الرقيات

أمير شعره قوله في مصعب بن الزبير :

إنما مُصَتَّبٌ شهابٌ من الأ^ه تجلّت عن وجهه الظلماء
يتقي الله في الأمور وقد أ^ه ل^ح من كان همّة الإتياء
ملكه ملك رافق ليس فيه^ه جيروت منه ولا كبرياء

المنوكل اللبي

غرّة شعره الذي يمثل به قوله :

إبدأ ينقِصك فأنهيا عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم^ه
هناك تذر إن وعظت ويقتدا بالقول منك وينفع^ه التعليم^ه
لأنه عن خلق وتأتى مثله عاز^ه عليك إذا فعلت عظيم^ه (١)
وقوله أيضاً

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الأحساب نتكل^ه
نبي كما كانت أوائلنا تبني ونقل مثل ما فعلوا

هذا آخر ما أحببت ذكره ، من مشاهير الشعراء ، ودرر قلائدهم ، وواسطة عقد منظومهم ، معرضاً عن استيفائهم ، واستقصاء أحوالهم وذكر قصائدهم المنتخبة ، وأسماء مقاطيعهم المحببة ، حيث قد قضى الأئمة منه الوطر ، واستوعبوا النقاط هاتيك الدرر ، مثلياً عنان القلم إلى ذكر ما لهم من الموائد في الخطب والوصايا ، وما لهم من البيان الفصيح لدى الخطوب والزوايا ، فقد كان ذلك عندهم من أهم العلوم ، وأعظم ما يتنافس به للتناقصون بعد الشعر المنظوم ، فإن فيه

(١) هذا المعنى من قوله تعالى «اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ؟» والبيت وجد في قصيدة للأخطل ، وفي أخرى لأبي الأسود الدؤلي . ونسبه الحاتمي لسابق البربري ، ونقل السيوطي عن تاريخ ابن عساکر أنه للطرماح . قال اللخمي في شرح أبيات الجمل : الصحيح أنه لأبي الأسود ، فإن صح ما ذكر عن المنوكل فإنما أخذه من شعر أبي الأسود والشعراء كثيراً ما تفعل ذلك ..

دقائق أنظارهم ، وتناجح أفكارهم ، ومنه تعلم منزلة القوم في غور عقولهم ، وعلو درجاتهم في سعة أذهانهم ، ومن الله (عز اسمه) استمد التوفيق .

الخطب والوصايا وما كان من عوائد العرب فيها

من المعلوم ما كان عليه العرب أيام جاهليتهم من الأنفة ، والتفاخر بالأحساب والأنساب ، والحفاظ على شرفهم ، وعلو مجدهم وسؤددهم ، حتى حدث ما حدث بينهم من الوقائع والأيام ، والخطوب والهام ، ولا شك أن كل قوم يتفق لهم مثل ذلك هم أحوج الناس إلى ما يستنهض همهم ، ويوقظ أعينهم ، ويقيم قاعدتهم ، ويشجع جباههم ، ويشد جنانهم ، ويثير أشجائهم ، ويستوقد نيرانهم ؛ صيانة لعزهم أن يستهان ، ولشوكتهم أن تستلان ؛ وتشفيًا بأخذ الثار ؛ وتمحرزًا من عار الغلبة وذلل الدمار ؛ وكل ذلك من مقاصد الخطب والوصايا ، فكانوا أحوج إليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم ، وتأبيد مفاخرهم ، وهم أقوم الناس قبيلة ، وأقوام قبيلة ، وأفصحهم لسانًا ، وأوضحهم بيانًا ، وأهداهم سبيلًا ، وأسطمهم برهانًا ودليلاً ؛ كما أنهم أعلام قدرًا ، وأغلام درا ، وأسماهم مبنى ، وأسماء معى ، وأدقهم فكرا ، وأرقهم سرًا ، وأعرفهم نسبا ، وأعرفهم أبا ، ولذلك كثر فيهم الخطب والخطباء حتى كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب ، كما كان لكل قبيلة شاعر على ما ذكره الجاحظ في كتاب البيان والتبيين . ولم يخطب بضيق عنها نطاق الحصر ؛ وقد ألف فيها كتب كثيرة : منها كتاب (غاية الأدب ^(١)) في كلام حكماء العرب) وهو ثلاثة مجلدات ، وكتب أخرى لا يحصرها العدد ، وذكر الجاحظ في البيان نبذة من خطب الجاهلية والاسلام ، وذكر أن العرب من خطبهم (المجوز) وهي خطبة لآل رقية ، ومتى تكلموا فلا بد لهم منها أو من

(١) لعله « الارب » .

بعضها ، و (المندراء) وهى خطبة قيس بن خازجة لأنه كان أباً عذرها ^(١) ؛
و (الشواه) وهى خطبة سبحان وائل ، وقيل ذلك لها من حسنها ؛ وذلك أنه
خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ، ولم يخطب خطيباً والخطب والوصايا
مقاربان فى المفهوم بيّذ أن الخطب إنما يقصد بها قوم لا على سبيل التعمين والتخصيص
بخلاف الوصايا ، وإن الخطب إنما تكون فى المشاهد ، والجامع ، والأيام ، وللواسم
والتفاخر ، والتشاجر ، ولدى الكبراء والأمراء ، ومن الوفود فى أمر مهم ،
وخطب لم ؛ والوصايا بخلافها فى كل ما ذكر فلا تكون إلا لقوم مخصوصين فى
زمن مخصوص ، على شىء منصوص ؛ وكثيراً ما كانت تصدر من شخص لعائلته
أو سيد لقبيلته عند حلول مرض مخاطر ، أو محاولة نقله ، أو شابه ذلك .

وكان للعرب اعتناء بالخطب فى جاهليتهم أكثر من اعتنائها بها فى إسلامهم ،
وكانت لهم فيها عوائد غريبة ، وشئون عجيبة ؛ فن عوائدهم فيها أنهم كانوا
يتخيرون لها أجزل للمانى ، ويتخبون لها أحسن الألفاظ ؛ تحصيلاً لفرسهم ،
ونيلاً لقصدهم ، فإن الألفاظ الرائقة ، والمعانى الجزلة ، أوقع فى النفوس ، وأشد
تأثيراً فى القلوب ، وأيقظ للهمم ؛ ولذلك ورد « إن من البيان لسحراً » على
ما سبق . والأذن للكلام البليغ أصنى وأوعى ، والطبع السليم إلى كل مستحسن
أميل ، والترغيب فى العاجل ، والترهيب فى الآجل ، اللذان هما من أهم مقاصد
الخطابة ومطالبها العالية إذا لم يكونا بهارات تخلق القلوب ، وتأخذ بمجامعها ،
فلا تأثير فيها ولا فائدة منها .

ومن عوائدهم فيها أن الخطيب منهم إذا خطب فى تفاخر وتنافر وتشاجر ،
رفع يده ووضعها ، وأدّى كثيراً من مقاصده بحركات يده ، فذاك أعون له على
غرضه ، وأرهب للسامعين له ، وأوجب لتيقظهم ، وهو التشنير المذكور فى قول
لبيد :

(١) أى أول من افتضاها ، وهو مجاز .

غلبَ تَشْدَرُ بِاللُّحُولِ كَأَنهَا جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَامِيًا أَقْدَامُهَا
التشدر رفع اليد ووضعها كما سبق . والذحول جمع دَحَل بفتح الدال المعجمة
وسكون الحاء المهملة وهو الحقد . يقول : هم رجال غلاظ الأعناق كالأسود ،
أى خلقوا خلقة الأسود يهدد بعضهم بعضاً بسبب الأحقاد التى بينهم . ثم سبهم
بمن ذلك الموضع فى ثباتهم فى الخصام والجدال : يمدح خصومه وكلما كان الخصم
أقوى وأشد ، كان ظاهره وغالبه أقوى وأشد .

ومن عرائدِم فيها أخذ المِخَصْرَةَ بأيديهم ، وهى ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوه
أو ما يأخذ الملك يشير به إذا خاطب ، والخطيب إذا خطب ، فلا يخطبون إلا
بالخاصر ؛ وكانوا يعتمدون على الأرض بالقسي ، ويشيرون بالعصا والفتن ؛ ومنهم
من كان يأخذ المِخَصْرَةَ فى خطب السلم ، والقسي فى الخطب عند الخطوب
والحروب . واستشهد الجاحظ فى كتاب البيان ما ذكرناه بكثير من شعرهم .

واستحسن العرب فى الخطيب أن يكون جدير الصوت ، ولذلك مدحوا
سعة الفم ، وذموا صغره ، حتى قيل لأعرابي : ما الجلال ؟ قال : طول القامة ، وضخم
الحامة ^(١) ، ورحب الشدق ^(٢) ، وبعد الصوت . وسئل أبو الخشن عن ابنه
الخشن ^(٣) وكان جزع عليه جزعاً شديداً فقال : كان أشدق خُرطمانياً ^(٤) سائلاً لما به
كأنما ينظر من قلبين . كأن ترقوته بوان أو خالفة ^(٥) . كان منكبه كركرة . جمل
نقال ^(٦) ، فقا الله عيني إن كنت رأيت قبله أو بعده مثله . وقيل لأعرابي :
ما الجلال ؟ قال غُزُور العينين ، وإشراف الحاجبين ، ورحب الشدقين . وقال
الشاعر فى عمرو بن سعيد الأشدق :

تَشَادَقَ حَتَّى مَالَ بِالْقَوْلِ شِدْقَهُ وَكُلُّهُ خَطِيبٍ (لَا أَبَالِكَ) أَشْدَقُ

(١) الرأس (٢) جائب الفم — بالفنح والكسر (٣) فى نسخة أبو الخشن عن
ابنه الخشن
(٤) كبير الأنف (٥) الترقوة : العنق الذى بين تفرقة النحر والمناق .
والبوان : عمود الخيمة . والخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره .
(٦) المنكب : مجتمع رأس الكتف والمضد . والكركرة : رضى زور البعير .
وجمل نقال : بطيء لعله لضخم جسمه .

وأنشد أبو عبيدة :

وَصَلَعَ الرُّؤُوسَ عِظَامُ الْبُطُونِ رِحَابُ الشَّدَاقِ طَوَالَ الْقَصْرِ (١)
وقال المعجر السلولى فى شدة الصوت :

ومنه قَرَعَى كُلَّ بَابٍ كَأَمَّا بِهِ الْقَوْمُ يَرْجُونَ الْأَذِينَ نَشُورُ (٢)
فَجَثْتُ وَخَصَمَى بَصِرْفُونَ نِيَابَهُمْ كَمَا قُصِبَتْ بَيْنَ الشَّفَارِ جَزُورُ (٣)
لدى كُلِّ مَوْثُوقٍ بِهِ عِنْدَ مَنَاهَا لَهُ قَدَمٌ فِي النَّاطِقِينَ خَطِيرُ
جَهِيرُ وَمَتَدُّ الْعِنَاكِ مُنَاقِلُ بَصِيرُ بِمَوَارِدِ الْكَلَامِ خَيْرُ
فُظْلُ رِداءِ الْمَصْنَبِ مَلَقَى كَأَنَّهُ سَلَى فَرَسٍ تَحْتَ الرِّجَالِ عَقِيرُ (٤)
وَلَوْ أَنَّ الصَّخُورَ الْمُثْمَّ يَسْمَعْنَ صَلَفَنَا لَرُحِنَ وَفَى أَعْرَاضِنَ فُطُورُ (٥)
وقال مهمل :

ولولا الريح أسمع أهل نجد صليل البيض تُرْعُ بِالذَّكُورِ (٦)
وكان شبيب بصيح فى جنبات الجيش إذا آتاه فلا يلوى أحد على أحد وقال
الشاعر فيه :

إن صاح يوماً سبب الصغر منحدراً والريح عاصفة والموج يلتطم
والشعر فى ذلك كثير . والمقصود أن جهاة الصوت مما يمدح به الخطيب
وتكون من محاسنه .

(١) صلغ : جمع اصلع وهو الذى انحسر شعر رأسه من مقدمه ، والقصر :
الأعناق .

(٢) يقال اذن له فى النىء اذنا واذينا أى أباحه له - يقول : كأنما القوم
نشور يرجون الاذن .

(٣) النيبوب : الأسنان خلف الرباعية واحدها ناب ، والصريف : صوت
احتكاكها . وقصبت : قطعت . والجزور : الناقة التى تنحر . والشفار بالكسر
جمع شفرة بالفتح وهى المذبة .

(٤) العصب برد يصبغ ثم ينسج . والسلى : الجلدة التى يكون فيها الولد
من الناس والمواشى وأن تقطع فى البطن هلكت الأم وهلك الولد . (٥) الصلق :
شدة الصوت . والفطور : التسوق .

(٦) قوله « أهل نجد » يروى موضعه « أهل حجر » حجر قصبة اليمامة .
والصليل : الصوت . والذكور : السيوف التى عملت من حديد غير أنيث .
ويروى « نفاق البيض يقرع بالذكور » : ويقال : أول كذب سمع فى الشعر
هذا البيت : من قصيدة للمهمل أوردناها فى الجزء الثانى ص ١٥٤ و ١٥٥

ومن عوائدهم في الخطابة أن يكون الخطيب على زى مخصوص في العمامة واللباس تنويهاً بشأنه وأدخل في تحصيل الفرض والمقصود . وقد أطلب الجاحظ القول في كتاب البيان على خطب العرب ، وبيان عوائدهم فيها ، وما أورده من الشعر شاهداً على دعواه مما ينفي عن ذكره في هذا المقام .

ذكر نبذة من خطباء العرب في الجاهلية

خطباء العرب أيام الجاهلية كثيرون كثرة شعرائهم ؛ غير أن البعض منهم كان يفلب عليه قول الشعر فيمد في الشعراء ، وينتظم في سلكهم ، وآخرين يفلب عليهم منثور الكلام ، وفصيح البيان ، فيمد من رجال الخطابة شأن كل من غلب عليه معرفة فن من الفنون . فن نظم الشعر لا يمجزه إنشاء الخطيب ، وكذلك كثير من الخطباء يمدون من مُقلقي الشعراء . ولما كان أولئك الخطباء لا يحيط بهم نطاق العدد والإحصاء ؛ ذكرت بعض أفراد منهم هم كالأمثلة لمن سواهم مع ذكر شيء من مستحسن كلامهم . فمنهم :

فسي بن ساعدة الأندلسي

هو من أشهر الخطباء ذكراً ، وأرضهم قدراً قدراً ، حيث روى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلامه ، وموقفه على جلة الأوراق^(١) ، وموعظته . وعجب من حسن كلامه وكفى بذلك فخراً له ولقومه على مدى الأيام ؛ فإن هذا شرف تنشط دونه رؤوس الأعلام . وفي الحديث : « يرحم الله قساً إني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده » . وبذلك يعلم أنه لم يكن على دين من الأديان المشهورة ومن نسبته إلى يهودية أو نصرانية فقد لحن في مقاله ، وانحرف عن جادة الصواب وقد سبق له ذكر فيمن كان على التوحيد من العرب ، ونقل شيء من كلامه ، وكذلك مع الشعراء ومنهم .

(١) الذي لونه كلون الرماد .

سجانه وائل الباهلي

هو سحبان بن زُفر بن إلياس الوائلي : وائل باهلة خطيب يضرب به المثل في البيان ، فكانوا إذا أرادوا مدح إنسان بذلك قالوا « هو أخطب من سحبان وائل » أدرك الجاهلية ، وأسلم ، ومات سنة أربع وخمسين ، وحكى الأصمعي قال كان إذا خطب يسيل عرفاً ، ولا يمد كلمة ، ولا يتوقف ، ولا يقعد حتى يفرغ . وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم سعيد بن عثمان فطلب سحبان فأنى به ، فقال : تكلم ! فقال : انظروا إلى عصي تقوّم من أودى^(١) ! فقالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه في يده افضحك معاوية ، قال : هاتوا عصاه ! فأخذها ، ثم قام فتكلم من صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تنحنح ، ولا سمل ، ولا توقف ، ولا ابتداء في معنى خرج منه ، وقد بقي عليه شيء فما زالت تلك حالته حتى أشار معاوية بيده فأشار إليه سحبان : أن لا تقطع على كلامي ! فقال معاوية : الصلاة ! فقال : هي أمامك ، ونحن في صلاة وتحميد ، ووعد ووعد ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب ! فقال سحبان : والعجم والإنس والجن ! وما روى من خطبه البليغة : إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس فخذوا من دار مرمكم ، لدار مفركم ، ولا تهتكوا أستاركم ، عند من لا تحفى عليه أسراركم ، وأخرجوا^(٢) إلى الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ف فيها حيتيم ، ولنغيرها خلقتم ، إذا هلك ، قال الناس : ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدم ؟ قال حمزة الأصهباني في أمثاله في قولهم « هو أبلغ من سحبان وائل » : كان من خطباء العرب وبلغائها ، وفي نفسه يقول :

لقد علم الحى اليونون أننى إذا قلتُ أما بعد أنى خطيبها^(٣)

(١) اعوجاجي (٢) قوله : وأخرجوا إلى الدنيا قلوبكم . هكذا في الأصل ولعل صفة العبارة : وأخرجوا حب الدنيا من قلوبكم . وذلك ليستقيم المعنى اهـ مصححه (٣) وروى صدره « وقد علمت قيس بن عيلان أننى » وقيس : قبيلة كبيرة ولهذا انث « علمت » له ، وهو في الأصل أبو قبائل شتى وهو لقب واسمه (الناس) بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . . وقد

وهو الذى قال طلحة الطلحات (١) الخراعى :

يا طلح أكرم من بها حسبا وأعطام ثلث (٢)
منك العطاء فأعطني وعلى مدحك فى المشاهد

فقال له طلحة : احتكم ا فقال : برزوك الورد (٣) ، وغلامك الخباز ،
وقصرك برزنج (وهى مدينة بسجستان) وعشرة آلاف درهم ا فقال طلحة : أف
لك الم تسألنى على قدرى وإنما سألتنى على قدرك ، وقدر باهله (٤) ، ولو سألتنى كل
قصرلى ، وعبد ، ودابة لأعطيتك ا ثم أمر له بما سأل ، ولم يزد عليه شيئا وقال :
تالله ما رأيت مسألة محكم الأم من هذا ا ومنهم :

دويم بن زهير

ابن نهد بن ليث بن أسود بن أسلم الحيمرى

كان من الفصحاء ، ومشاهير الخطباء ، وأوصى بنيه وخطيبهم فقال : (أوصيك
بالناس شراً لا ترمحوا لهم عبرة ، ولا تقيلوا لهم عثرة) (٥) ، قصروا الأعنة ، وأطيلوا
الأسنة ، واطمنوا شزراً (٦) ، واضربوا هرباً (٧) ، وإذا أردتم المحاجزة ، فقبل
المناجزة (٨) ، والمرء يجز لا بحالة بالجد لا بالسكد (٩) ، التجلد ولا التبلد (١٠)

اختلف العلماء فى اول من نطق باما بعد اختلافا طويلا لا ارى له محلا من
الأعراب ! ومن أراداه فليطلبه من الشروح والحواشى القديمة !

(١) هو أحد الأجواد المشهورين فى الاسلام ، واسمه طلحة بن عبد الله بن
خلف الخراعى ، واضيف إلى الطلحات لانه فاق فى الجود خمسة أجواد اسم
كل واحد منهم طلحة ، وهم : طلحة الخير وطلحة الفياض ، وطلحة الجود ، وطلحة
الدرهم ، وطلحة الندى . وقيل : كان فى أجداده جماعة اسم كل طلحة .
كدا قال ابن الحاجب فى شرح المفضل . والتفصيل فى « خزانة » الامام
البغدادى ، وغرر الخصائص . (٢) التالذ : كل مال قديم . (٣) البرزون :
التركى من الخيل ، والورد : بين الكميث والأشقر . (٤) قبيلة من اخس قبائل
العرب — راجع الجزء الثانى ص ١٠٩ . (٥) يقال : اقال الله عثرته ، اذا رفعه
من سقوطه . (٦) معنى الشزور ان يطعمه من احدى ناحيتيه قال الاصمعى :
نظر الى شزورا اذا نظر من عن يمينه وشماله وطمعه شزورا كذلك .

(٧) قال ابن دريد يقال هبرت اللحم اهره هبرا اذا قطعته قطعاً كبيراً .
(٨) المناجزة فى الحرب المبارزة . (٩) أى يدرك الرجل حاجته وطلبته
بالجد وهو الحظ .
(١٠) أى تجلدوا ولا تبلدوا .

والمنية ولا الدنيا^(١)، ولا تأسوا على فائت وإن عز فقده ، ولا تمنوا إلى ظاعن وإن ألف قربه ، ولا تطعموا فطعموا^(٢) ، ولا تهنوا فتهنوا^(٣) ، ولا يكون لكم المثل عسوء « إن الموصين بنو سهوان^(٤) » إذ امت فارجحوا خط مضجعي^(٥) ولا تصنوا^(٦) إلى برحب الأرض ، وما ذلك بمؤد إلى روحاً^(٧) ، ولكن حاجة نفس خامرها للإشفاق^(٨) ، ثم مات . قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر إنه قال :

اليوم يُبْنَى لِلدَّوْدِ بَيْتُهُ^(٩) يَارُبُّ نَهَبٍ صَالِحٍ حَوَيْتُهُ
وَرُبُّ قَرْنٍ بَطَلٍ أَرْدَيْتُهُ وَرَبُّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ^(١٠)
وَمَنْعَمٌ^(١١) مُخَصَّبٍ ثَبَيْتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَيْلٌ أَلْبَيْتُهُ
أَوْ كَانَ قَرْنِي وَاحِداً كَفَيْتُهُ

ومن قوله :

أَتَى عَلَى الدَّهْرِ رَجُلًا وَيدَاً وَالدهرُ مَا أَصْلَحَ يَوْمًا أَفْسَدَا
يُصْلِحُ مَا أَفْسَدَهُ الْيَوْمَ عَدَا

قال أبو حاتم السجستاني . عاش دويد بن زيد أربعمائة سنة وستاً وخمسين سنة وقال ابن دريد : إن دويد بن زيد كان من المعمرين . قال : ولأنه العرب معمرأ إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً . ومنهم :

(١) أي اختار الموت على العار . وهو مثل — قاله أوس بن حارثة — يضرب لمن يختار التلف على قبح الأحذوفة . (٢) الطبع : الدنس . (٣) الوهن الضعف . والخراع والخراعة : اللين ، ومنه سميت الشجرة الخروع اللينة . (٤) صوب الميداني في معنى هذا المثل أن يقال : إن الذين يوصون بالشئ يستولى عليهم السهو حتى كأنه موكل بهم ، وهو يضرب أن يسهو عن طلب شئ مأمور به . والسهوان : السهو ، ويجوز أن يكون صفة موصوف محذوف أي رجل سهوان وهو آدم عليه السلام حين عهد إليه فسها ونسى . والمعنى أن الذين يوصون لا بدع أن يسهوا لأنهم بنو آدم عليه السلام . وكذا قالوا وأكل وجهه (٥) أرحبوا وسعوا . وخط المضجع : القبر . (٦) أي لا تبخلوا . (٧) راحة (٨) أي خالطتها المحاذرة والخوف . (٩) المراد بالبيت القبر (١٠) القرن : من يقاومك في علم أو قال أو غير ذلك . والفيل : بالفتح الساعد الريان الممتلئ (١١) المعصم : موضع السوار من اليد .

زهير بن جناب بن هبل الحميري

كان سيداً مطاعاً شريعاً في قومه عاش مائتي سنة وعشرين سنة ، وأوقع مائتي وقعة . ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه : كان سيد قومه ، وشريفهم ، وخطيبهم ، وشاعرهم ، وأوفدهم إلى الملوك ، وطبيبهم (والطب في ذلك الزمان شرف) وحازي^(١) قومه (والحزاة الكهان) وقارس قومه ، وله البيت فيهم والعدد منهم . وأوصى إلى بنيه وخطيبهم فقال : يا بني إني قد كبرت سنّي وبلغت حراً^(٢) من دهرى فأحكمتني التجارب والأمور تجربة واختيار ، فاحفظوا عني ما أقول وعوه : إياكم والخور^(٣) عند المصائب ، والتوكل عند النوائب^(٤) ، فغن ذلك داعيةً للنم ، وشماتةً للعدو^(٥) ، وسوء ظن بالرب ، وإياكم أن تسكروا بالأحداث مغترين ، ولما آمنين ، ومنها ساخرين ، فإنه ماسخر قوم قط إلا ابتلوا ولكن توقصوها . فإن الإنسان في الدنيا غرض^(٦) تماوره^(٧) الرماة فقصر دونه ، ومجاوز لموضه ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثم لا بد أن يصيبه .

وكان زهير بن جناب على عهد كليب بن وائل ؟ ولم يكن في العرب أنطق من زهير ولا أوجه عند الملوك منه ، وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً ، ولم تجتمع

(١) في الصحاح : الحازي الذي ينظر في الاعضاء وفي خيلان الوجه يتكهن انتهى . وقال ابن شميل الحازي أقل علماً من الطارق والطارق يكاد يكون كاهناً والمعالف العالم بالأمور والعراف الذي يسم الأرض فيعرف مواقع المياه ويعرف بأي بلد هو . وقال الليث : الحازي النكاهن حزا يحزو يحزى وتحزى وانشدد :

ومن تحزى عاطساً أو طسراً

(٢) قال الزبيدي : الحرس بالفتح الدهر وقيل وقت الدهر دون الحقب وهو مجاز . قال الرازي : « في نعمة عشنا بذلك حرساً » والجمع أحرس بضم الراء انتهى . وقال السيد المرتضى في أماليه (ج ١ ص ١٧٣) : قوله ، حرساً من دهرى — يريد طوبلأمته والخرس من الدهر الطويل . قال الرازي « في سنينه عشنا بذلك حرساً » والسنينة المدة من الدهر (٣) الخور : الجبن والضعف .

(٤) التوكل : أن يكمل القوم أمرهم إلى غيرهم من قواهم رجل وكل إذا كان لا يكفي نفسه ويكل أمره إلى غيره ويقال رجل وكله تكله . والنوائب : المصائب . (٥) الشماتة : اسم من شمت به كفرح بشمت : إذا فرح بمصيبة نزلت به .

(٦) الغرض كل ما تنصبته للرعى . (٧) أي تداوله .

قضاة إلا عليه وعلى رزاح بن ربيعة . وسمع زهير بمض نسائه تتكلم بما لا ينبغي
لامرأة أن تتكلم عند زوجها به فيهاها ، فقالت له : اسكت عني وإلا ضربتك بهذا
المود : فوالله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا تفعله ! فقال عند ذلك :

ألا بالقوى لا أرى النجم طالماً ولا الشمس إلا حاجتي يميني
مُعزِّي بقى عند القفا بمودها تكون نكيري أن أقول دَرَبِي (١)
أميناً على سر النساء وربما أكون على الأسرار غير أمين
فَلَدَمْتُ خَيْرَ مَنْ حِدَاجٍ مُوطَّأٍ مع الفان لا يأتي الخلل لحيني (٢)

وهو القائل

ابنِي إِنْ أَهْلَكَ قَدْ أَوْرَشَكُمُ بَحْدًا بَنِيَّةً
وَتَرَكْتُكُمْ أَبْنَاءَ مَا دَاتِ زَادَكُمُ وَرِيَّةً (٣)
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلَتْهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ (٤)
وَلَقَدْ رَحَمْتُ الْبَازِلَ الْكُومَاءَ لَيْسَ لَهَا وَلِيَّةٌ (٥)
وَعَطِبْتُ خُطْبَةً حَازِمٍ عِيرَ الضَّعِيفِ وَلَا الْعَبِيَّةِ

(١) قوله : معزيتي — يعنى امراته . يقال معزبة الرجل وحليته وزوجته :
كل ذلك امراته . والسر : خلاف العلانية ، والسر أيضاً النكاح . قال الحطيئة :
ويحرم سر جارهم عليهم ويأكل جارهم أئف القصاص
وقال امرؤ القيس :

ألا زعمت بسياسة اليوم أننى كبرت والأ يحسن السر أمثالى
وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعاً لأنه إذا كبر وهرم لانتهاية النساء ان
تحدث بحضرته بأسرارهن تهاونا به وتمولاً على ثقل سمعه وكذلك هرمه
وكبره يوجبان كونه أميناً على نكاح النساء لمجزه عنه . (٢) الحداج : مركب
من مراكب النساء . والظمن والأظمان : الهودج ، والظمنية : المرأة في الهودج ولا
تكون ظعنينة حتى تكون في هودج والجمع ظمغان . وإنما خبر عن هرمه وإن موته
خير من كونه مع الظمن في جملة النساء . (٣) يروى بدل أبناء (الرباب) والزناد
جمع زند وزندة وهما عودان يقسح بهما النار (راجع ص ١٦٧ من الجزء
الثانى) وكنى بزنادكم وربة عن بلوغهم آثارهم . تقول العرب : وريت بكم
زنادى أى بلغت بكم مآجب من النجى والنجاة . ويقال للرجل الكريم وأرى
الزناد . (٤) التحية : الملك فكانه قال : من كل مانال الفتى قد نلته إلا الملك ؛
وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء (٥) البازل الناقة التى بلغت سبع سنين فهى
أشد ما تكون ولفظ البازل فى الناقة والجمل سواء . والكوماء : العظيمة السنم .
والوابة : برذعة تطرح على ظهر البعير تلى جلده .

فالموتُ خيرٌ للتي فليهلكنْ وبه بقيةٌ
من أن يرى الشيخ البجا لَ وقد يُهادى بالمشية^(١)
وهو القائل :

ليتَ شعري والدهرُ ذو حَدَثَانِ أَى حِينٍ مَنِّتِي تَلْقَانِي
أُسَبَاتٌ عَلَى الْفَرَّاشِ خَفَاتٌ أَمْ بِكَفَى مَفْجَعٍ حَرَّانِ^(٢)
وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره :
لقد عُرِّتُ حَتَّى لَا أَبَالِي أُحْتَفَى فِي صَبَاحِي أَمْ مَسَائِي^(٣)
وحق لمن أنت مائتان عاماً عَلَيْهِ أَنْ يَمْلَأَ مِنَ التَّوَلَاءِ^(٤)
ومنهم :

مرثو الخمر المحمري

وهو مرثو الخيل بن يثكف بن نوف بن مقديركب بن مُضْعِجِي . وكان
قَبِيلاً حَدِيداً عَلَى عَشِيرَتِهِ ، مُحِبّاً لِصَلَاحِهِمْ . وكان من أفصح الفصحاء ، وأخطب
الخطباء . قال أبو بكر بن دريد : وكان سُبَيْعُ بْنُ الْحَرْثِ أَخُو عَلَسٍ وَعَلَسٌ هُوَ
ذُو بَدَنٍ ، وميم بن مثنوب بن ذِي رُعَيْنٍ تَنَازَعَا الشَّرَفَ حَتَّى تَشَاحَفَا^(٥) وخيف
أَنْ يَقَعَ بَيْنَ حَيَّتَيْهِمَا شَرٌّ فَيَتَفَانِي جَذْمَاهُمَا^(٦) فَبِعِثَ إِلَيْهِمَا مَرَضًا فَأَحْضَرَهَا لِيُصْلِحَ
بَيْنَهُمَا ! فَقَالَ لَهَا : إِنَّ التَّخْبِطَ^(٧) وَامْتِطَاءَ الْمَجَاجِ^(٨) ، وَاسْتِحْقَابَ اللَّجَاجِ^(٩) ،

(١) البجال : كسحاب ، البجل أو هو الشيخ الكبير السيد العظيم مع جمال ونبل . وبهادي . بماشيه الرجال فيستدونه لضعفه والتهادي المنى الضعيف . (٢) السبات : سكون الحركة . والخفات : الضعيف أيضا يقال : خفت الرجل اذا اصابه ضعف من مرض او جوع . والحران : العطشان الملتهب وهو ههنا المحزون على قتله . (٣) الحنف : الهلاك . (٤) الاقامة . (٥) من التشاحن وهي العداوة . (٦) الجذم : الاصل . (٧) قال ابوبكر : التخيظ ركوب الرجل راسه في التمر خاصة . (٨) قال الجحد : ركب هجاج كقطام ويفتح آخره - ركب راسه . (٩) الاستحقاب : استعمال من الحقيبة أو من الحقاب فاما الحقيبة فما يجعل فيه الرجل متاعه من خرج أو غيره وحقيبة الجمل التي تكون وراء الرجل تحشى تبنا أو حشيشا . وهذا مثل اما ان يكون اراد انه احتزم بالججاج ، أو جمعه في وعائه .

سَيَفْشِكُمْ عَلَى شَمَا هَوْتٍ . فِي تَوَرُّدِهَا بَوَارُ الْأَصِيلَةِ ^(١) ، وانقطاع الوَسِيلَةِ .
فَتَلَانِيَا أَمْرًا قَبْلَ انْتِكَاسَاتِ التَّمَدُّ ^(٢) ، وانحلال المَقْد ، وَتَشَتَّ الألفَة ، وتباين
السُّهُمَةِ ^(٣) ، وَأَتَمَّا فِي فُسْحَةِ رَافَةِ ^(٤) ، وقدم واطدة ^(٥) ، واللودة مُثْرِيَةً ^(٦) . والبقيا
مُعْرَضَةً ^(٧) ، فقد عَرَقْتُمْ أَنْهَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ عَصَى النَّصِيحِ ، وخالف
الرَّشِيدَ ، وَأَصْنَى إِلَى التَّقَاطُعِ ، وَرَأَيْتُمْ مَا آلَتْ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ سُوءِ سَمْعِهِمْ ، وكيف
كَانَ صَيُورُ ^(٨) أُمُورِهِمْ فَتَلَانُوا الْقَرْحَةَ قَبْلَ تَقَاظُمِ النَّأْيِ ^(٩) ، واستفحال الدَّاءِ ^(١٠) ،
وَإِصْوَارِ الدَّوَاءِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَفِكَتِ الدَّمَاءُ ، اسْتَحْكَمَتِ الشَّجَنَاءُ ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ
الشَّجَنَاءُ ، تَقْصَبَتْ عَرَى الْإِبْقَاءِ ^(١١) ، وَشَمَلُ ^(١٢) الْبَلَاءِ فَقَالَ سَبَّيْغُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ !
إِنَّ عِدَاوَةَ بَنِي الْعَلَاتِ ^(١٣) ، لَا تُبْرِئُهَا الْأَسَاةُ ^(١٤) ، وَلَا تُشْفِيهَا الْوَفَاةُ ، وَلَا تَسْتَقِيلُ
بِهَا السُّكْفَاءُ ، وَالْحَسَدُ السَّكَّامُ ، هُوَ الدَّاءُ الْبَاطِنُ ، وَقَدْ عَلِمَ بَنُو أُمِّ بَيْنَا هَؤُلَاءِ أَنَّهُ لَمْ
رِدُّهُ ^(١٥) إِذَا رَهَبُوا ، وَغِيثَ إِذَا أَجْدَبُوا ، وَعَصْدُ إِذَا حَارَبُوا ، وَتَفَرَّعَ إِذَا نُكِبُوا
وَأَنَا وَإِيَّاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ وَهُوَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

إِذَا مَا عَلَوْنَا قَالُوا أَبُونَا وَأَمْنَا وَأَيْسَ لَمْ عَالَيْنَ أُمٌّ وَلَا أَبُ
فَقَالَ مَيْمَنُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ مِنْ نَفْسٍ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ الزَّعَامَةَ ، وَجَدَّهَ فِي
الْمَقَامَةِ ^(١٦) وَاسْتَكْثَرَهُ لِقَلِيلِ الْكَرَامَةِ ، كَانَ قَرِيفًا ^(١٧) بِالْمَلَامَةِ ، وَمُؤْتَبًا عَلَى تَرْكِ
الِاسْتِمَامَةِ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَمْتَدُّ لَمْ يَبْدِ إِلَّا وَقَدْ نَالَهُمْ مَنَّا كِفَاؤُهَا ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ حَسَنَةً
إِلَّا وَقَدْ تَعَلَّلَ مِنْ إِلَيْهِمْ جَزَائُهَا وَلَا يَتَفَيَّأُ لَمْ عَلَيْنَا ظِلُّ نِعْمَةٍ إِلَّا وَقَدْ قُوبَلُوا

(١) شفا البئر والوادي والقبر وما اشبهها : حافته ، والهوة ما انهبط من
الأرض أو الوهدة الغامضة منها . والبوار الهلاك . والأصيلة والأصل واحد .
(٢) الانتكاس : الانقراض . (٣) القرباة . (٤) أي ناعمة من الرفاهية .
(٥) ثابتة (٦) أي متصلة مأخوذة من الثرى وهو التراب النضى ، يقال :
تربت بك : أي كثرت بك (٧) أي ممكنة قد أمكنت من عرضها أي جنبها
وناحيتها (٨) الصيور : الأمر الذي يرجع إليه (٩) القرحة : الجرح . ويقال
تفاقم النأى بينهم إذا وقعت بينهم جراحات وقتل (١٠) اشتداد الداء .
(١١) تقصبت : تقطعت (١٢) هم (١٣) بنو العلات (١٤) بنو أمهات شتى
من رجل واحد لأن التي تزوجها على أولى قد كانت قبلها ناهل ثم عل من هذا
(١٥) الأطباء واحدهم آس . (١٦) عون (١٧) جذبه : عابه ، والمقاماة :
المجلس والمجلس : الناس . (١٧) خطيما .

بَشَرُوا^(١) ، ونحن بنو غفل مُقَرَّم^(٢) لم تقعد بنا الأمهات ولا بهم ، ولا تنزِعنا
أعراق السوء ولا إيام ، فَعَلَّامٌ مَطَّ الخلود ، وخَزَرُ العيون^(٣) ، والجَنيف
والتَصَمُّر^(٤) . والباؤ والتكبر ؛ الكثرة عَدَد ، أم لفضل جَلَد . أم أطول مَقْتَد ؟
وإنا وإيام لكما قال الأول (وهو ذو الأصبع الداني) :

لَا إِبْنَ عَمَّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانٍ فَتَخَزُونِي^(٥)
ومقَاتِعُ الأمور ثلاثة : حربٌ مَبِيرَةٌ ، أو سلمٌ قَرِيمَةٌ ، أو مُدَاجَاةٌ وَغَيْرَةٌ^(٦) ،
قال الملك : لَا تَنْشِطُوا^(٧) عُقْلَ الشَّوَارِدِ ، وَلَا تُلْقِحُوا الْعُونَ الْقَوَاعِدَ^(٨) ،
وَلَا تُؤَزِّرُوا^(٩) نِيرَانَ الْأَحْقَادِ ، فَعِهَا لِلتَّلَفَةِ الْمُسْتَأْصِلَةُ ، وَالْجَانِحَةِ وَالْأَلِيلَةِ^(١٠)
وَعَفُوا بِالْحِلْمِ ، أَبْلَادُ^(١١) الْكَلَمِ ، وَأَنْبِئُوا إِلَى السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ ، وَالْمَنْهَجِ
الْأَقْسَدِ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ تُقْبِلُ بِزِيْرِجِ الْفُرُورِ^(١٢) وَتُذِيرُ بِالْوِيلِ وَالنُّبُورِ ، نَم
قال الملك :

أَلَا هَلْ آتَى الْأَقْوَامَ بِذُلَى نَصِيحَةٌ حَبَوْتُ بِهَا مَنَى سُبَيْكًا وَمِينًا^(١٣)
وَقُلْتُ اعْلَمَا أَنَّ التَّدَابِيرَ غَادَرَتْ عَوَاقِبُهُ لِلذَّلِّ وَالْقَلِّ جُرْمُهَا^(١٤)
فَلَا تَقْدَحَا زَنْدَ الْمُتَّقُونَ وَأَبْقِيَا عَلَى الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءَ أَنْ تَهْدِمَا^(١٥)
وَلَا تَجْنِيَا حَرْبًا تَجْرُ عَلَيْكُمَا عَوَاقِبُهَا يَوْمًا مِنَ الشَّرِّ أَشَامَا

(١) يمثلها (٢) أى سيد شريف والمقرم فى الاصل البعير الذى لا يحمل
عليه ولا بدال وانما هو للفحلة (٣) الخزر : ان بنظر الرجل الى احد عرضيه
يقال انه ليتخاخر لى اذا نظر اليه بمؤخر عينه ولم يستقبله بنظره .
(٤) الجنييف : التكبر ومثله البأؤ ، والتصمر : هو ان يعرض الرء بوجهه
عن الناس فى ناحية من الكبر (٥) راجع الجزء الاول من هذا الكتاب ص ٣٣٨
(٦) المداجاة : المساندة ، والفسفرة الففران والعرب تقول ليست فيوم
غفيرة أى لا يغفرون (٧) لا تحلوا (٨) هذا مثل واصله فى الاصل يقال لقحت
الناقة اذا حملت والقحها الفحه ثم ضرب ذلك مثلاللحرب اذا ابتدأت ، وللعون :
جمع عوان وهى الثيب ويقال الحرب عوان اذا كان قد قوتل فيها مرة بعد مرة
(٩) أى لا تذكروا (١٠) الجانحة : الاستئصال . والاليلة : التكل .
(١١) الابلاد : الآثار واحدها بلد ، والكلم : الجرح (١٢) الزبرج بالكسر
الربسة من وشى أو جوهر (١٣) حيوت : اعطيت (١٤) الذل : الدالة ،
والقل : القلة (١٥) القعساء : الثابتة .

فان جُناة الحرب للحين عُرْضةٌ تفوقهم منها الذُعاَفُ المُقْشَا^(١)
حَدَارٍ فلا تَسْتَنْبِئُوهَا فَإِنِهَا تَفَادِرُ ذَا الْأَنْفِ الْأَثَمِ مَكْشَا^(٢)
«قَالَ: لَا أَيُّهَا الْمَلِكُ! بَلْ تَقْبَلُ نُصْحَكَ، وَنَطْلِعُ أَمْرَكَ، وَنَطْلُقُ النَّاشِرَةَ^(٣)
وَنَحْلُ الْعِصَانِ. وَتَتَوَبُّ إِلَى السَّلَامِ. وَمِنْهُمْ:

الْحَرْثُ بْنُ كَعْبِ الْمَزْمُجِيِّ

كَانَ الْحَرْثُ هَذَا مِنْ أَنْصَحِ خُطَبَاءِ زَمَانِهِ، قَدْ سَلِمَ لَهُ طَوْلُ بَاعِهِ فِي الْبَلَاغَةِ
وَعَلَوُ شَأْنِهِ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ: جَمَعَ الْحَرْثُ بْنُ كَعْبٍ بَنِيهِ لَمَّا حَضَرَتْهُ
الْوَفَاةُ فَقَالَ «يَا بَنِي قَدْ أَتَتْ عَلَيَّ سِتُونَ وَمِائَةً سَنَةً مَا صَالَحْتَ بِمِثْلِي يَمِينُ غَادِرٍ
وَلَا قَعَمْتَ نَفْسِي بِحِلَّةِ فَاجِرٍ، وَلَا صَبَوْتَ بِأَبْنَةِ عَمٍّ وَلَا كَنَّةٍ^(٤) وَلَا طَرَحْتَ عِنْدِي
مُؤَمَّةً قَنَاعَهَا^(٥)، وَلَا أَبْجَحْتَ لَصَدِيقٍ بَسْرٍ، وَإِنِّي لَمَلِي دِينَ شَعِيبِ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ
السَّلَامُ) وَمَا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرِي وَغَيْرِ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ وَتَمِيمِ بْنِ مَرْءٍ،
فَاخْضَعُوا وَصِيْقِي، وَمُوتُوا عَلَى شَرِيعَتِي... إِلَيْكُمْ فَاتَّقُوهُ يَكْفِيكُمْ الْمَهْمُ مِنْ أُمُورِكُمْ،
وَيُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ. وَإِيَّاكُمْ وَمَعْصِيَتِهِ لَا يَحِلُّ بِكُمْ الدَّمَارُ^(٦)، وَيُوحِشُ مِنْكُمْ
الدِّيَارُ... يَا بَنِي كُونُوا جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا فَتَكُونُوا شِيعًا، وَبَرُّوا قَبْلَ أَنْ تُبَرُّوا،
وَأِنْ مَوْتًا فِي عَزٍّ، خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعِجْزٍ، وَكُلُّ مَا هُوَ كَاتِنٌ كَاتِنٌ، وَكُلُّ جَمْعٍ
إِلَى تَبَايُنٍ؛ وَالْأَهْرُ ضَرْبَانُ: فَضَرْبُ رِخَاءٍ، وَضَرْبُ بَلَاءٍ، وَالْيَوْمُ يَوْمَانُ: فَيَوْمٌ
حَبِيرٌ^(٧) وَيَوْمٌ عَبْرَةٌ، وَالنَّاسُ رَجُلَانُ: فَرَجُلٌ مَعَكَ وَرَجُلٌ عَلَيْكَ... وَزَوْجُوا
الْأَكْفَاءَ، وَارْتَحِلُوا فِي طَلَبِ الْمَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْوَرَهَاءَ^(٨) فَإِنَّهَا أَدْوَأُ الْأَدَاءِ،

(١) تفوقهم: تسقيم الفواق وهو ما بين الطبتين كأنه يحلب حلبسة ثم يسكت ثم يحلب أخرى، والدعا ف بالضم السم، والمقشع: المخلوط، والحين: الهلاك (٢) قوله ولا تستنبئوها، مثل، أي لا تخرجوا نبيئها وهو ما يخرج من البشر إذا حُفرت. يريد لا تشدوا الحرب، والمكشم: المقطوع. (٣) الهائجة (٤) الضبوة: رقة القلب، والكنة: امرأة أخى الرجل وامرأة ابن أخيه (٥) المؤممة: الفاجرة البغي وأراد أنه لم تبذل عنده وتنبسط كما تفعل مع من يريد الفجور بها (٦) مثل الهلاك وزنا ومعنى. (٧) فرح وسرور (٨) الحمقاء.

وتجنبوا الحفاء ، فإن ولدها إلى أفن يكون^(١) إلا إنه لا راحة لقاطع القرابة ، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم منهم ، وآفة العدد اختلاف الكلمة ، والفضل بالحسنة يقي السبئية والمكافأة بالسبئية دخول فيها . وعمل السوء يزيل النماء ، وقطيعة الرحم ، تورث ألم ، وانتهاك الحرمه ، يزيل النعمة ، وعقوق الوالدين يُعقب الشكذ ، ويمحق العدد ، ويحرب البلد ، والنصيحة تَجِرُ الفضيحة ، والفضيحة^(٢) والمحدد يمنع الرفد^(٣) ولزوم الخطيئة ، يعقب البلية ، وسوء الرعة^(٤) ، يقطع أسباب النعمة ، والضائن تدعو إلى التباين ، يا بني إني قد أكلت مع أقوام وشربت ، فذهبوا وغبرت ، وكأني بهم قد لحقت . ثم أنشأ يقول :

« أكلت شبابي فأفنيته^(٥) وأنصيت من بعد دهري دهورا^(٦)
ثلاثة أحلّين صاحبهم فبادوا وأصبحتُ شيخاً كبيراً^(٧)
قليل الطعام عسير القيام قد ترك الدهر خطوى قصيرا
أبيت أراحي نجومَ ليلاء أقلبُ أسرى بطونا ظهورا^(٨)
ومنهم :

قيس بن زهير العبسي

كان هذا أيضاً من ذوى الفصاحة والبيان ، وعلوبة المنطق وذرب اللسان^(٩) ومن أخباره ومستحسن كلامه ، مارواه ابن الكلبي ، قال : لما كان بعد يوم الحياة جاور قيس بن زهير العبسي النمر بن قاسط ، فقال لم « إني جاورتك ، واخترتك ، فزوجوني امرأة قد أدبها الفنى . وأذلها الفقر ، فى حسب وجمال ، فزوجوه (غلبية) ابنة (الكيس النمرى)^(١٠) » وقال لم « إن فى خللاً ثلاثاً :

(١) الا فن : الحق (٢) هذا يشبه أن يكون معناه ان النصيح اذا نصح لمن لا يقبل نصيحته ، ولا يصفى الى موعظته ، فقد اقتضح عنده لانه افضى اليه بسرّه « وأباح بمكنون صدره (٣) العطاء (٤) يقال فلان حسن الرعة والتورع أى حسن الطريقة (٥) انصيت ابليت (٦) بادوا ذهبوا وانقطعوا (٧) أى فصاحة اللسان (٨) يأتى ذكره فى النسائين قريبا .

إني غيور ، وإني فخور ، وإني آنف . ولست أخفر حتى أبداً ، ولا أغار حتى أرى
ولا آنف حتى أعظم « فرضوا أخلاقه . فأقام فيهم حتى ولد له . فلما أراد الرحيل عنهم
قال : « إني موصيكم بمخالف وناهيكم عن خصال : عليكم بالأناة فإن بها تدرك الحاجة
وتنال الفرصة ، وتسويد من لا تعاون بتسويده ، وعليكم بالوفاء فإن به يمش الناس
ويأعطاء من تريدون إعطاه قبل المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح
وإجارة الجار على الدهر ، وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى ، وخلق الضيف
بالسيل ، وأنهاكم عن الغدر ، فإنه عار الدهر ، وعن الرهان فإن به شككت مالكا
أخى ، وعن البنى فإنه قتل زهيراً أبى ، وعن الإعطاء في الفضول فتعجزوا عن
الحقوق ، وعن السرف في الدماء فإن يوم الهبأة ألزمنى العار ، ومنع الحرم إلا
من الأكفاء ، فإن لم تصيبوا لمن الأكفاء فإن خير منا كمين القبور أو خير
منازلها ؛ واعلموا أنى كنت ظالماً مظلوماً : ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا أخى
وظلمتهم بأن قتلتم من لا ذنب له »
ثم رحل عنهم إلى غمار فتنصر بها وعف عن لئال كل حتى أكل الحنظل
إلى أن مات . ومنهم :

الربيع بن ضبيع ^(١) الفزاري

كان من الخطباء الجاهليين ، وقد أدرك زمن الإسلام لأنه كان من المعمرين .
ويقال إنه بقى إلى أيام بنى أمية . وروى أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال
له : يا ربيع ! أخبرنى عما أدركت من المر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية .
فقال أنا الذى أقول :

ها أنا ذا أَمَلُ الخلودَ وَقَدْ أَذْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلَى حُجْرًا ^(٢)

فقال : قد رويت هذا من شعرك وأنا صبي ! قال : وأنا القاتل :

(١) كذا ، وفي الإصابة « طبعة السعادة » ضبيع ، وفي الاقتضاب ص ٣٦٩
وأما المرتضى ج ١ ص ١٨٣ والدرر اللوامع ج ١ ص ٢١٠ : (ضبيع) .
(٢) يريد بحجر أبا امرئ القيس .

إذا عاش القتي مائتين عاما فقد ذهبَ اللذائذُ والفتاك^(١)
قال : قد رويت هذا من شرك وأنا غلام ! وأبيك يا ربيع لقد طلبك جد غير
حائر ، ففصل لي عمرك ! قال : عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام ،
وعشرين ومائة في الجاهلية ، وستين في الإسلام ! قال : أخبرني عن فتية في قريش
متواطئ الأسماء ! قال : سل عن أيهم شئت ! قال : أخبرني عن عبد الله بن عباس .
قال : فهم وعلم ، وعطاء جذم^(٢) ، ومقرى ضخم^(٣) . قال : فأخبرني عن عبد الله بن
عمر . قال : حلم وعلم ، وطول كظم ، وبعد من الظلم قال فأخبرني عبد الله بن
جعفر . قال : ريحانة طيب ريحها ، لين مسها ، قليل على المسلمين ضررها . قال :
فأخبرني عن عبد الله بن الزبير . قال جبل وعز ، يتسدر منه الصخر ، قال : لله درك
يا ربيع ما أعرفك بهم ! قال : قرب جوارى ، وكثرة استخباري . قال السيد
لارتضى في كتابه غرر الفوائد : إن كان هذا الخبر صحيحا فيشبه أن يكون سؤال
عبد الملك له إنما كان في أيام معاوية لا في ولايته ، لأن الربيع يقول في الخبر عشت
في الإسلام ستين سنة وعبد الملك ولى في سنة خمس وستين من الهجرة فإن كان
صحيحا فلا بد بما ذكرناه ، فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية . ويقال إن الربيع
لما بلغ مائتي سنة قال :

ألا أبلغُ بنِي ربيع فأشرارُ البنينَ لكم فِداهُ
باني قد كُبرْتُ ودقَّ عظمي فلا تشفلكُم عني النساءُ
فإنَّ كَفائتي لنساءِ صدقي وما ألى^(٤) بنِي ولا أساؤا
إذا كانَ الشَّهابُ فأدْفُونِي فإنَّ الشَّيخَ يَهْدِمُهُ الشَّيْءُ^(٥)

(١) قوله « مائتين عاما » الوجه حذف النون وخفض عام إلا أنها شبهت
للضرورة بالمشرين ونحوها مما ثبتت نونه وينصب ما بعده ، وروى أيضا
« تسعين عاما » ولا ضرورة فيه على هذا ، ولكنها رواية لا تصح . .
(٢) سريع ، وكل شيء تسرعت فيه فقد جلمته (٣) المقرى : الأناة الذى
يقرى فيه (٤) ما قصر (٥) يستشهد النحاة بهذا البيت على مجيء (كان)
في حال تمامها بمعنى حدث . ويهدمه من هدمت البناء وبرى بهرمه أى يضعفه

وَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرَّةٍ فَمَيْزُ بَالٍ خَفِيفٌ أَوْ رِدَالُهُ^(١)
إِذَا عَاشَ النَّفْيَ مَائَتِينَ عَامًا قَدْ ذَهَبَ اللَّذَازَةُ وَالْفَتَاهُ

وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة :

أَصْبَحَ مَيِّ الشَّيْبِ قَدْ حَسِرَا إِنْ كَانَ وَلَّى فَقَدْ تَوَى عُصْرَا
وَدَعَانَا قَبْلَ أَنْ نُودَّعَهُ لَمَّا قَضَى مِنْ جَاعِنَا وَطَرَا
هَإِنَّا ذَا آمَلُ الْخُلُودِ وَقَدْ أَدْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلَى حُجْرَا
أَيَا أَمْرِيهِ الْقَيْسَ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! طَالَ ذَا عُمرَا^(٢)
أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا
وَالذَّئِبُ أَشْهَاءُ إِنْ مَرَزْتُ بِهِ وَحْدَى وَأَخْشَى الرِّيَّاحَ وَالْمَطَرَا
مِنْ بَعْدِ مَا قُوَّةُ أَمْرِي بِهَا أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَعَالِجُ الْكِبَرَا
قوله عطاء جزم : أى سريع وكل شيء أسرعت فيه فقد جزمته ، وفي الحديث : إذا أدنت فتزل وإذا أقت فأنجم . والمقرى الإناء الذى يقرى فيه . وقوله : ما آلى بنى ولا أساءوا ، أى لم يقصروا والآلى للقصر . ومنهم :

أَبُو الطَّمْحَانِ الْغُبَيِّ

واسمه حنظلة بن الشرقى من بنى كنانة بن القين . قال أبو حاتم : عاش
أبو الطمحن الغبى مائتي سنة فقال فى ذلك :

حَنَنْتُنِي حَانِيَاتِ الدَّهْرِ حَتَّى كَانِي خَاتِلًا أَدْنُو لَصِيدِ
قَرِيبُ أَخْطُو يَحْسِبُ مِنْ رَأْيِي وَلَسْتُ مُقَيَّدًا - أَنِي بَقِيدِ
قال أبو حاتم السجستاني : وحدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب
ينشد هذين البيتين ، وينشد أيضاً :

تَقَارَبَ خَطَاؤُ رَجُلِكَ يَا دَرِيدَ^(٣) وَقَيَّدَكَ الزَّمَانُ بَشَرًا قَيِّدِ

(١) القُرَّة : البرد . والسربال بالكسر ما يلبس من قميص أو درع
(٢) أى ما أطول هذا العمر (٣) فى أمالي المرتضى (ج ١ ص ١٨٦) : «باسويد»

« وهو القاتل »

وإني من القوم الذين همُّ همُّ
 نجومُ سماءٍ كَلَمَّا غَابَ كوكبُ^(١) إذا ماتَ منهم سيّدٌ قام صاحِبُهُ
 أضاءتْ لهم أحسابُهُم ووجوهُهُم بدأ كوكبٌ تأوى إليه كواكبُهُ^(٢)
 وما زالَ مِنْهُم حيث كان مُسَوِّداً دجى الليل حتى نظمَ الجزعُ ناقبُهُ^(٣)
 تسيرُ للنّابيا حيث ساررتْ كتابتُهُ
 ومعنى البيتَيْن الأولين يُشبه قول أوس بن حجر^(٤) :

إذا مُقِرَّمٌ مِنَّا ذَرّاً حدّ نابه تخمطُ فينا ناب آخر مُقِرَّم^(٥)
 ولطفيل النضوى مثل هذا المعنى وهو قوله :

كواكبٌ دجى كَلَمَّا انقضى كوكبٌ بدأ وانجلتْ عنه الدُّجْنَةُ كوكب^(٦)
 وقد أخذ هذا المعنى الخزيمى فقال :

إذا قرّ مِنَّا قفّورٌ أو خبّا بدأ قرّ فى جانب الأفق يلمعُ
 ومثل ذلك

خِلَافُهُ أَهْلُ الأَرْضِ فينا وِرائَةُ إذا ماتَ مِنَّا سيّدٌ قام صاحِبُهُ
 ومثله

إذا سيّدٌ مِنَّا مَضَى لِسَيْلِهِ أقام عُودِ المَلِكِ^(٧) آخرُ سيّد^(٨)
 ومنهم :

ذو الأصبع العذوائى

قد ذكرنا نبذةً من أحواله فى الكلام على حكام العرب^(٩) ، وكا كان من

(١) راجع ص ١٢٨ من هذا الجزء (٢) راجع الجزء الأول ص ٥٦
 (٣) يفتحون وليس فى أسماء الأشخاص على هذا البناء غير هذا
 (٤) المقرم : الرجل الشريف ، والتخمط : الأخذ والقهر بغلبة كذا فى التاج ،
 وفى الأساس : تخمط ناب البعير ظهر وأرتفع . وأنشد البيت
 (٥) الدجن والدجنة : الظلمة . وانقض : سقط .
 (٦) فى نسخة « الدين » (٧) ج ١ ص ٣٣٥
 (٨) فى نسخة « الدين » (٩) ج ١ ص ٣٣٥

حكامهم فهو من أفصح خطبائهم ؛ فلذلك اقتضى المقام إيراد شيء من مستحسن كلامه . قال أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني : ولما احتضر ذو الأصبغ دعا ابنه أسيد فقال له : « يا بني إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سبّمت العيش ؛ وإنّي مؤصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغت فاحفظ عني ؛ ألنّ جانبك لقومك يُحيّوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم صفارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صفارهم ، واسمع باللك ، واحم حرملك ، واعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريح ، فإن لك أجلاً لا يدرك . وصنّ وجهك عن مسألة أحدٍ شيئاً فبذلك يتم سودوك » ثم أنشأ يقول

أُسَيْدُ إِنِّ مَالاً مَلَكْتُ تَقَسَّرَ بِرِي سَيِّراً جَمِيلاً
أَخَ الْكَرَامِ إِنِّ سَطَعْتُ مَ إِلَى إِخَائِهِمْ سَيْلَا
وَأَشْرَبْتُ بِكَأَمِيهِمْ وَإِنِّ شَرِبُوا بِهِ الشَّمَّ الثَّمِيلَا^(١)
أَهِنَ اللَّثَامَ وَلَا تَكُنْ لِإِخَائِهِمْ جَلَّالَا
إِنِّ الْكَرَامَ إِذَا تَوَا خِيَمَهُمْ وَجَدْتَ لَهُمْ قَبُولَا
وَدَعِ الَّذِي بِيَدِ الْأَشِيرِ أَنِّ يَسِيلَ وَلَنْ يَسِيلَا
أَبْنَى إِنِّ الْمَالَ لَا يَبْكِي إِذَا فَقَدَ الْبَغِيلَا

ومنها :

الأوس بن حارثة

قال أبو بكر بن دريد : حدثني عبي عن أبيه عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن عبد الرحمن بن أبي قبّس الأنصاري قال . عاش الأوس بن حارثة دهرًا وليس له ولد إلا مالك وكان لأخيه الخزرج خمسة أولاد : عمرو . وعوف .

وجشم . والحرق . وكعب . فلما حضره الموت قال له قومه : قد كذا فأمرك بالتزويج في شبائك فلم تزوج حتى حضرك الموت ا فقال الأرس : لم يهلك هالك ترك مثل مالك ، وإن كان الخرزج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ، ففعل الذي استخرج العذق من الجريمة ^(١) ، والنار من الوثيمة أن ^(٢) يحمل المالك نسلا ، ورجالاً ^(٣) بئسلا ^(٤) يا مالك ! اللية ولا الدنية ^(٥) والعتاب قبل العقاب ^(٦) ، والتجلد لا التبذل ، واعلم أن القبر خير من الفقر ، وشر شارب المشنف ^(٧) وأقبح طاعم المقتن ^(٨) وذهب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم السكرم ، الدفاع عن الحرم ، ومن قل ذل : ومن أمر فل ^(٩) ؛ وخير الغنى الفناعة ، وشر الفقر الضراعة . والدهر يومان : فيوم لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبهر ، وإذا كان عليك فاصبر ، فكلاهما سيدحسر ، فإنما تمر من ترى ويمر من لا ترى ولو كان الموت يشتري سلم منه أهل الدنيا ، ولكن الناس فيه مستوون : الشريف الأبلج . والشيخ المملوج ^(١٠) ، والموت المغيب ، خير من أن يقال لك : هيب ^(١١) وكيف بالسلامة ، لمن ليست له إقامة ، وشر من المصيبة سوء الخلف ، وكل مجموع إلى تلف ، وحياك إهلك » : فنشر الله من مالك بعدد بني الخرزج أو نحوهم .
ومنهم :

(١) العلق : النخلة نفسها بلغة أهل الحجاز « والجريمة النواة .
(٢) قال أبو علي القالي : هي الوثيمة الربوطة يريد به قدح حوافر الخيل النار من الحجارة . والعرب تقسم بهذا الكلام فنقول : لا والذي أخرج العذق من الجريمة والنار من الوثيمة لا فعلت كذا وكذا انتهى ، وللعرب في الجاهلية إيمان كثيرة الف فيها النجيم رسالة ، نشرت مؤخرا في المجلد الأول من مجلة (الزهراء) في القاهرة (٣) البسل : الشجعان (٤) راجع ص ١٥٢ من هذا الجزء (٥) مثل يضرب في النهي عن التصرع إلى الشر . (٦) المستقصى (٧) الأخذ بمعلقة . (٨) يعني : من قل أنصاره غلب ، ومن كثر اقرباؤه فل أعداءه . . يقال أمر القوم إذا كثر عددهم (٩) هو المتناهي في الدناءة والأؤم . (١٠) الهيب : الاحمق الضعيف .

أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي الْقَيْمِي

قد ذكرت نبذة لطيفة من ملحه ، وفصيح كلامه ، عند الكلام على
حكماء العرب . وقد اقتضى المقام إيراد شيء من كلامه ، للزرى بقدر الدرّ ونظامه
فن ذلك قوله يخطب قومه بنى تميم ويوصيهم : يا بنى تميم لا يفوتكم وعظي إن فاتكم
الدهر بنفسى ، إن بين حَزْؤِي^(١) وصدرى لكلاماً لا أُجِدُّ له مواقع إلا أسمعكم
ولا مقارّاً إلا قلوبكم ، فتلقوه بأسماع مصفّية ، وقلوب واعية ، تحمدوا مغبته^(٢)
المهوى يقظان ، والمقل راقد ، والشهوات مطلقة ، والحزْم معقول ، والنفس مُهْمَلَة
والروبة مقيدة ، ومن جهة التوائى وترك الروية يتلف الحزْم ؛ ولن يعلم المشاور
مرشداً ؛ والمستبدُّ برأيه موقوف على مداحص الزلل ، ومن سمع سمع به ،
ومصارع الرجال تحت بروق الطمع ؛ ولو اعتبرت مواقع الحزن ما وجدت إلا
مقائل الكرام ، وعلى الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سَلَكَ الجَدَدَ أَمِنَ العِثَارَ^(٣)
ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ، ويشغل فكره ، ويورث غيظه ، ولا تجاوز
مضرته نفسه ، يا بنى تميم ! الصبر على جرع الحلم أعذب من جناء ثمر الندامة ،
ومن جعل عرضه دون ماله استهدف^(٤) للذم ؛ وَكَلِمُ اللّسان أنكى من كَلِمِ
اللسان^(٥) ؛ والكلمة مرهونة ما لم تنجم^(٦) من القم ، فإذا نجمت فهي أسد
يَحْرَبُ^(٧) ، أو نار تلهب ؛ ورأى الناصح اللبيب دليل لا يجوز ، وفذاذ رأى
فى الحرب ، أجدى من الطعن والضرب .

وكان (يريد بن المهلب) يسلك طريقة الأكثم بن صيفي فى خطبه ووصاياه
وحكمه ونصائحه فإنها أحسن مسالك البلغاء ، وأرشو ، أساليب الفصحاء ، فن ذلك

(١) الحيزوم : الصدر أو وسطه (٢) أى عاقبته (٣) مثل يضرب فى طلب
العافية والجدد : الأرض المستوية (٤) أى انتصب كالغرض يرمى بالأقويل
(٥) أنكى : أشد نكابة أى جرحاً وإفخاخاً ، وكلم السنان : جرحه وهو نصل
الرمح (٦) تنجم : تخرج (٧) بكسر الميم شديد الحرب .

ما أوصى به ابنه مخلداً حين استخلفه على جرجان^(١) ، وهو قوله : يا بني إني قد استخلفتك على هذه البلاد ، فانظر هذا الحى من اليمين فكن لهم كما قال الشاعر :

إذا كنتَ مرتادَ الرجالِ لنفعمَ فَرِشَ واصطنع عند الذين بهم ترى^(٢)

وانظر هذا الحى من ربيعة فإنهم شيمتك وأنصارك ، فاقض حقوقهم ، وانظر هذا الحى من تميم فأطعمهم ولا تره لهم ، ولا تذهبهم فيقطعوا ، وانظر هذا الحى من قيس فإنهم أكفاء قومك فى الجاهلية ، ومناصفهم للنابر فى الإسلام ، ورضام منك البشر . يا بني ! إن لأبيك صنائعَ فلا تفسدها فإنه كفى بلرء نقصاً أن يهْدِمَ ما بنى أبوه ! وإياك والدماء فإنها لا بُقْيةَ معها ، وإياك وشتم الأعراس فإن الحرَّ لا يرضيه عن عرضه عوض ، وإياك وضرب الأبقار فإنه عارٌ باقٍ ورتير مطلوب ؛ واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى ، ولا تمزل إلا عن حمز أو خيانة ، ولا يمتك من اصطناع الرجل أن يكون غيرك قد سبقك إليه ، فإنك إنما تصطنع الرجال لفضلها ، وليكن صنيعك عند من يكافئك عنه العشائر ، أهل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم ، وإذا كتبت كتاباً فأكثر النظر فيه ، وليكن رسولك فيما بينى وبينك من يفقه عني وعنك ، فإن كتاب الرجل موضع عقله ، ورسوله موضع سره ، وأستودعك الله فلا بد للودع أن يسكت ، وللشيع أن يرجع ، وماعف من اللطوق وقل من الخطيئة ، أحب إلى أباك ! وكذلك سلك هذا السلك المحمود .

ومنهم :

قيس بن عاصم المقرئ

فمن خطبه الرشيقه ، ووصاياه الأنيفة ، قوله يومى بنيه : يا بني خذوا عني فلا أحد أنصح لكم مني ؛ إذا دفتنوني فانهضوا إلى رجالكم فسودوا أكبركم فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم ، وإذا سودوا أصغرهم ازدري ذلك بهم

(١) مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان .

(٢) راجع ص ١١٤ من هذا الجزء .

في أكتفائهم ؛ وإياك وممصية الله وقطيعة الرحم ؛ وتمسكوا بطاعة أمرائكم ، فإنهم من رفعوا ارتفع ، ومن وضعوا اتضع ؛ وعايكم بهذا المال فأصلحوه فإنه منبهة للسكريم ، وجنة لعرض اللثيم^(١) ، وإياكم والفساة فإنها آخر كسب الرجل وأن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب . وإياكم والنياحة فإن سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينهى عنها ؛ وادفنتي في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم ، ولا يعلم بكرن وائل بمدفني ؛ فقد كانت بيني وبينهم مشاحنات في الجاهلية والإسلام ، وأخاف أن يدخلوا عليكم بي عاراً ، وخذوا عني ثلاث خصال : إياكم وكل عرق لثيم أن تلبسوه فإنه إن سرركم اليوم يثؤمكم غداً ، واكفموا النغيظ ، واحذروا بني أعداء آبائكم فإنهم على مناج آباءهم ! ثم قال :

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا فلن تبديد وللآباء أبناء^(٢)

قال ابن الكلبي : فيحكى الناس هذا البيت سابقاً للزبير وما هو إلا لقيس ابن عاصم . ومنهم :

عمرو بن كلثوم التغلبي

فإنه كما كان يعد من غول الشعراء ، كذلك كان من مصاعف الخطباء ؛ وله في هذا الباب كلام حسن ، على أسلوب مستحسن ، من ذلك قوله يخاطب بنيه : يا بني إني قد بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائي وأجدادي . ولا بد من أسر مقبيل ، وأن ينزل بي ما نزل بالآباء والأجداد ، والأمهات والأولاد فاحفظوا عني ما أوصيكم به : إني والله ما عبرت رجلاً قطُ أمراً إلا عبرت من مثله ؛ إن حقاً خفياً وإن باطلاً فباطلاً ، ومن سب سب ؛ فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأعراضكم وصلوا أرحامكم تمر داركم وأكرموا جاركم يحسن ثنائكم ، وزوجوا بنات العم بنى العم ، فإن تمليتهم بهم إلى النرباء ، فلا تألوا بهم الأكلفاء ؛ وأبدوا بيوت

(١) الجنة : كل ما وقى . (٢) الضغائن : الاحقاد . وتبديد : تنقطع .

النساء من بيوت الرجال فإنه أغضُّ للبصر ، وأغف للذكر ، ومتى كانت المعايينة واللقاء ، ففي ذلك داء من الأدواء ، ولا خير فيمن لا يشار لغيره كما يشار لنفسه ، وقل من انتهك حرمة لغيره إلا انتهكت حرمة ، وامنعوا القريب ، من ظلم القريب ، فإنك تذلل على قريبك ، ولا يحمل بك ذل قريبك ، وإذا تنازعتم في الدماء ، فلا يكن حاكم للقاء ، فرب رجل خير من ألف ، وود خير من حلف ، وإذا حُدِّثْتُمْ قَمَوا . وإذا حُدِّثْتُمْ فأوجزوا ، فإن مع الإكثار ؛ يكون الإهذار ، وموت عاجل ، خير من ضئى أجل ، وما بكيت من زمان ، إلا دهانى بعده زمان ، وربما شجاني ، من لم يكن أمره عنائي ، وما عجبت من أحداثه ، إلا رأيت بعدها أعجوبة . واعلموا أن أشجع القوم المطوف ، وخير الموت تحت ظلال السيوف ، ولا خير فيمن لا روية له عند الفضب ، ولا فيمن إذا عوتب لا يعتب ، ومن لا يرجى خيره ، ولا يخاف شره . فبكؤه خير من درّه ^(١) ، وعقوته خير من مره ، ولا تبرحوا في حبه فإنه من أبرح في حب آل ذلك إلى قبيح بض . وكم زارني إنسان وزرته ، فاققلب الدهر بنا فبرته . واعلموا أن الحلیم سليم ، وأن السيف كريم ، إني لم أمت ولكن هَرَمْتُ ، ودخلتني ذلة فسكت ، وضعف قاي فاهترت ^(٢) ، سلمكم ربكم وحياكم !

وقد ذكرت نبذة من غر شمائل عمرو اللذ كور عند ذكر شعراء العرب

ومنهم : نعيم ^(٣) بن ثعلبة السكاني

كان يخطب العرب في الموسم ، وينقادون لأوامره ويمثلونها ويتمنون عما نهى عنه . وهو أول من نسا الشهور . قال أبو بكر الأنباري : كانوا إذا صدروا من (منى) قام رجل يقال له نعيم بن ثعلبة من بني كنانة . فقال : أنا الذي لأعاب

(١) يقال : بكات الناقة بكا وبكاء وبكوا وبكاء إذا قل لبنها . والدر : اللبن .

(٢) أهتر : خرف وذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن .

(٣) لم أقف فيما بين يدي بين الامهات والاصول على ما يؤيد صحة هذا الاسم إلا في أمالي القالي . وورد في بعضها فقيم بالفاء فليحقق .

ولا يردى قضاء ! فيقولون : أنسنا شهراً أى أخرنا حرمة الحرم فاجعلها فى صفر .
وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يمكنهم الإغارة فيها
لأن معاشهم كان من الإغارة فيحل لهم الحرم ومحرم عليهم صفرًا ، فإذا كان فى السنة
المتبقة حرم عليهم الحرم وأحل لهم صفرًا . فقال الله عز وجل « إنما النسيء زيادة
فى الكفر »

وقال الشاعر :

أنسنا الناسين على معدة شهور الحل نجعلها حراما ؟

وقال آخر

وكننا الناسين على معدة شهورهم الحرام إلى الحليل

وقال آخر

نسأوا الشهور بها وكانوا أهلها من قبلكم والعز لم يتحول
وقد استوعبنا الكلام على النسيء فى الأعمال التى أبطلها الإسلام ، والمقام
اقتضى إيراد شيء منه . ومنهم :

أبو سيرة العروانى

وهو رجل من بنى عدوان اسمه عيلة بن خالد الأعزل . وكان أحد خطباء
العرب للذكرين وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من الرذلفة إلى منى أربعين
سنة . وكان يقول : ^(١) أشرق ثبير ، کیا نفير ^(٢) ويقول : لام إنى بائع بياعه ،
إن كان إثم فى قضاءه . لام مالى فى الحمار الأسود . أصبحت بين العالمين أحسد .
هلا يكاد ذو البعير الجلود ^(٣) فق أبأ سيرة الحسد من شر كل حاسد إذا حسد .
ومن أداة النافثات فى المقد . اللهم حبيب بين نساتنا . وبنض بين رعائنا . واجمل
المال فى صحائنا . وفيه يقول الشاعر :

(١) راجع الجزء الأول ص ٢٤٨ .

(٢) أى تسرع الى التحرر . (٣) الصلب الشديد .

خلوا الطريقَ عن أبي سَيَّارَةَ وعن مواليه بنى فَرَازَةَ
حتى يجيز سُلُكاً حِمارَه مستقبل القبلة يدعو جَارَةَ
قد أجاز الله من أجازَه

وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمار على
ركوب البراذين ويحملان أبا سيارة لها قدوة . ومنهم :

الحِمْزُ بن ذِيانَه بن لُجَا بن منهب الجُماني

كان من مشاهير خطباء العرب وفصحائهم في عصره ؛ وله كلام مستحسن
تكلم به في الجماع والمشاهد العظيمة ، وانطلوب الصبغة . روى أبو بكر بن دريد
بسندَه إلى ابن السكيت عن أبيه قال : اجتمع طَرِيفُ بن العاصي الدوسي وهو جدُّ
طُفَيْلِ ذِي النورين بن عمرو بن طريف والحِمْزُ بن ذِيان بن لُجَا بن منهب وهو
أحدُ للمعمرين عند بعض مَقَاوِلِ (١) حَيْرَ فتنافرا فقال الملك للحِمْزُ يا حارثُ ألا
تخبرني بالسبب الذي أخرج هَجِينانَ مِنَّا يَرْعِيانَ غَنماً لهما فَتَشَاوَلَا (٢) بسيفيهما ، فأصاب
صاحبهم عَقَبَ صاحبنا فعاث (٣) فيه السيف فَفُزِفَ (٤) فأت ، فسالونا أخذ دية
صاحبنا ديةَ المَهِجِينِ (٥) وهى نصف دية الصَّرِيحِ (٦) ، فأبى قومي وكان لنا رِباباً (٧)
عليهم فأبينا إلا دية الصريح وأبوا إلا دية المَهِجِينِ . وكان اسم هَجِيننا ذُهَيْن بن زَبْرَاءَ
واسم صاحبهم عَنَقَشُ بن مُهْمَرَة ، وهى سوداء أيضاً (٨) فتقام (٩) الأمر بين الحَيَيْنِ
فقال رجل منا :

(١) المَقَاوِلُ والاقبال هم الذين دون الملك الاعظم (٢) تضاربا

(٣) أى أفسد والعيث الفساد (٤) سال دمه حتى ضعف

(٥) الذى أبوه عربى وامه ليست عربية (٦) الخالص .

(٧) الرِباب : الزيادة يقال أربى فلان على فلان فى السبب يربى أرباء ادا
زاد عليه (٨) كذا فى الأصل ولم يتقدم الحكم على شيء بالسواد فاعله سقط
من قلم الناسخ عند قوله: زبراء «وهى سوداء» انظر امالى التالى ج ١ ص ٧٣
(٩) اشتد .

حُلُومِكُمْ (يا قوم) لَا تُزْبِنُنَّهَا وَلَا تَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ بِالْتَّذَابِرِ (١)
وَأَذُوا إِلَى الْأَقْوَامِ عَقْلَ ابْنِ عَمِّهِمْ وَلَا تُزْهِقُوا سُبَّةَ فِي الْعَشَائِرِ (٢)
فَإِنَّ ابْنَ زَبْرَاءَ الَّذِي قَاتَلَهُ لَمْ يَكُنْ بِدُونِ خُلَيْفِ أَوْ أَسِيدِ بْنِ جَابِرٍ (٣)
فَإِنَّ لَمْ تُمَاطُوا الْحَقَّ فَالْسَيْفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَالسَيْفُ أَجْوَرُ جَائِرٍ
فَتَضَافِرُوا عَلَيْنَا حَسْداً فَاجْمَعْ دَوُو الْحِجَابِ مِنَّا أَنْ نَلْحَقَ بِأَمْنِ بَطْنِ مِنَ الْأَزْدِ
فَلَحَقْنَا بِالْمَرْبِ بْنِ عَمَانَ ، فَوَاللَّهِ مَا قَاتَلْنَا فِي أَعْضَادِنَا نَافِئًا مِنْهُمْ (٤) ، وَلَقَدْ أَتَانَا (٥)
بِصَاحِبِنَا وَرَامَعُونِ . فَوَيْبُ طَرِيفِ بْنِ الْأَمَاسِ مِنْ مَجْلِسِهِ لِحُلَسِ بْنِ آدِ الْحَرْثِ ،
ثُمَّ قَالَ : تَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَالْيَوْمِ قَوْلَا أَبَدَ مِنْ صَوَابٍ ، وَلَا أَقْرَبَ مِنْ خَطَالٍ (٦)
وَلَا أَجَابَ لِقَدَحٍ (٨) مِنْ قَوْلِ هَذَا ، وَاللَّهِ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَا قَاتَلْنَا بِهِجْنَهُمْ بَدَّجَالٍ (٩) ،
وَلَا رِقَابَهُ دَرَجًا ، وَلَا أَنْطَلُوا (١٠) بِهِ عَقْلًا ، وَلَا اجْتَفَأُوا بِهِ خَشَلًا (١١) ، وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُ
الْخَوْفَ عَنْ أَصْلِهِمْ ، وَأَجْلَاهُمْ عَنْ مَحَلِّهِمْ ، حَتَّى اسْتَلَانَا خَشُونَةَ الْإِزْعَاجِ ، وَلَجَأُوا إِلَى
أَضْيَاقِ الْوِلَاجِ ، قُلًّا وَذُلًّا (١٢) ! فَقَالَ الْحَرْثُ : أَسْمِعْ يَا طَرِيفُ ؟ إِنْى وَاللَّهِ مَا إِخْلَاكَ
كَأَفْزَابٍ غَرِبَ (١٣) لِسَانُكَ ، وَلَا مَنَّةً نَهَا شَرَّةَ نَزْوَانِكَ (١٤) حَتَّى اسْطَرَّ بِكَ سَطْوَةٌ تَكْفُ
طِمَاحَكَ (١٥) ، وَتَرْدُّ جِمَاحَكَ ، وَتَكْسِيتُ تَرْتُّعِكَ (١٦) ، وَتَقْمَعُ تَسْرُّعَكَ ! فَقَالَ
طَرِيفُ : مَهْلًا يَا جَابِرُ لَا تَعْرِضْ لَطَعْمَةِ (١٧) اسْتِنَائِي ، وَذَرِّبْ لِسَانِي (١٨) ، وَغَرِّبْ
شِبَابِي ، وَمِيسَمَ سَنَانِي ، فَتَكُونُ كَالْأَغْلِ (١٩) لِلْمَوَاطِئِ ، وَالْمَتَجَبِّ الْمَوْجُودِ (٢٠) ! فَقَالَ

- (١) عَزَبَ عَنْهُ حِلْمُهُ وَأَعَزَبَ حِلْمُهُ كَقَوْلِكَ أَضَلَّ بِصِيرِهِ ، وَتَدَابَرَ الْقُيُومُ :
اِخْتَلَفُوا وَتَعَادَلُوا (٢) الْعَقْلُ : الدَّبِيَّةُ ، وَارْهَقْتُ الرَّجُلَ عَسْرًا : كَلَفْتُهُ ذَلِكَ .
(٣) قَاتَلَ يَفُودُ : مَاتَ ، وَفَادَ بَقِيْدُ : تَبَخَّرَ (٤) أَوْهَنُ وَأَضْعَفُ
(٥) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ « فَأَبَانَا عَنْهُمْ » (٦) اِفْتَعَلْنَا مِنَ الثَّأْرِ
(٧) خَطَا (٨) الْكَلَامُ التَّبَيُّحُ (٩) خَرُوفًا وَهُوَ فَارْسِيٌّ مَعْرَبٌ وَكَذَلِكَ الْبَرَقُ
فَارْسِيٌّ مَعْرَبٌ وَهُوَ الْحَمَلُ (١٠) لَفْظَةٌ فِي أَعْطَا (١١) اجْتَفَأُوا : صَرَعُوا ،
وَالْخَشَلُ شَجَرُ الْمَقَلِّ — وَهَذِهِ أَمْثَالُ كُلِّهَا يُرِيدُ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ثَارَهُ .
(١٢) الْقَتْلُ : الْقَتْلَةُ ، وَاللَّلُ : الدَّلَّةُ (١٣) قَالَ الْفَرِيقِيُّ : الْقَرَبُ الْحَدَّةُ مِنْ
كُلِّ شَيْءٍ نَحْوِ الْفَأْسِ وَالسَّكِينِ حَتَّى قَبْلَ اقْطَعْ غَرَبَ لِسَانِهِ أَيْ حَدَّتَهُ .
(١٤) مِنْهَا كَافًا : وَالتَّزْوَانُ : الْوُثُوبُ . وَشَرَّتَهُ : حَدَّتَهُ وَنَشَاطَهُ .
(١٥) بِالْكَسْرِ النَّشُوزُ وَالْجِمَاحُ (١٦) تَسْرَعُ إِلَى الشَّرِّ (١٧) طَحْمَتُهُ
السَّبِيلُ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحُ دَفْعَتُهُ (١٨) الذَّرْبُ : الْحَدَّةُ (١٩) أَسْفَلَ خَفَ الْبَعِيرِ .
(٢٠) الْمَتَجَبِّ : أَصْلُ الذَّنْبِ ، وَالْمَوْجُودُ : الْمَقْطُوعُ .

الحرث إياي تخاطب بمنزلة هذا القول ! والله لو وطئتكَ لاسخنتك ، ولو وهنتك لا وهعتك^(١) ، ولو نعتك لأندتكَ ! فقال طريف . متمثلا :

وإن كلام المرء في غير كنهه^(٢) لكالتلبي تهوى ليس فيها نصالها^(٣)
أما والأصنام المحجوبة ، والأنصاب للنصوبة ! لأن لم ترتفع على ظلمك^(٤) ،
وتقف عند قدرك ، لأدعن حزنك^(٥) سهلا وعمرتك صخلا^(٦) ، وصفاك^(٧) وحلا !
فقال الحرث : أما والله لو رمت ذلك لمرغت بالخصيض^(٨) وأغصبت بالجريض^(٩)
وضاقت عليك الرحاب^(١٠) وتقطعت بك الأسباب^(١١) ، ولألفيت لقي تهاده
الرواميس^(١٢) ، بالسهب الطامس^(١٣) فقال طريف : دون ما ناجتكَ به نفسك
معارعة أبطال ، وحياض أهوال . وحفرة إعجال^(١٤) يمنعُ معه نظامن الإمهال ،
فقال الملك : إيهنا عنكما^(١٥) فأرايت كاليوم مقال رجلين لم يقصبا^(١٦) ولم يثلبا^(١٧)
ولم يلبصوا ولم يقفوا^(١٨) ! وشرح هذه الألفاظ يطول ، ومن أراد ذلك فليراجع
كتب اللغة .

وأما خطب أهل العصر الأول من الإسلام

فهي الناية في الفصاحة ، والمنتهى في البراعة والبلاغة ؛ وفي كتب الأدب
الدائرة في الأيدي شيء كثير من خطب الخلفاء الراشدين وغيرهم مما تحجير

(١) وهنتك : كسرتك ، واوهطتك : اهلكتك وقيل صرمتك .

(٢) أي في غير كنهه وقته (٣) جمع نصل وهو حديدة السهم .

(٤) لم ترتفع : لم تكف وترفع . والظلم : الغمز (٥) الحزن : ما غلظ من الأرض بخلاف السهل (٦) الغمر : الماء الكثير ، والفحل الماء القليل .

(٧) جمع صفاة وهي الصخرة (٨) القرامن الأرض إذا اتصل الماء القليل .
وفي الحديث : أن العدو يمر مرة الجبل ونحن بحضيضه فالعرعة أعلاه
والخصيض أسفله (٩) الرقيق : وفي المثل « حال الجريض ، دون القريض »
وهو يضرب لامرئ يعوق دونه عائق (١٠) الأراضي الواسعة (١١) أي الوصلات ،
الواحد سبب ووصلته وأصل السبب الجبل ينسد بالنوى فيجذب
به ثم جعل كل ما جر شيئا سببا (١٢) الرياح التي ترمس أي تدفن
(١٣) السهب : المستوى من الأرض والطامس : الدارس

(١٤) الحفر : الدفع (١٥) قال أبو زيد « إيهنا » نهي و « إيه » أمر
(١٦) أي لم يشتما ، يقال قصبه يقصبه إذا وقع فيه وأصل القصب القطع
(١٧) أي لم يعيبا وينقصا (١٨) لصاه : قذفه ، وقفاه يقفوه : قذفه
بأمر عظيم .

منه أولو الأبواب ، وتقضى منه العجب العجائب ؛ قد اشتملت على الحكم والأمرار
وما يستوجب خيري الدنيا والآخرة دار القرار ، وما يقرب إلى مرضاة الله تعالى
ويباعد عن دار البوار . هذا كتاب نهج البلاغة ^(١) قد استودع من خطب الإمام
على بن أبي طالب سلام الله عليه ماهو قيس من نور الكلام الالهي ، وشمس نضى
بفصاحة المنطق النبوي ، وكذلك أهل القرن الثاني فليسوا بأقل فصاحة من العرب
العرباء . ولان أولئك الخطباء . روى أبو بكر بسنده إلى ابن الكلبي عن أبيه
قال : لما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير دخل الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى
عليه وصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال ^(٢) : أيها الناس إن الحرب صعبة
مرة ، وإن السلم أمن ومسرّة ، وقد زبنتنا الحرب وزبناها ^(٣) فزفناها وألقناها ،
ففتح بنوها وهي أمانا . أيها الناس ! فاستقيموا على سبيل الهدى ، ودعوا الأهواء
المردية ، وتجنبوا فراق جماعات المسلمين ، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ،
وأنتم لاتعملون أعمالهم ولا اظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شراً وإن زداد بعد الإغذار
إليكم والحجة عليكم إلا عقوبة ؛ فمن شاء منكم أن يمود بعد لملها فليمتد ، وإنما مثلي
ومثلكم كاقال قيس بن رفاعه :

مَنْ يَصِلْ نَارِي بِلا ذَنْبٍ وَلَا تَرَةٍ يَصِلْ بِنَارِ كَرِيمٍ غَيْرِ غَدَارٍ ^(٤)
أنا النذير لَكُمْ مَنى مُجَاهَرَةٍ كُنْ لَا أَلَامَ عَلَى نَهْيٍ وَإِنْذَارٍ

(١) كان ابن سيرين يرى عامة مايروون عن علي رضي الله عنه كذبا لا اصل له ولا سند . قال الشيخ العلامة المقبلي في «العلم الشامخ» : وصدق ابن سيرين رحمه الله فان كل قلب سليم ، وعقل غير زائف عن الطريق القويم «
ولب تدرب في مقاصد سالكي الصراط المستقيم ، يشهد بكذب كثير مما في (نهج البلاغة) الذي صار عند الشيعة عدلي كتاب الله بمجرد الهوى الذي اصاب كل عرق منهم ومفصل ، وليتهم سلكوا مسلك جلاميد الناس ، واوصلوا ذلك الى على برواية تسوغ عند الناس ، وجادلوا عن روايتها ولكن لم يبلغوا بها مصنفها . . الخ (٢) اوردها القلقشندي في صبح الاعشى (ج ١ ص ٢١٥) بيمض اختلاف ، وعزاها لهاوية رضي الله عنه (٣) اي دفعتنا ودفعناها . (٤) صلى بالنار وصلبها صلى من باب تعب : وجد حرها ، والثرة : الظلم .

فإن عصيتُم مقالَ اليومَ فاعترفوا أن سوفَ تَلْقَوْنَ خِزْيًا ظاهرَ المارِ (١)
لِتَرْجِعُنَّ أَحاديثَنَا مُلَمَّةً لَهَوُ اللَّفِيمِ وَلَهُو المَذَلِّجِ السَّارِي (٢)
من كان في نفسه حَوَاجُهُ يَطلبُها عِنْدِي فَإِنِّي لَهُ رَهْنٌ بِأَصْحَارِ (٣)
أَفِيمِ عَوَجَتَهُ إِنْ كَانَ ذَا عِوَجٍ كَمَا يُعَوِّمُ قِدَحَ النُّبْعَةِ الْبَارِي
وَصَاحِبُ الوِثْرِ لَيْسَ الدَّهْرُ مُدْرِكُهُ عِنْدِي وَإِنِّي لَدَرَّاكٌ لِأَوْتَارِي (٤)

وروى أبو بكر أيضاً . قال : ولَّى جعفر بن سليمان أعرابياً بعض مياهم فخطبهم يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعدُ فإن الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار ، فخذوا لمقرم من ممركم ، ولا تهتكوا أستاركم ، عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حيتيم ، ولغيرها خلقتُم ، إن الرجل إذا هلك ، قال الناس : ماترك ، وقالت الملائكة : ما قدّم ، فله آباؤكم . قدّموا بعضاً ، يكن لكم قرضاً ، ولا تُخلفوا كلاً ، يكن عليكم كلاً ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . وروى أبو بكر قال حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة قال : قدّم المأمون الحارثي في نادى قومه فنظر إلى السماء والنجوم ثم فكر طويلاً ثم قال : أرعوني أسمعكم ، وأصفوا إلى قلوبكم ، يبلغ الوعظ منها حيث أريد . طمّح بالأهواء الأشر (٥) ، وران (٦) على قلوبكم الكدّر ، وطمّخت (٧) الجهلُ النظر ، إن فيها يرى لمعتراً لمن اعتبر ، أرض موضوعة ، وسماء مرفوعة ، وشمس تطلع وتغرب ، ونجوم تسرى فتعزّب وقر قطلعه النجوم ، وتمتعه أدهار الشهور ، وعاجز مئثر (٨) ، وقول مكدر ، وشاب محضّر ، ويقنّ قد غبر (٩) وراحلون لا يؤوبون ، وموقوفون لا يفرطون (١٠)

(١) الخزي : الهوان (٢) المذليج : الذي يسير من أول الليل . والساري : الذي يسير بالليل (٣) الحوَجاء : الحاجة . وقوله « فاني له رهن بأصهار » أي بالبرود إلى الصحراء فلا استتر عنه ولا امتنع في الأماكن الحصينة . (٤) الوتر : الدحل والثائر (٥) طمّح : ارتفع وعلا (٦) غلب (٧) اظلم (٨) في بعض النسخ : « وعاجز مئثر » وحول مكدر ، وشاب محضّر . والمختضر الذي يموت حدثاً مأخوذاً من الخضرة كأنه حصد أخضر . (٩) اليقن : الشيخ الكبير « وغير : مضى (١٠) أي لا يقدمون .

ومطر يُرْسَلُ بقدر ، فيحيي البشر ، ويورق الشجر ، ويطلع النمر ، ويُنبِت الزَّهر .
وماء يتفجر من الصخر الأيْر^(١) ، فيصدع المذَر ، عن أفنان الخَصَر ، فيحيي
الأنام ، ويُشيع السَّوام^(٢) ، ويُنبئ الأنعام ، إنَّ في ذلك لأوضح الدلائل على
المدير المقدّر ، الباريء للصوَر ، يا أيها المقول النافرة ، والقلوب النائرة^(٣) أني
تؤفكون ، وعن أمت سبيل تسمعون^(٤) وفي أي حيرة تهيمون ، وإلى أي غاية
تُوفِصُونَ^(٥) ؟ لو كُشِفَتِ الأعْطية عن القلوب ، وتجلَّت النِشاوة عن العيون ،
لَصَرَحَ الشك عن اليقين ، وأفاق من نَشْوة الجهالة^(٦) ، من استولت عليه الضلالة .
وما ذكرناه من بديع الخطب ، ومستحسن كلام العرب ، وإن كان قطرة من
مستعذب بحر ، ودرة فريدة من عقد نَعَر ، فهو كافٍ في هذا المقام ، وكافل بأداء
المقصود والمرام . ومن علومهم :

علم الانساب

وهو علم يتعرف به أنساب الناس . والعرب في الجاهلية كان لهم مزيد
اعتناء بضبطه ومعرفة فيه فإنه أحد أسباب الألفة والتناصر . وهم كانوا أحوج شيء
إلى ذلك حيث كانوا قبائل متفرقين ، وأحزاباً مختلفين ؛ لم تزل نيران الحروب
متسعة بينهم ، والنارات نائرة فيهم ، فإنهم امتنعوا عن سلطان يقهرهم ، ويكف
الأذى عنهم ؛ فحفظوا أنسابهم ليكونوا متظافرين به على خصومهم ، ومتناصرين
على من شاقهم وعاداهم ، لأن تعاطف الأرحام ، وحمة الأقارب ، يميئان على التناصر
والألفة ويمنعان من التخاذل والفرقة ، أغمة من استملاء الأبعاد على الأقارب ،
وتوقيف من تسلط الغرباء الأجانب ؛ وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
أنه قال « إنَّ الرَّحِمَ إذا تماسمت تعاطفت » وقد بلغت العرب بألفة الانساب

(١) على مثال الاصم الصلب (٢) بالفتح الإبل الرامية (٣) يقلل ناراً
نائرة أي هاجت هائجة . (٤) تؤفكون : تصرفون عن الخير . وتعمهون :
تتحيرون (٥) تسرعون (٦) أي سكرة الجهالة .

تناصرها على القوى ، وتأيدت به ، واستحكمت به ركن مجدها العلى ، وقد أعذر
 نبي الله لوط عليه السلام نفسه حين عدم عشيرة تنصره فقال لمن بعث إليهم
 « لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » بنى عشيرة مانسة . وقال رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم « ما بعث الله تعالى من بعده نبياً إلا فى ثروة من قومه »
 وقال وهب « لقد وردت الرسل على لوط وقالوا إن ركنك أشد يد » وروى
 عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان لا يترك للمرء مفرجاً حتى يضمه إلى
 قبيلة يكون منها . وكل ذلك حث منه صلى الله تعالى عليه وسلم على الألفة وكف
 عن الفرقة ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم « من كنز سواد قوم فهو منهم »
 وإذا كان النسب بهذه المنزلة من الألفة فقد تعرض له عوارض تمنع منها ، وتبعث
 على الفرقة للنافية لها ، فلزم أن نصف حال الأنساب ، وما يمرض لها من الأسباب
 فجيلة الأنساب أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام : قسم والدون ، وقسم مولودون ،
 وقسم مناسبون ، ولكل قسم منهم منزلة من البر والصلة وعارض بطراً فيبعث
 على العقوق والقطعية ، فأما الوالدون فهم الآباء والأمهات والأجداد والجندات ،
 وهم موسومون مع سلامة أحوالهم بمخلقين : أحدهما لازم بالطبع . والثانى حادث
 باكتساب ، فأما ما كان لازماً بالطبع فهو الحذر والإشفاق ، وذلك لا ينتقل عن
 الوالد بحال ؛ وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « الولد مبخلة
 مجبهة محزنة^(١) » فأخبر أن الحذر عليه يكسب هذه الأوصاف ، ويحدث هذه
 الأخلاق ، وقد كره قوم طلب الولد كراهة لهذه الحالة التى لا يقدر على دفعها عن
 نفسه للزومها طبعاً ، وحلوها حتماً ؛ وقيل ليحيى بن زكريا (عليها السلام)
 ما بالك تذكره الولد ؟ فقال مالى وللولد ! إن عاش كذنى وإن مات هدى ! وقيل

(١) قال المناوى : هذا الحديث متواتر فقد جاء عن بضعة وعشرين من
 الصحابة ورووه هكذا : « الولد ثمرة القلب وأنه مجبهة مبخلة محزنة » قوله :
 « ثمرة القلب » أى لأن الثمرة تنتجها الشجرة والولد نتيجة الأب . وقوله
 « مجبهة » أى يحزن أبوه عن الجهاد خوف ضيعته ، وقوله « مبخلة » أى
 يمتنع أبوه من الاتفاق فى الطاعة خوف فقره ، وقوله « محزنة » أى يحزن
 أبوه لمرضه خوف موته .

اميسى بن مريم عليه السلام : ألا تنزوج ؟ فقال : إنما يحب التكاثرفى دار البقاء ! وأما ما كان حادثاً بالاكتساب فهو المحبة التى تنسى مع الأوقات ، وتتغير مع تغير الحالات وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « الولد أنوط » يعنى أن حبه يلتصق بنياط القلب^(١) وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لكل شئ ثمرة وثمره القلب الولد » فإن انصرف الوالد عن حب الولد فليس ذلك ليفض منه ولكن لسوء حدثت عن عقوق ، أو تقصير مع بقاء الحذر والإشفاق الذى لا يزول عنه ولا ينتقل منه ، فقد قال محمد بن على رضى الله تعالى عنهم : إن الله تعالى رضى الآباء للأبناء فحذرهم فنبههم ، ولم يوصهم بهم ، ولم يرض الأبناء للآباء فأوصاهم بهم ، وإن شر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق ، وشر الآباء من دعاه البر إلى الإفراط . والأمهات أكثر إشفاقاً ، وأوفر حباً ، لما باشرن من الولادة ، وعانين من التريبة ، فانهن أرق قلوباً ، وألين نفوساً ، وبحسب ذلك وجب أن يكون التعطف عليهن أوفر جزاء لقلطن وكفاه لحنن ، وإن كان الله تعالى قد أشرك بينهما فى البر ، وجمع بينهما فى الوصية ، فقال تعالى « ووصينا الإنسان بوالديه حسناً » وقد روى أن رجلاً أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : « إن لى أمّاً أنا مطيعها : أقدمها على ظهري ، ولا أصرف عنها وجهي ، وأرد إليها كسبى فهل جزيتها ؟ » قال : لا ولا بزفرة واحدة . قال : ولم ؟ قال : « لأنها كانت تحمدك وهى تحب حياتك وأنت تحمدنها وتحب موتها » وقال الحسن البصرى « حق الوالد أعظم ، وبر الوالد أزم » . وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « أنها كم عن عقوق الأمهات ، وواد البنات ، ومنع وهات » وروى خالد بن معدان عن المقداد قال « سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : إن الله يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب » . وأما المولودون فهم الأولاد ، وأولاد الأولاد ، والعرب تسمى ولد الولد الصفوة ،

(١) النياط بالكسر مرق متصل بالقلب من الوثين إذا قطع مات صاحبه .

وهم مختصون مع سلامة أحوالهم بخلقين : أحدهما لازم ، والآخر منتقل . فأما .
اللازم فهو الألفة للآباء من تهضم أو حول ، والألفة في الأبناء في مقابلة الإشتاق .
في الآباء . وقد لحظ أبو تمام الطائي هذا المعنى بقوله :

فأصبحتُ يلقاني الزمانُ لأجله بإعظامٍ مولودٍ وإشفاقٍ والدٍ

فأما المنتقل فهو الإدلال ، وهو أول حال الولد ، والإدلال في الأبناء أمس .
وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله ! ما بالنا نرى على
أولادنا ولا يرقون علينا ؟ قال «لأننا ولدناهم ولم يلدونا » . ثم الإدلال في الأبناء
قد ينتقل مع الكبر إلى أحد أمرين : إما إلى البر والإعظام ، وإما إلى الجفاء والعقوق ؛
فإن كان الولد رشيداً أو كان الأب برأ عطوفاً صار الإدلال برأ وإعظاماً . وقد
روى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجرير بن عبد الله : إن حق الوالد
على الولد أن يحشم له عند الغضب ، ويؤثره على نفسه عند النصب والسف ،
فإن المكافئ ليس بالواصل ، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها ، وإن
كان الولد غاوياً ، أو كان الوالد جافياً ، صار الإدلال قطيعة وعقوقاً . ولذلك
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « رحم الله امرأ أعان ولده على بره » . وبشر
عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بمولود فقال : ريحانة أشبهتم هو عن قريب
ولد بار ، أو عدو صار ؛ وأما المناسبون فهم من عدا الآباء والأبناء ممن يرجع
بتمصيب أو رحم ، والذي يختصون به الحية الباعنة على النصرة وهى أدنى رتبة
الألفة لأن الألفة تمنع من التهميم . وليس لها في كراهة الخول نصيب إلا أن
يقترب بها ما يبعث على الألفة . وحمة المناسبين إنما تدعو إلى النصرة على البعداء
والأجانب . وهى معرضة لحسد الأداني والأقارب ، موكولة إلى منافسة الصاحب
بالصاحب ، فإن حرست بالتواصل والتلاطف تأكدت أسبابها . واقترب
بحمية النسب مصافاة المودة ، وذلك أوكد أسباب الألفة ، وقد قيل لبعض

قريش : أيما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ قال : أخى إذا كان صديقاً !
وقال مسلمة بن عبد الملك : العيش في ثلاث : سمة المنزل ، وكثرة الخدم ، وموافقة
الأهل . وقال بعض أهل العلم : البعيد قريب بمودته ، والقريب بعيد بمداوته ؛
وإن أهملت الحال بين المتناسبين ثقة بلحمة النسب ، واعتماداً على حمية القرابة ،
غلب عليها مقت الحسد ، ومنازعة التنافس ، فصارت المناسبة عداوة ، والقرابة
بعداً . وقال السكندى في بعض رسائله : الأب ، رب ؛ والولد ، كد ؛ والأخ ،
فخ ؛ والعلم غم ؛ والخال ، وبال ، والأقارب ، عفارب . وقال ابن المعتز في معنى
ذلك :

لحومهم لحى وهم يأكلونه وما داهيات المرء إلا أقاربه
ومن أجل ذلك أمر الله تعالى بصلة الأرحام ، وأثنى على واصلها ، فقال تعالى
« والذين يصلون ما أمر الله أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب »
قال المفسرون : هي الرحم التي أمر الله بوصلها ، ويخشون ربهم في قطعها ، ويخافون
سوء الحساب في المعاقبة عليها . وروى عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال : يقول الله عز وجل أنا الرحمن وهو الرحم اشتقت
لما من اسمي اسماً فن وصلها وصاته ومن قطعها قطعته . وروى عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم أنه قال : صلة الرحم ممائة للعدد ، ثمرة للمال ، محبة في الأهل ، منسأة
في الأجل . وقال الأزدى :

وحسبك من ذل وسوء صنعة مداواة ذى القربى وإن قيل قاطع
ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه لترجعه يوماً إلى الرواجع
ولا يستوى في الحكم عبدان واصل وعبد لأرحام القرابة قاطع

والمقصود أن اعتناء العرب بحفظ الأنساب لما يترتب عليه من مقاصدم التي
ذكرناها ، والشريعة أكلت ما كانوا عليه ، وندبت بنصوحها إليه ، خلافاً لمن
زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر . وقد رد ابن حزم في مقدمة كتاب

النسب على من زعم ذلك بأن في علم النسب ما هو فرض على كل أحد ، وما هو فرض على الكفاية ، وما هو مستحب ؛ قال : فمن ذلك أن يعلم أن محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو ابن عبد الله الهاشمي فمن زعم أنه لم يكن هاشمياً فهو كافر ؛ وأن يعلم أن الخليفة من قريش ، وأن يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرمة ليجتنب تزويج ما يحرم عليه منهم ، وأن يعرف من يتصل به عن يرنه أو يجب عليه به من صلة أو نفقة أو معاونة ؛ وأن يعرف أهوات المؤمنين وأن نكاحهم حرام على المؤمنين ؛ وأن يعرف الصحابة وأن جبههم مطلوب ؛ وأن يعرف الأنصار ليجنس إليهم لثبوت الوصية بذلك ، ولأن جبههم إيمان وبفضهم نفاق . قال : ومن الفقهاء من يفرق في الجزية وفي الاسترقاق بين العرب والمعم لمخاجته إلى علم النسب آكد . وكذا من يفرق بين نصارى بنى تغلب وغيرهم في الجزية وتضعيف الصدقة . قال : وما فرض عمر رضى الله تعالى عنه الديوان إلا على القبائل ، ولولا علم النسب ما تمخلص له ذلك ؛ وقد تبعه على ذلك عثمان وعلى وغيرهما .

وقال ابن عبد البر في أول كتابه النسب : ولمرى لم ينصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر ، وقال صاحب كتاب (نهاية الأرب ، في معرفة قبائل العرب) : لاخفاء أن المعرفة بعلم الأنساب من الأمور المطلوبة ، والمعارف المنذوبة ، لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية ، والعالم الدينية ؛ فقد وردت الشريعة المطهرة باعتبارها في مواضع ، منها : العلم بنسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأنه النبي القرشي الهاشمي الذي كان بمكة وهاجر منها إلى المدينة المنورة فإنه لا بد لصحة الإيمان من معرفة ذلك ، ولا يهذر مسلم في الجهل به ، وناهيك بذلك ! ومنها : التعارف بين الناس حتى لا يمتزى أحد إلى غير آبائه ، ولا ينتسب إلى سوى أجداده ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » وعلى هذا يترتب

أحكام الورثة فيجب بعضهم بعضاً ، وأحكام الأولياء في النكاح ، فيقدم بعضهم على بعض ، وأحكام الوقف إذا خص الواقف بعض الأقارب ، أو بعض الطبقات دون بعض . وأحكام العاقلة في اللدبة حتى يضرب اللدبة على بعض المصبات ؛ وما يجرى مجرى ذلك . فلولاً معرفة الأنساب لفات إدراك هذه الأمور وتذوّر الوصول إليها ؛ ومنها : اعتبار النسب في كفاء الزوج والزوجة في النكاح ففي مذهب الإمام الشافعي لا يكافئ الهاشمية والمطلبية غيرها من قريش ، ولا يكافئ الفرشية غيرها من العرب ممن ليس بقريش ؛ وفي السكتانية وجهان أحدهما أن لا يكافئها غيرها ممن ليس بكناني ولا قرشي ؛ وفي اعتبار النسب في المعجى أيضاً وجهان أحدهما الاعتبار . وفي مذهب الإمام أبي حنيفة : قريش بعضهم أ كفاء بعض ؛ وبقيّة العرب بعضهم أ كفاء بعض ؛ وأما في المعجم فلا يمتبر النسب عندهم . فإذا لم يعرف النسب تعذرت معرفة هذه الأحكام . ومنها : مراعاة النسب الشريف في المرأة المنكوحة فقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع : لدينها وحسبها ومالها وبجالتها » فراهى صلى الله تعالى عليه وسلم في المرأة المنكوحة الحسب وهو الشرف في الآباء إلى غير ذلك من الأحكام الجارية هذا المجرى .

طبقات الأنساب

قال الإمام الماوردي في كتاب (الأحكام السلطانية) وقد رتبت أنساب العرب ست مراتب فجعلت طبقات أنسابهم وهي : شعب ، ثم قبيلة ، ثم عمارة ثم بطن ، ثم فخذ ، ثم فصيلة . فالشعب النسب الأبدي مثل عدنان وقحطان . سمي شعباً لأن القبائل منه تشعبت . ثم القبيلة وهي ما انقسم فيه أنساب الشعب مثل ربيعة ومُضَرَ سميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها . ثم العمارة وهي ما انقسم فيه أنساب القبائل مثل قريش وكنانة . ثم البطن وهو ما انقسم فيه أنساب العمارة

مثل بنى عبد مناف وبنى مخزوم . ثم الفخذ وهو ما انقسم فيه أنساب البطن
مثل بنى هاشم وبنى أمية . ثم القصيلة وهى ما انقسم فيه أنساب الفخذ مثل بنى
أبى طالب وبنى العباس . فالفخذ يجمع الفصائل . والبطن يجمع الأخاذ . والمارة
تجمع البطون . والقبيلة تجمع العائر . والشعب يجمع القبائل . وإذا تباعدت الأنساب
صارت القبائل شعوباً . والعائر قبائل انتهى . وقد قسمها الزبير بن بكار فى كتاب
النسب إلى شعب ، ثم قبيلة ؛ ثم عارة (بكسر العين) ثم بطن ، ثم فخذ ثم قصيلة .
وزاد غيره قبل الشعب الجذم ، وبعد القصيلة الشيرة . ومنهم من زاد بعد
الشيرة الأسرة ، ثم العترة فثال الجذم عدنان ، ومثال الشعب مضر ، ومثال
القبيلة كنانة ، ومثال المارة قريش ، وأمثلة ما دون ذلك لا تحصى . قال : ويقع
فى اعتباراتهم أشياء مرادفة لما تقدم كقولهم حى وبيت وقيلة وأرومة وجرومة
ورعط وغير ذلك . ورتبها محمد بن أسعد النسابة المعروف بالحرانى جمعها وأردفها
ققال : جذم ، ثم جمهور ، ثم شعب ، ثم قبيلة ، ثم عارة ، ثم بطن ، ثم فخذ ،
ثم شيرة ، ثم قصيلة ، ثم رعط ، ثم أسرة ، ثم عترة ، ثم ذرية . وزاد غيره
فى أثنائها ثلاثة وهى : بيت وحى وجماع . فزادت على ما ذكر الزبير عشرة .
وقال أبو إسحق الزجاج : القبائل للعرب كالأسباط لبني إسرائيل ، ومعنى القبيلة
الجماعة . ويقال لكل ما جمع على شئ واحد قبيلة أخذنا من قبائل الشجرة
وهو غصونها . أو من قبائل الرأس وهو أعضاؤها ، سميت بذلك لاجتماعها ،
والمراد بالشعوب فى الآية النسب البعيد . وهو قول مجاهد أخرجه الطبرى عنه .
وذكر أبو عبيدة مثال الشعب مضر ورييمة ، ومثال القبيلة من دون ذلك .
وأنشد لسرو بن أهر :

من شعب همدان أو سعد العشيرة أو خولان أو مذحجر هاجوا له طرباً^(١)

(١) همدان : يسكنون الميم قبيلة باليمن وجميع ما فى الصحابة والرواة
ومصنفات الحديث هو نسبة لهذه القبيلة . وأما همدان البلد فهى بالتحريك
واللال المعجمة ولا ينسب اليها أحد من الرواة لا فى الصحيحين ولا فى غيرهما

ويقال : المراد بالشعوب في الآية بطون العجم ، وبالقبائل بطون العرب ، والله أعلم . وترتيب الإمام الماورديّ هو الأولى بالاعتبار ، وكأن العرب رتبوا ذلك على بنية الإنسان فجعلوا الشعب منها بمثابة أعلى الرأس ، والقبائل بمثابة قبائل الرأس ، وهى القطع للشعوب بعضها إلى بعض يتصل بها الشئون وهى القنوات التى فى القحف لجريان السمع : وقد ذكر الجوهري أن قبائل العرب إنما سميت بقبائل الرأس وجعلوا العماره تلو ذلك إقامة للشعب ، والقبيلة مقام الأساس من البناء ، وبعد الأساس تكون العماره ، وهى بمثابة العنق والصدر من الإنسان وجعلوا البطن تلو العماره لأنها الموجود من البدن بعد العنق والصدر ، وجعلوا الفخذ تلو البطن لأن الفخذ من الإنسان بعد البطن ، وجعلوا الفصيلة تلو الفخذ لأنها النسب الأدنى الذى يفصل عنه الرجل بمثابة الساق والقدم . إذ المراد بالفصيلة العشيرة الأذنون بدليل قوله تعالى (وفصيلته التى تؤويه) أى أضمه إليها ولا يضم الرجل إلا أقرب عشيرته . واعلم أن أكثر ما يدور على الأنسنة من الطبقات الست المتقدمة : القبيلة ثم البطن ، وقل أن تذكر العماره ثم الفخذ والفصيلة . وربما عبر عن كل واحد من الطبقات الست بالـحى ، إما على العموم مثل أن يقال حى من العرب ، وإما على الخصوص مثل أن يقال حى من بنى فلان . ثم إن ترتيب العرب فى الديوان إذا أئبتوا فيه كالترتيب الذى فعله عمرضى الله تعالى عنه حين دونهم فإنهم تجمعهم أنساب وتفرق بينهم أنساب ، فترتب قبائلهم بالقربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بالترتيب فى أصل النسب ثم بما تفرع عنه ، فالعرب عدنان وقحطان فقدم عدنان على قحطان لأن النبوة فيهم ، وعدنان تجمع ربعية ومضر فقدم مضر على ربعية لأن النبوة فيهم ، ومضر تجمع قریشا وغير قریش فقدم قریشا لأن النبوة فيهم ، وقریش تجمع بنى هاشم

من كتب الحديث الستة . . وبنو سعد العشيرة : حى من كهلان من القحطانية وجعل فى العبر سعد العشيرة بطننا من ملحج ، وملحج قبيلة من كهلان . وخولان بطن من كهلان من القحطانية .

وغيرهم فقدم بنى هاشم لأن النبوة فيهم ، فيكون بنو هاشم قطب الترتيب ثم بمن يليهم من أقرب الأنساب إليهم حتى استوعب قریشاً ثم بمن يليهم في النسب حتى استوعب جميع عدنان ، والله يختص بفضله من يشاء .

ما يجب للنظر في علم الأنساب

لابد للنظر في علم الأنساب من أمور منها ما ذكره الجوهري أن القبيلة هي بنو أب واحد . وقال ابن حزم . جميع قبائل العرب راجعة إلى أب واحد سوى ثلاث قبائل ، وهي : تنوخ ، والمثني ، وغسان ، فإن كل قبيلة منها مجتمعة من عدة بطون^(١) . نعم الأب الواحد قد يكون أبا لعدة بطون ؛ ثم أبو القبيلة قد يكون له عدة أولاد فيحدث عن بعضهم قبيلة أو قبائل فينسب إليه من هو منهم ويبقى بعضهم بلا ولد أو يولد له ولم يشتهر ولده فينسب إلى القبيلة الأولى ومنها إذا اشتمل النسب على طبقة فأكثر كهاشم وقریش ومضر وعدنان جاز أن في الدرجة الأخيرة من النسب أن ينسب إلى الجميع فيجوز لبني هاشم أن ينسبوا إلى هاشم وإلى قریش وإلى مضر وإلى عدنان . فيقال في أحدم الهاشمي والقرشي والمضري والعدناني . بل قد قال الجوهري إن النسبة إلى الأعلى تعني عن النسبة إلى الأسفل فإذا قلت في النسبة إلى كلب بن وبرة السكبي استغنيت أن تنسبه إلى شيء من أصوله . وذكر غيره أنه يجوز الجمع في النسب بين الطبقة العليا والطبقة السفلى ثم بعضهم يرى تقديم العليا على السفلى مثل أن يقال الأموي العثافي وبعضهم يرى تقديم السفلى على العليا فيقال العثافي الأموي ومنها : أن الرجل قد ينضم إلى غير قبيلته بالخلف والموالات فينسب إليهم فيقال فلان حليف بني فلان أو مولاهم . ومنها : أن الرجل إذا كان من قبيلة ثم دخل في قبيلة أخرى

(١) أقول : وذلك أن تنوخا اسم لعتر قبائل اجتمعوا واقاموا بالبحرين ، فسوموا بتنوخ اخذاً من التنوخ وهو المقام ، والمثني جمع اجتمعوا على النبي صلى الله عليه وسلم فظهر بهم فاعتقهم فسموا بذلك ، وغسان عدة بطون من الاردنزلوا على ماء يسمى غسان فسموا به .

جاز أن ينسب إلى قبيلته الأولى وأن ينسب إلى القبيلة التي دخل فيها ، وأن ينسب إلى القبيلتين جميعاً مثل أن يقال التيمي ثم الوائلي ، أو الوائلي ثم التيمي وما أشبه ذلك . ومنها : أن القبائل في الغالب تسمى باسم الأب الوالد للقبيلة ، كريمة ومضر والأوس والخزرج ونحو ذلك ، وقد تسمى القبيلة باسم أم القبيلة : كخندف وبجيلة ونحوهما . وقد تسمى باسم خاصة (خصت أهل تلك القبيلة) ونحو ذلك وربما وقع اللقب على القبيلة بمحدث سبب كخسان ، فإنهم نزلوا على ماء يسمى غسان فسموا به . وربما وقع اللقب الواحد عليه فسموا به . وقيل غير ذلك مما هو مذكور في كتب الأنساب . ومنها : إذا كان في القبيلة اسمان متواتقان كالحرث والحارث مثلاً وأحدهما من ولد الآخر وبمده في الوجود عبروا عن الوالد السابق منهما بالأكبر وعن اللاحق بالأصغر .

مذهب العرب في أسماء القبائل

أسماء القبائل في اصطلاح العرب على خمسة أوجه (الأول) أن يطلق على القبيلة لفظ الأب : كعاد وثمود ومدين ، ومن شاكلهم ، وبذلك ورد القرآن كقوله تعالى (وإلى عاد . وإلى ثمود . وإلى مدين) يريد بني عاد ، وبني ثمود ، وبني مدين ، ونحو ذلك ، وأكثر ما يكون ذلك في الشعوب والقبائل العظام لاسيما في الأزمان للتقدمة بخلاف البطون والأفخاذ ونحو ذلك (الوجه الثاني) أن يطلق على القبيلة لفظ البنوة فيقال بنو فلان . وأكثر ما يكون ذلك في البطون والأفخاذ والقبائل الصغار ، لاسيما في الأزمان للتأخرة (الوجه الثالث) أن ترد القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام كالعالييين والجمافرة ونحوهما ، وأكثر ما يكون ذلك في التأخرين دون غيرهم (الوجه الرابع) أن يعبر عنها بآل^(١) فلان : كآل ربيعة ، وآل فضيل ، وآل علي وما أشبه ذلك ؛ وأكثر ما يكون هذا في الأزمنة للتأخرة ، لاسيما عرب الشام (الوجه الخامس) أن يعبر عنها

(١) المراد بالآل الاجل .

بأولاد فلان ، ولا يوجد ذلك إلا في للتأخرين من أخاذ العرب على قلة : (كقولهم أولاد زعازع ، وأولاد قريش ونحو ذلك) .

مذهب العرب في التسمية والسكنى

التألب على العرب تسمية أبنائهم بمكرهه الأسماء ككلب وحنظلة وضرار وحرب وما أشبه ذلك ، وتسمية عبيدهم بمحبوب الأسماء ، كفلاح ونجاح ونحوهما والسبب في ذلك ما حكى أنه قيل لأبي الدقيش^(١) الكلبي : لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورياح ؟ فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا (يريد أن الأبناء معدة للأعداء ؛ فاخترنا لهم شر الأسماء والعبيد معدة لأنفسهم فاخترنا لهم خير الأسماء) كذا في كتاب (نهاية الأرب) وقال الحافظ ابن القيم في كتاب مفتاح دار السعادة : كانت للعرب مذاهب في تسمية أولادهم ، فمنهم من سمي تفاؤلاً بالفقر على أعدائهم نحو غالب وغلاب ومالك وظالم وغارم ومنازل ومقاتل وممارك ومسهر ومؤرق ومصبح وطارق . ومنهم من تفاضل بنيل الخطوط والسعادة كسعد وسعيد وأسعد ومسعود وسعدى وغارم ونحو ذلك . ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وحشن من الأجسام تفاؤلاً بالقوة كحجر وصخر وفهر وجندل . ومنهم من كان يخرج من منزله وامرأته تمنح فيسمى ما تلده باسم أول ما يلقاه كأنها ما كان من سبع أو ثعلب أو ضب أو ظبي أو كلب أو حشيش أو نحو ذلك وكان القوم على ذلك إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام انتهى . وغالب أسماء العرب كما في النهاية منقولة عما يدور في خزائنه خيالهم بما يحاطونه ويحاورونه ؛ إما من الحيوان كأسد وتيمر ، وإما من النبات كنبث وحنظلة ، وإما من الحشرات كحية وحفش ، وإما من أجزاء الأرض كفهر وصخر ونحو ذلك . وزأيت في سبب

(١) أهمله في الأصل وصوابه الإعجام .

تسمية الموضع الذي قتل فيه الزبير بن العوام (بوادى السباع) وهو من نواحي الكوفة بين البصرة ومكة : أن أسماء بنت دُرَيْم بن القَيْن بن أُمُود بن بَهْرَاء كان يقال لها أم الأشُّع وولدها بنو وَرَّة بن ثعلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة يقال لهم السباع ، وهم كلب وأسد والذئب والفهد وثلب وسرحان ونَزَك^(١) (يفتح النون وسكون الزاي وهو الحريش^(٢)) ويقال له الكَرَّ كَدَن^(٣) له قرن واحد يحمل الفيل على قرنه على ما قيل (وختم) (وهو الضبع) والفِرَز (وهو الببر نوع من الضباع دون جرم الفهد إلا أنه أشد وأجراً منه) وعزّة (وهي دابة طويلة الخطم تمتد من رؤوس السباع تأتي الناقة فتدخل خطمها في حياها وتأكل ما في بطنها ، وتأتي البعير فتخلخ عينية) (وهو وضبع والسنع) (بالكسر وهو ولد الذئب من الضبع) (وذيتم) (وهو الثعلب وقيل ولد الذئب) (وتيس) (وهو دوبة فوق ابن عرس يأكل اللحم وهو أسود ملمع بياض) (والعفسر) (جنس من الببر) (وسيد^(٤)) (والذئب^(٥)) (والظربان^(٦)) (دوبة) (منتنة الفساء) (ووعورع) (وهو ابن آوى الضخم) (وكانت تنزل مع أولادها بهذا الوادى فسمى (وادى السباع) بأولادها تغليبا ، فإن السباع جمع سبع ، وهو يقال على ماله ناب ويسلو على الناس والدواب فيفتريها مثل الأسد ، والذئب والنمر والفهد فأما الثعلب فإنه وإن كان له ناب فإنه ليس بسبع لأنه لا عدوان له وكذلك الضبع قال ابن حبيب : مرّ وائل بن قاسط بأسماء هذه أم ولد وَرَّة ، وكانت امرأة جميلة وتبناها يرعون حولها فهم بها ، فقالت له : لملك أسررت في نفسك مني شيئا فقال : أجل ! فقالت : لئن لم تنته لأستصرخن عليك أسبى ، فقال ما أرى بالوادى أحدا ! فقالت : لو دعوت سباعه لمنعتى منك ، وأعانتى عليك ! فقال : أو تفهم السباع عنك ؟ فقالت : نعم : ثم رفعت صوتها : يا كلب ! يا ذئب !

(١) قال المجد : التزك بالكسر ويفتح ذكر الضب والورل .

(٢) دوبة قدر الاصبح بالرجل كثيرة أو هي دخال الاذن .

(٣) مشددة الدال والعامّة تشدد النون (٤) ذئب (٥) القنفذ أو عظيمه

أو شبهه . (٦) راجع الجزء الاول من هذا الكتاب ص ١٢٧ .

يا فهد ! يا دُب ! يا سرحان ! يا أسد ! فجاءوا يتجادون ويقولون : ما خبرك يا أماء ؟ قالت : ضيفكم هذا أحسنوا قراءه ولم ترأن تفضح نفسها عند بنها فذبحوا له وأطعموه ، فقال وائل : ما هذا إلا وادى السباع ! فسعى بذلك انتعى ، وقد ذكرت هذه القصة أيضاً فى القاموس مع اختصار .. ومنهم من كان يسمى بعبد العزى وعبد ودّ وعبد مناة ونحو ذلك مما فيه إضافة العبودية لأحد أصنامهم ، ومنهم من كان يسمى ببيت شعر ونحوه مما يطول ذكره (وأما الكنى) فقد وقعت فى كلامهم قديماً وحديثاً ، وكانت العرب تقصد بها التعظيم فإن بعض النفوس تأفف أن تخاطب باسمها ولذلك يحاء بها للانسان فى مقام الإكرام والاحترام كما يشير إلى ذلك قول الشاعر :

أَكْنِيهِ حِينَ أَنَادِيهِ لِأُكْرِمَهُ وَلَا أُكْبَهُ وَالسَّوَاءَ اللَّقَبُ (١)

وأصل الكنية من الكناية . وهو أن تتكلم بالشئ وتريد به غيره . ويقال كنىت وكنت بكذا وعن كذا كنية وكنية والجمع الكنى واكتنى فلان بكذا ويكنى بكذا ، وكنيته أبا كذا وأبى كذا . وجاء التخصيف والتثقيب والتخفيف أكثر وفلان كنى فلان إذا شاركه فى الكنية كما يقال سمى إذا شاركه فى الاسم (وسبب الكنى فى العرب) أن ملكاً من ملوكهم الأول ولد له ولد توسم فيه أمارات النجابة فشغف به فلما نشأ وترعرع (٢) وصلاح لأن يؤدب أدب الملوك أحب أن يفرد له موضعاً بعيداً من العارة يكون فيه مقبلاً يتخلق بأخلاق مؤدبيه ، ولا يماشر من يضع عليه بعض زمانه ، فبنى له فى البرية منزلاً ونقله إليه ورتب له من يؤدبه بأنواع الآداب العلمية والمالية ، وأقام له

(١) نسبته أبو تمام فى مختار أشعار قبائل العرب لبعض انغزاريين ولم يسم قائله ، وأورد بعده هذا البيت :

كذلك أدبت حتى صار من خلقى أنى وجدت ملاك الشيعة الأدبا
والسواة منصوب على أنه مفعول معه ، واللقب منصوب بالقبه . والملوك : اسم لما يملك به الشئ . والشيعة : الغريزة والطبيعة . والأدب : اسم لما يفعله الانسان فيتزين به فى الناس . (٢) أى تحرك ونشأ .

ما يحتاج إليه من أمر دنياه ، ثم أضاف إليه من هو من أقرانه وأضرابه من أولاد
 بنى عمه وأمراته ليؤنسوه ، ويتأدبوا بأدابه ، ويحببوا له التأدب بمواقفتهم له عليه
 وكان الملك فى رأس كل سنة يعمى إلى ولده ويستصحب معه من أصحابه من له
 ولد عند ولده ليبصروا أولادهم ، فكانوا إذا وصلوا إليهم سأل ابن الملك عن
 أولئك الذين جاءوا مع أبيه ليعرفهم بأعينهم ، فيقال له : هذا أبو فلان وهذا
 أبو فلان ! يمتنون آباء الصبيان الذين هم عنده ، فكان يعرفهم بإضافتهم إلى
 أبنائهم ، فمن هنالك ظهرت السكنى فى العرب ، ثم انتشرت وانتعت حتى صاروا
 يكتنون كل إنسان باسم ابنه ، ثم اتسع الأمر فصاروا يكتنون من لم يكن له ابن وكان
 له بنت بينته كما قيل لمسروق بن الأجدع : أبو عائشة ؟ ومن لم يكن له ابن ولا
 بنت يكتنونه بأقرب الناس إليه ، كما كنى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله
 ابن الزبير وهو صبي بأبي بكر وهو جد لأمه أسماء ، ثم لما ولده ولد سماه خبيبا ،
 وتكنى به فصار له كنيستان ، وجروا فى كنى النساء بالأمهات هذا الجبرى فقالوا :
 أم سلمة ، وأم زينب فى السكنى بالأولاد ، وأم عبد الله فى كنية عائشة (رضى الله
 تعالى عنها) يمتنون عبد الله بن الزبير وهو ابن أختها أسماء حيث لم يكن لها ولد
 ثم لما شارك الناس فى الولادة باقى الحيوانات كنوا ما كنوا بالآباء والأمهات
 كأبي معاوية لابن آوى ؛ وأم عامر للصنيع ، وأجروها فى ذلك مجرى الأناسى ،
 وكذلك فعلوا فى إضافة الأبناء والبنت لإكراما واحتراما لهم بإضافتهم إلى آبائهم
 مع ترك أسمائهم فقالوا : ابن عباس ، وابن عمر ، وكانوا يقولون للحسين : ابن
 بنت رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) كرامة له بأمه ، وأجروا غير الأناسى
 مجراها فى ذلك فقالوا : ابن ققرة للحية ، وبنت حذف لضرب من غنم الحجاز ،
 ولما توسعوا فى إجراء الحيوانات السجم مجرى الناس فى السكنى والأبناء حملوا
 عليها بعض الجادات فأجروها مجراها ، فقالوا : أبو جابر للخبز ، وأم قار للدهاية ،
 وابن ذكاء للصبيح ، وبنت الأرض للحصاة ، ثم إنهم يمجروه على سَنَنِ واحد

فكنوا بالآباء مذكراً على الأصل فقالوا للذئب : أبو جمعة ، وللنمر أبو جهل ،
وكنوا بها مؤنثاً من الجادات فقالوا للنار : أبو سريع ، وأبو حياحب ، وكذلك
في الأمهات فقالوا للقوس : أم السهام ، ولجبل معروف أم سخل ، وجروا في البنين
والبنات هذا الجرى فقالوا للغراب : ابن دأية ، ولطائر معروف بنت الماء ، وقد جروا
في الأسماء والكنى على قسمين : معتاد ، ونادر ، فن المعتاد السكنية بالأولاد ،
والنادر كأبي تراب لعلى (كرم الله تعالى وجهه) واستعملوها أيضاً في ذى وذات ،
فن المعتاد ذو الجلال ، وذات البروج ، ومن النادر ذو النون ، وذات النطاقين ،
ومن الكنى والأبناء ما جعل علماً للمسى لا لعنى فيه ، ومنها ما جعل صفة لعنى
فيه . وينقسم ما سموه من هذه الأسماء والكنايات والإضافات إلى ثلاثة أقسام :
الأول ما يلزم (أن) كأبي الحرث للأسد ، وأبي الحصين للثعلب ، والثاني ما لا
تدخله ال كأبي جمعة ، وأم عامر ، وابن دأية ، وبنت طَبَق للحية ، والثالث
ما يجوز إدخال ال فيه وإسقاطها : كأبي مضاء للفرس ، وأم رئال للنعامة ، وابن ماء
لطير الماء ، وقد اتسعوا في الأم أكثر من اتساعهم في الأب ، واتسعوا في الابن
والبنت أكثر من اتساعهم في الأم ، حتى قالوا للتصيدة من الشعر : هى ابنة ليلى
وفلان ابن بطنه ، وابن فرجه ، إذا كان همه فيهما ، وابن يومه أى لا يتفكر في
غده وقالوا هؤلاء أبناء فارس والروم ، وأبناء مكة وخراسان ، ولم يستعملوا هذا في
الآباء والأمهات ، ولم يقصروا هذا التوسع في هذه الأسماء خاصة ، بل أجروه في
غيرها ، فقالوا لمن صاحب شيئاً ، أو عاتاه ، أو أكثر من استماله : هو أخوه
وأخته ، ومن ذلك قول الشاعر :

أخا الحرب لباساً إليها جِلاَها وليس بولاج الخوالبِ أَعقلا^(١)

(١) أخو الحرب . المؤاخى والملازم لها ، وبإس : مباينة في لباس ، والجلال :
بكسر الجيم جمع جبل بضمها وهو الدرع . والولاج : الكثير الولوج أى الدخول ،
والخوالب : جمع خالفة وهى فى الأصل عماد البيت وأراد بها هنا البيت
نفسه ، واعتقلاً : بالعين المهملة والقاف مأخوذ من أعقل الرجل إذا اضطربت
رجلاه من الفزع والخوف وهو حال من الضمير المستتر فى ولّاج أو خبر ثان

وقول أبو الأسود الدؤلى فى الخمر والنبيذ :

فإلّا يكنّها أو تكتنّه فإنه أخوها غنّته أمه يلبّتها^(١)
ومن الأشخاص من له اسم ولا كنية له وهو الأكر ، ومن له اسم وكنية
وهو دون الأول فى الكثرة ، ومن يكون له علم وكنية واسم جنس . كأسامة ،
وأبى الحرث ، والأسد ؛ ومن له كنية وليس له اسم غيرها : كأبى براقش^(٢) لحيوان
معروف ، وأم رباح بالباء الموحدة لطائر أخير أحمر الجناحين والظهر يأكل العنب ،
ومن له كنيّتان فى حالين : كاسم بن الطفيل كان يكنى فى السلم بأبى على وفى الحرب
بأبى عقيل ، ومن يكون له كنيّتان أو أكثر فى حالة واحدة وهو كثير وقد ألف
الإمام الثعالبي كتاباً حافلاً فى الكنى ، وما يناسبها ، وهو كتاب جليل والله الموفق .

مع اشتهر من العرب فى معرفة النسب

كان العرب لمزيد اعتنائها بحفظ الأنساب أكثر الناس معرفة بها ولم تخلُ
قبيلة من قبائلهم من نسابة يلحق الفروع بأصولها ، وينفى عنها من ليس منها ، حتى
كادوا يكونون جميعاً على هذه الصفة . واستيعاب ذكركم فى هذا المقام بما لا يمكن
غير أنا نذكر من ضرب به المثل فى هذا الباب . منهم :

وخلف بن منقلة السروسي مع بنى شيبان

فمن أمثالهم « فلان أنسب من دَغَفَلٍ » وهو رجل من بنى دُهل بن ثعلبة
ابن عكابة . كان أهل زماته بالأُنساب . زعموا أن معاوية سأله عن أشياء
ليس بناء على جواز تعدد خبرها والالف فيه للإطلاق . والبيت للقلاخ بن
حزن يمدح نفسه .
(١) قبله :
(٢) طائر صغير برى كالقنفذ على ريشه أقر وأوسطه أحمر وأسفله أسود

دع الخمر يشربها الفواة فأننى رأيت أخاها مغنياً لكانها
— يعنى بأخيها نبيذ الزبيب ، يقول : أن لم يكن الزبيبي الخمر أو يكون
الزبيبي فأنهما أخوان غلبا بلبن واحد ينوب أحدهما مناب الآخر .
(٢) طائر صغير برى كالقنفذ على ريشه أقر وأوسطه أحمر وأسفله أسود
فلذا هيج انتفضى فتغير لونه الوانا حتى . قال الشاعر :
كأبى براقش كل لـو ن لونه يتخيّل

خَيْرُهُ بِهَا . فقال له : بِمَ علمت ؟ قال : بلسان سَوُول ، وقلب عَقُول ، على أن لالِمُ
أَفَةً وإِضَاعَةً ، ونَكَدًا واستِجَاعَةً فَأَفَتَهُ النِّسيان ، وإِضَاعَتُهُ أَنْ تَحَدَّثَ بِهِ مِنْ لَيْسَ
بِأَهْلِهِ ، واستِجَاعَتُهُ أَنْ صَاحِبَهُ مِنْهُمْ لَا يَسْمَعُ ، ونَكَدُهُ الكَذِبُ فِيهِ . وقِيلَ هُوَ
دَغْفَلُ بْنُ حَنْظَلَةَ السُّدُوسِيُّ أَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ شَيْئًا .
وَوُفِدَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ قُتَيْبَةُ بْنُ جَرَادٍ الْقُرَيْبِيُّ فَنَسِبَهُ دَغْفَلُ حَتَّى بَلَغَ أَبَاهُ الَّذِي
وَلَدَهُ . فقال وولَدَ جَرَادٌ رَجُلَيْنِ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَشَاعِرٌ سَفِيهٌ وَالْآخَرُ نَاسِكٌ فَابْهَمَا أَنْتَ ؟
قال : أَنَا الشَّاعِرُ السَّفِيهِي وَقَدْ أَصَبْتُ فِي نَسْبَتِي وَكُلُّ أَمْرِي إِفْخَافُ بَنِي أُمِّتٍ مَتَى
أَمُوتُ ؟ قال دَغْفَلُ : أَمَا هَذَا فَلَيْسَ عِنْدِي . وَقَتَلَتْهُ الْأَزْرَاقَةُ . قال المِيدَانِيُّ عِنْدَ
الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ « إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ » رَوَى عَنِ الْمَفْضَلِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَ
ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلَى
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ فَدَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ
الْعَرَبِ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ نَسَابَةً فَسَلَّمَ فَرَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ . فقال : عَمَّنِ الْقَوْمُ ؟ قالوا :
مِنْ رِبِيعَةٍ . فقال : أَمِنْ هَامِتْهَا أَمْ مِنْ هَارِمِهَا ؟ قالوا : مِنْ هَامِتْهَا الْعَظْمَى . قال فَأَيُّ
هَامِتْهَا الْعَظْمَى أَتَمُّ ؟ قالوا : ذَهْلُ الْأَكْبَرِ . قال : أَفَنُكُمُ عَوْفُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ « لَا حَرَّ
بِوَادِي عَوْفٍ » ؟ قالوا : لَا . قال : أَفَنُكُمُ بَسْطَامٌ ^(١) ذُو اللَّوَاءِ وَمُنْتَهَى الْأَحْيَاءِ ؟
قالوا : لَا . قال : أَفَنُكُمُ جَسَاسُ بْنُ مَرَّةٍ ^(٢) حَامِي الذِّمَارِ ، وَمَانِعُ الْجَارِ ؟ قالوا : لَا . قال :
أَفَنُكُمُ الْخَوْفَزَانُ ^(٣) قَاتِلُ الْمُلُوكِ وَسَالِبُهَا أَنْفُسُهَا ؟ قالوا : لَا . قال : أَفَنُكُمُ الْمَزْدَلِفُ صَاحِبُ
الْهَامَةِ الْفَرْدَةِ ^(٤) ؟ قالوا : لَا . قال : أَفَنُكُمُ أَخْوَالُ الْمُلُوكِ مِنْ كَنْدَةٍ ؟ قالوا : لَا . قال :

(١) هُوَ ابْنُ قَيْسٍ وَقِصَّتُهُ فِي الْمَفَاخِرَةِ بِمَحْضَرٍ مِنْ كَسْرَى مَشْهُورَةٌ . .
رَاجِعِ الْإِغْنَى ١٧ - ١٠٦ ، وَنَهَايَةَ الْأَرْبِ لِلنُّوَيْرِيِّ ص ٣٦٦ ، وَالْجُزْءُ
الْأَوَّلُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . (٢) قَاتِلُ كَلِيبٍ وَقِصَّتُهُ مَشْهُورَةٌ رَاجِعِ الْجُزْءَ الثَّانِي
ص ١٥١ (٣) هُوَ الْحَرْثُ بْنُ شَرْبَكٍ - انْظُرْ فَهْرَسَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي .
(٤) هُوَ عَمْرُو بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ .

أفمنكم أصحاب الملوك من علم ؟ قالوا : لا . قال : فلستم ذهلًا إلا كبيراً ثم ذهل الأصغر .
فقام إليه غلام قد بقل وجهه ^(١) يقال له دغفل . فقال : —
إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَ وَالْعَبْدَ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ نَحْمَلُهُ ^(٢)

يا هذا : إنك قد سألنا فلم نكتفك شيئاً . فمن الرجل ؟ قال : رجل من قريش
قال : بَخْرِيخ ^(٣) أهل الشرف والرياسة ! فمن أي قريش أنت ؟ قال : من تيم بن مرة
قال : أمكنت والله الراي من صفا الثغرة ^(٤) أفمنكم قصي بن كلاب الذي جمع
القبائل من فهر وكان يدعى مجمًا ؟ قال : لا . قال أفمنكم هاشم ^(٥) الذي هشم
الثرید لعموه ورجال مكة مسنتون عجاف ؟ قال : لا . قال : أفمنكم شيبة الحمد ^(٦)
مطعم طير السماء الذي كان في وجهه فريضة في ليل الظلام الماجي ؟ قال : لا .
قال أفمن المفيضين بالناس أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا .
قال : أفمن أهل الرقادة أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا .
قال : أفمن أهل السقاية ^(٧) أنت ؟ قال : لا . قال : فاجتذب أبو بكر زمام ناقته فرجع
إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال دغفل :

صادف دره السيل درءاً يدفعه يهيضه حيناً وحيناً يصدعه
أما والله يا أخا قريش لو ثبتت لأخبرتلك أنك من زمعات ^(٨) قريش ولست
من الذوائب ^(٩) أو ما أنا بدغفل ! قال فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال على رضى الله تعالى عنه : قلت لأبي بكر : لقد وقعت من الأعرابي على باقة ^(١٠)
قال : أجل ! إن لكل طامة طامة وإن البلاء موكلٌ بالمنطق . . وكا كان هذا
الرجل مشاراً إليه بالبنان في معرفة أنساب العرب كذلك كان في معرفة الأنواء

(١) أي خرج شعر وجهه (٢) ورد في نهاية الإرب النويري « والعي
لا نعرفه أو نحمله » فليحقق (٣) يخ : كلمة تقال عند الرضا بالشئ وهي
مبنية على الكسر والتنوين وتخفيف في الأكثر (٤) الثغرة بالضم نفرة النحر بين
الترقوتين (٥) ترجمته في الجزء لثاني ص ٢٨٣ (٦) عبد المطلب بن هاشم
(٧) يطلب تفسير هذه الكلمات في الجزء الثاني ص ٢٨٣ و ٢٨٥ .
(٨) الزمزم محركة رذال الناس (٩) الرؤساء وأهل العز والشرف .
(١٠) هو الرجل الداهية والذكي العارف الذي لا يفوته شيء ولا يدهي .

وعلم السماء ، وسائر علوم العرب ، وأحوال القبائل .

روى الهيثم بن عدى عن عوانة قال : سأل زياد دغفلاً عن العرب . فقال الجاهلية ليمين ، والإسلام لمضر ، والفتنة لبيعة . قال فأخبرنى عن مضر . قال : فآخر بكنانة ، وكابر بتميم ، وحارب بقيس ، ففيها الفرسان والنجوم ، وأما أسد ففيها ذل وكيد . وقيل له : ماتقول فى بنى عامر بن صعصعة ؟ قال : أعناق غلباء وأعجاز نساء ... فأتقول فى بنى أسد ؟ قال : عافة قافة ، فصحاء كافة ... فأتقول فى بنى تميم ؟ قال : حجر أحسن إن صادفته آذاك وإن تركته أعفأك ... فأتقول فى خزاعة ؟ قال : جوع وأحاديث ... فأتقول فى اليمين ؟ قال : سيود أيوك . قال نصر ابن سيار :

إننا وهذا الحى من يمن عند الفخار أعزّة أكفاء
قومٌ لهم فينا دماء جمّة ولنا لديهم أجنة ودماء
وربيعة الأذنان فيما بيننا لا هم لنا سلم ولا أعداء
إن ينصرونا لا نمر بنصرهم أو نخذلونا فالسواء سماء^(١)

وعن ابن الأعرابي قال . بلغنى أن جماعة وقفوا على دغفل النسابة بمد ما كف فسلموا عليه . فقال : من القوم ؟ فقالوا : سادة اليمين . قال : أمن مجدها القديم ، وشرفها العقيم ، كندة ؟ قالوا : لا . قال : فأتهم الطوال قصياً ، المنخضون نسباً ، بنو عبد اللدان ؟ قالوا : لا . قال : فأتهم أقودها للزخوف وأخرقها للصنوف ، وأضر بها بالسيوف ، رهط عمرو بن معد يكرب ؟ قالوا : لا . قال : فأتهم أحضرها قرى وأطيشها قنى ، وأشدّها لقى ، رهط حاتم بن عبيد الله الطائى ؟ قالوا : لا . قال : فأتهم النارسون للنخل ، وللطموين فى الحبل ، والقائلون بالعدل الأنصار ؟ قالوا : نعم فانظر إلى هذه الفطنة والذكاء . ومنهم .

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٣ من طبعة الجمالية .

ورقاء الأشعر

كان أيضاً من يضرب به المثل في معرفة أنساب العرب فن أمثالهم (أنسبُ من ابنِ لسانِ الحَمْرَةِ) وهو أحد بني تيم اللات بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه واسمه ورقاء الأشعر ويكنى أبا كلاب . قال الميداني . وكان أنسب العرب وأعظمهم كبراً وفي القاموس : وابن لسان الحَمْرَةِ كسكرة خطيب بليغ نسابه اسمه عبد الله بن حصين أو ورقاء بن الأشعر ، ومنهم :

زيد بن الكيس النمرى

وهو من بني عوف بن سعد بن تغلب بن وائل . قال في القاموس : نسابه . وقال أبو عبيدة : إن زيد بن الكيس ممن يقارب دَغَفَلًا في العلم بالأنساب من العرب . وفيه وفي دَغَفَلٍ يقول مسكين بن عامر :

نَحْنُ دَغَفَلًا وَارْحَلْ إِلَيْهِ وَلَا تَدْعُ الْمَطَى مِنَ الْكَلَالِ ^(١)

أَوْ ابْنِ الْكَيْسِ النَّمْرِيِّ زَيْدًا وَلَوْ أَمْسَى بِمُنْخَرِقِ الشَّامِ ^(٢)

ومنهم :

النخار بن أوس بن الحرث بن هزيم القضاعي

كان هذا الرجل أيضاً من المتقدمين في علم النسب . قال أبو عبيدة : إنه أنسب العرب . وفي القاموس وشرحه : وكشداد النخار بن أوس بن أبيير القضاعي أنسب العرب وهو من ولد سعد هزيم ودخل على معاوية فازدراه وكان عليه عبادة فقال .

إِنِ الْعِبَادَةَ لَا تَكْتَلِكُ . انتهى .

وروى عن أبي بكر بن دريد قال . حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال .

كان أبو زُرَّارةَ يَحْمِلُ بَنَ حَاجِبِ الْمَلُومِ مِنْ وَلَدِ عَلَقَمَةَ بْنِ زُرَّارَةَ خَرَجَ يَرِيدُ

(١) الإعياء (٢) مهب الشمال .

بنى شبهان^(١) بن حلقة حاجاً ف رأى حين شاركَ البلد شيخاً ينفق ركب على إبل
عِناق برحال ميسر^(٢) مُلبسة أداما . قال : فَعَدَلْتُ و سَلْتُ عليهم وبدأت به
وقلت : من الرجل ومن القوم ؟ فأرَمَ القوم^(٣) ينظرون إلى الشيخ هَيبةً له .
فقال الشيخ : رجل من مَهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، قلت :
حيّاكم الله ! وانصرفت . فقال الشيخ قفْ أيها الرجل نَسَبْنَا فانتسبنا لك
ثم انصرفت ولم تكلمنا ، قال أبو بكر : وروى السكن بن سعيد عن محمد بن عباد
شامِتَنَا مُشَامَةً اللُّدْبِ النَّمِ ثم انصرفت اقلتُ ما أنكرتُ سوءاً ، ولكنني
ظننتكم من عشيرتي فأناصبكم فانتسبتم نسباً لا أعرفه ولا أراه يرفى . قال : فأمال
الشيخ لثامه ، وحسّر عمامته ، وقال : لعمرى لئن كنت من جذم من أجذام
العرب لأعرفنك فقلت : فإني من أكرم أجذامها . قال : فإن العرب بنيت على
أربعة أركان : ربيعة ومُضَرَ ، واليمن ، وقضاة ، فمن أيهم أنت ؟ قلت : من
مضر . قال : أفمن الأرحاء أنت أم من الفرسان ؟ فعلت أن الأرحاء خندف .
وأن الفرسان قيس . قلت : من الأرحاء . قال : فأنت إذا من خندف . قلت :
أجل قال : أفمن الأرنبة أم من الحجيمة ؟ فعلت أن الأرنبة مُذَرِكَةٌ ، وأن
الحجيمة طابخة ، فقلت : من الحجيمة . قال : فأنت إذا من طابخة . قلت : أجل !
قال : أفمن الصميم أنت أم من الوشيظ^(٤) ؟ فعلت أن الصميم تميم ، وأن الوشيظ
الرباب . قلت من الصميم . قال : فأنت إذا من تميم . قلت : أجل ! قال : أفمن
الأحلمين أم من الأكرمين أم من الأقلين ؟ فعلت أن الأحلمين عمرو بن
تميم ، وأن الأكرمين زيد مناة ، وأن الأقلين الحرث بن تميم . قلت : من
الأكرمين قال : فأنت إذا من زيد مناة . قلت : أجل ! قال : أفمن الجلود ،
أم من البحور ، أم من النّماء^(٥) ، فعلت أن الجلود مالك ، وأن البحور سعد ،

(١) وفي نسخة : خرج يزيد بن شبهان . . الخ (٢) ضرب من الشجر
يعمل منه الرحال (٣) سكتوا (٤) الجذم بالكسر الأصل ويفتح
(٥) الخسيس من الرجال (٦) هو في اللغة الماء القليل الذي لا مادة له .

وأن التُّمَادِ امْرؤُ القَيْسِ بنُ زَيْدٍ مَنَاءٌ . فَقُلْتُ : مِنَ الْجُدُودِ ! قَالَ : فَأَنْتَ إِذَا مِنْ
 بَنِي مَالِكٍ . قُلْتُ : أَجَلُ ! قَالَ أَفَمِنَ اللَّحْرِىِّ أُمٌّ مِنَ الْأُرْدَافِ ؟ فَصَلْتُ أَنْ تَلِدَ لِي
 حَنْظَلَةَ ، وَأَنْ الْأُرْدَافِ رَيْبَعَةٌ وَمَعَاوِيَةُ وَهَمَّا الْكَرْدُوسَانُ . قُلْتُ : مِنَ اللَّحْرِىِّ .
 قَالَ : فَأَنْتَ إِذَا مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ . قُلْتُ : أَجَلُ ! قَالَ : أَفَمِنَ الْبُدُورِ أَنْتِ أُمٌّ مِنَ
 الْفَرَسَانِ أُمٌّ مِنَ الْجَرَاثِمِ ؟ فَصَلْتُ أَنْ الْبُدُورِ مَالِكٌ ، وَأَنْ الْفَرَسَانِ يَرْبُوعٌ ، وَأَنْ
 الْجَرَاثِمِ الْبَرَاثِمِ . فَقُلْتُ : مِنَ الْبُدُورِ : قَالَ : أَفَأَنْتِ إِذَا مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ .
 قُلْتُ : أَجَلُ ! قَالَ : أَفَمِنَ الْأَرْنَبَةِ أُمٌّ مِنَ الْإِخْيَيْنِ أُمٌّ مِنَ الْقَفَا ؟ فَصَلْتُ أَنْ الْأَرْنَبَةِ
 دَارِمٌ ، وَأَنْ الْإِخْيَيْنِ طُحَيْيَّةٌ وَالْقَفَا رَيْبَعَةٌ ، وَأَنْ الْقَفَا رَيْبَعَةٌ بِنُ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ . قُلْتُ :
 مِنَ الْأَرْنَبَةِ . قَالَ : فَأَنْتَ إِذَا مِنْ دَارِمٍ . قُلْتُ : أَجَلُ ! قَالَ : أَفَمِنَ الْبَابِ ، أُمٌّ مِنَ
 الْمِصْبَابِ ، أُمٌّ مِنَ الشَّهَابِ ؟ فَصَلْتُ أَنْ الْبَابِ عَبْدُ اللَّهِ ، وَأَنْ الْمِصْبَابِ مَجَاشِعٌ ،
 وَأَنْ الشَّهَابِ نَهْشَلٌ . قُلْتُ : مِنَ الْبَابِ . قَالَ : فَأَنْتَ إِذَا مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ ، قُلْتُ :
 أَجَلُ ! قَالَ : أَفَمِنَ الْبَيْتِ أُمٌّ مِنَ الزَّوَاوِرِ ؟ فَصَلْتُ أَنْ الْبَيْتِ بَنُو زُرَّارَةَ ، وَأَنْ
 الزَّوَاوِرِ الْأَحْلَافُ قُلْتُ : مِنَ الْبَيْتِ قَالَ : فَأَنْتَ إِذَا مِنْ بَنِي زُرَّارَةَ . قُلْتُ :
 أَجَلُ ! قَالَ : فَإِنْ زُرَّارَةَ وَلَدَ عَشْرَةٌ : حَاجِبًا : وَلَقِيطًا . وَعَلْقَمَةً . وَمَعْبَدًا .
 وَخَزِيمَةً . وَلَيْبِدًا . وَأَبَا الْحَرِثِ . وَعَمْرًا . وَعَبْدَ مَنَاءٍ . وَمَالِكًا فَمِنْ أَيُّهُمُ أَنْتِ ؟ قُلْتُ
 مِنْ بَنِي عَلْقَمَةَ . قَالَ : فَإِنْ عَلْقَمَةَ وَلَدَ شَيْبَانٌ وَلَمْ يَلِدْ غَيْرَهُ فَتَزَوَّجْ شَيْبَانَ ثَلَاثَ نِسَاءٍ :
 مَهْدَدَ بِنْتَ حُمْرَانَ بْنِ بَشْرَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدَ فَوَلَدَتْ لَهُ يَزِيدًا ، وَتَزَوَّجَ عِكْرَشَةَ
 بِنْتَ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ بِنْتُ عُدَسَ فَوَلَدَتْ لَهُ الْمَسَامُورَ ^(١) وَتَزَوَّجَ عَمْرَةَ بِنْتَ
 بَشْرَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُدَسَ فَوَلَدَتْ لَهُ الْمُقَعَّدَ فَلَايَتَهُنَّ أَنْتِ ؟ قُلْتُ : لِمَهْدَدَ . قَالَ
 يَا ابْنَ أَخِي مَا افْتَرَقْتَ فَرَقَتَانِ بَعْدَ مَدْرَكَةٍ إِلَّا كُنْتُ فِي أَفْضَلِهِمَا حَتَّى زَاكَمْتُ
 أَخَوَاكَ فَلِنْهُمَا أَنْ تَلِدَ لِي أَمَّا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلِدَ لِي أَمَّا ! يَا ابْنَ أَخِي أَتُرَانِي
 عَرَفْتُكَ ؟ قَالَتْ : أَيْ وَأَيُّكَ أَيْ مَعْرِفَةٌ ! فَلَهُ تَعَالَى دَرَجَةُ النِّسَابَةِ وَمَا بَلَنَّهُ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَحَرَرَهُ .

من العلم ومعرفة الناس وأحوالهم ولو كان أباً لم ربما اختلفت عليهم أحوال بعضهم
وهم بهذا العدد الكثير، والجمع النفير، ولكن للواهب الإلمية . والعنايات الربانية ،
إذا توفق لها أحد سهلت عليه صعاب الأمور ، وبلغ ما لم يبلغه الساعي وإن استوعب
بمساهة المهور . ومنهم :

صمصمة بن صوحان

قد كان صمصمة هذا من للشاهير بمعرفة أنساب العرب ، ومن المتقدمين
بعلم أحوال قومه ، في الجاهلية ، وقد أدرك الإسلام . ففي كتاب الأمالي^(١)
روى عن أبي بكر بسنده إلى الشعبي قال : دخل صمصمة بن صوحان على معاوية
رضي الله عنه أول ما دخل عليه وقد كان يبلغ معاوية عنه فقال له معاوية : ممن
الرجل ؟ قال : رجل من نزار . قال : وما نزار ؟ قال : إذا غزا انْحَوَّشَ ، وإذا
انصرف انْكَمَشَ ، وإذا لَقِيَ افْتَرَشَ . قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من ربيعة
قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالليل ، ويُفِرُّ بالليل ، وَيَجُودُ بالنَّيْلِ . قال فن
أي ولده أنت ؟ قال : من أسد . قال : وما أسد ؟ قال : كان إذا طلب أُنْفِىَ^(٢)
وإذا أدرك رضى ، وإذا آبَ أُنْفِىَ^(٣) . قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من
جَدِيلَةَ . قال : وما جديلة ؟ قال : كان يطيل النَّجَادَ^(٤) ، وَيُمِدُّ الجِيَادَ ، وَيُجِيدُ
الْجِلَادَ^(٥) . قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من دُعَمَى . قال : وما دُعَمَى ؟ قال :
كان ناراً ساطعاً ، وشرّاً قاطعاً ، وخيراً نافعاً . قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال :
من أقمى . قال : وما أقمى ؟ قال : كان يَنْزِلُ القَارَاتِ^(٦) ، وَيَكْثُرُ القَارَاتِ
ويحى الجارات . قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس . قال : وما

(١) يريد أمالي القاضي ج ٢ ص ٢٣٠ (٢) وصل وبلغ (٣) أنفى بعيره :
هزله بالسبب وانفى التوب ابلاه وأخلفه بكثرة اللبس (٤) بالكسر حمائل
السيف وفلان طويل النجاد كناية عن أنه طويل القامة (٥) المضاربة والمقاتلة
(٦) جمع قارة وهي الجبيل الصغير .

عبد القيس ؟ قال : أبطال ذادة ،^(١) جَحَاجِمَة^(٢) قادة ، صناديد^(٣) سادة .
قال : فن أي ولده أنت ؟ قال من أقصى . قال : وما أقصى ؟ قال : كان ذا رماح
مُسْرَعَة^(٤) ، وقدور مُتْرَعَة^(٥) ، وجفان^(٦) مفرغة . قال : فن أي ولده أنت ؟
قال من لُكَيْز . قال : وما لُكَيْز ؟ قال كان يباشر القتال ، ويمانق الأبطال ،
ويُبَدِّد الأموال ، قال فن أي ولده أنت ؟ قال : من مجل . قال : وما عِجَل ؟
قال : الليوث الضراغة^(٧) ، الملوك القفاقة^(٨) ، القروم القشاعة^(٩) ، قال : فن
أي ولده أنت ؟ قال : من كعب . قال : وما كعب ؟ قال : كان يسعر الحرب ،
ويجيد الضرب ، ويكشف الكرب . قال : فن أي ولده أنت ؟ قال : من مالك .
قال : وما مالك ؟ قال : الهام للهام ، والقَمَاقِم للَقَمَاقِم . قال معاوية : والله ما تركت لهذا
الحي من قر يش شيئاً . قال : بل تركت أكثره وأحبه قال : وما هو ؟ قال تركت
لحم الوَبَر والمدَر ، والأبيض والأصفر ، والصفاء ، والمشر ، والقبة والفخر ، والسريـر
والنبر ، ولُكَيْز إلى الحشر . فقال : أما والله لقد كان يسوؤني أن أراك أسيراً .
فقال : وأنا والله لقد كان يسوؤني أن أراك أميراً ، ثم خرج فبست إليه فرده ووصله
وأكرمه . ولمصصة هذا أخبار كثيرة بطول ذكرها . ومنهم :

عبد الله بن عبد الحجر بن عبد المطلب

وهو النسابة الشهير ، وصاحب القهم الغزير ، روى عن أبي بكر قال : أخبرنا
السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن العباس بن هشام قال : سأل معاوية بعد
الاستقامة عبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان وكان عبد الحجر وقد على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فسماه عبد الله فقال له : كيف علمك بقومك ؟ قال .

(١) من الدود وهو الطرد والدفع (٢) جمع جحجج وهو السيد .
(٣) جمع صنديد وهو السيد الشجاع أو الحكيم أو الجواد أو الشريف
(٤) مسددة (٥) ممثلة (٦) جمع جفنة وهي اناء (٧) جمع ضرام
وهو الاسد القوى الشديد (٨) جمع قمقام وهو السيد (٩) القروم :
السادة ، والقشاعة جمع قشعم وهو السنن من الرجال .

كلمى بنفسى ! قال : ما تقول فى مُراد ؟ قال : مُدركو الأوتار^(١) ، وحماة الدِّمار^(٢) وحرزو الخطار^(٣) . قال : فما تقول فى النَّخَع ؟ قال : مانو السَّرْب ، ومُنْعرو الحرب^(٤) ، وكاشفو الكرب . قال : فما تقول فى بنى الحرث بن كعب ؟ قال : فَرَّاجُوا اللِّسَك^(٥) ، وفرسان المراك ، ولزاز الضكك ، تَرَكَ تَرَكَ^(٦) . قال : فما تقول فى سعد المشيرة ؟ قال : مانو الضيم ، وبانو الرِّيم^(٧) ، وشافو النيم^(٨) . قال : ما تقول فى جُعْفى ؟ قال : فرسان الصباح ، ومعلو السلاح ، ومبارزو الرياح ، قال : ما تقول فى بنى زَيْيد ؟ قال : كاة أنجاد ، سادات أمجاد ، وقُر عند الذِّباد ، صُبْر عند الطراد ، قال : ما تقول فى جَنْب ؟ قال : كُفاة يمتعون عن الحریم ، ويفرجون عن السكظيم^(٩) . قال : فما تقول فى صُداء ؟ قال : سامم الأعداء ، وسَعاير الهبيجاء ، قال : فما تقول فى رِهاء ؟ قال : ينهنهون عادية الفوارس^(١٠) . وَيَرِدُون الموت وَرَدَ الخوامس^(١١) . قال : أنت أعلم بقومك !

ومن أمثال العرب قولهم : أنسب من كثير

أنسب هنا من النسب وهو ذكر الشاعر المرأة بالحسن ، والإخبار عن تصرف هواها به ، وليس هو النزل . وإنما النزل الاشتجار بمودات النساء ، والصبوة إليهن ، والنسب ذكر ذلك والخبر عنه ، وقولهم « أنسب من كثير » أخذ من قول الشاعر :

وَكأنَّ قُسا في عُكاظ يخطُبُ وابن المقفع فى اليتيمة يُسهب^(١٢)

(١) جمع وتر وهو اللحل (٢) كل ما حميته فهو ذملر (٣) الشرف (٤) يقال « فلان مسعر حرب » أى هو آلة فى إيقاد الحرب (٥) الزحام . (٦) الضكك : مثل اللكك سواء (٧) الریم : الدرجة ، قال أبو عمرو بن العلاء : أتيت دار قوم باليمن أسأل عن رجل فقال لى رجل منهم « اسمك فى الریم » أى اعل فى الدرجة (٨) العطش (٩) المكظوم وهو الذى قد رد نفسه الى جوفه (١٠) ينهنهون : يكفون (١١) الخمس بالكسر من اظماء الأبل وهى أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع وهى ابل خوامس (١٢) قس : هو ابن ساعدة الابادى الخطيب المشهور - ترجمته فى الجزء الثانى ص ٢٤٤ وعكاظ : سوق من أسواق - أنظر فهرس الجزءين : ١ و ٢ وابن المقفع : هو أحد فحول البلاغة الذين عبدوا للناس طريق الترسل ورفعوا لهم معالم صناعة الانشاء . ولد حوالى سنة ١٠٦ هـ ونشأ بالبصرة على دين أبيه (المجوسية) ثم أسلم على =

وكان ليلي الأخيائية تسدبُ وكثير عزة يومَ يَنْسِبُ^(١)

قال الجُمحى : كان لكثير في النسب نصيب وافر ، وكان له من فتون الشعر ما ليس لجليل ، راسه (بضم الكاف وفتح المثناة وكسر الياء المشددة التحتية) وهو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة بن الأسود بن عامر ، وقال اللخمي : هو كثير بن أبي جمعة . وكانت أمه جمعة بنت الأشيم ، وكان الأشيم يكنى بابنته هذه فلذلك قيل كثير بن أبي جمعة ، وهو خزاعي ، وأبو خزاعة الصلت بن النضر بن كنانة . وفي ذلك يقول كثير :

ليس أبي بالنضر أم ليس والدي لكل محبب من خزاعة أزهرا ؟

حقق كثير أنه من قريش . وقيل إنه أودى من قحطان وهو شاعر حجازي من شعراء النولة الأموية . ويكنى أبا صخر . واشتهر بكثير عزة وهي محبوبة ، وغالب شعره مشبب بها ، وهي كما قال ابن الكلبي : عزة بنت محمد (بضم الهمزة) ابن حفص من بني حجاب بن غفار ، وكنيتها أم عمرو الضمرية نسبة إلى قبيلة ضمرة ، وكثيرا ما يطلق عليها الحاجبية نسبة إلى جدّها الأعلى كقوله من قصيدة :

خليلي ! إنَّ الحاجبية طَلحتْ فلو صُنِيكما وناقى قد أكلت^(٢)

قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : بمث عائشة بنت طلحة بن عبد الله إلى كثير : يا ابن أبي جمعة ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزة

بد. عيسى بن علي عم الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي أيام ولانته على كرمان وتسمى (عبد الله) بدل (روزية) ، ومات قتلا بالبصرة سنة ١٤٢ قتلته سفيان بن معاوية وإلى البصرة لاتهمه بالزندقة وكيدته للإسلام . ترجم ابن المقفع كتابا عدة من الفارسية إلى العربية من أشهرها كتاب كليله ودمنة وله كتاب الأدب الصغير ، والأدب الكبير ، والدرة اليتيمة ، وطبع الأدب الكبير معنونا الدرّة اليتيمة خطأ ثم طبع في مصر مسمى باسمه الحقيقي . .

(١) ليلي الأخيلية : شاعرة مشهورة . كان توبة بن الحمير يهواها وخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها - والبيتان لأبي تمام في الحسن بن وهب .
(٢) طلحت : اتعبت واجهدت ، والقولص : الناقة الفتية .

وليست على ما تصف من الجلال؟ لو شئت صرفت ذلك إلى من هو أولى به منها أنا أو مثلى. وإنما أردت تجربته بذلك. فقال :

إذا وصلتنا خلة كي نزيلها أيننا وقلنا الحاجبية أول
لها مهل لا يستطاع دراكه وسابقة ملحِب لا تتحول^(١)
سنُؤليك عرفاً إن أردتِ وصلنا ونحن لنلك الحاجبية أوصلنا
فقلت : والله لقد سميتني لك خلة وما أنا لك وعرضت على وصالك
وما أريد إلا هلاً قلت كما قال جميل :

يا رب عارضة علينا وصلها بالجد تخلطه بقول المازل
فأجبتها بالرفق بعد تسترٍ حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامةٍ وصلتك كنتي أو أتتكَ رسائي^(٢)
وروى القائل في أماليه عن العنبي فقال : دخلت عزة على عبد الملك بن مروان
فقال لها : أنت عزة كثير؟ قالت : نعم قال لها : أتروين قول كثير :
وقد زعمتُ أني تضررتُ بمدّها ومن ذا الذي يا عزة لا يتغير؟
تغير جسمي والخلقة كالتى عهدت ولم يُغير بسرّك مخبرٌ
فالت : إنى لا أروى هذا ولستى أروى قوله :

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصمّ لو تمشى بها الصمّ زلت
صفوحاً فما تلقاك إلا بحيلة فمن ملّ منها ذلك الوصل ملت^(٣)
وروى ابن قتيبة في كتاب الشراء : أن عائشة بنت طلحة قالت لمرءة أرايت
قول كثير :

قضى كل ندى دين فوق غريمه وعزةٌ معطولٌ معنى غريمها

(١) ملحِب : من الحب (٢) القلامة أى القطعومة من طرف
الظفر .

(٣) يروى « صفوح » موضع « صفوحا » والصفوح المرض
(١٤ — ناك)

ما كان ذلك الدين ؟ قالت : وعدته قبلة فخرجت منها ! فقالت اقضيها وعلى إثمها ! وإنما صغر اسمه لشدة قصره وحقارته . قال الواقسي : رأيت كثيراً يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه . وهجاء الحر بن السكاني بقوله :

قصيرٌ قيصٌ فاحشٌ عند بيتي^(١) يمضُ الفراد باسْتِه وهو قائمٌ^(٢)
وكانت وفاته في خلافة يزيد بن عبد الملك بالمدينة المنورة على ما كتبها أفضل الصلاة وأكمل السلام . قال جويرية بن أسماء : مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد فقال الناس : اليوم مات أفقه الناس وأشعر الناس ! ولم يتخلف رجل ولا امرأة عن جنازتهما . وذلك في سنة خمس أو سبع ومائة ، وغلبت النساء على جنازة كثير . وقد أطلب الأصبهاني في الأغاني في ترجمته . والمقصود : أن لفظ أنسب في المثل من النسيب لا من النسب . وكذلك قولهم « أنسب من قطاة » هو من النسبة وذلك أنها إذا صوّتت فإنها تنتسب لأنها تصوت باسم نفسها فتقول قطا قطا . والقطاة طير مألوم ، وهي مشهورة بسرعة الطيران والله أعلم .

علم العرب بالأخبار

من تتبع شعر العرب واستقرأه ، ووقف على ما قالوه من مثل واستقصاه ، تبين له ما كان للعرب الأولين ، من اليد الطولى والقدم الراسخة في معرفة أخبار الأمم للماضين ، وأخلاقهم وسيرهم ، ودولهم وسياساتهم ، لاسيما شعرهم فهو سجل أخلاقهم ، وخزانة معارفهم ، ومستودع علومهم ، وحافظ آدابهم

(١) رواه أبو تمام في ديوان الحماسة هكذا :

(اظن خليلي من تقارب شخصه الخ ...)

ولم يسم قائله . والاست: العجز ، ويراد به حلقة الدبر ، والقراد جمع قرادة وهي دويبة تعلق بأعجاز الإبل والخيول .

ومَعْدُنْ أخبارهم ، ومرجعهم عند اختلافهم في الأنساب والحروب ، فذلك قيل
« الشعر ديوان العرب » وعليه قول قائلهم :

الشعر يحفظ ما أودى الزمان به والشعر أخز ما ينبي عن الكرم^(١)
لولا مقال زهير في قصائده ما كنت تعرفُ جوداً كان في هريم^(٢)
ومن شعرهم دون الناس أيامهم وحروبهم : كأبي عبيدة ، وأبي الفرج
الأصبهاني ، وغيرهما ، ومن شعرهم ألف أبو حاتم السجستاني (كتاب المعمرين) !
ومن شعوم ألف من ألف في أحوال شعرائهم المتقدمين : ككتاب (الشعر
والشعراء) لابن قتيبة ، ومن شعرهم ألف من ألف في جزيرة العرب ، ووصف
ما فيها من البلاد ، والجبال ، والأودية ؛ والوهاد ، ومن شعرهم دونت الكتب
المؤلفة في أخبار ملوكهم وأحوالهم ، ومن شعرهم أخذ ما ألف في الحيوان والنبات
ككتاب (الحيوان) للجاحظ ، وكتاب (النبات) لأبي حنيفة الدينوري ،
ومن شعرهم دونت الكتب للمؤلفة في أحوالهم ، وأديانهم ، وما كانوا عليه أيام
جاهليتهم ، ومن شعرهم ترجح القول بأن ذا القرنين كان من العرب ، فقد
أكثرُوا ذكره في أشعارهم^(٣) . قال أعشى بن ثعلبة :

والصعب ذو القرنين أمسى ثاوياً بالحِمْيَرِ في جدثٍ هناك مقيم^(٤)

وقال الربيع بن ضبيع

والصعب ذو القرنين عَمَر مَلِكُهُ ألفين أمسى بعدَ ذلك رمياً^(٥)

وقال قُصْبٌ بن ساعدة

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالْحِمْيَرِ بين ملاعب الأرياح^(٦)

(١) أودى به : ذهب به . (٢) أخبار هريم في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ ، وزهير : هو ابن أبي سلمى الشاعر الشهير وأخباره متفرقة في هذا الكتاب انظر الفهارس .
(٣) الشواهد الآتية تقدمت في الجزء الأول ص ١٧٧ و ١٧٨ (٤) قال السهيلي في الروض الأنف (ج ١ ص ١٩٥) : يريد بالحنو حنو قراقر الذي مات فيه ذوى القرنين بالعراق .
(٥) الرميم العظام البالية (٦) ملاعب الأرياح : مدارجها .

وقال تبع الحميري

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتمجده^(١)
من بعده بلقيس كانت عتي ملكتهم حتى أتاهها الهدى^(٢)
وقال بعض الحارثيين يفتخر بكون ذي القرنين من الذين يخاطب قوماً
من مضر :

سَمَوْا لنا واحداً منكم فنعرفه في الجاهلية لاسم الملك محتلاً
كاتبين وذو القرنين^(٣) يقبله أهل الحجا وأحق القول ما قبله
وقال النعمان بن بشير الأنصاري

ومن ذا يعادينا من الناس معشر كرام وذو القرنين منا وحائم
ووقع ذكر ذي القرنين أيضاً في شعر امرئ القيس ، وأوس بن حجر ،
وطرفة بن العبد وغيرهم ، ويؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح في اسمه
الصعب ، ومن شعرهم علمنا حال قس بن ساعدة وما كانت العرب تعتقده فيه
حتى عظمته تعظماً ، وضربت شعراؤها بحمته الأمثال ، وفي كتاب الإصابة
شواهد ذلك ، وهكذا حال لقمان بن عاد الأكبر ، والأخضر ، ولقيم بن لقمان ،
وقد كانوا يعظمون شأنهم في النباهة ، وعلو القدر ، والعلم ، والحكم ، واللسان ،
والحلم ، وهذا غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقول المفسرون ، ولا ارتفاع
قدره ، وعظم شأنه ، قال الفر بن تولب :

لَقَيْمُ بْنُ لُقْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ فَسَكَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَابْنًا^(٤)
لِيَالِي مُحَقِّقٍ فَاسْتَحْصَنَتْ عَلَيْهِ فَرْجَهَا مَظْلَمًا^(٥)

(١) أي تطيعه الملوك وتجيئه مسرعة وتخدمه (٢) بلقيس بالكر ملكة سبا
(٣) في بعض الروايات — كما تقدم في الجزء الأول — «ذو القرنين» بالرفع
(٤) لقيم : بضم اللام وفتح القاف ، و «أخته» اسمها مضر ، و «ابن»
ابن زيدت عليه الميم .
(٥) حمق : بضم الحاء وتشديد الميم ، أي أسكر حتى ذهب عقله « و يرويه
المفضل حمق بفتح الحاء وزعم أنه يقال إذا شرب الخمر ، يقال لها الحمق ،
واستحصنت . بالبناء للفاعل أي أنه وهي حصان كما تأتي المرأة وزوجها ،
وقوله « ففريها » غر بضم الفين من الفرة وهي الفطة ويروى موضعها
« فجامعها » وقوله « مظلماً » بكسر اللام .

ففر بها رجل محكم فجاءت به رجلاً محكماً^(١)

وذلك أن أخت لقمان قالت لامرأة لقمان : إني امرأة محقة ، ولقمان رجل منجب محكم ، وأنا في ليلة طهرى ، فبهى لى ليلتك ، ففعلت فباتت في بيت امرأة لقمان ، فوقع عليها ، فأحبها بلقيم ، فلذلك قال النمر بن تولب ما قال ، والمرأة إذا ولدت الحق فى محقة ، ولا يعلم ذلك حتى يرى ولد زوجها من غيرها أكياساً ، وقد أطلال القول فى لقمان ولقيم الجاحظ فى كتاب البيان ، وأورد شواهد العرب فى أحواله ، ومن شعرهم دونت الكتب المؤلفة فى الأضياف ، والفرسان ، وغير ذلك ، وقد بالغ العلامة الهمداني على ما ذكر فى كتاب (الوشى المرقوم) فقال : لم يصل إلى أحد خبر من أخبار العرب والمعجم إلا من العرب ، وذلك لأن من سكن مكة أحاط بلم العرب العاربة ، وأخبار أهل الكتاب ، وكانوا يدخلون البلاد للتجارات فيعرفون أخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة ، وجاور الأعاجم ، علم أخبارهم ، وأيام حمير وسيرها فى البلاد ، وكذلك من سكن الشام خير بأخبار الروم ، وبنى إسرائيل واليونان ، ومن وقع بالبحرين وعمان فنه أنت أخبار السند وفارس ، ومن سكن اليمن علم أخبار الأم جميعاً لأنه كان فى ظل الملوك السيارة — إلى أن قال — والعرب أصحاب حفظ ورواية ، والمقصود أن العرب كما لا يخفى على من سبر أقوالهم ، وأشعارهم ، كان لهم حظ وافر من رواية الأخبار ، ومن طالع الكتب المؤلفة فى أمثالهم وقف على كثير من المواد التاريخية التى لا شبهة فيها .

(١) قوله « ففر بها رجل محكم » يروى فى موضعه « فأحبها رجل نابه » ونابه من التباهة ارتفاع الذكر — وهو لقمان فجاءت (أى أخته) به (أى بلقيم) « ومحكماً » بفتح الكاف أى حكيماً ، وهذه الإبيات من قصيدة للنمر عدد أبياتها نحو ٢٣ بيتاً . وقد كانت فى الأصل محرفة تحريفاً شائناً كما أنها وردت كذلك فى البيان والتبيين للجاحظ (ج ١ ص ١٠٣ — ط : مطبعة الفتوح الأدبية بمصر) ومما زاد هناك فى الطين بلة أن المصحح الذى اخذ على عاتقه ضبط الكلمات بالشكل الكامل ، خلط فى الضبط خلطاً زاد به التحريف غموضاً واشكالا ولا حول له . ومرجعنا فى تصحيح هذه الأبيات خزانة الأدب وتاج العروض .

التاريخ عند العرب في الجاهلية

لما بسطنا القول على ما كان للعرب أيام جاهليتهم من السابقة في رواية الأخبار ومعرفة القرون الخالية ، وأحوال الأمم الماضية ، وسير الأجيال السالفة ، كما دل على ذلك شعرهم وأمثالهم وسائر أقوالهم ، أتبعناه بذكر مذهبهم في التاريخ ، وكيفية ضبطهم للوقائع ، ومبدأ الحوادث . وقد خلصت ذلك من كتاب (أدب الكتاب) للإمام أبي بكر الصولي وهو كتاب فريد في فنه ، فأقول ومنه المعونة : تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه ، ومنه : فلان تاريخ قومه في الجود ، أى الذى انتهى إليه ذلك ، وسئل بعض أهل اللغة : ما معنى ذلك ؟ فقال : معناه التأخير . وقال آخر : هو إثبات الشيء . ويقال : ورخت الكتاب تورخا لعة تيم ، وأرخته تأريخا لعة قيس وتاريخ وتاريخان وتواريخ ، وأرخ كتابك هذا وورخه ، ولكل نبوة ومملكة تاريخ . فأما العرب فكانوا يؤرخون بالنجوم قديما ، وهو أصل ومنه صار الكتاب يقولون : نجمت على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم وأجمة جمع نجوم ، والعرب تخص بالنجم الثريا ، ومنه قولهم :

طلع النجم غديّه فابتنى الراعى كسيّه

والنجم بعد هذا سائر النجوم يدل الواحد على جميعها . كما يقال : أهلك الناس الدينار والدرهم يراد الجنس . وعلى هذا قرأ أبو عمرو بن العلاء (وسيلم الكافر لمن عصى اللار) والنجم ما نجم من النبات ، ومن الرأى ما ظهر وهو غير هذا ، وكانت العرب تؤرخ بكل عام يكون فيه أمر مشهور متعارف ، فأرخوا بعام الفيل ، وفيه ولد الذى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان في السنة الثامنة والثلاثين من ملك كسرى أنوشروان (وقد مرت قصة الفيل في أوائل الجزء الأول عند ذكر مكة شرفها الله تعالى) وأرخت العرب بعام الخنزان لأنهم تماوتوا فيه ، وعظم عدهم أمره . فقال النابغة الجعدي :

من بك سائلاً عنى فإنى من الشبان أيام الخنن^(١)
مضت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان
وأرخت قريش بموت (هشام بن المغيرة المخزومي) لجلالته فيهم ، ولذلك
قال شاعرهم .

وأصبح بطن مكة مقشعراً كأن الأرض ليس بها هشام^(٢)
وروى عن الزهرى والشعبي أن بنى إسماعيل^(٣) أرخوا من نار إبراهيم عليه
السلام إلى بنائه البيت حين بناء مع إسماعيل ، وإن بنى إسماعيل أرخوا من بئان
البيت إلى تفرق معد (فكان كذا خرج قوم أرخوا بمخرجهم ، ومن بقى بهامة
من بنى إسماعيل يؤرخون من خروج سمد ونهد وجهينة بنى زيد من بهامة (٤))
ثم كانوا يؤرخون بشيء شئ إلى موت كعب بن لؤى ، ثم أرخوا بعام الفيل إلى
أن أرخ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من هجرة النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ، وكان سبب ذلك أن أبا موسى كتب إليه : إنه يأتينا من قبيل أمير المؤمنين
كتب ليس لها تاريخ ، فلا ندرى على أيها نعمل ! وروى أيضاً أنه قرأ صكا
محله شعبان فقال : أى الشعبانيين الماضى أم الآتى ، فكان سبب التاريخ من
الهجرة بعد أن قالوا : تؤرخ بعام الفيل ، وقالوا من البعث ، ثم اجتمع رأى على

(١) الخنن « فى الأصل بالبناء بعد الخاء وهو تصحيف » . وأيام الخنن :
على ما يزعم الصولى والمرضى - أيام كانت للعرب قديمة حاج فيهم مرض
فى أنوفهم وحلقهم . والمعروف أن الخنن على وزن غراب زكاه يأخذ الأبل
فى مناخرها وتموت منه ، وزمنه كان فى عهد المنذر بن ماء السماء ! قال
الاصمعى : كان الخنن داء يأخذ الأبل فى مناخرها وتموت منه فصار ذلك
تاريخاً لهم (٢) هشام : كان من أعظم بنى مخزوم وكان له ولبنه صيت
بكرة وذكر منشورة ، وكان سيد قريش فى دهره ، قيل : لما هلك نادى مناد بكمة أن
أشهدوا جنازة ربكم ! وهو والد أبى جهل . . يستشهد النحويون بهذا البيت
على أن « كان » تكون للتحقيق عند الكوفيين ، وخرجه ابن مالك على أن الكاف
للتعليل . . وفى التصريح : أنه لا حجة للكوفيين فى هذا البيت لأنه محمول
على التشبيه فان الأرض ليس بها هشام حقيقة بل هو فيها مدفون .

(٣) كذا الأصل والظاهر أن يكون « بنى إسحاق » فتدبر .
(٤) هذه الجملة التى بين القوسين سقطت من نسخة (أدب الكتاب)
التي اعتمدنا عليها فى نشره .

الهجرة ، وقالوا : ما يكون أول التاريخ ؟ فقال بعضهم : شهر رمضان ، وقال بعضهم : رجب فإنه شهر حرام والعرب تعظمه ، ثم أجمعوا على الحرم . فقالوا : شهر حرام وهو منصرف الناس من الحج ، وكان آخر الأشهر الحرم ، فصيروه أولاً لأنها عندهم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والحرم والفرد رجب ، فكانت الأربعة تقع في سنتين فلما صار الحرم أولاً وقعت في سنة . « قال الصولي » وسألت أبا ذكوان عن أرخت وورخت فقال : مثله أكدت الأمر تأكيداً ووكدته تأكيداً لفة تيم وبها نزل القرآن « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » وأما التاريخ بلمة قيس فهو الذي يستعمله الناس ، وأما التاريخ لفة تيم فما استعمله كاتب قط ، وإن كانت العرب تتكلم به . وغلبت العرب الليالي على الأيام في التاريخ لأن ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلدها وولده ، ولأن الأهلة لليالي دون الأيام ، وفيها دخول الشهر ، وما ذكرها الله عز وجل إلا قدم الليالي قال الله تعالى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة » وقال : « سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً » وقال : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » وقال : جل اسمه « سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين » والعرب تستعمل الليل في الأشياء التي يشاركه فيها النهار دون النهار لاستنفاطهم الليل فيقولون أدركني الليل بموضع كذا لحيته ، وقال النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خِلْتُ أن المفتأى عنك واسع^(١)
وقالوا صننا عشرًا من شهر رمضان . وإنما الصوم للأيام ، ولكنهم أجازوه إذ كان الليل أول شهر رمضان وأنشد أبو عبيدة .

فصامت ثلاثاً من مخافة ربها ولو مكنت خماً هناك لصلت
وأما الشهور فأنها كلها مذكرة إلا جمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ؛ ويكتبون من شهر كذا إلا في ثلاثة أشهر يكتبون في شهر رمضان لقول الله عز وجل : « إن كنتم تعلمون » شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » ويقولون شهر ربيع

(١) راجع من ١٠١ و ١٠٢ من هذا الجزء .

الأول ، وشهر ربيع الآخر ، لأن الربيع وقت من السنة يخافوا إذا قالوا من ربيع ولم يذكروا الشهر أن يظن أنه من الوقت ، قال الراعي :

شهرى ربيع ما تذوقُ لبونهم إلا حموضاً وخمة وذويلاً

كل ما انكسر واسود من الثبت فهو ذويل . فإذا رأوا الهلال أول ليلة كتبوا « وكتب ليلة الجمعة غرة كذا ومستهل كذا ومهل شهر كذا » لأهم يقولون استهل الهلال وأهل الهلال ولا يقولون هل ولا أهل ولا استهل ومن قال ذلك فقد أخطأ ، والاستهلال الصوت والصياح ، ومنه استهلال الصبي صياحه وبكاؤه إذا ولد . فلما كانوا يكبرون عند رؤية القمر كل أول ليلة من الشهر ، وفي أول سائر الشهور لقربهم بمضى الخارج من وقت الحج وسرورهم بالموسم نسبوا الرؤية إلى فعلهم فقالوا استهل وأهل ، وسموا القمر هلالاً لهذا المعنى . وكان أهل مكة يجتمعون ويوقدون النار وتلبس ولدانهم وعبيدهم عندها كل أول ليلة من سائر الشهور لفرحهم بقرب وقت الحج ، ويكتبون ليلة الإهلال أجرة كذا ولا يكتبون لليلة خلت ولا لليلة مضت إلا من الغد لأن الليلة قد مضت ، وإن كتبوا يوم الجمعة قالوا : أول يوم من شهر كذا . ولا يكتبون مستهل ولا مهل لأن الهلال إنما يرى بالليل . ويكتبون في اليوم الثانى لليلتين مضتا فإذا جاز ذلك كتبوا لثلاث خلون وأربع مضين . وكتبوا لثمان خلون فيحذفون الياء ويثبتون الألف في الخط فإذا أضافوا إلى الليالى أثنى الياء للإضافة لأنه لا يكون تنوين مع إضافة ، وإنما سقط الياء للتنوين فيسقطون الألف عند ذلك في الخط فيكتبون لثمانى ليالى ومنهم من يثبتها ، وإنما أثنوا إلى قولهم لعشر خلون لتقدم الليالى على الأيام كما سبق . فإذا جاوزوا العشرة قالوا لإحدى عشرة ليلة خلت ومضت ولا ثنتى عشرة ليلة . وإنما قالوا ههنا خلت ومضت لأن الترجمة بليلة فوحدوا الفعل لذلك : ويكتبون لخمس عشرة ليلة (خلت) وإن شاءوا كتبوا للنصف من شهر كذا ، ولا يكتبون لخمس عشرة ليلة بقيت كرهوا ذلك لأنه

شبيه الاستثناء ولا يكون إلا أقل مما استثنى منه ، ولكن يكتبون بعد النصف يوم لأربع عشرة ليلة بقيت . وقد كره أهل الورع ذلك لأنهم لا يدركون كم بقي لقضاء الشهر وتمامه فيكتبون لإحدى وعشرين ليلة خلت ، والكتاب على غير هذا . فإذا كان آخر ليلة من الشهر كتبوا سلخ كذا لأنهم يقولون : انسلخ الشهر انسلخاً وسلخت أشهر كذا سلخاً وسلوخاً . ولو كتب كاتب في ربيع الأول ولم يقل في شهر أو في رمضان ولم يقل في شهر جاز وليس بالخطأ . قال الشاعر :
جارية في رمضانَ الماضي تُقَطِّعُ الحديثَ بالإمضاء^(١)

ولا يدخلون في شهر من الشهور الألف واللام إلا في الحرم لأنه أول السنة فعرفوه لتلك كأنهم قالوا هذا الذي يكون أبداً أول السنة . ولا يكتبون لليلة بقيت وأنت فيها كما لم يكتبوا لليلة خلت وأنت فيها . والعرب تسمى أول ليلة من الشهر ليلة البراء لتهرب القمر من الشمس . ويسمونها النجدة لأن الهلال نحرها أى رؤى في نحرها وأولها ، قال ابن أحر :

ثم استمر عليها واكف همح^(٢) في ليلة نحرث شمان أورجا^(٣)
نحرث شمان كانت في نحره وصدره لأنها أوله كما نحرها الهلال إذا رؤى في أولها ، ونجدة فيلة من نحرث مثل قتلت فهي قتيلة « قال الصولي » قال بعض

(١) قال أبو عمرو المطرزي : معناه أنهم كانوا يتحدثون فنظرت إليهم فاشتغلوا بحسن نظرها عن الحديث ومضت (أ هـ) وقيل غير ذلك . وفي الروض الأنف السهيلي : في قوله تعالى « شهر رمضان » اختار الكتاب والمؤثقون النطق بهذا اللفظ دون أن يقولوا « كتب في رمضان » وترجم البخاري والنووي على جواز اللفظين جميعاً ! وأورد الحديث « من صام رمضان » ولم يقل « شهر رمضان » . قال السهيلي : ولكل مقام مقال ، ولا بد من ذكر شهر في مقام وحده في مقام آخر « والحكمة في ذكره إذا ذكر في القرآن وغيره ، والحكمة أيضاً في حذفه إذا حذف من اللفظ وأين يصلح الحذف ويكون أبلغ من الذكر : كل هذا قد بيناه في كتاب (نتائج الفكر) غير أنا نشير إلى بعضها فنقول : قال سيبويه - ومما لا يكون العمل إلا فيه كله المحرم وصفر ، يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله وكذلك إذا قلت الأحد والاثنين فإن قلت يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفاً ولم يجر مجرى المفعولات وزال العموم من اللفظ لآنك تريد في الشهر وفي اليوم ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان » ولم يقل شهر رمضان ليكون العمل فيه كله . انتهى . (٢) الواكف : المطر ، وسحاب همح ككتف : مطر .

الكتاب . التاريخ عمود اليقين ، ونافى الشكل ، وبه تعرف الحقوق ، وتحفظ
العهود . قال : ولا يقع التاريخ في شيء من الكتب السلطانية من رئيس أمروؤوس
إلا في أمجاز الكتب . وقد يؤرخ النظير والتابع ما خلاص من الكتب في صدورهما .
وقيل : الكتاب بنير تاريخ نكرة بلا معرفة ، وغفل بغير سمة ؛ قال بعض
الشعراء في تاريخ (شخص) توفي :

وكان يؤرخ علم القرون فهاهو ذا اليوم قد أُرْخَا !
فأما الذي يروى للمستوغر بن ربيعة فهو قوله وهو عجيب من العمق مثل زمانه :
ولقد سَمِئْتُ من الحياة وطولها وازددت من عدد السنين سنينا
مائة أنت من بعدها مائتان لى وازددت من عدد الشهور مئينا
هل ما بقى إلا كأقد فاتنا يوم يَكْرَ وليلة نَحْنُونَا

وقد ذكرنا عند الكلام على مجامعهم أسماء الأشهر — أيام العرب العرباء —
وأسماءها لدى المستعربة وغير ذلك مما يناسبه . ثم إن الصولى — رحمه الله تعالى
أطلب في بيان تثنية الأيام والشهور وجهوعهما ، وفي ذكر فوائد آخر تتعلق
بفرضه ، وقد أهمل كثيراً مما كان العرب تؤرخ به . فقد كان لهم في اليمن والحجاز
ونجد تواريخ كثيرة يتعارفونها خلفاً عن سلف ، وقد كان كل طائفة منهم تؤرخ
بالحادثات المشهودة فيها ، وحيث إن استيعاب ذلك بطول اقتصررت على بيان
ما كان شائعاً عند جميعهم وهو (زمن القِطْل) فلا بد من تفصيل القول فيه
وبالله التوفيق :

زمن القِطْل

هو زمن كانوا يؤرخون به كل ما قدم عليه المهد ومرت عليه المصور والدهور
واختلف أمة اللغة في تفسيره فقال الخليل : هو الزمن الذى لم يخلق فيه الناس
بعد ، ومنهم من قال : هو زمن نوح عليه السلام ، ومنهم من قال : هو الزمن الذى
كانت الحجارة فيه رطاباً ، واذ كل شيء ينطق ، وبذلك أجاب رؤية حين سئل

عنه . وفي الصحيح : قال الجرمي سألت أبا عبيدة عنه فقال الأعراب تقول ؛ هو زمن كانت الحجارة فيه رطبة . وهو معنى قول بعضهم زمن القطحل إذ السلام رطاب . وقال أبو حنيفة الدينوري : تقول أتيتك عام القطحل والمدملة يعني زمن الخصب والريف . وأنشد أبو عبيدة لرؤبة بن الصجاج وقد نزل ماء من المياه فأراد أن يتزوج امرأة فقالت له المرأة : ما سنك ما مالك ما كذا ما كذا فأنشأ يقول :

لما ازدرت نذى وقلت إني تألفت واتصلت يَمُكِلُ^(١)
تسألني عن السنين كم لي فقلت لو عُمِرْتُ عمر الحِسلِ^(٢)
أو عُمِرَ نوحَ زمنَ القطحل والصخرُ مُبْتَلَى كطين الوحلِ
أو أنى أوتيتُ عِلْمَ الحِكلِ علم سليمان كلامَ النمل
كنت رهينَ هَرَمٍ أو قتل

الحِكل بالضم من الحيوان مالا يسمع صوته كالذرو النمل . وبعض أئمة اللغة يقول : هو المعجم من الطيور والبهائم . وقال الليث : الحِكل في رجز رؤبة اسم لسليان عليه السلام ، وهو قوله :

لو أنى أوتيتُ عِلْمَ الحِكلِ علمت منه مستسرَّ الدُخُلِ^(٣)
علم سليمان كلام النمل ماردأزوى^(٤) أبداً عن عدل
قال الإمام الثعالبي^(٥) نقلاً عن القاضي عبد الحسن^(٦) . أما قولهم أيام كانت الحجارة رطبة وإذ كل شيء ينطق فهما من الأمور التي يتداولها جملة الأمم ،

(١) ازدوت نقده . واته قليلا ، والنقد : الدراهم ، وتألفت : طوئت وتغيرت ، ويجوز أن يريد تنكرت وتخبثت من قولهم « امرأة القة - بكسر اللام » الخبينة الصخابة المنكرة ويجوز أن يكون من قولهم تألق البرق أي لمع ؛ يريد أنه لما ذكر لها مآذركم أنكروته وتمجبت منه فلوحت بثوبها إلى من يقرب منها ونادت « بال عكل ! » تستغيث بهم ليحضرُوا فيسمعوا ما تكلم به ، والاتصال : أن يعتزى الرجل إلى قبيلته (٢) الحِسل : الضب وهو لا تسقط له سن ، ومن أمثالهم في النأي « لا أفعله سن الحِسل » والتقدير دوام سن الحِسل أي مدة دوامه . وقد زعموا أن الضب يعيش ثلثمائة سنة وأنه والحية والقراد والنسر أطول شيء عمرا ولذلك قالوا « أحيا من ضب لطول حياته » .

(٣) الدُخُل : العيب الباطن (٤) تيس الجبل البرى .
(٥) المضاف والمنسوب ص ٥١٦ (٦) في المضاف والمنسوب « أبو الحسن ابن عبد العزيز » .

وهو الظاهر بين إغفال العرب هذا وأمية بن أبي الصلت وهو من حكام العرب
والمتخصصين منها بالرواية قال :

وَإِذْ مَ لَا لِبُوسَ لَمْ عَرَاةَ . وَإِذْ صَمَّ الصَّلَابَ لَمْ رَطَابُ
بَايَةَ قَامَ يَنْطَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ . وَخَانَ أَمَانَةَ الْقَدِيكَ الرُّبَابُ

وعن مقاتل بن سليمان أنه كان يقول : إذ الصخور كانت لينة ، وإذ قدم
إبراهيم عليه السلام أثرت في صخرة للقمام للين الصخور بومئذ ، قال الثعالبي ،
وليس مذهب هؤلاء فيما رواه مذهب من جعلها أجزاء من الأرض تستصلب
وتتكسر وتتحجر ، فزعم أنها تيبس عن ندوة وتصلب بعد رخاوة ، ولو أرادوا
ذلك لوجدوا تسعاً في القول ، لكن الأوهام التي صورت أن البهائم كانت ناطقة
عاقلة ، وفروع السعدان ^(١) ملساء لينة ، وأغصان الموسج خضرة ناعمة — هي
التي أدتهم لذلك ، ولا يبعد أن يكون القوم لما رأوا الحكماء قصدوا استعطاف
الأوهام ^(٢) إلى الحكمة فوضعوا أمثالا ، ورشحوها ببعض المزج ، وأدرجوا الجد
في أثناء المزج ليخف عن القلوب احتمالها ، ويسرع إليها التفتتها — ظن من لم يقع
من التمييز موقع الكمال بالبهائم أنها تنطق وتفضح ، وتبين عن نفسها وترب ؛ فاختلقوا
أحاديث أضافوها إليها ، وكان للعرب في ذلك خصوصاً ما زادت به على سائر
الأمم لفضل ما فيها من اللهج بالكلام ، وما أوتيت من القدرة على التصرف في
المنطق ، فنظمت لها قريضاً ، وفصلت أسجاعه كاللدى حكمت عن الضب أنه قال
في صبره على الماء ، وهو عندهم أصبر ذى نفس عليه : « أصبح قلبي صردا .
لا يشتهي أن يرداً ، إلا عراداً عردا . وصلياناً بردا . وعكناً ملتهداً ^(٣) » ، ومنهم

(١) نبت من أفضل مراعى الإبل ، ومنه « مرعى ولا كالسعدان »

(٢) ن : القلوب

(٣) صرد كفرح يصرد صرداً فهو صرد : وجد البرد سريعاً وقوله « الإعرادا
عردا » قال في النواير : عرد النعجر وأعرد إذا غلظ وكبر وعرد عرد على
البالغة ثم أنشد « أصبح قلبي النع » وقال : وإنما أراد عارداً وبارداً فحذف
للضرورة « عن أبي الهيثم » وقوله « عكنا » صوابه « منكنا » وهو شجر
يشبه الضب . والصليان بكسرتين مشددة اللام والياء خفيفة ، نبت من
الطريفة .

من يرويها هكذا: « آليت أن لا أُرِدا ، إلا عراداً عردا ، وصليانا صردا ،
وعنكنا ملتبدا » وزعموا أن القطا قال للحجل : « حجل حجل ، نفر في الجبل
من خشية الوجل » فقالت لها الحجل : « قطا قطا ، أرى قفاك أممظما^(١) ييضك
ثنثان ويبيض مئطا^(٢) » هكذا جاءت الرواية والأمثال تجري على ألفاظها . وهذا
الوجه الذي ذكره النماذج هو المتعين ، وأشباه ذلك في كلامهم ومحاوراتهم كثيرة
مذكورة في كتب الأدب ؛ ومن ذلك ما حكاه أصحاب اللغة في وجه تسمية بعض
الكواكب وعدوه من أكاذيبها وخرافاتها ، مع أن الوجه ما اختاره النماذج من
أن ذلك لأغراض مقصودة لم يقلوا : الشعرى كوكبان إحداها الشعرى المبور
والأخرى الشعرى النميصاء ، أما المبور فلأنها من نجوم الجوزاء ويسمى كلب
الجبار ، وسميت بالعبور لأنها كانت والنميصاء وسهيل مجتمعة فأنحدر سهيل فصار
يمانجا ، وتبعته العبور فصيرت الحجر ، وأقامت النميصاء فبكت لتفقد سهيل حتى
غمصت ، والنميص في العين نقص وضعف ، وأما النميصاء فأقل نورا من العبور
وهي من نجوم الذراع للبسطة ، وبينها وبين العبور والحجر ؛ وأصحاب الصور يمدونها
في صورة الكلب الأكبر ؛ وهي تقطع السماء عرضاً ، وليس غيرها من الكواكب
كذلك ؛ وهي التي عناها الله تعالى بقوله « وأنه رب الشعرى » وإنما خصها
 بالذكر لأن خراقة كانت تبديها ، وأول من سن ذلك لم أبو كبشة وهب بن
 غالب جد وهب بن عبد مناف . وقالوا في وجه تسمية كوكبي الدبران والميوق :
 إن الميوق عاق الدبران لما ساق إلى الثريا مهرأ وهي نجوم صغار مجتمعة فهو يتبعها
أبدأ خاطباً لها ، والدبران يموقه ؛ ولذلك سما هذه النجوم القلاص ، وعليه
قول الشاعر^(٣) :

أما ابن طوق فقد أوفى بِذِمَّتِهِ كما وفي بقلاص النجم حاديا^(٤)

(١) أى لاشعر عليه (٢) يريد « مائثان » وحذفت النون شدودا
(٣) هو طفيل القنوي (٤) يقال : وفي بالهد رادى وقد جمعهما طفيل في
بيته ، وحادى القلاص : هو الدبران . قال ذو الرمة :
قلاص حدادها راكب متعمم هجائن قد كادت عليه تفرق

ولو تنبعا أمثال ما ذكر مما قصدوا به المعنى الشعرى ، ولم يريدوا به الحقيقة لطلال الكلام ، وما أوردناه وافٍ بالمرام .

ما كان للعرب من العلم بالسماء وكائنات الجو

كل ما استقصى شعر العرب الأولين ، وما صح عنهم من الأمثال والأقوال عرف أن أوائل العرب كان لهم بحث عن الأجرام العلوية ، والآثار الجوية ، وأنهم اشتغلوا بالرصد ، ومعرفة حركات الكواكب ، وطلوعها وغروبها ؛ لا سيما ما يتعلق بها غرضهم ، وتمس إليها حوائجهم ، وقد ألف السلف من أئمة اللغة فيما كان لهم من ذلك كتباً مفيدة جمعوا فيها ما كان للعرب من العلم بالسماء ، وهي كثيرة . منها : (كتاب الأنواء) لأبي فيد (مؤرخ) ابن عمر النحوى^(١) وآخر لأبي بكر محمد بن حسن المعروف بابن دُرَيْد اللغوى^(٢) وآخر لأبي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي^(٣) وآخر لأبي الحسن النضر بن شُمَيْل النحوى^(٤) وآخر لأبي إسحق إبراهيم بن محمد الزجاج النحوى^(٥) وكل هذه الكتب مشتملة على مسائل مفيدة من مذاهب العرب واعتقاداتهم ، وأتمها فائدة كتاب أبي حنيفة الدينورى^(٦) ، فإنه تضمن ما كان عند العرب من العلم بالسماء والأنواء ومهاب الرياح ، وتفصيل الأزمان وغير ذلك . وإنى مستعياً بالله ذاكر فى هذا المقام نبذة من ذلك عزيزاً كل مبحث ألخصه ههنا إلى محله مما عثرت عليه من كتب الفن ، لئلا يبقى جيد هذا الكتاب عاطلاً من هاتيك القرائد الغالية الثمن .

(١) ترجمته فى بغية الوعاء للسيوطى ص ٤٠٠ من طبعة مصر .
(٢) فهرست ابن النديم ص ٦١ و ٨٨ ونزهة الإلهاء لابن الانبارى ص ٣٢٣ والبنية ص ٣٠ و ٣١ و ٣٢ (٣) الفهرست ص ٨٨ والبنية ص ٤٢ وكتاب عبد الرحمن الصوفى ص ٣٢ . (٤) الفهرست ص ٥٢ ونزهة الإلهاء ص ١١١ والبنية ص ٤٥ (٥) الآثار الباقية للبيرونى ص ٢٣٦ و ٣٤٤ و ٣٤٥ والفهرست ص ٨٨ (٦) الفهرست ص ٧٨ و ٨٨ وطبقات الحنفية لابن قطلوبغا ص ٩٥ والنزهة ص ٣٠٦ والآثار الباقية ص ٣٣٦ و ٣٤٧ الى ٣٤٨

السموات والأفلاك

السماء عند العرب كل ما علاك فأطلق ، ولتلك قيل للستف والسحاب ولأعلى
الفرس سماء ، ومن أسمائها الجرياء لاشتباك كواكبها ، والخلقاء إذا لم تر نجومها
كاللساء ، والرقيع ، وجربة النجوم ، قال قائلهم :

وَحَوَتْ جِرْبَةُ النُّجُومِ فَاثَتْ رَبُّ أَرْوِيَّةٍ بِمَرَى الْجَنُوبِ^(١)

وأصل الجربة القراح من الأرض^(٢) وكانوا يستقنون فيها اعتقاد المليون ،
ويثبتون العرش والكرسى ، وكانوا يسمون السماء الدنيا الرقيع . والسماء الثالثة
الصاقورة والحاقورة ، والسماء الرابعة الخضراء ، ويقولون لما ولينا منها بطن السماء
وظهر السماء لما يغالفه ، والهواء الفتق بين السماء والأرض وهو الشكاك والشكاكة
واللوح ، وعنان السماء ما عن منها إذا نظر إليها ولونها الصهوق ، والعلك مدار
النجوم الذى يضمها ، ومجرة السماء كأثر الحجر فيها يسمونها أم النجوم ، ومن
كواكبها « الشمس » لأنها فى السماء الرابعة تشبهها لها بشمس القلادة ، ويقال لها
دُكَاء وإلاهة والضَّحَّ والجونة والنزالة والجارية والسراج والبيضاء وبرج
ومهاة والشرق ، إلا أنه لا يقال غاب الشرق ولا غابت النزالة ، قال قائلهم .

تَرَوُّحْنَا مِنَ اللَّسَاءِ قَصْرًا وَأَعْلَيْنَا لِإِلَهِةٍ أَنْ تَوَّوْهَا^(٣)

« وقال آخر »

نَمَّ يَمْلُو الظَّلَامُ رَبُّ رَحِيمٍ بِمِهَادٍ شَاعَهَا مَنُشُورُ^(٤)

ودارتها الطفاوة ، وآياتها ضوؤها ولما بها ما تراه فى شدة الحر كنسج

(١) يقول : صارت كواكب السماء التى كان الناس يسقون بنورها خالية
من الفيت لم يكن عند سقوطها مطر ولم يكن فى القلادة يسير ماء تشرب منه
الشاة الجبلية من الماء الذى تستلذه ريع الجنوب (٢) القراح كسحاب الارض
التي لا ماء بها ولا شجر او المخلصة للزروع والفرس
(٣) يقول خرجنا بعد الزوال من هذا المكان قرب العشي وبادونا الى المقعد
قبل ان تغرب الشمس (٤) يقول : ثم يكشف ظلمة الليل رب رحيم نظرا
لخلقه ليتصرفوا فى معاشهم بشمس نورها ينشر فى البلاد .

المنكبوت ينحدر من السماء كالسحاب من الحيوان ، ويقال شرقت الشمس وذرت ذروراً أى طلعت وأشرقت أى انساح ضوءها ، وكسفت ذهب ضوءها ، والنبيء الظل بعد الزوال ، وظل دوم لا تنسخه الشمس ، وطفلت وجنت مالت للغروب ودقت أيضاً ، وأشفت غابت إلا شفاً أى قليلاً ، ووجبت غابت ، ودلكت اصفرت للغيوب ، وصامت الشمس ركدت نصف النهار كأن لها وقفة وإبطاء عن الزوال ، ودومت ، قال ذو الرمة :

مُرَوِّبًا رَمَضَ الرَّمْضَاضَ يَرْكُضُهُ وَالشَّمْسُ حَيْرَى لَهَا فِي الْجَوْتِ تَدْوِيمٌ^(١)
وَقَرْنِ الشَّمْسِ وَحَاجِبِهَا أَوَّلَ نَوَاحِيهَا ، وَالْمَشْرِقُ الْمَطْلَعُ ، وَالْمَغْرِبُ الْمُنْتَبِ
وَمَا مَشْرِقَانِ وَمَغْرِبَانِ : مَشْرِقُ الصَّيْفِ هُوَ مَطْلَعُ الشَّمْسِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ ،
وَمَشْرِقُ الشِّتَاءِ هُوَ أَخْفَضُ مَطَالِمِهَا فِي أَقْصَرِ يَوْمٍ ، وَالْمَغْرِبَانِ عَلَى ذَلِكَ ، وَدَرَارَى
النَّجُومِ كِبَارُهَا .

ومنها القمر

ويقال له أول ما يهبل (هلال) إلى ثلاث ليال ، ثم هو قر إلى أن يهبل ثانياً ،

قال قائلهم

ثم استمرت كشقة القمر البد رِ خفوق الأحشاء والكبد^(٢)

ويقال لكل ثلاث ليال من أول الإلهلال إلى أن ينسلخ الشهر اسم ؛ فالأول غُرَرٌ ، وبعدها قُلٌّ ؛ ثم تُسَعٌ ، ثم هُشَرٌ ؛ وثلاث بيضٌ ، وثلاث درعٌ ؛ وثلاث ظلمٌ ؛ وثلاث حنادسٌ ، وثلاث دَآدَىءٍ . واحدها دَآءٌ ؛ وثلاث حِجَاقٍ ، وقد نظمها بعضهم فقال :

(١) معروفياً : ركبها والمرض محركه شدة وقع الشمس على الرمل وغيرها .
والرَّمْضَاضُ : الحمى أو صفارها ، ويروى « رمض الرضاء » وهى الأرض
الشديدة الحرارة ، ويركضه : يضربه برجله ، ومعنى قوله والشمس حيرى
أن الشمس في كبد السماء واقفة متحيرة إلى أن تنشط وتجنح للغروب
وذلك من مبدأ الزوال والبيت في وصف الجندب (٢) البيت في وصف بقرة .
يقول : ثم استمرت هذه البقرة الوحشية من خوف الصائل وهى في بياضها
كالتنصف من البدر فجعة قلقة خوفاً من الرامى .

ثم ليالى الشهر قدماً عرفوا كل ثلاث بصفات تعرف
فَفَرَزَ وَتَقَلَّ وتسع وعشر فالبيض ثم الدرع
وظلم حنادس دآدى ثم الحاق لالحاق بآدى

وليلة السواء ليلة تمام القمر ، وهو وفاء ثلاث عشرة ، وبسها ليلة البدر ؛
وميسان ليلة النصف ، تقول : أسويتنا ، وأبدرنا ، وأنصفنا ، أى صرنا فى ذلك
وهذه الليالى الثلاث بيض ثم يدرع الشهر ، أى أسود أوائل لياليه ، من قولك
شاة درعا إذا أسود مقدمها وبيض سآرها ، ثم ينتقص القمر حتى يمتحق ؛ وهو
أن يطلع مع الشمس فيحترق ، وليلة ثمان وعشرين الدعاء ، وبعدها الدعاء ،
وليلة الثلاثين اللياء ، وابنا جهير يومان فى الحاق يستسر فيهما القمر ، والبراء
آخر ليلة من الشهر لتبرؤ القمر فيه من الشمس وهو السرار . وقيل : بل هو
أول يوم من الشهر ؛ والنادر والذهير كذلك . . وقيل يقال للهلال ما أنت ابن ليله
رضاع سُخَّيْهِ ^(١) ، حلّ أهلها بِرُمَيْلِهِ ، ما أنت ابن ليلتين : حديث أمّتين .
بكذب ومين ^(٢) ، ما أنت ابن ثلاث : حديث فتيات ، غير مؤلفات ^(٣) ، ما أنت
ابن أربع : عتمة أم ربيع ^(٤) لا جائع ولا مُرَضَّع ، ما أنت ابن خمس ، عشاء خَلَفَات
قمس ^(٥) ، ما أنت ابن ست : مرويت ^(٦) ، ما أنت ابن سبع : دلجة الضبع ،
ما أنت ابن ثمان : قر أضحيان ^(٧) ، ما أنت ابن تسع : ملتقط الجزع ^(٨) ، ما أنت

(١) سَخِيْلَة : تصغير سَخْلَة . المعنى : ان الهلال يبقى بقدر ما ينزل قوم
فتضع شائهم سَخْلَة ثم ترضعها ويرتطون ، فيقاؤه فى الافق كمقدار رضاع
السَخْلَة (٢) يريد أن بقاءه له قليل كمقدار ما تأقى الأمة فتحدثها فتكذب لها
حديثاً ثم تفترقان (٣) يريد أنه يبقى بقاء فتيات أنكار اجتماعن على غير مهاد
فتحدثن ساعة ثم انصرفن غير مؤلفات (٤) أم ربيع : الناقة . يريد أن بقاء
مقدار ما تحلب ناقة لها ولد ولدتها فى اول الربيع وهو اول التاج ، وعتمت
ابله اذا تأخرت زمن هذا سميت العتمة لانها آخر الوقت (٥) الخلفات : هي
التي اسنان حملها « والقمس جمع قعساء : وهي الداخلة الظهر الخارجة
البطن (٦) أى سرقى وبث ، فأننى أبقي بقدر ما يبيت انسان ويسير
(٧) مضى (٨) اراد أنه مضى أبليج لو انقطعت فيه مختقة فتاة مفصلة
بجزع ما ضاع منها شيء لضياؤه ونقائه .

ابن عشر . ثلث الشهر ، ويقال إن ما بعدها موضوع ، وهو مذكور في كثير من كتب الأدب .

والدارة حول القمر (الهالة) ويقال حاق القمر . والقمر الليلة في الهالة وحجر إذا استدار بخط . ويقال للقمر الزبرقان والأزهر والشهر والساهور ، وقيل غلافه الذي يستتر فيه إذا خسف وفي التسع البواقي . وقال أمية بن أبي الصلت :

لا قصص فيه غير أن خبيه قر وساهور يسـ^(١) ويفمد

والشامة : السواد في القمر ، وبذلك ألغز بعضهم :

وما شامة سوداء في حر وجهه مجللة لا تنجلي زمان

ويدرك في تسع وخمس شبابة وبرم في سبع معاً وثمان^(٢)

ويقولون أضاءت القمر ، وليلة قراء وضحايا ضحيانة وبيضاء ، والحمقات الليالي البيض تنم فيها السماء فترى ضوءاً ولا ترى قرأ فتظن أنك مصبح عليك ليل ، يقال غرنى غرور الحمقات ، ويزغ القمر : طلع ، وأغل : غاب ، والفخت : ضوء القمر ، ويقال : جلسنا في الفخت وقيل المأداء الليلة التي يشك فيها أمن الشهر الماضي هي أم من الداخل ؛ وليلة غمى يحال فيها دون الهلال ، وأنشد شاعرهم .

وليلة مشبهة أهوالها ليلة غمى طامس هلالها^(٣)

وقد سمع العرب كواكب كثيرة يطول استقصاؤها ، واقتصرنا على ذكر

النهرين الأعظمين .

(١) يقول : القمر وغلافه مختلفان فمرة ينزع من غلافه فيكون بدراً كاملاً ومرة يرد إلى غلافه حتى يكون مستتراً ثم يبدو ملالاً فيتزايد إلى أن يعود بدراً (٢) قوله : ويدرك الخ يروى « ويدرك في ست وتسع شبابه » . قال أبو محمد في شرح هذين البيتين : الذي عندي أنه أراد وماشى في حر وجهه شامة سوداء ، ويكون سؤاله عن القمر ألا أنه الغر ، وإن حمل الكلام على ظاهره كان السؤال عن الشامة ما سببها ، والمجلة : التي جللت وجهه . لا تنجلي زمان : لاذهب في وقت من الأوقات ، وقوله « ويدرك في ست وتسع شبابه » يريد أنه يتناهى تخامه إلى خمس عشرة ليلة من الشهر ثم يتناقص من وقت تمامه إلى آخر الشهر ، وإنما أنت أسماء العدد لأنه أراد الليالي (كنز الحفاظ في تهذيب الالفاظ ص ٤٠١) وحر الوجه . ما بدا منه . (٣) يقول . ورب ليلة مظلمة داجية إذا نظرت إليها رأيت من وحشة ظلمتها ما بهولك وبروعك وهي ليلة لا يرى فيها هلالها . وغمى : كحتى وتمد وتضم الأولى مع القصر .

منازل القمر وأنوارها

المنازل جمع منزل ، والراد به للسافة التي يقطعها القمر في يوم وليلة ، وهي عند أهل الهند سبعة وعشرون لأن القمر يقطع فلك البروج في سبعة وعشرين يوماً وثلاث غزفوا الثلث لأنه ناقص عن النصف كما هو مصطلح أهل التنجيم ، وعند العرب وساكفي البدو ثمانية وعشرون لأنهم تموا الثلث واحداً كما قال بعضهم بل لأنه لما كانت سنوهم باعتبار الأهلة مختلفة الأوائل لوقوعها في وسط الصيف تارة وفي وسط الشتاء أخرى ، وكذا أوقات تجارهم وزمان أعيادهم ، احتاجوا إلى ضبط سنة الشمس لمعرفة فصول السنة حتى يشغلوا في استقبال كل فصل بما يهيمهم في ذلك الفصل من الانتقال إلى المراعى وغيرها ، فاحتالوا في ضبطها فظفروا أولاً إلى القمر ، فوجدوه يسود إلى وضع له من الشمس في قريب من ثلاثين يوماً ، ويحتفى آخر الشهر لليلتين أو أقل أو أكثر ، فأسقطوا يومين من زمان الشهر فبقى ثمانية وعشرون ، وهو زمان ما بين أول ظهوره بالمشيات مستهلاً أول الشهر وآخر رؤيته بالندوات مستتراً آخره ، فقسموا دور الفلك عليه ، فكان كل قسم اثنتي عشرة درجة وإحدى وخمسين دقيقة تقريباً ، وهو ستة أسابيع درجة ، فنصب كل برج منه منزلان وثلاث ، ثم لما انضبط الدور بهذه القسمة احتالوا في ضبط سنة الشمس بكيفية قطعها لهذه المنازل فوجدوها تستمر دائماً ثلاثة منازل : ما هي فيه بشعاعها ، وما قبلها بضياء القمر ، وما بعدها بضياء الشمس ، ورصدوا ظهور المستر بضياء القمر ، ثم بشعاعها ، ثم بضياء الشفق ، فوجدوا الزمان بين كل ظهور منزلتين ثلاثة عشر يوماً تقريباً ، فأيام جميع المنازل تكون ثلاثمائة وأربعة وستين ، ولكن الشمس تقطع جميعها في ثلاثمائة وخمس وستين فزادوا يوماً في أيام منزل (عَفَر) وزادوه هنا اصطلاحاً منهم ، أو لشرفه على ما نسمه إن شاء الله . وقد يحتاج إلى زيادة يومين ليكون اقضاء الثمانية والعشرين مع اقضاء السنة ، ويرجع الأمر إلى النجم الأول ، واعلم أن العرب

جعلت علامات الأقسام الثمانية والعشرين من الكواكب الظاهرة القريبة من المنطقة بما يقارب طريقة القمر في بمره أو يحاذيه فيرى القمر كل ليلة نازلاً بقرب أحدها . وأحوال كواكب المنازل مع المنازل كأحوال كواكب البروج مع البروج عند أهل الهيئة من أنها مسامية للمنازل ، وهى فى فلك الأفلاك . وإذا أسرع القمر فى سيره فقد يخلى منزلاً فى الوسط ، وإن أبداً فقد يبقى ليلتين فى منزل أول الليلتين فى أوله وآخرهما فى آخره ، وقد يرى فى بعض الليالى بين منزلتين ، وما يقال فى الشهور أن الظاهر من المنازل فى كل ليلة يكون أربعة عشر وكذا الخفى ، وإنه إذا طلع منزل غاب رقيه وهو الخامس عشر من الطالع سمي به تشبيهاً له برقيب يرصده ليسقط فى المغرب إذا ظهر ذلك فى المشرق — ظاهر الفساد ، لأنها ليست على نفس المنطقة ولا أبداً ما بينها متساوية ، ولهذا قد يكون الظاهر ستة عشر وسبعة عشر ، وقد يكون الخفى ثلاثة عشر .



وللمنازل أنواع اختلف علماؤها فيها ، ولنذكر ملخص ما أورده أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي فى كتابه المؤلف فى الأنواء . قال : السنة أربعة أجزاء ، لكل جزء منها سبعة أنواء ، لكل نوء ثلاثة عشر يوماً إلا نوء الجبهة فإنه أربعة عشر يوماً (زيد فيه يوم لتكمل السنة ثمانية وخمسة وستين يوماً) وهو المقدار الذى تقطع فيه الشمس بروج الفلك الاثنى عشر ، لكل برج منزلتان وثلاث منزلة ، وكلما نزلت منزلة من هذه المنازل سترته لأنها تستر ثلاثين درجة : خمس عشرة من خلفها ، ومثلها من أمامها ، فإذا انتقلت عنها ظهرت ، هكذا قال الزجاجي ، فإذا اتفق أن تطلع منزلة من هذه المنازل مع الغداة ويضرب رقيه فهو (النوء) ولا يتفق ذلك لكل منزلة منها إلا مرة واحدة فى السنة ، وهو مأخوذ من ناء ينوء إذا نهض متثاقلاً ، والعرب تجمل النوء للغارب لأنه ينهض للغروب متثاقلاً ، وعلى ذلك أكثر أشعارها ، وتفسير بعض العلماء فى قوله تعالى

(ما إنَّ مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) أى تميل بهم إلى الأرض ، وهذا التفسير أوجه من قول من يجعل الكلمة من المقلوب . قال : وبعضهم يجعله للطالع وهذا مذهب المنتجين لأن الطالع له التأثير والقوة ، والنار ساقط لا قوة له ولا تأثير . قال المبرد : النوء على الحقيقة للطالع من الكواكب لا النار ، وهذه المنازل كلها يطلع بها الفلك من المشرق وينرب في المغرب كل يوم وليلة ، وتلك دورة من دوراته .

الربع الأول من السنة : الربيع

ابتدأوه في تاسع عشر يوماً^(١) من آذار ، وبعضهم يجعله في عشرين يوماً منه ، فيستوى حينئذ الليل والنهار ، ويطلع مع النداء فرغ الدلو الأسفل وهو المؤخر ، وتسقط المواء وإليها ينسب النوء ، وهى تمد وتقصر وصورتها^(٢) خمسة كواكب كأنها ألف معطوفة الذنب إلى اليسار وبذلك سميت . تقول العرب عويت الشيء (إذا) صلفته ، وقال آخرون : بل هى كأنها خمسة أكلب تعوى خلف الأسد . وقال ابن دريد : بل دبر الأسد والمواء فى كلامهم الدبر . النوء الثانى (السماك) وهما سماكان : أحدهما الأعزل وهو نجم وقاد شبهوه بالأعزل من الرجال وهو الذى لا سلاح معه وهو منزل القمر . والآخر كوكب تقدمه آخر شبهوه بالرمح ، وهما سافا الأسد وسمى سماكا لعلوه ولا يقال لنسيره إذا علا « سماك » هكذا قال سيبويه فى حكى الزجاجى عن أبى إسحق الزجاج غير أنه قال فى الأعزل : وقيل إنما سعى الأعزل لأن القمر لا ينزل فيه ، وهذا مخالف لما عليه جمع الناس ، النوء الثالث (القفر) وهو ثلاثة كواكب غير زهر ، وبذلك سميت من قولك غفرت الشيء إذا غطيته ، ومنه سميت النفارة التى تلبس ، وقيل إنما سعى غفراً من النفرة وهى الشعر الذى فى طرف ذنب الأسد ، وقال

(١) فى العمدة (ج ٢ ص ١٩٧) : « ابتدأوه من سبعة عشر يوماً من آذار فليندبر (٢) فى العمدة » وصفتها .

أبو عبيدة : الغفر كل شعر صفر دون الكبير وكذلك هو في الریش ، وقال قوم : هو من النكس في المرض يقال أغفر للريض إذا نكس كأن النكس غطى العافية ، النوء الرابع (الزبانان) وهما كوكبان متعرقان وهما قرنا العقرب ، وقيل يداها ، وسميا زبائين لبعده كل واحد منهما عن صاحبه من قولهم زينت كذا إذا دفسته لتبعده ، ومنه اشتقاق الزبانية لأنهم يدفعون أهل النار إليها ، النوء الخامس (الإكليل) وهو ثلاثة كواكب على رأس العقرب ولذلك سميت إكليلًا ، النوء السادس (القلب) وهو كواكب أحمر وقاد جعلوه للعقرب قلباً على معنى التشبيه ، النوء السابع (الشوالة) وهو كوكبان أحدهما أحق من الآخر ، وهما ذنب العقرب وذنب العقرب شائل أبداً فشبه به ، هذا قول بعضهم ، ومضهم يجعل الشوالة الإبرة التي في ذنب العقرب وهم أهل الحجاز فهو أصبح على مذهب من زعم أنهما كوكبان فقط .

الرابع الثاني : الصيف

أول أنوائه (النعائم) وهي ثمانية كواكب نيرة : أربعة منها في الجرة تسمى الواردة وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة ، وشبهت بالخشبات التي تكون على البئر تعلق بها البكرة والدلاء ، الثاني من الصيف (البليدة) وهي فرجة لطيفة لا شيء فيها لكن في جوارها كواكب تسمى القلادة ، وإنما قيل لذلك الفرجة بلدة تشبيهاً بالفرجة التي بين الحاجبين إذا لم يكونا مقرونين ، يقال منه رجل أبلد ، ويقال بل شبهت بالبلدة وهي باطن الراحة ، وقيل باطن ما بين السبابة والإبهام ، الثالث منه (سعد الداجج) وهما نجمان صغيران أحدهما مرتفع في الشمال معه كوكب آخر يقال له شاته^(١) التي تذيب^(٢) ، والآخر هابط في الجنوب ، اربع منه (سعد بلع) وهما كوكبان صغيران مستويان في الجرة شهما بقم مفتوح يريد أن

(١) قلت : ولذلك جعلوا الداجج صفة لسعد بخلاف سائر السعود فانها يضاف إليها ما بعدها كما قاله الزجاج في مقدمة ادب الكاتب .

يبتلع شيئاً ، وقيل إنما قيل له يُبْلَعُ لأنه كان قد بلع شاته وبلغ غير مصروف لأنه معدول عن بالغ مثل زُفْرٍ وَقُتْمٍ وسعد مضاف إليه . الخامس منه (سعد السعود) وهو كوكبان أحدهما أنور من الآخر سمي بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش به الحيوان من النبات . السادس منه (سعد الأخيصة) وهو كوكبان عن شمال الخباء ، والأخيصة أربعة كواكب واحد منها في وسطها يسمى الخباء لأنه على صورة الخباء ، وزعم ابن قتيبة أنه إنما سمي بذلك لطلوعه وقت انتشار الحيات والموام وخروج ما كان مخبئاً منها . السابع منه (فرغ الدلو الأعلى) وهو المقدم وبعضهم يسميه العرقوة العليا تشبيهاً بعرقوة الدلو ، وهو كوكبان متفرقان نيران ، وقيل له « الفرغ »^(١) لأنه تأتي به الأمطار العظيمة ، ويقال بل سمي بذلك لأنها مثل صليب الدلو الذي يفرغ منه الماء .

الرابع الثالث : الخريف

أول أنوائه (فرغ الدلو الأسفل) وصورته كوكبان مضبان بينهما بعد صالح يتبعان العرقوة العليا . ثم (الخوت) وهو كوكب أزهر نير في وسط السمكة مما يلي رأسها ويسمى قلب السمكة . ثم (الشرطان) وهو كوكبان متفرقان مع الشمال منهما كوكب دونه في القدر ، وسميا شرطين لأن سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله ، وكل من جعل لنفسه علامة فقد أشرطها ، ومنه سمي الشرط لأن لم علامات يعرفون بها . ثم (البطين) وهو ثلاثة كواكب طمس خفيات وهو بطن الحمل إلا أنه قد صغر . ثم (الثريا) وهي النجم ، وصورتها ستة كواكب متقاربة حتى تكاد تتلاصق ، وأكثر الناس يجعلها سبعة ، وقد جاء الشعر بالقولين جميعاً ، سميت بذلك لأن مطرها عنه تكون الثروة ، وكثرة العدد والغنى ، وهي تصغير ثرى ، ولم ينطق بها إلا مصفرة . ثم (الدبران) وهو كوكب وقاد على أثر نجوم

(١) لعله (الدلو) كما في العمدة .

سمى (الإص) وقيل له دبران لأنه دبر الثريا أى جاء خلفها ، ويقال له أيضاً الراعى والثالى والتابع والحادى على التشبيه . ثم (الحققة) سميت بهذا تشبيها بالدائرة التى تكون عند عقب الفارس فى جنب الفرس^(١) ، وصورتها ثلاثة أنجم صفار متقاربة كأثر رؤوس أصابع ثلاثة فى ثرى إذا جمعت الوسطى والسبابة والإبهام وهى رأس الجوزاء .

الربيع الرابع : الشتاء

وهو آخر أرباع السنة . أول أنوائه (المنعة) سميت بذلك لأنها كوكبان مقتربان كل واحد منهما منعطف على صاحبه من قولك هنمته إذا عطفك بعمقه على بعض ، واقتراهما فى الحجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة . الثانى (ذراع الأسد المقبوضة) وقيل لها مقبوضة لانقباضها عن سمت الذراع البسطة والمقبوضة كوكبان نيران^(٢) بينهما كواكب صفار تسمى الأظفار ، وأنواء الأسد أحمد الأنواء ولذلك ، كثر ذكرها فى الشعر بين العرب . قال الشاعر^(٣) :

يا مَنْ رأى عارضاً أسراً به بين ذراعين وجبهة الأسد^(٤)

والذراعان والجهة من المنازل ، فالذراعان أربعة كواكب كل كوكبين منها ذراع . قال أبو إسحق : ذراع الأسد المقبوضة كوكبان نيران بينهما كواكب صفار يقال لها الأظفار كأنها فى موضع مخالف الأسد فذلك قيل لها الأظفار ، وإنما قيل لها الذراع المقبوضة لأنها ليست على سمت الذراع الأخرى وهى مقبوضة عنها ، ونوؤها يكون لليلتين تمضيان من كانون الثانى يسقط الذراع فى القرب غدوة ، وتطلع البلدة والنسر الطائر فى المشرق غدوة ، وفيه يجمد الماء ، وبشتد

(١) اقول : وقال القلقشندي فى صبح الاعشى ج ٢ ص ١٥٧ : سميت بذلك تشبيها بدائرة تكون فى عنق الفرس (٢) وقال القلقشندي ج ٢ ص ١٥٨ : الذراع — كوكبان أحدهما نير والآخر مظلم بينهما قدر سوط فى رأى العين . . الخ (٣) هو الفردق (٤) العارض السحاب الذى يعترض الاذق ، واسر: أفرح وبروى اكفكفه أى مسح مرة بعد أخرى ، وبروى ارتفت له أى سهرت من أجله . والبيت من شواهد النحو — انظر الفصل ص ١٠٠

البرد ، والجبهة أربعة كواكب فيها عوج أحدها براق وهو النجاشي منها ، وإنما سميت الجبهة لأنها جبهة الأسد ونوؤها يكون لمشر تمضى من شباط ، تسقط الجبهة في المغرب غدوة ، ويطلع سعد السمود من المشرق غدوة ، وفيه تقع الجرة الثالثة ، ويتحرك أول العشب ، ويصوت الطير ، ويورق الشجر ، ويكون مطر جود ، ويسمى نوء الأسد لأنه يتصل بها كواكب في جبهة الأسد ؛ وخص الشاعر هاتين المنزلتين لأن السحاب الذى ينشأ بنوؤه من منازل الأسد يكون مطره غزيراً فذلك يسر به . قال الأعلم : وصف عارض سحاب اعترض بين نوء الذراع ونوء الجبهة ، وهما من أنواء الأسد ، وأنوؤه أحد الأنواء ، وذكر الترايعين والنوء إنما هو للذراع المقبوضة منهما لاشتراكهما في أعصاب الأسد ، ونظير هذا قوله تعالى (يخرج منها الأولو والمرجان) يريد من البحرين الملح والعذب ، وإنما يخرج الأولو من الملح لا منها . وقال شاعر من بني سعد :

وخيفاء ألقى الليث فيها ذراعه فمرت وسادت كل ماش ومضرم
تمشى بها الدرما تسحب قصبها كأن بطن خيلى ذات أونين متم
الخيفاء : روضة فيها رطب وبييس وهما لونان أخضر وأصفر . وكل لونين خيف ، وبه تسمى الفرس إذا كانت إحدى عيניה كحلاء والأخرى زرقاء ، وسمى الخيف خيفاً لأن فيه حجارة سوداً وبيضا . وقوله : « ألقى الليث فيها ذراعه » يقول : مطرت بنوء الذراع وهى ذراع الأسد فمرت الماشى ، أى صاحب الماشية ، وسادت المصرم الذى لا مال له لأن الماشى يرعى ماشيته ، والمصرم يتلف على ما يرى من حسننها وليس له ما يرعىها . وقوله « تمشى بها الدرما » يعنى الأرنب وإنما سميت الدرما لتقارب خطوها ، وذلك لأن الأرانب تدرم درماً تقارب خطوها وتحفيه لثلا يقص أثرها فيقال درما وكان يهنبى أن يقول دارمة . وقوله « تسحب قصبها » وهذا مثل ، والقصب اليمى مقصور والجمع أقصاب ، وإنما أراد بالقصب البطن بيمينه واستماره يقول : فالأرنب قد عظم

بطنها من أكل الكلاً وسمت فكاتها حبل ، والأونان المدلان ، يقول : كان عليها عدلين تلرّوج جنبها وانتفاخهما ، ويقال أون الحار وغيره إذا شرب حتى ينفخ جنباه ومتّم اسم قاعل من أتامت المرأة إذا وضعت اثنين في بطن فهي متّم ، والشعر في هذا الباب كثير ، الثالث من أنواء الشتاء (النثرة) وهي لطخة ضعيفة بين كوكبين ، وهي ما بين فم الأسد وأنفه ومن الإنسان فرجة ما بين الشاربين حبال وتمر الأنف ، وقيل إنما سميت نثرة لأنها كقطعة سحب نثرت الرابع (الطرف) وهو عينا الأسد وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة في مرأى العين . الخامسة (الجبهة) وهو كما سبق أربعة كواكب معوجة في البياض لها بريق وهي جهة الأسد عندهم . السادس (الزبّرة) وهو كوكبان نيران في زبرة الأسد وهي موضع الشعر في كتفيه ، ويقال لها الخراتان كأنهما كأنهما نقدا إلى جوف الأسد مشتق من انطرت وهو الثقب . وزعم قوم أنهم ما عجز الأسد ، والعيان يبطل ذلك كما قاله الزجاجي . السابع (العرّفة) وهو كوكب وقاد عده كواكب طمس ، سمي بذلك لانصراف البرد بسقوطه والحر بطلوعه . فهذه عدة المنازل وصفاتها وإنما أضيفت إلى القمر دون الشمس وحظهما فيها واحد لظهورهما معاً . وتسمى (نجوم الأخذ) لأن الأرض تأخذ منها بركات المطر ، وقيل لأخذ الشمس والقمر سمتها في سيرها .

أقسام الأنواء وأيامها لدى العرب

إعلم أن العرب قسمت المنازل بالنسبة إلى أنوائها إلى سبعة أقسام على غير الوجه الذي نقلناه عن أبي إسحق الزجاجي فيما سبق (القسم الأول من الأنواء البدرى) وهو تسعة وثلاثون يوماً من ثمانية أيام خلون من أيلول إلى سبعة عشر يوماً خلت من تشرين الأول ونوؤه على قول من يجعل الذوء سقوط الكوكب في القرب مع النداء سقوط فرغ الدلو المقدم والفرغ المؤخر والحوت (القسم

الثاني الوسمى) وهو اثنان وخمسون يوما ومبدؤه من سبعة عشر يوما خلت من تشرين الأول إلى تسعة أيام تمضي من كانون الأول ونوؤه سقوط الشرطين والبطين والثريا والدبران (القسم الثالث الولى) وهو مائة وثلاثون يوما ، ومبدؤه من تسعة أيام تمضي من كانون الأول إلى ثمانية عشر يوما تمضي من نيسان ونوؤه سقوط الهقمة والهنة والذراع والثقة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعماء والسمك (القسم الرابع الفمير والمد) وهما متداخلان وهما اثنان وخمسون يوما ، ومبدؤه من ثمانية عشر يوما من نيسان إلى تسعة أيام تمضي من حزيران ونوؤه سقوط النفر والزباني والإكليل والقلب (القسم الخامس البسرى) وهو ستة وعشرون يوما ، ومبدؤه تسعة أيام تمضي من حزيران إلى خمسة أيام تمضي من تموز وتسميه العامة النفاخ لأنه يكبر فيه البلح فيصير بسراً ، وكذلك الفواكه والسمك ونوؤه سقوط الشولة والنعام (القسم السادس يارب القيط) ويسمى أيضا رياح القيط الشديدة وهى السموم وتسميه العامة الطباخ لأنه يطبخ البسر الذى ينفخه البسرى فيصير رطباً ، وهو تسعة وثلاثون يوما ، ومبدؤه من خمسة أيام مضين من تموز إلى ثلاثة عشر يوماً خلت من آب ، ونوؤه سقوط البلدة وسعد بُلَع وسعد الذابح (القسم السابع إحراق الهوى) وهو ستة وعشرون يوماً من ثلاثة عشر يوماً من آب إلى ثمانية أيام من أيلول ، ونوؤه سقوط سعد السعد وسعد الأخبية .

البعد بين المنازل

إعلم أن البعد من الشّرطين إلى البُطَيْن اثنتا عشرة درجة ، ومن البطين إلى الثريا ثلاث عشرة درجة ، ومن الثريا إلى الدبران خمس عشرة درجة ، ومن الدبران إلى الهقمة أربع عشرة درجة ، ومن الهقمة إلى الهنة ست عشرة درجة ، ومن الهنة إلى الذراع كذلك ، ومن الذراع إلى الثقة ثلاث عشرة درجة ، ومن الطرف إلى الجبهة عشر درجات ، ومن الجبهة إلى الزبرة أربع عشرة درجة

من الزبرة إلى الصرفة ثلاث عشرة درجة ، ومن الصرفة إلى العواء ست عشرة درجة ، ومن العواء إلى السماك اثنتا عشرة درجة ، ومن السماك إلى الففر مثل ذلك ، ومن الففر إلى الزباني مثل ذلك أيضاً ، وتسمى هذه (متساوية الأبعاد) ومن الزباني إلى الإكليل أربع عشرة درجة ، ومن الإكليل إلى القلب خمس عشرة درجة ، ومن القلب إلى الشؤفة ست عشرة درجة ، ومن الشؤفة إلى النعائم عشرون درجة ، ومن النعائم إلى البلدة تسع درجات (وهي أوسط الأبعاد) ، ومن البلدة إلى سعد الفايح إحدى عشرة درجة ، ومن سعد الفايح إلى سعد بَلَعْ عشرة درجات ، ومن سعد بَلَعْ إلى سعد السعود مثل ذلك ، ومنه إلى سعد الأخبية مثل ذلك ، ومنه إلى القرغ المقدم مثل ذلك ، (وهذه الأربعة متساوية الأبعاد) ومنه إلى القرغ للآخر تسع عشرة درجة .

ما تعرفه العرب في طلوع المنازل والكواكب

قال ابن قتيبة في (كتاب الأنواء) يقول ساحم العرب (إذا طلع الشَّرطان) استوى الزمان ، وحضرت الأوطان ، ونهادى الجيران^(١) (إذا طلع البُطين) اقتضى الدين^(٢) ، وظهر الزين^(٣) ، واقتفى بالقطار والقين^(٤) (إذا طلع النجم) يعني الثريا فالخر في حزم^(٥) ، والعُشب في حطم ، والمانات في كدم^(٦) (إذا طلع الدبران) توقدت الحُرَّان^(٧) ، وكهرت النيران ، واستعرت اللبان ،

(١) يريد أنهم يرجعون عن البوادي إلى أوطانهم ومياهم لأن الفسدران بالبوادي حينئذ قد قلت والحرق قد رقت وكاد النبات يهيج بأقبال أوائل الحر، ونهادى الجيران يكون حينئذ لأنهم كانوا متفرقين في النجع ، وإذا رجعوا إلى مياهم اتقوا وتقاربوا فأهدى بعضهم إلى بعض . (٢) اقتضاؤهم الدين عند طلوع البطين ، لأنهم يرجعون عن البوادي إلى أوطانهم — وإذا طلع الشرطان — فينهادون ويتلاقون ولا يزالون كذلك (١٣) يوما حتى يطلع البطين فيطمئنون ويقتضى بعضهم بعضا ماله عليه من الدين . (٣) يريد أنهم عند التلاقى يتجملون بأحسن ما بقدرتهم عليه . (٤) القين : الحداد . واقتضاؤهم بالقطار والقين برهم بهما لحاجتهم إلى ابتياع الطيب من القطار ، واصلاح الحداد مارث من آلاتهم وامنعتهم (٥) يريد أنه حينئذ يهيج وينكسر . (٦) أى تنعاض (٧) الأرضون الصلبة واحدها حزيز وإنما توقدت لشدة وقع الشمس .

ويست الغدران ، ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان ^(١) (إذا طلعت الهقمة)
تقرض الناس للقمة ، ورجسوا عن النجسة ^(٢) ، وأردفتها الهمة ^(٣) (إذا طلعت
الجوزاء) توقدت للمزءاء ^(٤) ، وكنتت الظباء ^(٥) ، وعرفت العلباء ^(٦) ، وطاب
الخباء ^(٧) (إذا طلعت العذاة) لم يبق بعمان بسرة ^(٨) ، إلا رطبة أو تمر (إذا
طلع القراع) حسرت الشمس القناع ^(٩) ، وأشعلت في الأفق الشعاع ، وترقرق السراب
بكل قاع ^(١٠) ، (إذا طلعت الشعرى) نشف للثرى ، وأجن الصرى ؛ وجعل صاحب
النخل يرى ^(١١) (إذا طلعت النثرة) قنأ البسرة ، وجنى النخل بكرة ^(١٢) ، وأوت اللواشى
حجرة ^(١٣) ولم تترك في ذات در قطرة (إذا طلعت الطرفة) بكرت الخرفة ، وكثرت الطرفة ،
وهانت الضيف الكلفة ^(١٤) (إذا طلعت الجبهة) تحانت الولهة ، وتنازت السفهة ، وقلت في
الأرض الرفهة ^(١٥) ، (إذا طلعت الصرفة) احتال كل ذي حرفة ^(١٦) ، وجفر كل ذي نلفة ^(١٧)

(١) ذلك لانهم لا يخافون بردا ولا مطرا (٢) قال المجد النجعة بالضم طلب
الكلا في موضعه (٣) أى مع طلوعها يرجع الناس الى مياههم .
(٤) الأرض الصلبة تتوقد بحر الشمس (٥) يريد أنها تدخل الكتس في
شدة الحر ، واحداها كناس وهو مستترة في الشجر (٦) يريد العلباوين في
الصق (٧) لأنه يكن في الحر (٨) عمان كغراب بلدة باليمن شديدة الحر ،
فإذا بسر النخل بالبره صرم بعمان (٩) أى كشفت القناع . يريد اشتداد
حرارتها (١٠) ترقرق : تحرك ، والسراب : ما تراه نصف النهار كأنه ماء ،
والقاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والأكام (١١) يريد نعيم
الماء المجتمع في الغدران والمناقع لشدة الحرارة وانقطاع المزارع عنه وتبين
لصاحب النخل ثمره لأنه حينئذ يكثر (١٢) يريد اشتدت حمرة البسرة
حتى كادت تسود وذلك أول وقت الصرام فيجنى النخل بكرة لأنه في ذلك
الوقت بارد ببرد الليل (١٣) أى ناحية منهم لحاجتهم الى البانها وانما يحلبونها
في هذا الوقت ويستقصون ما في ضروعها لانهم هموا فيه بفصال الاولاد فلا
يقون في الضرور لها شيئا لتثال من الرعى وتسلو عن الامهات (١٤) يريد ان
خرقة التمر تبكر في وقت طلوعه ، وتكثر الطرفة عندهم ، وهون الكلفة للضيف
لكثرة التمر في ذلك الوقت وكثرة اللبن الذى يستقصونه من الضرور لفصال
الاولاد عن الامهات (١٥) وانما تحانت الولهة لان اولادها قد ميرت عنها
وفصلت ، فسمع حين الامهات ، ويكثر أيضا عند الفصال الموت في الاولاد
والامهات تحن ، وتنازع السفهة لانهم في خصب من اللبن والتمر فيبطرون ،
واذا تنازت السفهة قلت الرفهة أى الرحمة واحتاجوا الى حفظ اموالهم وجمع
موانسهم ونعمهم خوف الفاقة (١٦) يريد ان الشتاء قد أقبل وكل ذي حيلة
يضطرب ويحتال للشتاء ما يصلحه فيه ، وكانت العرب تقول (من غلى دماغه
في الصيف غلت قدره في الشتاء) (١٧) يريد عدل عن الضراب في هذا الوقت
لان المخاض فيه وهى الحوامل من الابل قد ظهر بها الحمل وعظمت بطونها
فليس يدنو منها الفحل .

وامتاز عن المياه زلفة^(١) (إذا طلع العواء) ضرب الخباء ، وطاب الهواء ، وكره العراء^(٢) وشن السقاء^(٣) (إذا طلع السماء) ذهب السكاك^(٤) ، وقل عن الماء السكاك^(٥) (إذا طلع الفجر) اقشع السفر^(٦) ، وتزيل النضر^(٧) ، وحسن في العين الجمر (إذا طلع الزباني) أحدثت لكل ذى عيال شأنا ، ولكل ماشية هوانا وقالوا كان وكانا ، فاجمع لأهلك ولا توائى^(٨) (إذا طلع الأكليل) هاجت القحول ، وشمرت الذبول ، ونخوف السيول (إذا طلع القلب) جاء الشتاء كالكلب ، وصار أهل البوادي في كرب ، ولم تمكن الفحل إلا ذات ثرب^(٩) (إذا طلعت الشولة) أعجلت الشيخ البولة ، واشتدت على العائل العولة^(١٠) وقيل شتوة زولة^(١١) (إذا طلعت القرب) جَمَسَ المذنب^(١٢) وقرب الأشبب ، ومات الجندب^(١٣) ولم يصر الأخطب^(١٤) (إذا طلعت النعام) ثوسفت البهائم^(١٥) وخلص البرد إلى كل نائم ، وتلاقت الرعاء بالنائم^(١٦) (إذا طلعت البلدة) حمت الجعدة^(١٧) وأكلت القشدة^(١٨) وقيل للبرد : إهذه^(١٩) (إذا طلع سعد الداجح) حى أهله النابج^(٢٠) ونفع أهله الرامح^(٢١) وأصبح السارح^(٢٢)

(١) يريد أنهم يخرجون متبدلين ويفارقون المياه التي كانوا عليها لطلب الكلا والانتجاع (٢) لأن البرد حينئذ بالليل يؤذى ويكره العراء يريد النوم في الصحارى الباردة (٣) أى يبس لأنهم قد اقلوا استقاء الماء فيه .
(٤) المكاك : الحر يريد أنه لا يبقى منه شيء عند طلوعه (٥) يريد الازدحام عليه لقلة شرب الأيسل في ذلك الوقت (٦) المسافرين (٧) يريد ذهاب النضارة عن الأرض والشجر بتغيير الكلا والورق (٨) يريد أن البرد قد هجم فشغل صاحب العيال وأبتل صاحب المنسية نفسه في تتبع مصالحها ، وأنهم أكثروا الحديث والقول (٩) يريد ذات سمن وشحم لأنها أحصل للبرد من الهزيلة فهي تقدمها (١٠) الحاجة (١١) عجيبة (١٢) جمد الماء في مذائب الأودية (١٣) الجراد (١٤) الشقراق أو الصرد ، والصر : الصياح .
(١٥) أى تشعثت وتغيرت (١٦) لأنهم حينئذ يفرغون ولا يشغلهم رعى فيتلانون ويدس بعضهم إلى بعض أخبار الناس (١٧) الجعدة : نبت ، يريد طلعت فاختضرت الأرض لها ، وحجم وجه الغلام إذا بقل ، وحجم الرأس إذا اسود بعد الحلق من غير أن يطول (١٨) هى الزيدة الرقيقة ، وتعرف عندنا بالعراق باسم (الكشوة) بالكاف الفارسية ، ولا شك أنها محرفة عن القشدة يريدان الزيد عندهم في ذلك الوقت يكثر (١٩) أى يقال « اهدا عنا » لشدة ما يقاسون منه (٢٠) يريد : الكلب يلزم حينئذ أهله فلا يفارقهم لشدة البرد وكثرة اللبن فهو يحميمهم وينبع دونهم (٢١) أى أنهم يأتهم بالخطب إذا راح فينفعهم بذلك (٢٢) أى لم يكر بماشيته لشدة البرد .

وظهر في الحى الأنافع ^(١) (اذا طلع سعد بُلَع) اقتم الربيع ^(٢) ولحق المبع ^(٣)
وصيد المَرَع ^(٤) وصار في الأرض لمع ^(٥) (اذا طلع سعد السمود) نضر العود ^(٦)
ولانت الجلود ^(٧) وكره في الشمس القعود (اذا طلع سعد الأخبية) دهنت
الأسقية ^(٨) ونزلت الأحوية ^(٩) وتجاوزت الأبنية (اذا طلع الدلو ^(١٠)) هيب
الجذو ^(١١) وأنسل الغفو ^(١٢) وطلب اللهو الخلو ^(١٣) (اذا طلعت السمكة) أمكنت
الحركة - وتعلقت بالثوب الحسكة ^(١٤) ونصبت الشبكة ^(١٥) وطلب الزمان للنسكة ^(١٦)
ولم غير ذلك من الأسجاع في سائر الكواكب وأنوائها ؛ واستيعابها فيما أعد
لها من الكتب .

الطالع والغارب من المنازل والربيع منها

إعلم أن المنازل كلها كانت ثمانية وعشرين كانت ثلاثة عشر منها ظاهرة

- (١) جمع انفحة بكسر الهمزة وهى شئ يسخرج من بطن الجدى الرضيع اصفر فيعصر في صوفه مبتلة في اللبن فيقلظ كالجين (٢) الربع كسر : الفصل ينتج في الربيع وهو اول النتائج ، يريد انه يقوى في مشيه ويسرع فلا يضبط (٣) اى ان المبع ايضا قد نوى شيئا فهو بلحقه ، وهو : ما نتج في اول النتائج وهو ضعيف ، وانما سمي هيبا لانه اذا مشى خلف أمه هيب اى مد عنقه فيستعين بعنقه لضعفه (٤) جمع مرعة كهمة وغرفة وهو طائر يشبه الدراج ، كانه في هذا الوقت يقطع (٥) اى قطع من الكلا (٦) يريد ان الماء قد جرى فيه قبل ذلك فصار ناضرا فضا .
- (٧) وانما لانت بذهاب يس النساء وقحله (٨) وانما تدهن الاسقية لانها في الشتاء قد يمس وتشتت لتحركهم الاستقاء فيها فتدهن في هذا الوقت عند الحاجة اليها (٩) جمع حواء وهى جماعات بيوت الناس ، والحلال مثلها وهى تكون من وبر وشعر كأنهم في هذا الوقت ينتقلون من منسماهم وتجاوزون (١٠) جمع الساجع في سجمعه القول للفرغين جميعا بذكره « الداو »
- (١١) يريد ان الرطب جف وخيف ان لا تكتفى به الا بل من الماء (١٢) اى سقط نسله أو حان ان يسقط وهو وبره الذى يستجد مكانه كل سنة ، والغفو : ولد الحمام (١٣) يريد طلب التزويج ، واللهو : الراد . وهو النكاح . قال الله تعالى (لو اردنا ان نتخذ لها لاتخذنا من لدنا) اى لو اردنا صاحبة لاتخذنا ذلك عندنا ولم نتخذ عندكم لو كنا فاعلين ، وانما يطلب الخلو التزويج في هذا الوقت لانه قد خرج من ضيق الشتاء وشدهته ، وأمكنه التصرف وابتغاء الرزق فطلب التزويج (١٤) يريد شوكة السعدان . يعنى ان النبات قد اشتد وقوى فتعلقت الحسكة بالثوب وغيره (١٥) لان الطيور حينئذ تسقط في الرياض وتصوت (١٦) يعنى للنسك التقليل الذين يسبحون في الارض ولا يباليون كيف أخذوا ولا يناذون بحر ولا برد .

في الأفق الأعلى ، وثلاثة عشر في الأفق الأسفل ، والطارق في حكم الطالع ، والشارب في حكم الغروب ، فإذا عرفت الطالع كان رقيه الخامس عشر . وإنما سمي الغارب رقيقاً تشبيهاً له برقيق برصده يسقط من المغرب إذا ظهر ذلك من المشرق ، والطارق والشارب كما يبدآن لأهل الأفق الأعلى كذلك يبدآن لأهل الأفق الأسفل ، وبقيّة الثلاثة عشر الظاهرة واحد منها متوسط في وسط السماء ، وستة منها إلى جهة المشرق ، وستة إلى المغرب ، وكذلك الثلاثة عشر السفلية ، فإذا غربت منزلة طلعت من المشرق أخرى فيتوسط ما بعد المتوسط في العدد ، وهما كان الطالع فالخامس عشر منه الغارب ، والثامن منه متوسط .

بروج الفلك العرشية عشر

قسم العرب الفلك إلى اثني عشر قسماً وسوا كل قسم برجاً ، وهي : الحملُ والنور والجوزاء (ويسمى القوامين) والسرطان والأسد والسنبلة (وتسمى العذراء أيضاً) وهذه البروج الست شمالية ، والميزان والمقرب والقوس (ويسمى الراي أيضاً) والجدي والدلو (ويسمى ساكب الماء والدالي أيضاً) والحوت (ويسمى السمكتين أيضاً) وهذه الست جنوبية ، وجعلوا كل ثلاثة منها لفصل من فصول السنة الأربعة . ونظم بعضهم هذه البروج على الترتيب للمعتبر عندهم فقال :

حَمَلُ النُّورِ جَوْزَةُ السَّرَطَانِ ورعى الليث سُنْبُلُ المِيزَانِ
ورعى عقرب بقوس هديا نزلت دلوها بركة الحيتان^(١)
وهذه الأسامي المذكورة مأخوذة من صور توهمت على المنطقة من كواكب ثابتة تنظمها خطوط موهومة وقت التسمية في تلك الأقسام (فللحمل) ثلاثة عشر كوكباً على صورة كبش ذي قرنين مقدّمه إلى المغرب ومؤخره إلى

(١) كذا والرواية الصحيحة :

وزنوا عقرباً وقوساً بجدي ومن الدلو مشرب الحيتان
(١٦ — ناك)

المشرق وظهره إلى الشمال ورجلاه في الجنوب وقد التفّت إلى خلفه (وللثور)
اثنان وثلاثون كوكباً على صورة مقدم نور مقطوع من سرتة وقد نكس رأسه ،
مقدمه إلى المشرق ومؤخره إلى المغرب ، ومن كواكبه الثريا والدبران (وللتوأمن)
ثمانية عشر على صورة صبيين عريانين ممتنقين في جوز السماء (أى وسطها)
رأسهما في الشمال والمشرق أى فيما بينهما ، وأرجلها إلى المغرب والجنوب
(وللسرطان) تسعة كواكب على صورته مقدمه إلى المشرق والشمال ومؤخره
إلى المغرب والجنوب (وللأسد) سبعة وعشرون على صورته وجهه إلى المغرب
وظهره إلى الشمال والنير الذي هو فيها هو قلب الأسد ، ومنها الهلبة وهى كواكب
مجمعة متكاثفة من جملة الضفيرة (وللمذراء) ستة وعشرون كوكباً على صورة
جارية ذات جناحين أرسلت ذيلها ، رأسها إلى المغرب والشمال ، وقدمها إلى
المشرق والجنوب ، ويدها اليسرى مسبلة مع جنبها ، واليمنى مرفوعة حدّو منكبيها
وقد قبضت بها سنبلة والتسير الذى على كفها اليسرى هو السماك الأعزل
(وللميزان) ثمانية على صورة ميزان كفتاه نحو المغرب ، وعموده نحو المشرق
(وللمعرب) أحد وعشرون على صورتها ، رأسها إلى الشمال ، وحمّتها^(١) نحو
الجنوب والمشرق ، والأحر الذى فيه هو قلب المعرب (وللراى) أحد وثلاثون
كوكباً على صورة كأنها جسد دابة إلى العنق وهو فى المشرق ثم يخرج من مغرز
العنق نصف رجل من عند الحَقْوِ^(٢) عليه عمامة ذات ذوائب ، وقد وضع السهم
في قوسه ، وأغرق في النزع نحو المغرب (وللجذى) ثمانية وعشرون كوكباً على
صورة النصف المقدم من جذى ذى قرنين رأسه ويدها نحو المغرب وظهره إلى
الشمال والباقي كؤخر سمكة إلى ذنبها (ولساكب الماء) اثنان وأربعون كوكباً
على صورة رجل قائم ، رأسه في الشمال ورجلاه في الجنوب متوجه إلى المشرق مادّ

(١) الحمة على وزن ثبة : الابرة التى تضرب بها المعرب

(٢) بالفتح ويكسر : الكشح أو الازلر أو معقده .

اليدين بإحدهما كوز قد قلبه وانصب الماء إلى مقام رجله وجرى من تحتها إلى فم الحوت (والسمكتين) أربعة وثلاثون على صورة سمكتين قد وصل ذنب أحدهما بذنب الأخرى بخيط طويل من كواكب على ترميز يسمى خيط الكتان إحداها وهي المتقدمة رأسها إلى المغرب وذنبها إلى المشرق ، ورأس الأخرى إلى الشمال وذنبها إلى الجنوب ، ولا يذهب عليك أن هذه الكواكب عند البروج متحركة بحركة الفلك الثامن فلا محالة تنقل هذه الصور عن مواضعها في تلك الأقسام ، والله تعالى أعلم .

فصول الستة على مذهب العرب ، ومالهم فيها من الاختلاف

إعلم أن العرب قسموا السنة إلى أربعة أجزاء (جعلوا الجزء الأول الصيفي) سموا مطره الوسمي ، وأوله عندهم سقوط عرقوة الدلو السفلى ، وآخره سقوط الممقة (وجعلوا الجزء الثاني الشتاء) وأوله عندهم سقوط الممقة ، وآخره سقوط الصيفي (وجعلوا الجزء الثالث الصيفي) وأوله عندهم سقوط العواء ، وآخره سقوط الشولة (وجعلوا الجزء الرابع القيظ) وسموا مطره الخريف ، وأوله عندهم سقوط النعائم ، وآخره سقوط عرقوة الدلو العليا ، كذا في كتاب (درالآل) وقال ابن قتيبة في باب ما يضعه الناس في غير موضعه وهو أول كتابه (أدب الكاتب) : ومن ذلك الربيع يذهب الناس إلى أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورد والتوزر ، ولا يعرفون الربيع غيره ، والعرب تختلف في ذلك ، فبعضهم يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده ، ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ، ثم فصل القيظ بعده وهو الذي تدعوه العامة الصيف ، ومن العرب من يسمى الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الأول ، ويسمى الفصل الذي يتلو الشتاء ويأتي فيه السكاكة والنور الربيع الثاني ؛ وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع

قال شارحه ابن السيد : مذهب العامة في الربيع هو مذهب المتقدمين ، لأنهم كانوا يجعلون حلول الشمس برأس الحمل أول الزمان وشبابه ، وأما العرب فإنهم جعلوا حلول الشمس برأس الميزان أول فصول السنة الأربعة ، وسموه الربيع . وأما حلول الشمس برأس الحمل فكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم ربيعان ، وكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم ربيع واحد ، وأما الرّيعان من المشهور فلا خلاف بينهم أنها اثنان ربيع الأول وربيع الآخر .

وقال المرزبانى في كتاب صنفه في الأنواء أتى فيه بفوائد كثيرة مقداره مائة وعشرون كراسة : ومن العرب من يقسم السنة نصفين ويبدأ بالشتاء لأنه ذكر ، والصيف أتى ، قال : وإنما جعلوه أتى لأن النبات يظهر فيه ، ثم يقسم الشتاء نصفين ، فيجعل الشتاء أوله ، والربيع آخره ، ويقسم الصيف نصفين فيجعل الصيف أوله ، والخريف آخره ، وفي بعض التعاليق أن من العرب من يجعل للسنة ستة أزمنة (الأول الوسمى) وحصته من السنة شهران ، ومن النجوم أربعة أنجم ، أولها العواء (الزمن الثانى الشتاء) وحصته من السنة شهران ، ومن النجوم أربعة وثلاثا أنجم (الزمن الثالث الربيع) وحصته شهران ، ومن النجوم أربعة وثلاثا أنجم (الزمن الرابع الصيف) وحصته شهران ، ومن النجوم أربعة وثلاثا أنجم (الخامس الحميم) وحصته شهران ، وأربعة أنجم وثلاثا أنجم (السادس الخريف) وحصته شهران وأربعة أنجم وثلاثا أنجم . والذى عليه الغالب من العرب أن الفصول أربعة وهى المشهورة بين الناس وأن لكل فصل من فصول السنة سبعة منازل فللربيع من الشرطين إلى القدر ، وللصيف من النثرة إلى السماء ، وللخريف من القفر إلى البلدة ، وللشتاء من سعد القابح إلى الرشا ، والأوائل من الأطلها وإن كانوا يقسمون السنة على أربعة أقسام إلا أنهم يجعلون الصيف والشتاء أطول زماناً من الربيع والخريف ، فيجعلون للشتاء أربعة أشهر ، وللصيف كذلك ، وللربيع

والخريف أربعة أشهر لكل شهران ، لكونهما متوسطين بين الحر والبرد فكانت
وصلتان بين الشتاء والصيف ، وقد أعرضنا عما يستشهد به من الشعر لكل مذهب
لتلا بطول الكلام .

الجرات وسقوطها ، وهل هي كواكب أم لا ؟

قال بعض من تكلم في الأنواء : إن بعض الأعراب كانوا إذا اشتد عليهم
البرد دخلوا مزارات في الجبال واسعة ، وأدخلوا معهم أغنامهم ومواشيهم من الإبل
والبقر والغنم ونحو ذلك ، وخصوا لهم موضعاً ، وللأغنام موضعاً ، ولنحو البقر
موضعاً ، وأوقدوا لكل ناراً دفعاً لِسَوْرَةِ البرد ^(١) ، فإذا أحسوا بتصرمه أطفأوا
ناراً فناراً إلى أن يطفئوا الثلاث ، فصبوا عن ذلك بسقوط الجرات ، وعن إطفاء
كل نار بسقوط جرة ، ونحوه ما قيل إن ملوك النمل ونحوهم من سكان البلاد
كانوا إذا اشتد البرد وأوقدوا في مجامعهم ثلاث مجامر ، فإذا أحسوا بتصرمه
رفعوها واحدة فواحدة ، فصبوا عن ذلك بما ذكر ، وشاع استعماله فيما بين الناس
غير أولئك الفريقين كناية عن انكسار سَوْرَةِ البرد في الماء والهواء والتراب
وعندى أن هذا الوجه في غاية البعد فإن اللفظ من اللنة العربية وعوائد النمل لم
تكن مهبولة للعرب يومئذ ! ورأيت لبعض المحققين في ذلك وهو الحرى بالإحصاء
إليه أن الجرات عبارة عن كواكب ثلاثة : رأس الحية وهو كوكب من كواكب
الطرف ، والذراع الشامي وهو كوكب من كواكب الهنئة ، وقلب الأسد وهو
كوكب من كواكب الجبهة ، وسميت بالجرات لتوقدها وضربها إلى الحرة ،
وسقوطها ميلها للغروب ، وقد جرت عادة الله تعالى بظهور أثر الحرارة في الماء
عند سقوط رأس الحية في النداء سابع شباط وميله للغروب في ذلك الوقت ،
وبظهور أثرها في الهواء عند سقوط الذراع الشامي في النداء أيضا في رابع عشرة ،

(١) أى شدته .

ويظهره في التراب عند سقوط قلب الأسد في ذلك الوقت في الواحد والعشرين منه ، ولهذا المناسبة قالوا للأولى : جرة الماء ، ولثانية جرة الهواء ، ولثالثة : جرة التراب ، وربما وقع في التقاليم في الترتيب سقوط جرة الماء ، ثم سقوط جرة التراب ، ثم سقوط جرة الهواء ، وفي بعضها سقوط جرة الهواء ، ثم سقوط جرة الماء ، ثم سقوط جرة التراب ، فكل ذلك بناء على الاختلاف في ترتيب ظهور الآثار ، وفي تقييد السقوط بقوله بالصداء اندفع إشكال لا يخفى على من يعرف الطالع والثارب ، وذلك إذا أريد بالصداء ما يعم وقت طلوع الشمس وما بعده إلى الزوال ، وقد يقال الأسر أيضاً سهل إذا أريد بها وقت الطلوع بناء على أن قلب الأسد مثلاً في الدرجة الرابعة والعشرين من برجه ، وأنهم يبنون الأمر على الترتيب كما لا يخفى على من راجع كتب الأحكام ، من ذوى الأفهام ، وفي كتب الأنواء زيادة تفصيل لمثل هذه المطالب .

تخايل العرب في أنواء

لما كانت العرب أيام جاهليتهم في ضنك من العيش ، وكلف من الحاجة ، وشدة من العوز ، ألحوا في تنبع مواقع القطر وأوغلوا في بطون الأودية ، وجابوا منابت الشجر ، سداً لقم حوائجهم ، وارتداداً لما يقوم بمؤنهم ، ويصلح لعلف دوابهم ، ومراعى إبلهم ، وسائر مواشيهم ، وكانت دارهم كثيرة القحط ، قليلة الأنهار والعيون ، فامتدت أعناقهم نحو السماء لمطالعة علائم الظفر بمقصودهم ومطلوبهم ، فكانت لهم تخايل لصوائد الأنواء لا تكذب ، فعرفوا السحاب المطر من غيره ، وميزوا البرق الخليل^(١) عما سواه ، ووصفوا الفيث والمطر بأقسامه ، ووقفوا على الرياح وخواصها ، وأدركوا ما يعقبها من الحوادث من غير استناد إلى آلة حدثت بدمم بدة قرون ، بل فهموا ذلك من علائم ظهرت لهم ، وقد استوى في معرفتها صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، ولذلك شواهد في

(١) المطعم الخلف .

منظوم كلامهم ومنثوره توقف الناظرين إليها في موقف الحيرة ، لما كان عليه القوم من فصاحة للنطق ، وذرب اللسان وحلاوة التعبير ، وسعة نطاق البيان ، بيد أنى أورد من ذلك غالب ما ذكره الإمام أبى بكر محمد بن الحسن الشهير بابن دريد الأزدي في كتاب (المطر والسحاب) محيلاً شرح الألفاظ إلى ذلك الكتاب روماً للاختصار ، وهو كتاب جليل جمع فيه ما ذكرته العرب في جاهليتها وإسلامها من وصف المطر والسحاب ، وما نعتته العرب الرواد من البقاع مع الشرح المبسوط لألفاظه (روى أبو بكر بن دريد بسنده) قال : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابة ، فقالوا يا رسول الله : هذه سحابة ! قال : كيف ترون قواعدها^(١) ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد تمكُنْها ! قال : وكيف ترون رَحَاهَا^(٢) ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد استدارتها . قال : وكيف ترون بواسِقَهَا^(٣) ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد استقامتها ! قال : وكيف ترون بَرَقَهَا أَوْ مِيْضًا ، أم خَفِيًّا^(٤) ، أم يَشُقُّ شَقًّا ؟ قالوا : بل يَشُقُّ شَقًّا . قال : وكيف ترون جَوْنَهَا^(٥) ؟ قالوا : ما أحسنه وأشد سوادَهُ ! فقال : الْحَبِيَّةُ^(٦) . فقالوا : يا رسول الله ما رأينا القى هو منك أفصح ! قال : وما يمتنعى من ذلك فإنما أنزل القرآن بلسانى بلسان هريرٍ مُبِين .

وروى بسنده عن الأصمى . قال : خرج معقر بن حماد البارقي ذات يوم وقد كف بصره وابنته تقوده فسمع رعداً ، فقال لابنته : ما ترين ؟ قالت : أراها حماء عفاقة^(٧) ، كأنها حواء ناقة^(٨) ، لها سِرْوَانٌ وصدرُ دان . فقال : مرى فلا بأس عليك ؟ ثم سمع رعداً آخر فقال : ما ترين ؟ قالت : أراها كأنها لحْمٌ شَت :

(١) أسافلها واحدها قاعدة (٢) وسطها ومعظمها وكذلك رعى الحرب . ومعظمها حيث استدار القوم (٣) ما علا منها وارتفع وكل شيء ارتفع وطال فقد بسق (٤) الوميض : اللمع الخفى ، والخفو : البرق الضعيف ، وقال ابو عمرو : خفى البرق خفياً اذا برق برقاً ضعيفاً (٥) أسودها ، والجون من الأضداد يكون الأسود ويكون الأبيض (٦) الفيت والخصب (٧) الحماء : السوداء تضرب الى الحمرة ، والعفاقة : التى تمت بالبرق . تريد ان البرق ينشق عفاق (٨) الحولاء : جلدة رقيقة تقع مع سيلان الناقة كأنها مرآة .

منه مسيك ومنه منهرت^(١) . قال : وأبلى^(٢) الجئى بى إلى جانب قفلة^(٣) فإنها لا تنبت إلا بمنجاة من السيل .

وروى بسنده إلى عم الأسمى . قال : سئل أعرابي عن مطر فقال : استقل^(٤) سد^(٥) مع انتشار الطفل^(٦) ، فشصا وأحزال^(٧) ، ثم اكفهرت أرجاؤه^(٨) ، وأحمومت أرحاؤه^(٩) ، وأبذعرت قوارفه^(١٠) ، ونضاحت بوارفه^(١١) واستطار واديه^(١٢) ، وارتفت جوبه^(١٣) ، وارتعن هيدبه^(١٤) ، وحسكت أخلافه^(١٥) واستقلت أردافه^(١٦) ، وانتشرت أكنافه^(١٧) ، فالعد مرعيس^(١٨) ، والبرق مخفلس^(١٩) ، والماء منبجس^(٢٠) ، فأنزع الغدر^(٢١) ، وأنبت الوجر^(٢٢) ، وخط الأوعال بالأجال^(٢٣) ، وقرن الصيران بالزئال^(٢٤) ، فلاودية هدير^(٢٥) ، وللشراج خير^(٢٦) ، وللتلاع زفير^(٢٧) ، وخط النبع والعم^(٢٨) ، من القل

(١) تريد : لحم مسترخ قد اتن فبعضه متماسك وبعضه متساقط
(٢) بادري (٣) ضرب من الشجر : (٤) استقل : ارتفع في الهواء ، والسد : السحاب الذى يسد الأفق ، والطفل : اختلاط الظلام بعد غروب الشمس .
(٥) شصا : ارتفع بمعنى السحاب ، وأحزال : انتصب (٦) اكفهر : تراكم ، وغلظ ، وأرجاؤه : نواحيه واحدها رجا مقصور (٧) احمومت : اسودت ، وأرحاؤه : نواحيه واحدها رجا مقصور (٨) أبذعرت : تفرقت ، والفوارق جمع فارق وهو السحاب الذى ينقطع من معظم السحاب ، وهذا مثل وأصله في الأبل ، يقال : ناقة فارق وهى التى تزد من الأبل عند نتاجها حيث لا ترى فتنج (٩) شبه أعنان البرق بالضحك (١٠) استطار انتشر ، والواقد : الذى يكون فيه الودق وهو المطر العظيم القطر (١١) التامت فرجه (١٢) ارتعن : استرخى ، والهدب : الذى يتدلى ويدنو من الأرض مثل هذب القطيفة (١٣) هذا مثل ، يقال : حشك ضرع الناقة إذا امتلأ لبنا ، والأخلاف جمع خلف وهو الضرع الناقة خاصة (١٤) مآخيره (١٥) نواحيه (١٦) مصوت (١٧) كأنه يختلس البصر لشدة إمانه (١٨) منصب (١٩) أى ملاءها والغدر جمع غدبر وهو القطعة من الماء بغادرها السيل (٢٠) أى أخرج نبينتها وهو تراب البئر والقبر . يريد أن هذا المطر لشدة هدم الوجر (وهو جمع وجار وهو سرب الثعلب والضبوع) حتى أخرج ماداخلها من التراب (٢١) الأوعال : التيوس الجبلية ، والأجل : جمع أجل وهو القطيع من البقر . يريد أنه لشدة خط الوعدول وهو تسكن الجبال ، والبقر وهو تسكن القيعان والرمال فجمع بينهما .
(٢٢) الصيران : جمع صوار وصيلر أيضا وهو القطيع من البقر ، والزئال : فراخ النعام واحدها زئال مهموز (٢٣) صوت كهدير الأبل لكنزة السيل .
(٢٤) الشراج : مجارى الماء من الحرار الى السهولة ، والخبر : صوت الماء (٢٥) النلاع : مجارى ما ارتفع الى بطن الوادى و « لها زفير » أى تنفر بالماء لقرط امتلائها (٢٦) النبع : شجر يتخذ منه القسي ينبت في الجبال ، والعم : الزيتون الجبلى .

الشم^(١) ، إلى القيعان الصخيم^(٢) ، فلم يبق في القتل إلا مضمم مجزئ^(٣) ،
أو داحص مجزئ^(٤) وذلك من فضل رب العالمين ، على عباده الجرمين .

(وروى بسنده عن الأصمعي) قال : سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة
عن مطر صاب^(٥) بلادهم ، فقال : نشأ عارضا^(٦) ، فطلع^(٧) ناهضا ، ثم ابتسم
وامضا^(٨) . فأعس في الأفطار فأسحاها^(٩) ، وامتد في الآفاق فغطاها ، ثم
ارتجز فومهم^(١٠) ثم دوى فأظلم ، فأرك ووث^(١١) ، وبش وطش^(١٢) ، ثم
قطقط^(١٣) فأفرط . ثم ديم فأغط^(١٤) ، ثم ركذ فأنجم^(١٥) ، ثم وبيل فسجم^(١٦)
وجاد فأنتم^(١٧) . فقس الرئي^(١٨) ، وأفرط الرئي^(١٩) ، سبعا تباعا ، ما يزيد
انقشعا ، حتى إذا ارتوت^(٢٠) الحزون^(٢١) ، وتضخضت للتون^(٢٢) ، ساقه
ربك إلى حيث شاء كما جلبه من حيث شاء .

(وروى بسنده عن عبد الرحمن عن عمه) قال : سئل رجل من العرب عن
مطر كان بعد جذب ، فقال : نشأ حملاً سداً^(٢٣) . متقاذف الأحضان^(٢٤) .

(١) القاتل : أعالي الجبال ، والشم : المرفعة (٢) القيعان : جمع قاع وهي
الأرض الطيبة اللين الحرة ، والصخم : التي نعلوها حمرة واحدها اصخم .
(٣) المضمم : الذي قد تمسك بالجبال وامتنع فيها ، والمجزئ : المنقبض
(٤) الداحص : الذي يفحص برجليه عند المارت ، والمجرجم : الصروع
(٥) أي جاد والصوب المطر الجود (٦) العارض : السحاب يعرض في أفق
السما (٧) أي ارتفع (٨) أي لامعا لمانا خفيا كالتيسم (٩) قوله «فأسحاها» أي فملأها
لعمل صوابه «ففسس» أي دنا من الأرض في الإفطار ، «فأسحاها» أي فملأها
(١٠) ارتجز الرعد : صات ، والسحاب تحرك بطيئا لكثرة قطراته ، وهمهم
الرعد : إذا سمع له صوت كهمة الأسد (١١) أرك : جاء بالرك وهو المطر
الليل أو هو فوق الدث (١٢) البمش : المطر الضعيف ، والطش : فوق البمش
(١٣) أي تتابع قطره (١٤) ديم : مطر ديمة والديمة مطر يبقى أياما لا يقطع ،
وأغطط : دام (١٥) ركذ : دام ، وأنجم : أقام (١٦) السجم : الضب .
(١٧) أي قبالب (١٨) أي غوصها في الماء والرئي جمع ربوة (١٩) أي ملأها
والرئي جمع زبية وهي حفر تحفر للأسد والذئب ليصاها بها وهي لا تحفر
إلا في موضع مرتفع فإذا بلغ السيل إلى موضع الزبية فقد بلغ الغاية
(٢٠) افتعلت من الرئي (٢١) جمع حزن وهو الغليظ من الأرض
(٢٢) التون جمع متن وهي صلابة من الأرض فيها ارتفاع ، وتضخضت :
صار فوقها ضخضاح من الماء وهو الماء يجري على وجه الأرض رقيقا .
(٢٣) الحمل : السحاب الكثير الماء ، والسد : الذي قد سد الأفق .
(٢٤) بريد النواحي .

محمى الأركان^(١) . لماع الأقواب^(٢) ، مكفهز الرباب^(٣) ، نحن رعوته حنين اضطراب ، وترجز زجرة الليوث المضاب^(٤) لبوارقه التهاب ، ولرواعده اضطراب . فجاخت صدوره الشفاف^(٥) ، وركبت أمجازه القفاف^(٦) ، ثم ألقى أعباءه^(٧) وحط أثقاله ، فثاق وأصق . وانجس وانبق^(٨) ، ثم أنجم^(٩) فانطلق فنادر النهار مرة^(١٠) ، والفيضان مرة^(١١) ، حباء للبلاد ، ورزقا للعباد .

(روى بسنده عن الأصمى) قال : سمعت أعرابيا من غنى يذكر مطرا صاب^(١٢) بلادهم في غيب جذب^(١٣) فقال تدارك ربك خلقه وقد كلبت الأمحال^(١٤) وتقاصرت الآمال وعكف^(١٥) الياس ، وكظمت الأنفاس^(١٦) وأصبح الماشى مضرا^(١٧) ، والترب مئذما^(١٨) ، وجفيت الحلالل^(١٩) ، وامتنعت العذائل^(٢٠) فانشا الله سحابا نشا ركاما^(٢١) ، كنهوزا سجاما^(٢٢) ، بروقة متأقة ، ورعوته متفقيمة^(٢٣) فصح ساجيا راكدا ثلاثا غير ذى فواق^(٢٤) ، ثم أمر ربك الشمال فطحرت ركامه^(٢٥) ، وفترت جهامه^(٢٦) ، فانقش محمودا ؛ وقد أحيا فأغنى ،

-
- (١) هو مفعول من الحما وهو سواد تخططه حمرة يسيرة وهو من قواهم فرس احم (٢) الخصور (٣) المكفهز : المتراب ، والرباب سحاب تراه كأنه متعلق بالسحاب الواحدة ربابة (٤) زمجر الليث (وهو السبع) : ردد الزئير (٥) جاحت : زاحمت ودانته ، والشعاف : رؤوس الجبال (٦) جمع قف وهو الفلف من الارض لا يبلغ أن يكون جبلا . يريد ان أمالي هذا السحاب مطل على الجبال وماخيره على القفاف دان من الارض (٧) أى أثقاله يريد الماء (٨) الانجاس : الانفجار بالماء . والانبق : الصب الكثير في سعة (٩) ألق : غادر : ترك ، والنهاء : جمع نهى وهو الغدير أو شبهه . ومترعة : ملأى (١٠) الفيضان : جمع غائط وهو البطن الممتلئ من الأرض ، وممرعة : مخصبة (١١) من الصوب وهو المطر الجود (١٢) الغب بالكسر : عاقبة النىء . والجذب : المحل أى القحط (١٣) أى اشتد القحط . (١٤) أقام وبنت (١٥) أى ردت إلى الاجواف (١٦) المانى صاحب المانية ، والعرب تقول أمشى الرجل اذا كثرت ماشيته ، والمصرم . الذى لا مال له (١٧) الترب هنا الفنى المثرى ، والمعدم : الفقير (١٨) جمع حيلة وهى الزوجة (١٩) أى استخدمت الكرائم (٢٠) متراكما (٢١) كنهوزا : قطعاً مثل الجبال ، سجاما : كثير الصب (٢٢) مصوطة (٢٣) سح : صب ، وساجيا : راكدا ثابتا ، و « غير ذى فواق » أى لا يصب صبه ثم يسكن ثم يصب أخرى ثم يسكن مثل فواق الناقة (٢٤) طحرت : ساقط وأبعدت ، والركام : المتراب (٢٥) هو السحاب الذى قد اهراق مائه .

وجاد فأزوى ، فالجد لله الذى لا تُكْتَفَى نعمه ^(١) ، ولا تَنْفَدُ قسمة ، ولا يَحِيبُ سائله . ولا يَنْزُرُ نائله ^(٢) .

وروى بسنده عن الأصمى قال : كان شيخ من الأعراب فى خيائه وابنة له بالقناء ^(٣) إذ سمع رعداً ، فقال : ما ترين يا بنية ؟ فقالت : أراها حواء قرهاء ^(٤) كأنها أقرب أتان قراء ^(٥) ثم سمع رعدة أخرى فقال : كيف ترينها ؟ قالت : أراها جمة الترجاف ^(٦) ، متساقطة الأكناف ^(٧) ، تتألق بالبرق الولاف ^(٨) . قال : هلنى للمفرقة أنقى ^(٩) .

وعن الأصمى أيضاً قال : وقف أعرابى على أبى المكنون النحوى ، وهو فى حلقة فسأله ، فقال له : مكانك حتى أفرغ لك ، فدعا واستقى ، ثم قال : اللهم ربنا وإلهنا ومولانا صل على نبينا محمد ومن أرادنا بسوء فأحط ذلك سوء به إحاطة القلائد ، بترائب الولائد ^(١٠) ثم أرسخه ^(١١) كرسوخ السجيل ^(١٢) ، على أصحاب الفيل ^(١٣) اللهم اسقنا غيثاً مزيئاً طيباً ^(١٤) مريباً ^(١٥) تاماً مجلجلاً ^(١٦) مسخنراً ^(١٧) هزجاً ^(١٨) سحاً سفوحاً غداً مشنجرأ ^(١٩) . قال : فولى الأعرابى

(١) أى لا تحصى نعمه (٢) أى لا يقل عطؤه (٣) الفناء بالكسر ما اتسع من أمام الدار (٤) حواء : سوداء إلى الحمرة كلون الفرس الاحوى ، قرهاء : يريد أن البرق فى أعاليها فكانها قرهاء مثل الفرس الاقرح (٥) الاقرباب : الخصور . شبهها بطن الانان القمرء والقمرء بالضم لون الى الخضرة . او بياض فيه كثرة (٦) أى كثيرة الاضطراب (٧) الاكناف : النواحي . يريد قد استرخت نواحيها لكثرة ماها (٨) هو الذى يبرق ببرقتين متوالفتين . وهو لا يكاد يخلف (٩) المفرقة : المسحاة . والنوى . الحفير الذى حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل . ونائبته ونائبته : عملته (١٠) الترائب : موضع القلادة (١١) أى أثبتته (١٢) هو الطين المتحجر (١٣) أصحاب الفيل : ورد ذكرهم فى التنزيل ، على سبيل العظة والاعتبار وقصتهم معروفة متواترة الرواية حتى أنهم جعلوها مبدأ تاريخ يحددون به اوقات الحوادث فيقولون ولد عام الفيل وحدث كذا لسنتين بعد عام الفيل ونحو ذلك ، وقد أوردتها الاستاذ المؤلف فى الجزء الاول ص ٢٥١ ، وذكرنا (فى شرح الضرائر المطبوع بمصر سنة ١٣٤١) ما اتفقت عليه الروايات ، وبصح الاعتقاد به من امرها ، كما فعل الامام الشيخ محمد عبده فى تفسير جزء عم (١٤) الطبق من المطر الذى يطبق الأرض (١٥) هو الذى يمرع أى يخصب (١٦) هو الذى تسمع لوعده جحلة أى صوتاً وهدة (١٧) اسخنفر المطر : كثر (١٨) مصبوتاً (١٩) السح : الصب ، والسفوح : المنسفح ، والغدق : الكثير الماء ، والمشنجر : الجارى حتى يملأ الأرض .

مدبراً . فقال له : مكانك حتى أقضى حاجتك : قال الطوفان ورب السكمة حتى أرى عيالي إلى جبل يصممهم من الماء .

(وروى بسنده عن الأحمى) قال : مررت بنبلة من الأعراب يتلقون (١) في غدير ، فقلت لهم : أيكم يصف لي التيث وأعطيه درهماً ، فخرجوا إلى فقالوا : كلنا ، وهم ثلاثة ، فقلت لهم صفوه فأبكم ارتضيت وصفه أعطيته درهم ، فقال أحدهم : عن لنا عارض قصراً (٢) تسوقه الصبا ، وتحدوه الجنوب ، يحيو جهو المقتنك (٣) حتى إذا ازلامت (٤) صدوره ، وانتحلت خصوره ، ورجع هديره وأصبق زثيره ، واستقل نِشاصه (٥) وتلام خصاصه (٦) وارنح ارتصاصه (٧) وأوقدت سقابه (٨) وامتدت أطنابه (٩) — تدارك وذقه (١٠) وتألوي رقه ، وحفرت تواليه (١١) وانسحت عزاليه (١٢) فغادر الثرى عمداً (١٣) والعزاز ثنّداً (١٤) والحث عقداً (١٥) والضحاضح متواصية (١٦) والشعاب متداعية ، وقال الآخر : ترامت الخايل (١٧) من الأقطار ، نحي حنين العشار ، وتترامى بشهب النار ، قواعدها متلاحكة (١٨) وبواسقها متضاحكة (١٩) وأرجاؤها متقاذفة (٢٠) وأبحازها مترادفة وأرجاؤها متراصفة (٢١) فواصلت الغرب بالشرق (٢٢) والويل بالودق . سحلاً

(١) أي يتعاطون في الماء، وامتقل : غاص مرارا (٢) عن : عرض، والمعارض السحاب الذي يعترض في الأفق وأكثر ما يكون ذلك عند اقتران الليل . والقصر : العنى (٣) الحبو : ذو الصدر من الأرض ومن ذلك حبا الصبي إذا زحف وصدره دان من الأرض . والمقتنك : البعير الذي يصعد في العاتك من الرمل وهو الكتيب المتداخل الرمل يشق على الصاعد الصعود فيه والبعير إذا كلف صعوده زحف فشبّه نهوض السحاب لنقله بما فيه من الماء به قال رؤبة « أوديت أن أم تحب وحبوا لمقتنك » (٤) انتصبت (٥) بالكسر والفتح ما انتصب من السحاب (٦) الخصاصي : الفرج (٧) الارتعاج : تدارك الحركات . والارتعاض : الاضطراب (٨) هذا مثل والسحاب عمدة الخباء فشبهه بالخباء قد رفع . والايقاد : الرفع (٩) هي حبال الخباء التي تشد بالاوئاد (١٠) أي تتابع (١١) أي أعجلت مأخوذة (١٢) العزالي : عزالي المزداهو مخارج الماء من أسافلها (١٣) أي رطباً يجتمع في اليد وغادر : ترك . (١٤) العزاز : الغلط من الأرض . ومكان ثنّداً : ند (١٥) الحث : الرمل اليابس (١٦) الضحاضح : ما تضحضح على الأرض من الماء . ومتواصية : متواصلة (١٧) السحب التي تحسبها ماطرة (١٨) أي أسافلها متداخل بعضها في بعض (١٩) أي أعاليها متضاحكة بالبرق (٢٠) أي نواحيها متتابعة (٢١) أي أساطلها متراكمة قد انضم بعضها إلى بعض (٢٢) أي امتدت من المشرق إلى المغرب .

دراكا (١) متتابعا لكاكا (٢) فضحضحت الجفجف (٣) وأنهرت المصانف (٤) وحوضت
الأصانف (٥) ثم أقلمت عمودة الآثار ، ومومقة الخيار . فقال الثالث : والله ما خلئت
بلغ خمسا (٦) فقال : هلم درهم أصف لك ؟ قلت لا ، أو تقول كا قالا ، قال :
لأبزئها وصفا ، ولأوقفنها وصفا ، قلت : هات لله أبوك ! فقال : بينما الحاضر بين
الباس والإيلاس (٧) قد غرم الإشتاق (٨) رهبة الإملاق (٩) وقد جفت الأنواء (١٠)
ورفرف البلاء ، واستولى القنوط على القلوب ، وكثر الاستغفار من الذنوب ، —
ارتاح بك لعياده ، فأنشأ سحابا مستجيرا كتهورا (١١) مطونكا (١٢) محلولكا (١٣)
ثم استقل واحزال (١٤) ، فصار كالسما دون السماء (١٥) وكالأرض المدحوة (١٦) في
لوح (١٧) الهواء ، فأخسب الشبول (١٨) ، وأتاق الهجول (١٩) ، وأحيا الرجاء ،
وأمات الضراء ، وذلك من فضل رب العالمين . قال : فلا والله ! الينع
صدري ، فأعطيت كل واحد درهما ، وكتبت كلامهم .

وزوى عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : سألت أعرابيا عن مطر أصابهم بعد
جذب . فقال : ارتاح لنا ربك بعد ما استولى على الظنون ، وخامر القلب القنوط
فأنشأ بنوه الجبهة (٢٠) قزعة كالفرض من قبل العين (٢١) ، فأحرأنت عند ترجل

(١) أى صيا متتابعا . (٢) متلاصقا بعضه ببعض (٣) جمع جفجف
وهو الفليظ من الأرض وضحضحها جعلت فيها ضحاضح جمع ضحضاح وهو
الماء السائح على وجه الأرض ليس بالكبير . (٤) جمع صيفصف وهو المستوى
من الأرض (٥) جمع الصلفاء وهى ماصب من الأرض . وحوضتها : جعلت
فيها حياضا (٦) الظاهر أن العبارة ينبغي أن تكون هكذا : . . . فقال الثالث —
ووالله ما خلته بلغ خمسا : هلم . . . (٧) الإيلاس : الياس والتحير
(٨) الجزع (٩) الافتقار (١٠) أى أمسكت الأمطار (١١) المستجير :
الابيض ، والكنهزور : الذى يقل قطع السحب (١٢) المعنوك : الذى قد تراكم
حتى صار كالماتك ، والماتك : مر تفسيره قريبا ، والمحلولك : الشديد السواد
(١٣) أى انتصب وارتفع (١٤) أى من كثافته (١٥) الميسوطة وإنما
قال « كالارض » لفبرته وسواده (١٦) اللوح : الهواء نفسه (١٧) أى كفاها
(١٨) أتاق : ملا ، والهجول جمع هجل ، وهو المطش من الأرض
(١٩) الشاب (٢٠) الجبهة : نجم من نجوم الابدونوها محدود عقدهم .
(٢١) القزعة : القطعة من السحاب صغيرة ، والفرض : الترس الصغير :
والعين : القبلة .

النهار^(١)، لِمَ زَمِجَ التَرَار^(٢)، حتى إذا نهضت في الأفق طالمة أمر مسخرها
الجنوب، فتنست لها، فانتشرت أحضانها^(٣)، واحومت^(٤) أركانها، وبسَقَ
حنانها^(٥) واكفهرت رحاها^(٦)، وانبعجت كلاها^(٧)، وذمرت أخراها وأولاها^(٨)،
ثم استطارت عقاقها^(٩) وارتمجت^(١٠) بوارقها، وتعمقت صواعقها، ثم ارتفعت
جوانبها^(١١)، وتداعت سواكبها^(١٢)، وذرت حوالبا، فكانت الأرض طبقاً،
صح ففضب، وعم فأحسب^(١٣)، قَمَلُ القيمان^(١٤)، وضحضح الغيطان^(١٥)،
وخوخ الأضواج^(١٦)، وأزع الثيراج^(١٧)، فالجد لله الذي جَلَّ كفاء إساتنا
إحساناً، وجزاء ظلفنا غفراناً.

(وروى عن عبد الرحمن بن عمار) قال : سمعت أعرابياً من بني عامر بن لؤي
ابن صعصعة يصف مطراً ، فقال : نشأ عند القصر^(١٨)، بنوه القفر^(١٩)، حبيبا
عارضا^(٢٠)، ضاحكا وامضا ، فكلا ولا^(٢١) ما كان ، حتى شجيت به^(٢٢) ،
أقطار الهواء ، واحتجبت به السماء ؛ ثم أطرق فاكفهر^(٢٣)، وتراكم فادلم^(٢٤)،
وبسَقَ فازلأم^(٢٥)؛ ثم حدث به^(٢٦) الريح فخن ، فالبرق مرتعج^(٢٧)، والرعد

(١) أي عند انبساط الشمس (٢) الازميج بالكسر احدى لىالى السرا
وهى ثلاث لىال من آخر الشهر (٣) أي فانسبطت نواحيها (٤) اسودت .
(٥) أي ارتفع سحابها (٦) اكفهرت : كثفت ، ورحاها : وسطها .
(٧) هذا مثل والكلية من الزادة رقعة مستديرة تخرز عليها تحت العروة،
وانبعجت : انشفت شبيهه بنى السماء والقربة اذا رقى ورشح منه الماء فاراد
ان مخارج المطر من السحاب مثل ذلك (٨) هذا مثل أيضا كانه حض بعضها
بعضا على المطر (٩) استطارت : انتشرت ، والعقاق جمع عقيقة وهى البرقة
المستطيلة فى عرض السحاب (١٠) أي تدارك بعضها فى اثر بعض .
(١١) أي استرخت لكثرة ما فيها من الماء (١٢) كانه دعا بعضها بعضا بالاء
(١٣) أي عم الأرض ولم يخص موضعا دون موضع ، وأحسبها أي كفاها
واعطاها ما هو حسبها (١٤) العل : السقبة الثانية (١٥) ضحضح : مر
تفسيره قريبا ، والغيطان جمع غائط وهو البطن المظنن من الأرض وقد مر
ايضا قريبا (١٦) أي هد الأجراف (١٧) أي ملا مسابيل الماء (١٨) العنى
(١٩) من نجوم الاسد (٢٠) الحبي الدانى من الأرض، والعارض : المعرض
فى الافق (٢١) أي كقولك كلالا فى السرعة (٢٢) أي تضابقت به كما يشجى
الفاص (٢٣) اطرق : تكاثف بعضه على بعض ، واكفهر : تراكم وغلظ
(٢٤) اسود (٢٥) أي ارتفع فانتصب (٢٦) ساقتة (٢٧) متدارك .

متبوع^(١)، والخروج متبوع^(٢)، فأعجم^(٣) ثلاثاً، متحيراً منها^(٤)، أخلافه حاشكه^(٥)،
ودفعة متواشكة^(٦)، وسَوَامَه متعاركة^(٧)، ثم ودع مُنَجِّمًا^(٨)، وأقلع منها^(٩)،
عمود البلاد، مُترع النَّهَاء^(١٠)، مشكور النماء، يَطْوُل^(١١) ذى الكبرياء .
(وروى بسنده عن أشياخ من بنى الحرث بن كعب) قالوا: أجدبت بلاد
مَذَجَجٍ، فأرسلوا رُوَادًا^(١٢) من كل بطن رجلاً، فبث بنو زَيْدٍ رائداً، وبثت
جُفَى رَائداً، وبثت النَّخَعُ رَائداً، فلما رجع الرُّوَادُ قيل لرائد بنى زَيْدٍ: ما وراءك؟
قال: رأيت أرضاً مَوْشَمَةً البَقَاعِ^(١٣)، نَاعِمَةً الْقَاعِ^(١٤)، مُسْتَحْلَسَةً الْغَيْطَانِ^(١٥)،
ضاحِكَةً الْقُرَيَّانِ^(١٦)، وَاَعْدَةً وَأَخْرَ بَوَاقِيهَا^(١٧)، رَاضِيَةً أَرْضَهَا عَنْ سَمَائِهَا،
وَقِيلَ لِرَائِدِ جُفَى: ما وراءك؟ فقال: رأيت أرضاً جمعت السماء أقطارها^(١٨)،
فَأَمَرَتْ أَصْبَارَهَا^(١٩)، وَدَبَّتْ أَوْعَارَهَا^(٢٠)، فَطَبَّنَتْهَا غَمَّةً^(٢١)، وَظَهَّرَتْهَا
غَدَرَةً^(٢٢)، وَرِياضَهَا مُسْتَوَسَّةً^(٢٣)، وَرَقَّاقَهَا رَائِخً^(٢٤)، وَوَاطِئَهَا سَائِخً^(٢٥)،

(١) مرتفع الصوت (٢) الخروج: السحاب أول ما ينشأ، ومتبوع:
متشقق (٣) أى دام وأقام متحيراً كأنه قد تحير له وجه يقصده (٤) متداخلا
بعضه فى بعض . وقال أبو بكر: الهنئة - اختلاط الصوت (٥) هذا مثل
أخلاف الناقة: ضروعها، وحاشكة: ممثلة (٦) مسرعة (٧) هذا مثل .
السوام الأبل السائمة أى الراعية . يشبه السحاب بالأبل التى يمارك بعضها
بعضاً أى يزاحم (٨) أى منقشها (٩) أى نحو تهامة . يقال: ألهم الرجل إذا
أتى تهامة . وأنجد إذا أتى نجدا . وأعمن إذا أتى عمان وأعرق إذا أتى العراق
(١٠) جمع نهى وهو الغدير (١١) بفضل (١٢) جمع رائد وهو المرسل فى
طلب الكلأ (١٣) أوشمت الأرض إذا بدأ فيها نبت (١٤) نائمة: راشحة .
(١٥) المستحلبة: التى قد جللت الأرض بنباتها وقال الأصمعى: استحلب
النبت إذا غطى الأرض أو كاد يغطيها والمعنى واحد (١٦) مجارى الماء إلى
الرياض مفردا قرى (١٧) واعدة: تمد تمام نباتها وخيرها . وأحر: أخلق
(١٨) السماء: المطر ههنا، يريد أن المطر جاد بها فطال النبت فصار النبت
كأنه قد جمع أكتافه . وأنشد ابن قتيبة:

إذا سقط السماء بارض قومٍ وعيناه وإن كانوا غضابا

(١٩) أمرعت: امتشبت وطال نباتها، والأصبل نواحى الوادى (٢٠) دبثت:
لينت، والأوعار جمع وعر وهو الفلفظ والخشونة (٢١) الظهران: جمع
بطن وهو ما غمض من الأرض، وغمة: ندبة (٢٢) الظهران: جمع ظهر
وهو ما ارتفع يسيراً، وغدة: كثيرة البلل والماء (٢٣) منتظمة (٢٤) الرقاق:
الأرض اللينة من غير رمل، رايخ: مفرط اللين (٢٥) أى تسوخ وجلاها فى
الأرض من لينها .

وماشيها مسرور ، ومُصْرَمُها محسور^(١) ، وقيل للنخى : ما وراك ؟ فقال : ندأحى
سَمِيل^(٢) ، وزَمَاء ليل^(٣) ، وَغَيْلٌ يُواصى غَيْل^(٤) ، قد ارتوت أجراؤها^(٥) ،
ودُمْتُ عَزَازُها^(٦) ، والتبت أقرأها^(٧) ، فرائدها أنق^(٨) ، وراعبها سنق^(٩) ،
فلا قَصَص ، ولا رَمَص^(١٠) ، عازبها لا يُفْرَع^(١١) وواردها لا يُنْكَم^(١٢) ،
فاختاروا مراد النخى .

وروى عن عمه عن ابن الكلبي قال : خطب ابنة الخنس الإيادية^(١٣) ثلاثة
نفر من قومها ، وارتضت أنسابهم وجمالهم ، وأرادت أن تشبَّ عقولهم ، فقالت لهم :
أريد أن تزدادوا لى مرعى ، فلما أتوها قالت لأحدهم : ما رأيت ؟ قال : رأيت بَقْلًا
وبَقِيلًا^(١٤) ، وماء غدقا سيلًا ، يحسبه الجاهل ليلًا^(١٥) ، قالت : أمرت . قال
الآخر : رأيت دِجَّةً بدمية^(١٦) ، على عهد غير قديمة^(١٧) ، فالتاب تشبَّع قبل
الغظيمة^(١٨) . قال الثالث : رأيت غيثًا تَمْدًا تَمْدًا^(١٩) ، مترا كما جعدًا^(٢٠) ،
كأخاذ نساء بنى سعد^(٢١) ، تشبَّع منه التاب وهى تمد^(٢٢) .

(١) الماشى : صاحب الماشية ، والمصرم : القل المقارب المال (٢) يقول : قد
جرى فيها السيل ودحاها أى بسطها حتى استوى ولان وجهها (٣) الزهاء :
الشخص وإنما جعل نباتها زهاء ليل لشدة خضرته (٤) الغيل : الماء الجارى
على وجه الأرض . ويواصى : يواصل (٥) جمع جرز وهى التى لم يصيبها
المطر ، ويقال : التى قد اكل نباتها (٦) دمت : لين ، ودمت لان ، والمزاز :
الأرض الصلبة الغليظة (٧) جمع قوز وهى رمال تستدبر وتنعطف نحو
الاحتفاف (٨) الرائد : المرسل فى طلب الكلا ، وأنق : معجب بالمرعى (٩) راعبها :
الذى يرعاه ، والسنق : البشم من كثرة الرعى (١٠) القفض : والرمد :
الصفار ، يريد أن النبات قد غطي الأرض فلا ترى هناك قفضا ، والرمد :
أن يحمى الحصى والحجارة من شدة الحر ، يقول فليس هناك رمض لان
الأرض مجللة بالنبات فلا يرمض واطئها (١١) الذى يعزب بابه أى يبعد بها فى
المرعى (١٢) أى لا يمنع (١٣) أخبارها فى الجزء الأول من ٣٣٩ و ٣٤٠
(١٤) يقول : بقل قد طال ، وتحتة غير قد نشأ (١٥) أى كثير يحسبه
الجاهل ليلًا من كثافته وشدة خضرته (١٦) الديمة : المطر يدمو أياما فى سكون
ولين (١٧) العهد : أول ما يصبب الأرض من المطر (١٨) التاب : الناقة المسنة ،
يريد أن العشب قد اكتهل وطال وتم . تشبَّع منه التاب قبل الصغيرة لأنها
تتناول الكلا وهى قائمة لا تطلبه ولا تبرح من موقفها والغظيمة تنبع ماصفر من
النبات (١٩) التمد : القفض من البقل ، ومعد : أنباع . ويقال : « ماله تمد
ولا معد » أى قليل ولا كثير (٢٠) للثرى الجعد : الذى قد كثر ندها فإذا
ضممته بيدك اجتمع ودخل بعضه فى بعض كالشعر الجعد (٢١) أراد فى غلظ اتخاذ

(وروى عن أبي حاتم عن أبي عبيدة) قال : خرج النعان في بعض أيامه في عقب سماء ، فلقى أعراييا على ناقة فأمر فأتى به ، فقال : كيف تركت الأرض وراءك ؟ فقال : فيج رحاب^(١) ، منها السيول ومنها الصعاب ، منشوطة يجبالها حاملة لأقالها^(٢) قال : إنما سألتك عن السماء ، قال : مُطلة مستقلة^(٣) على غير سقَاب ، ولا أطناب^(٤) ، يختلفُ عصراها^(٥) ، ويتعاقبُ سراجاها^(٦) ، قال : ليس عن هذا أسألك ، قال : فسل ما بدالك ! قال : هل صاب الأرض غيث ؟ قال : نعم ! أغطت السماء^(٧) ، في أرضنا ثلاثا رهوا^(٨) ، فثرت وأرزغت ورسفت^(٩) ، ثم خرجت من أرض قومي أفروها^(١٠) ، فإذا هي مُتواصية^(١١) لا خطيطة^(١٢) بينها حتى هبطت بعشار^(١٣) ، فتداعى السحاب من الأقطار^(١٤) ، فجاءنا بالسيل الخرلر ، ففعا الأثار^(١٥) ، وملا الجفار^(١٦) ، وقور^(١٧) على الأشجار ، فأحجر الحصار^(١٨) ، ومنع السفار ، ثم ألق عن نفع وإضرار^(١٩) ، فلما اتلأبت^(٢٠) لى القيان ، ووضحت السبل في النيطان^(٢١) ، وفات النعان^(٢٢) ، من أقطار الأحنان^(٢٣) ، فلم أجد وذرًا إلا التيران^(٢٤) ، ففات جاز الضبع^(٢٥) ، ففادرت السهول كالبحار ، تتلطم بالتيسار^(٢٦) ، والحزون متلفعة بالشكاء^(٢٧) ، والوحوش مقذوفة على

= بنى سعد (٢٢) هذا نحو الكلام الأول . يقول : النبات قد ارتفع وطلال والنباب الناقة المسنة تعدو وهي تأكل ولا تطلطأ رأسها .

(١) فيج : واسعة (٢) أى مثبتة لا تزول ، حاملة لا تقالها : لمن عليها من الناس وغيرهم (٣) مطلة : مرتفعة ، وكذلك « مستقلة » (٤) السقَاب أعمدة الخباء ، والأطناب : الحبال المشدودة إلى الأوتاد ، وهذا مثل (٥) أى الليل والنهار (٦) أى الليل والنهار (٧) أى دام مطرها (٨) الرهو : السكون (٩) ثرت : تركت الأرض ثرية ، وأرزغت : تركت الأرض رزقة ، والرزغة : الوحل ، ورسفت : بلغ الماء إلى الرسغ (١٠) أى اتبعتها (١١) متصل بعضها ببعض (١٢) الخطيطة : الأرض التى لم تمطر بين ممطورتين أو التى لمطر بعضها (١٣) اسم موضع (١٤) النواحي (١٥) أى طمس الطرق (١٦) جمع جفر كسهم وهو البشر التى لم تطو (١٧) أى قطع أو اجتاحت (١٨) أى ألزمهم بيوتهم ، و « منع السفار » عن الحركة (١٩) يقول : نفعت عواقبه وضرت لكثرة (٢٠) وضحت (٢١) جمع غائط وهو المظمن من الأرض (٢٢) السحاب (٢٣) أى من نواحي السماء (٢٤) الوزر : الملجأ ، والقيان جمع غار وهو الكهف فى الجبل (٢٥) أى فات من القى وهذا غاية ما يوصف به المطر فى الكثرة ، والمعنى أنه يجز الضبع من وجارها (٢٦) الموج (٢٧) الحزون : جمع حزن وهو ما يفظ من الأرض ، والفشاء : حميل السيل

الأرجاء^(١)، فازلت أظأ السماء^(٢)، وأخوض الماء، حتى وطئت أرضكم .
(وروى عن أبي حاتم عن أبي عبيدة) قال : وقف أعرابي على قوم من الحاج فقال : يا قومى بدا شأنى الذى أفتجنى^(٣) إلى مسألتكم ، إن الفيث كان قد قَوَّى^(٤) عنا ، ثم تَكَرَّفَا السحاب^(٥)، وَشَمَّأَ الرِّبَابَ^(٦)، وادلهم سَيْفَهُ^(٧)، فارتجس رَيْفَهُ^(٨)، وقلنا هذا علم بأكر الوسمى^(٩)، محمود السى^(١٠)، ثم هبت له الشمال، فأحرزأت طَخَّارِيهِ^(١١)، وتقرع كرفته^(١٢) متباشراً ؛ ثم تتابع لمعان البرق ، حيث تَشِيمُهُ الأَبْصَارُ^(١٣)، وتجلده النظار ، ومَرَّتْ^(١٤) الجنوب مائه ، قفوض الحى مُزْتَلِينَ^(١٥) نحوه ، فسرحنه المال^(١٦) فيه ، وكان وخماً وخيماً ، وأساف المال^(١٧)، وأصف الحال^(١٨)، فرحم الله اسماً جاداً بِمِثْرِ^(١٩)، أودل على خير .

وروى أبو حاتم عن المتبى قال : حدثنى أبى قال : خرج الحاجاج إلى ظهرونا هذا ، فلقى أعراباً قد انحدروا للميرة ، فقال : كيف تركتم السماء وراءكم ؟ فقال متكلمهم : أصابتنا سماءونا بالمثل مثل القوام^(٢٠) حيث انقطع الرمث بضرب فيه

(١) يقول : قد غرقت الوحوش فى مطروحة على أرجاء الأرض أى نواحيها
(٢) أى أظأ المطر فالعرب تسمى آثار المطر فى الأرض السماء (٣) أى أحوجنى
(٤) أى احتبس (٥) أى كثر وتراكم (٦) شصاً : ارتفع « والرباب : السحاب الأبيض (٧) ادلهم اسود ، والسبق . ككيس : السحاب الذى لاماء فيه (٨) تمخض ملؤه (٩) الوسمى : أول المطر يقع على الأرض وذلك عند اقبال الشتاء قبل الربيع سمي بذلك لأنه بسم الأرض . قال الأصمى : أول المطر الخريف وهو الذى يأتى عند صرام النخل ، ثم الوسمى إلى ذلك وهو اقبال الشتاء ، ثم يليه الربيع ، ثم الصيف ثم الحميم (١٠) جمع سماء وهو المطر ، قال المجاج : « تلفه الأرواح والسمى » . م (١١) أحرزت ارتفعت ، والطخارير : جمع طخور — وهو بالخاء والحاء الطخ من السحاب القليل . قال الأزهري : وهى الطخارير والطخارير لقرع السحاب (١٢) تقرع : تقشع ، والكرفى : قطع من السحاب متراكبة وأحدها كرفئة (١٣) شمت البرق : رقبته تنظر أين يصوب (١٤) استخرجت (١٥) مسرعين (١٦) أى الأبل (١٧) أى ذهب به وأهلكه (١٨) أى ضمضها ، والضغف : الفقر والحاجة إلى الناس (١٩) المير بالفتح كالجرة وهى الطعام يمتاره الانسان ، ويطلق ويراد به القوت (٢٠) المثل : بكر اوله وسكون ثابته — موضع بقلج يقال له رعى المثل ، وقوله « مثل القوام » أراد أن هذا الموضع قطره كمثل مواقع القوام

تغير^(١)، وهو على ذلك يعضد ويرسخ^(٢)، ثم أصابتنا سماء « أميثل » منها تسيل الدماث والتلعة الزهيدة^(٣)، فلما كنا حذاء (الحفر) أصابتنا ضرس جود ملا الأخاد^(٤). فأقبل الحجاج على زياد بن عمرو السنكي فقال : ما يقول هذا الأعرابي ؟ قال : وما أنا وما يقول : إنما أنا صاحب سيف ورمح ! قال : بل أنت صاحب مجذاف وقلس ، إسمي ! فجعل يفحص الثرى ويقول : لقد رأيتني وأن المصعب ليمطيني المائة ألف وما أنا إسمي بين يدي الحجاج ! .

وروى عن عبد الرحمن عن عمه . قال قال أبو مجيب وكان أعرابياً من بني ربيعة ابن مالك . لقد رأيتني في أرض مجفأة^(٥)، وزمان أعجب ، وشجر أعسم^(٦) في قف^(٧) غليظ ، فبينما نحن كذلك إذ نشأ الله تعالى من السماء غيثاً مستكفاً نشؤه^(٨)، مسيلة عزاليه^(٩)، ضغاما قطره جوداً صوبه^(١٠)، زاكياً أنزله الله تعالى رزقاً لنا ، فتعش به أموالنا^(١١)، ووصل به طرقتنا ، وأصابتنا وإنا لنينوط^(١٢) ببيدة الأرجاء^(١٣)، فاهرمع^(١٤) مغلها حتى رأيتنا وما نرى غير السماء والماء ، وضهوات^(١٥) الطلح ؛ وضرب السيل النجاف^(١٦)، وملاً الأدوية فزعبها^(١٧) فما لبثنا إلا عشرين حتى رأيتها روضة تندی .

(١) قال الاصمعي : الرمث — من شجر السهل اه فمعنى قوله « حيث انقطع الرمث » حيث أفضى من السهولة الى الحزونة « والضرب من المطر الضعيف الدائم ، والنقير في الأصل النكتة في ظهر النواة (٢) قوله « بعضد » أي بكسر وبصرم والمعنى ان هذا المطر مع ضعفه عظيم القطر فعظم قطره بعضد الشجر يدل على ذلك قوله « بالمثل مثل القوائم » ولولا ذلك لما جاز أن يعضد الشجر مع ضعفه ، و « يرسخ » يبلغ طينه وماؤه الرسخ (٣) الدماث : الأماكن اللينة السهلة ، والتلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها ضد ، والتلعة : مسيل الماء وما اتسع من فوهة الوادي ، والزهيدة : الحقيرة (٤) الضرس : القطعة من الأمطار التفرقة ، والجود المطر الغزير ، والأخاد : الأماكن التي تحبس الماء كالنقر في الحجارة والجوب من الأرضين (٥) القلس : جبل ضخم من ليف أو خوص أو غيره من فلولس سفن البحر (٦) أي لا نبات بها (٧) يابس (٨) هو ماغلظ من الأرض وارتفع (٩) المستكف : المستدير والنشوء : السحاب المرتفع أو أول ما ينشأ منه (١٠) مسيلة : مطرة . والغزالي : أفواه السحاب وأصل ذلك في المازدة والقربة (١١) الصوب المطر (١٢) أي إبلنا (١٣) النوطة : المكان المرتفع عن الماء « والنوطة : مكان في وسطه شجر وطره لاشجر فيهما وهو مرتفع عن السيل والأرجاء : النواحي (١٤) أي در وأسرع (١٥) الضهوة : كالغار يجمع فيها ماء المطر (١٦) جمع نجفة وهو ما أشرف من الأرض (١٧) أي فملاها ، وكرر المعنى لما اختلف اللفظ تأكيداً

وعن عبد الرحمن عن عمه قال شام^(١) أعرابي^٢ برقاً فقال لابنته : انظري أين ترينه ، فقالت :

أناخ بذى بقرٍ بركة كأن على عضدَيْهِ كِتافاً^(٣)
ثم قال : عودى فشيبي ، فقالت :

نحتة الصبّا ومرّته الجنوب وانتحفته السماء انتحافاً^(٤)

وروى بسنده عن الأصمى قال : كان أعرابيٌّ ضريرٌ تقوده ابنته وهي ترى غنيات لها ، فرأت سمحاً ، فقالت : يا أبت جاءتك السماء ، فقال : كيف ترينها ؟ قالت : كأنها فرس دهماء تجر جلالها ، قال : ارعى غنياتك ، فرعت ملياً ، ثم قالت : يا أبت جاءتك السماء ، قال : كيف ترينها ؟ قالت : كأنها عين جبل طريف^(٥) ، قال : ارعى غنياتك ، فرعت ملياً ؛ ثم قالت : يا أبت جاءتك السماء ، قال : كيف ترينها ؟ قالت : سطحت وابتضت . قال : أدخل غنياتك ، قال : فجاءت السماء بشيء شعثاً^(٦) له الزرع وأينع^(٧) ، وخضر ونضر^(٨) .

وروى أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني^(٩) بسنده قال : كان من حديث زهير ابن جناب الكلبي أنه كان قد بلغ عمراً طويلاً حتى ذهب عقله ، وكان يخرج تائهاً لا يدري أين يذهب فتلقاه المرأة من أهله والصبي فيرده ، ويقول له : إني أخاف عليك الذئب أن يأكلك ! فأين تذهب ؟ فذهب يوماً من أيامه ، ولحقته ابنة له فردته فرجع معها يهيج^(١٠) كأنه رأل^(١١) ، وراحت عليهم سماء^(١٢) في الصيف فقلتهم منها بثشة^(١٣) ، ثم أردفها غيث منكر ؛ وسمع له زجلاً^(١٤)

(١) ابصر : (٢) ذو بقر : موضع . والبرك : الصدر . والكتاف ماكتف به الشيء (٣) نحتة : صرفته . ومرّته : استخرجت مائه وكذلك « انتحفته » (٤) أي مطروف وهو الذي يستطرف الكلأ لا يرى في مكان واحد كالمرأة المطروفة وهي التي تطرف الرجال لا تثبت على واحد (٥) أي أخرج نباته (٦) ابتنع الثبت يوتنع ابتناعاً إذا اخضر وبتنع الثمر ينعا وينعما وينوعا إذا ادرك ونضج (٧) أي حسن (٨) ج ٢١ ص ٦٥ (٩) أي يمشى في ارتماش (١٠) ولد النعام أو حوليه (١١) مطر (١٢) مطرة ضعيفة (١٣) صوتاً

منكرًا . قال : ما هذا يا بنية ؟ فقالت عارض هائل ^(١) إن أصابتنا دون أهلنا
هلكنا . قال : انتبه لى ! فقالت : أراه منبسطًا مسنطحًا ^(٢) ، قد ضاق ذرعا ^(٣)
وركب ردعا ، ذا هيدب ^(٤) يطير ، وهمام ^(٥) وزفير ؛ ينهض نهض الكسير ،
عليه مثل شباريق الساج ^(٦) ، فى ظلمة الليل الداج ^(٧) ؛ يتضاحك مثل شعل
النيران ، يهرب منه الطير ، ويوائل ^(٨) منه الحشرة . قال : أى بنية وائل منه إلى
عصر ^(٩) قبل أن لا عين ولا أثر . وفى هذا الفن كثير من المنظوم وقد ذكرت منه
نبذة غير يسيرة فى كتاب جزيرة العرب للهمدانى ، والله ولى التوفيق .

ومن علومهم :

علم القيافة والعبارة

إعلم أن القيافة على قسمين : قيافة الأثر ويقال لها العبارة ، وقيافة البشر ،
أما العبارة فهو علم باحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر فى القابلة
للأثر ، وهى التى تكون فى تربة حرة يتشكل بشكل القدم ؛ ونفع هذا العلم بين
إذ القائف يجد بهذا العلم القارّ من الناس ، والضالّ من الحيوان بتتبع آثارها
وقوائمها بقوة الباصرة ، وقوة الخيال والحافظة ، حتى يحكى أن بعضهم يفرق بين
أثر قدم الشاب والشيخ ، وقدم الرجل والمرأة ، والبكر والثيب . وأما قيافة البشر
فهى الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما فى النسب
والولادة فى سائر أحوالها وأخلاقها . وقد فسرهما أبو الفاسم الأصفهاني فى كتاب
الزريعة بتفسير أوجز فقال : والقيافة ضربان : أحدهما بتتبع أثر الأقدام ،
والاستدلال به على السالكين ؛ والثانى الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله على

(١) العارض : السحاب المتعرض فى الأفق . (٢) واسعا مريضا (٣) يقال :
ضاق فلان بالامر ذرعا أى ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا .
وركب ردعا : خر لوجهه على دمه (٤) هو السحاب المتدلى أو ذبله (٥) اصوات
(٦) قطع الطليسان الأخضر أو الأسود (٧) المظلم (٨) وأعل : طلب النجاة والى
المكان بادر (٩) هو الملجأ والمنجاة

نسبته وخص الاستدلال بالقيافة البشرية من العرب بنو مدلج^(١) ، وبنو لمب^(٢) وذلك للمناسبة الطبيعية حاصلة فيهم لا بتعلم قال الاصمغاني : خص الله تعالى بذلك العرب ليكون سبباً لارتداع نسايتهم عما يورث ثلب نسبهم ، وخبث حسبهم ، وفساد بنورهم ، وزرورهم ، صيانة للنسبة ؛ ولأجل حفظه تعالى نسبهم بذلك قال تعالى (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) أى ليعرف بعضكم بعضاً بمعرفة أصله انتهى ، وبمثل ذلك قال بعض الحكماء ، وحصول هذا العلم بالجدس والتخمين لا بالاستدلال واليقين ، ولا يحصل بالمدارسه والتعليم ، فلذا لم يصنف فيه مصنف لا حادث ولا قديم ، والقيافة اليوم موجودة فى بعض قبائل عرب نجد ، ويقال إنهم بنو مرة ، وهم أعلم الناس بها ، وقد نقل الثقات من سافر إلى بلاد نجد أن كثيراً منهم يرى الأثر فيقول : هذا أثر فلان وفلان ، وهذا أثر بعير فلان وفلان ، وهذا أثر أناس لم يطأوا الأرض القلانية ، وهؤلاء أناس قدموا من كذا وكذا ، فلم يخلوا بشئ منها . وسمعت أن أعرابياً اتبع أثر حمار له سرقة اللصوص حتى دخل (الحلة^(٣)) وهو ينشد حتى أوقفه أثره عليه من بين آثار حمير لانهى ، وإذا نظروا إلى عدة أشخاص ألحقوا الابن بأبيه ، والأخ بأخيه ، والقرىب بقرىبه ، وميزوا الأجنبي إذا كان بينهم ، وأهل مكة فيهم ، من يقارب هؤلاء ، فترى كثيراً منهم يميز بين العراقى والشامى ، والمصرى والمدنى ، والعربى والعجمى ، ولو لم يكن بزيه وهيئته ، وفى هذا الباب حكايات لولا تواترها لحكم عليها بما يقرب من الاستحالة ، والقيافة محكوم بها فى الشرع وهى إحدى الطرق الحكيمه ، فى الصحيح من حديث مجزى الأسلمى^(٤) أنه دخل فرأى أسامة

(١) قبيلة من كنانة (٢) بطن من الازد . (٣) الحلة : علم لمدة مواضع . ويريد المؤلف حلة بنى مزيد مدينة من مدن العراق . كان أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة ابن منصور بن ديبس بن على بن مزيد الاسدى ، وهى لاتزال عامرة أهلة بالسكان ، واغلب أهلها اليوم شيعة ، وفيها جامع لأهل السنة عامر لانظير له فيها يعرف بالجامع الكبير . وهى طيبة الهواء ، عذبة الماء ، ذات بساتين غناء ، ومروج خضراء ، تسر الناظرين ، وتمجىب الرائيين . (٤) ترجمته فى الإصابة للحافظ المستقلانى ج ٦ ص ٤٥ ط : المطبعة الشرفية .

ابن زيد وزيداً وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما ، فنظر إليها
عجزز الأسلى وقال : إن هذه الأقدام بمضها من بعض ، فسر بذلك النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ، وهى ناشئة من كمال الفطنة والذكاء ، ومن تواضع غزارة العقل .
ومن علومهم .

علم الفراسة

وهو الاستدلال بهيئة الإنسان ، وأشكاله ، وألوانه ، وأقواله ، على أخلاقه ،
وفضائله وورثائه ، وربما يقال : هى صناعة صيادة لمعرفة أخلاق الإنسان وأحواله
وقد نبه الله تعالى على صدقها بقوله (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين) وقوله : (تعرفهم
بسيماهم) وقوله (ولتعرّفنهم فى لحن القول ^(١)) ولقظها من قولهم فرس السبع الشاة
فكان الفراسة اختلاص المعارف ، وذلك ضربان : ضرب يحصل للإنسان عن
خاطر لا يعرف سببه ، وذلك ضرب من الإلهام ، بل ضرب من الوحي ، وإياه عنى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله « المؤمن ينظر بنور الله » وهو الذى يسمي
صاحبه المروع والمحدث . وقال عليه الصلاة والسلام « إن يكن فى هذه الأمة
محدث فهو مُعْتَرٍ » وقيل فى قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً
أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) إنما كان وحياً بإلقائه فى الروح ، وذلك
للأنبياء كما قال عز وجل (نزل به الروح الأمين على قلبك) وقد يكون بإلهام فى
حال اليقظة ، وقد يكون فى حال المنام ولأجل ذلك قال عليه الصلاة والسلام
« الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

(والضرب الثانى من الفراسة) يكون بصناعة متعلمة ، وهى معرفة ما بين
الألوان والأشكال ، وما بين الأمزجة ، والأخلاق ، والأفصال الطبيعية ، ومن
عرف ذلك كان ذا فهم ثاقب بالفراسة ، وقد عمل فى ذلك كتب كثيرة من تتبع
الصحيح منها اطلع على صدق ماضنوه ، والفراسة ضرب من الظن ، وهى من تواضع

(١) أى فى معنى القول . وفى مذهب القول .

العقل ، وكما كان العقل أكل كانت الفراسة أقوى ، ولهذا كانت العرب فيها أوفر نصيباً من غيرهم . وما روى عنهم من عجائب هذا الباب شيء كثير . من ذلك ما ذكره الإمام الماوردي في كتاب (أعلام النبوة ^(١)) قال : إن أول من أسس لعَدنان مجداً ، وشيد لهم ذكراً ، معدن بن عدنان حين اصطفاه بمختصر وقد ملك أقاليم الأرض ، وكان قد هَمَّ بقتله حين غزا بلاد العرب ، فأنذره نبي كان في وقته بأن النبوة في ولده ، فاستبقاه ، وأكرمه ، ومكنه ، واستولى على تهامة بيد عالية ، وأمر مطاع ، وفيه يقول مهلهل الشاعر :

غُنيت دارنا تهامة بالألم من وفيها بنو معدن حلولا

ثم ازداد العز بولده نزار ، وانبسطت به اليد ، وتقدم عند ملوك الفرس واجتباها (تستشف) ملك الفرس ، وكان اسمه خلدان ، وكان مهزول البدن ، فقال الملك : مالك يا نزار ، وتفسيره في لغتهم يا مهزول ؟ فغلب عليه هذا الاسم فسمى نزاراً ، وفيه يقول قيس بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان :

جديسا خلفناه وطَمَسًا بأرضه فأكرم بنا عند الفخار فخارا

ففتح بنو عدنان خلدان جَدُّنا فسماه (تستشف) الهُمَامُ نِزارا

فسمى نِزارًا بعد ما كان اسمه لدى العرب (خلدان) بنوه خيارا

وكان لنزار أربعة أولاد : مَضر ، وربيعة ، وإياد ، وأُتار ، فلما حضرته الوفاة وصام . فقال : يا بني هذه القبة الحمراء وما أشبهها لمضر ، وهذا الخيلاء الأسود وما أشبهه لربيعة ، وهذه الخادمة وما أشبهها لإياد ، وهذه الندوة والجلس وما أشبهه لأتار ، فإن أشكل عليكم واختلقتم ، فليكم بالأفصى الجرهمي بنجران فاختلفوا في القسمة ، فتوجهوا إليه ، فبينما هم يسرون إذ رأى مضر كلاً قد رعى فقال : إن البعير الذي رعى هذا الكلاً لأعور ! وقال ربيعة : هو أزور ^(٢) وقال إياد : هو أبتر ^(٣) وقال أُنمار هو شرود ^(٤) ! فلم يسروا قليلاً حتى لقيهم

(١) ص ١١٨ (٢) أي به زور وهو عوج الزور أو اشراق احد جانبيه على الآخر (٣) مقطوع الذنب (٤) نفور

رجل يوضع^(١) على راحلته^(٢)، فسألم عن البعير. فقال مضر: هو أعور! قال: نعم! وقال ربيعة: هو أزور! قال: نعم! وقال إباد: هو أبترا! قال: نعم! وقال أثمار: هو شرود! قال: نعم! وهذه والله صفة بعيري فدلوني عليه، فقالوا والله ما رأيناه، قال: قد وصفتموه بصفته فكيف لم تروه؟ وسار معهم إلى نجران حتى نزلوا بالأففى الجرهمي، فناداه صاحب البعير: هؤلاء أصحاب بعيري وصفوه لي بصفته، وقالوا لم نره! فقال لهم الأففى الجرهمي: كيف وصفتموه ولم تروه؟ فقال مضر: رأيته يرعى جانباً ففرت أنه أعور! وقال ربيعة: رأيته إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر، ففرت أنه أزور! وقال إباد: رأيته بره مجتمعاً ففرت أنه أبترا! وقال أثمار: رأيته يرعى للكان لللتف ثم يجوز إلى غيره ففرت أنه شرود! فقال الجرهمي لصاحب البعير: ليسوا أصحاب بعيرك فاطلبه من غيرهم! ثم سألم: من هم؟ فأخبروه أنهم بنو نزار بن معد، فقال: أحتاجون إلى وأتم كما أرى؟ فدعاهم بطعام، فأكلوا وأكل، وبشراب فشربوا وشرب، فقال مضر: لم أركاليوم خيراً أجود لولا أنها نبتت على قبر! وقال ربيعة: لم أركاليوم لحماً أطيب لولا أنه ربي بلبن كلب! وقال إباد: لم أركاليوم رجلاً أسرى لولا أنه يدعى لنير أبيه! وقال أثمار: لم أركاليوم كلاماً أنفع في حاجتنا! وسمع الجرهمي الكلام فتعجب لقولهم وأنى أمه فسألها، فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا ولد له فسكرته أن يذهب الملك فأمكنك رجلاً من نفسها كان نزل به فوطئها فحملت منه به! وسأل القهرمان عن الحجر، فقال: من كرمه غرسها على قبر أبيك! وسأل الراعي عن اللحم، قال: شاة أرضعتها بلبن كلبة، لأن الشاة حين ولدت ماتت، ولم يكن ولد في الفم شاة غيرها. فقيل لمضر: من أين عرفت الحجر ونبتها على قبر، قال: لأنه أصابني عليها عطش

(١) اوضع: اسرع في سيره (٢) الراحلة: المركب من الإبل ذكرنا كان إوانسى وبمضهم يقول - الراحلة - الناقة التي تصلح أن ترحل.

شديد ! وقيل لريعة : من أين عرفت أن الشاة ارتضت على ابن كلبة ؟ قال : لأنى شمت منها رائحة السكلب ! وقيل لإياد : من أين عرفت أن الرجل يدعى لنير أبيه ؟ قال : لأنى رأيته يتكلف ما يعمل . ثم أتاهم الجرهمي وقال : صفوا لى صفكم ، فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوهم نزار ، فقصى لمضر بالقبة الحمراء والدنانير والإبل وهى حمر فسى مضر الحمراء ، وقضى لريعة بالخباء الأسود والخيل الدّم فسى ربيعة الفرس ، وقضى لإياد بالخادمة الشمطاء وللماشية الباق^(١) ، وقضى لأنمار بالأرض والدرهم ، وهذا الذى ظهر فى أولاد نزار من قوة الذكاء وحدة الفطنة تأسيساً لنيزم بالفضل ، واختصاصهم بوفرة العقل ، مقدمة لما يراد بهم انتهى . فانظر إلى هذه الفراسة التى كادت تصل إلى حد الإعجاز ؛ وكانت فى الوصول إلى مكنون الحقائق أقوم مجاز ، فقه تعالى در العرب ، فهم مظهر كل عجب .

وقد ازدادت فيهم الفراسة بعد أن أشرقت أنوار الإسلام على قلوبهم ، فنظروا بنور الله تعالى المودع فى أعين بصائرهم ما خفى من غيوبهم ، فقد ذكر ابن القيم فى كتابه (مفتاح دار السعادة) أن الإمام الشافعى القرشى كان له النصيب الأوفى منها ، فقد حكى أنه ومحمد بن الحسن رأيا رجلاً فقال محمد إنه نجار ، وقال الشافعى إنه حداد ، فسألاه عن صنعة ، فقال : كنت حداداً والآن نجاراً . بل إن كثيراً من أعراب البادية اليوم من له حظ منها ، وسمت أن كثيراً منهم إذا نظر إلى السحاب المراق قال : أمطرت أرض كذا وكذا وسال وادى كذا وكذا ، ولم تمطر أرض كذا ، وابتدىء أرض كذا ، فيكون كما قال ؛ وعرب اليمن أوفر حظاً من غيرهم فى الضرب الثانى من الفراسة ، والإمام الشافعى أخذ ذلك عنهم ، وله فى هذا الفن طرائف ، ففى (مفتاح دار السعادة) أن الإمام الشافعى قال : خرجت إلى اليمن فى طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها ،

(١) جمع ابلق وهو المرتفع التحجيل الى الفخذين

ثم لما كان انصرافى مرت في الطريق برجل ، وهو مُحْتَبٍ (١) بفناء داره ، أزرق العين نائق الجبهة ، قفلت له : هل من منزل ؟ قال نعم ! قال الشافى : وهذا الثمت أخبت ما يكون في الفراسة ، فأنزلى فرأيت أكرم رجل : بثت إلى بشاء وطيب وعلف للدواب وفراش ولحاف ، وجعلت أتقلب الليل أجمع ماذا أصنع بهذه الكتب فلما أصبحت قلت للفلام أسرج ، فأسرج ، فركبت ومررت عليه ، وقفلت له إذا قدمت مكة ومررت بذي طوى ، فسل عن منزل محمد بن إدريس الشافى . فقال لى الرجل أمولى لأبيك كنت أنا ؟ قلت : لا ! قال : فهل كانت لك عندي نعمة ؟ قلت : لا ؛ قال : فأين ما تكلفت لك البارحة ، قلت : وما هو ؟ قال : اشتريت لك طعاما بدرهمين وأدما بكذا . وعطراً بثلاثة دراهم ، وعلفاً لدوابك بدرهمين . وكرى الفراش واللحاف درهماً ! قلت : فهل بقى شيء ؟ قال كرى المنزل فإنى وسعت عليك وضيق على نفسى ! فنبطت نفسى حينئذ بتلك الكتب ! فقفلت له بعد أن أعطيته ما طلب : هل بقى شيء ؟ قال . امض أخزأك الله فما رأيت شراً منك ! وفى الكتاب المذكور أيضاً عن الربيع أنه قال اشتريت للشافى طيباً بدينار فقال لى : ممن اشتريته ؟ قلت : من ذلك الأشقر الأزرق ، فقال ، أشقر أزرق ، اذهب فردّه . وعن حرمة قال : سمعت الشافى يقول : احذروا من كل ذى عاهة في بدنه فإنه شيطان ، قال حرمة قلت — من أولئك ؟ قال الأعرج والأحول ونحوهما انتهى .

قال الأصمهانى : فى الذريعة : ومن الفراسة علم الرؤيا وقد عظم الله تعالى أمرها فى جميع الكتب المنزلة ، وقال نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن) وقال (إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً) الآية . وقال فى قصة إبراهيم (يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) وقوله (يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً) والرؤيا : هى فعل النفس الناطقة

(١) أى مشتمل بثوب أو جامع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها

ولو لم يكن لما حقيقة لم يكن لإيجاد هذه القوة في الإنسان فائدة ، والله يتعالى عن الباطل . وهي ضربان ضرب — وهو الأكثر — أضغاث أحلام ، وأحاديث النفس بالخواطر الرديئة لكون النفس في تلك الحال كالماء المتوج لا يقبل صورة وضرب — وهو الأقل — صحيح ، وذلك قسمان : قسم لا يحتاج إلى تأويل ، ولذلك يحتاج للمعبر إلى مهارة يفرق بين الأضغاث وبين غيرها ، ويميز بين الكلمات الروحانية والجسمانية ويفرق بين طبقات الناس ، إذ كان فيهم من لا تصح له رؤيا . وفيهم من تصح رؤياه ثم من صح له ذلك منهم من يرشح أن تلقى إليه في المنام الأشياء العظيمة الخطيرة ، ومنهم من لا يرشح له ذلك ، ولهذا قال اليونانيون : يجب أن يشتغل للمعبر بسمرة رؤيا الحكماء ولللك دون الطغام ، وذلك لأن له حظاً من النبوة . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » وهذا العلم لا يحتاج إلى مناسبة بين متعبريه وبينه ، فرب حكيم لا يرزق حدقاً فيه ، ورب " نزر الحظ من الحكمة وسائر العلوم توجد له فيه قوة مجيبة .

ويحكى عن العرب في التعبير حكايات مجيبة حتى عن المولدين منهم . قال ابن القيم في (مفتاح دار السعادة) حكى عن المهدي أنه رأى رؤيا ونسبها ، فأصبح معتمداً بها ، فدل على رجل كان يعرف الزجر والقال والتعبير ، وكان حاذقاً ، واسمه خويلد ، فلما دخل عليه أخبره بالقى أراد له ، قال له : يا أمير المؤمنين صاحب الزجر والقال إلى الحركة ، فنضب المهدي وقال : سبحان الله أحدم يذكر بعلم ولا يدري ما هو ! ومسح يده ووجهه ، وضرب بها على فخذه ، فقال له : أخبرك برؤياك يا أمير المؤمنين ! قال : هات ! قال : رأيت كأنك صعدت جبلاً ، فقال المهدي : لله أبوك يا سحر صدقت ! قال : ما أنا بسحر يا أمير المؤمنين غير أنك مسحت يديك على رأسك فزجرت لك ، وعلمت أن الرأس ليس فوقه شيء إلا السماء فأولته بالجبل ، ثم نزلت يديك إلى جبهتك ، فزجرت لك بنزولك إلى أرض ملساء فيها عينان مالحتان ثم انحدرت إلى سفح الجبل فلقيت رجلاً

من فخذك قريش ، لأن أمير المؤمنين مسح بعد ذلك بيده على فخذة فعلت أن الرجل الذي لقيته من قريشك ! قال : صدقت ، وأمر له بال وأمر أن لا يجيب عنه ، ومثل هذه الحكاية كثير . قال الأصفهاني : والزكاة ضرب من القناسة أيضاً ، وهي معرفة فعل باطن بفعل ظاهر بضرب من التوهم ؛ والقيافة ضرب من الزكاة لكنها أدق ، وقد ذكرناها سابقاً بقسميها ، والله ولي الهداية والتوفيق . ومن علومهم :

علم الكهانة والعرافة

كان هذا العلم في العرب أيام الجاهلية شائعاً فيهم ، وعليه مدار فصل خصوصياتهم ومنازعاتهم ؛ وقد تكلم في الكهانة كثير من أهل العلم ، وبسطوا الكلام فيها وأوجزوا ، ونحن نلخص هنا ما وقفنا عليه فنقول : الكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرهما ، قيل : هي ادعاء علم النيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب ، والأصل فيها استراق الجنى السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن ؛ والكاهن لفظ يطلق على العراف ، والذي يضرب بالحصى وللنجم ، ويطلق على من يقوم بأمر آخر ، ويسمى في قضاء حوائجه ، وقال في الحكم . الكاهن القاضي بالنيب ، وقال في الجامع : العرب تسمى كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهناً ، وقال الخطابي : الكهنة قوم لم أذهان حادة ، ونفوس شريرة ، وطباع نارية ، فألقنهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور ، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه ، قال بعض الأفاضل : وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب لاقطاع النبوة فيهم ، وهي على أصناف : منها ما يتلقونه من الجن ، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه إلى أن يتلقاه من يليه في أذن الكاهن فيزيده فيه ، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن ، حرست السماء من الشياطين ، وأرسلت عليهم الشهب ، فبقي من استراقهم ما يتخلفه

الأعلى فيلقية إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ خُفِيَ الْخُطْفَةُ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً كما سنبين ذلك في أخبار شق وسطيح ونحوهما ، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جداً حتى كاد يضمحل ؛ ثانيها ما يخبر به الجنى من يواليه بما غالب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً ، أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد ؛ ثالثها ما يستند إلى ظن وتخمين وحس ، وهذا قد يجعل الله تعالى فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه ؛ رابعها ما يستند إلى التجربة والمادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك ؛ ومن هذا القسم الأخير ما يضاهى السحر ، وقد يعتضد بعضهم في ذلك بالزجر والطرق والنجوم .

وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم : الكهانة في العرب ثلاثة أشرب أحدها أن يكون للإنسان رُئي^(١) من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، الثاني أن يخبره بما يطرا ويكون في أقطار الأرض ، وما خفي عنه مما قرب أو بعد ، وهذا لا يبعد وجوده . ونفت للمنزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين وأحالوا ، ولا استحالة في ذلك ولا بعد في وجوده ، لكنهم يصدقون ويكذبون ، والنهي عن تصديقهم والسمع منهم عام ؛ الثالث المنجمون ، وهذا الضرب يخلق الله تعالى في بعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب ، ومن هذا الفن العرافة فصاحبها عراف ؛ وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها : كالزجر والطرق بالحيى ؛ وهذه الأضراب كلها تسمى كهانة ، وقد أكنبهم الشرع ، ونهى عن تصديقهم وإتيانهم انتهى . يريد بالنهي حديث « من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » ولعل الحكمة في النهي عن ذلك لتلبية الكذب في كلامهم ولأن في تصديقهم ففتح باب يوصل إلى لظى ، إذ قد

(١) قال ابن الأثير : يقال للتابع من الجن رنى كرمى وهو فعيل أو فعول .
سمى به لأنه يتراى لمتبوعه أو هو من الراى من قولهم فلان رنى قومهم اذا كان صاحب رأيهم .

يجر إلى تعطيل الشريعة والطمع فيها ، لا سيما من العوام ؛ واستثناء ما هو من جنس الكسوف لندرة خطئهم فيه ، بل لعدمه إذا أمكنوا الحساب ؛ ولا كذلك ما يجربون به من الحوادث إذ قد بنوا ذلك على أوضاع السيارات بعضها مع بعض أو مع بعض الثوابت ، ولا شك أن ذلك لا يكفي في الغرض والوقوف على جميع الأوضاع ، وما تقتضيه مما يتعذر الوقوف عليه لغير علام الغيوب .

وقد أطال الكلام ابن خلدون في مقدمته على المدركات الغيبية ، ومنها الكهانة ، ومن كلامه فيها أنه قال^(١) وأما الكهانة فهي أيضاً من خواص النفس الإنسانية وذلك أن للنفس الإنسانية استعداداً للانسلاخ من البشرية إلى الروحانية التي فوقها وأنه يحصل من ذلك لحمة للبشر في صنف الأنبياء بما فطروا عليه من ذلك وتقرر أنه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك . ولا من التصورات ولا من الأفعال البدنية كلاماً أو حركة ، ولا بأمر من الأمور إنما هو انسلاخ من البشرية إلى الملكية بالقطرة في لحظة أقرب من لمح البصر ، وإذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجوداً في الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقلي أن هنا صنفاً آخر من البشر ناقصاً عن رتبة الصنف الأول نقصان الضد عن ضده الكامل ، لأن عدم الاستعانة في ذلك الإدراك ضد الاستعانة فيه ، وشتان ما بينهما ! فإذا أعطى تقسيم الوجود أن هنا صنفاً آخر من البشر مفلوراً على أن تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالإرادة عند ما يبشها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجيلة فيكون لها بالجيلة عندما يعوقها العجز عن ذلك تثبت بأمور جزئية محسوسة أو متخيلة كالأجسام الشفافة ، وعظام الحيوانات وسجع الكلام ، وما سنح من طير أو حيوان ، فيستديم ذلك الإحساس أو التحيل مستعيناً به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ، ويكون كالمشيح له ، وهذه القوة التي فيهم مبدأ لذلك الإدراك هي الكهانة ، ولكون هذه النفوس مفلورة على النقص

والتصور عن الكمال كان إدراكها في الجزئيات أكثر من الكليات ، ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة ، لأنها آلة الجزئيات فتتخذ فيها نفوذاً تاماً في نوم أو يقظة ، وتكون عندها حاضرة هتيدة تحضرها بالخيلة . وتكون لها كالمرآة تنظر فيها دائماً ، ولا يقوى الكاهن على الكمال في إدراك المقولات ، لأن وحيه من وحي الشيطان ، وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشغل به عن الحواس ، ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فيهبس في قلبه في تلك الحركة ، والذي يشيعها من ذلك الأجنبي ما يقذفه عن لسانه فربما صدق ووافق ، وربما كذب لأنه يتم نقشه بأسر أجنبي عن ذاته للدركة ، ومباين لها غير ملائم ؛ فيعرض له الصدق والكذب جميعاً ولا يكون موثقاً به ، وربما يفرغ إلى الظنون والتخمينات ، حرصاً على الظفر بالإدراك بزعمه ، وتمويهاً على السائلين ، وأصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان لأنهم أرفع سائر أصنافهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في مثله (هذا من سجع الكهان) فجعل السجع مختصاً بهم بمقتضى الإضافة ، وقد قال ابن صياد^(١) حين سأله كاشفاً عن حاله بالاختبار : كيف يأتيك هذا الأمر ؟ قال : يأتيني صادق وكاذب ، فقال : خلط عليك الأمر يعني أن النبوة خاصتها الصدق فلا يعترىها الكذب بحال لأنها اتصال من ذات النبي بالملا الأهل من غير مشيع ولا استعانة بأجنبي ، والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب مجرزه إلى الاستعانة بالتصورات الأجنبية كانت داخلية في إدراكه ، والتبست بالإدراك الذي توجه إليه ، فصار مختلطاً بها ، وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع أن تكون نبوة ، وإنا قلنا : إن أرفع مراتب الكهانة حالة السجع لأن معنى السجع أخف من سائر الغيبات من المراثيات والسموعات ، وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والإدراك والبعد فيه عن العجز^(٢) بعض الشيء .

(١) سنذكر عنه شيئاً قريباً . (٢) كذا . ولعله سقط من قلم الناسخ لفظ « عن » .

وقد زعم بعض الناس أن هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة ، وأن ذلك كان لمنعم من خبر السماء كما وقع في القرآن ، ولكهان إنما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ، ولا يقوم من ذلك دليل ، لأن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضاً كما قررناه ، وأيضاً فالآية إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ، ولم يمنعوا مما سوى ذلك ، وأيضاً فإنما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ، ولعلها عادت بعد ذلك إلى ما كانت عليه ، وهذا هو الظاهر لأن هذه الدارك كلها تمجد في زمن النبوة كما تمجد الكواكب والسرّج عند وجود الشمس لأن النبوة هي النور الأعظم الذي ينفي معه كل نور ويذهب ، وقد زعم بعض الحكماء أنها إنما توجد بين يدي النبوة ثم تنقطع ، وهكذا مع كل نبوة وقعت لأن وجود النبوة لا بد له من وضع فلكي يقتضيه ، وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ، ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة ، وهو معنى الكهان على ما قررناه ، فقبل أن يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضي وجود الكهان إما واحداً أو متعدداً ، فإذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكاله ، وانقضت الأوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء بعد ، وهذا بناء على أن بعض الوضع الفلكي يقتضي بعض أثره ، وهو غير مسلم ، فقلل الوضع إنما يقتضي ذلك الأثر بهيئته الخاصة ، ولو نقص بعض أجزائها فلا يقتضي شيئاً لا أنه يقتضي ذلك الأثر ناقصاً كما قالوه ؛ ثم إن هؤلاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي ، ودلالة معجزته ، لأن لم بعض الوجدان من أمر النبوة كاللؤلؤة كإيمان من أمر النوم ، ومعقولة تلك النسبة موجودة للكهان بأشد مما لنا ،

ولا يصدم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب إلا قوة المطامع في أنها نبوة لهم فيعمون في المناد كواقع لأمية بن أبي الصلت فإنه كان يطمع أن يكون نبياً ، وكذا وقع لابن الصياد^(١) ، ولسيلة^(٢) وغيرهم ؛ فإذا غلب الإيمان ، وانقطعت تلك الأمنى آمنوا أحسن إيمان كما وجب لطليحة الأسدي^(٣) وسواد بن قارب^(٤) وكان لهما في الفتوحات الإسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الإيمان . انتهى المقصود من نقله .

كلام في العرافة

والعرافة قسيمة للكهانة حسبما يفهم من كلام كثير من أهل العلم . قال الأصفهاني في كتاب الذريعة : الكهانة مختصة بالأمور المستقبلية ، والعرافة بالأمور الماضية . وعرفها بعضهم بقوله . العرافة الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية بالنسبة ، أو المشابهة الخفية ، التي تكون بينهما ، أو الاختلاط ، أو الارتباط على أن يكونا معلولين أمر واحد ، أو يكون ما في الحال عللة لما في الاستقبال ؛ وشرط كون الارتباط المذكور خفياً لا بطلح عليه إلا الأفراد ، وذلك إما بالتجارب ، أو بالحالة المودعة في أنفسهم عند الفطرة ؛ وهي كثيرة في العرب جاهلية وإسلاماً . يحكى أنه كان في زمن هرون الرشيد رجل أعشى من أهل العرافة ، وكان يستدل على المسؤول عنه بكلام صدر عن الحاضرين عقب السؤال ، فسرق يوماً من خزانة الرشيد بعض من الأشياء ، فطلب الرجل ، وأمر أن لا يتكلم أحد بعد السؤال أصلاً ، ففعلوا كما أمر ، والأعشى ألقى سمعه ولم يسمع شيئاً فأمر يده على البساط

(١) قال الزبيدي : هو رجل من اليهود أو دخيل فيهم واسمه « صاف » قبيما قيل . وكان عنده شيء من الكهانة أو السحر . وجملة أمره أنه كان فتنة آمنح الله بها عباد المؤمنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة . ثم أنه مات بالمدينة في الأكثر . وقيل أنه فقد يوم الحرية فلم يجدوه انتهى « الناجم مادة صيد » (٢) انظر ص ١٩٦ من الجزء الأول (٣) هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة الاسدي الققمسي كان يعد بالف فارس ثم تنبأ ثم أسلم وحسن إسلامه (٤) سيأتي ذكره قريباً .

فوجد فيه نواة تمر ، فقال : إن المسئول عنه در و ز بجد و ياقوت ! فقال الرشيد أين هو ؟ قال : في بئر ، فوجدوه كما ذكر الأعشى ، فتحير الرشيد فيه فستل عن سبب معرفته ، فقال : وجدت نواة تمر وطلع النخل أبيض ، وهو كالدر ، ثم يكون بمرأ وهو أخضر ولون الزمرد كذلك ، ثم يكون رطباً وهو أحمر ولون الياقوت كذلك ، ثم لما سألتهم عن مكان المسروق سمعت صوت دلو ففرفت أنه في بئر ! فاستحسن الرشيد استخراجهم وقرأته ، فأعطاه مالا جزيل . وحكى أن أبا معشر وصاحبه ذهباً إلى عراف فسألاه عن شيء . فقال إنكما سألتما عن مسجون ! فقالا : إنه يخلص ؟ قال : نعم يخلص ! فسألاه عن سبب معرفته ، فقال : إنكما سألتما وقع نظري على قرية ماء ففرفت أن السؤال عن مسجون ولما سألتما عن خلاصه نظرت فإذا هو قد فرغ قربه ، ولابن خلدون كلام في حقيقة العرافة ونحوها يستحسنه أهل النظر ، واملنا نذكره في علم الزجر .

نبذة من أخبار بعض من اشتهر من الكهان والعرافين

قد كان العرب على ما ذكرنا سابقاً يفرعون إلى الكهان والعرافين في تعرف الحوادث ويتنافرون إليهم في الخصومات ، ليعرفهم بالحق فيها من إدراك غيبهم وفي كتب أهل الأدب كثير من ذلك ، واشتهر منهم في الجاهلية جماعة معدودون ، منهم :

عزى سلمة الطهم

روى هشام بن محمد الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن عقيل بن أبي طالب قال : كان عبد المطلب بن هاشم ندباً للحرث بن أمية حتى تنافرا إلى نيل ابن عبد العزى ، فما نفر عبد المطلب فتفرقا ، ومات عبد المطلب وهو ابن عشرين ومائة سنة ، ومات قبل الفجار في الحرب التي بين هوازن ، ويقال بل تنافرا إلى عزى

سلة الكاهن ، قالوا : كان لعبد المطلب ماء بالطائف يقال له : (ذوالهَرَم ^(١))
لجأ التقفيون فاحتفروه فاصمهم عبد المطلب إلى عزي أو إلى قيل ، فخرج عبد المطلب
مع ابنه الحرث ، وليس له يومئذ غيره ، وخرج التقفيون مع صاحبهم وحرب
ابن أمية معهم على عبد المطلب فنقد ماء عبد المطلب فطلب إليهم أن يسقوه ،
فأبوا ، فبلغ العطش منهم كل مبلغ ، وأغفوا ^(٢) على الهلاك ، فبينما عبد المطلب
يثير بعيره ليركب إذ فجر الله له عينا من تحت جِرائه ^(٣) . فحمد الله وعلم أن ذلك
منه فشرب وشرب أصحابه ربههم ، وتزودوا منه حاجتهم ، ونقد ماء التقفيين ،
فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم ، فأنهم لهم ، فقال له ابنه الحرث :
لأنصحين على سبقي حتى يخرج من ظهري ! فقال عبد المطلب : لأسقينهم
فلا تفعل ذلك بنفسك فسقام ثم أطلقوا حتى أتوا الكاهن ، وقد خبأوا له رأس
جراة في خزانة مزادة ، وجعلوه في قلادة كلب لم يقل له : (سوار) فلما أتوا
الكاهن إذا هم ببقرتين نسوقان بينهما بخرجا ^(٤) كلتاها تزم أنه ولدها ،
ولدتا في ليلة واحدة فأكل النمرأحد البخرجين فما توأمان الباقي ، فلما وقفا بين
يديه قال الكاهن : هل تدرون من تريد هاتان البقرتان ؟ قالوا لا : قال الكاهن :
ذهب به ذو جسد أربد ^(٥) وشذق مرمع ^(٦) وناب معلق ، ماله صغرى في ولد
الكبرى حتى ، فقصى به للكبرى ، ثم قال : حاجتكم ، قالوا : قد خبأنا لك
خبثا فأنبئنا عنه ، ثم تخبرك بما جئنا ، قال : خبأتكم لي شيئا طار فسطع
فصوب فوق ، في الأرض منه بقع ، فقالوا : لاده أي بينه ، قال : هو شيء طار
فاستطار ، فوذنب جرار ، وساق كالنشار ، ورأس كالسمار . فقالوا لاده ، قال :

(١) بفتح فسكون . وضبطه بعضهم بكسر الراء . قال ياقوت : هكذا
ضبطناه عن أهل العلم والصحيح عندي أنه ذو الهرم بالتحريك وله فيه قصة
جاء فيها سجع يدل على ذلك . . . ومن ضبط الهرم بالفتح والسكون قال
أنه « مال » كان لعبد المطلب أو لابي سفيان بالطائف (٢) اشرفوا

(٣) بالكسر مقدم عنقه من مذبحه الى منحرة .

(٤) البخرج : ولد البقرة (٥) أي أسود مختلط (٦) الشذق : جانب
القم . ومرمع : مصغر متغير .

إن لاده فلاده ، هو رأس جراده ، في خرمزاده ، في عنق (سوار) ذى القلاده ، قالوا : صدقت ، فأخبرنا فيما اختصمنا إليك فأخبرهم فانتسبوا له فقتل بينهم ورجعوا إلى منازلهم على حكمه . وقد أورد هذا القصة الميداني أيضاً عند الكلام على قولهم (إِلَادِهِ فَلَادِهِ) قال : وروى ابن الأعرابي إلامه فلاده ، ويروى أيضاً إلامه فلاده أى إن لم تُعطِ الاثنين لا تُعطى العشرة ، قال أبو عبيد : يضربه الرجل يقول أريد كذا وكذا . فإن قيل له ليس يمكن ذا قال فكذا وكذا ، وقال الأصمعي : معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن ، وقال : لا أدري ما أصله . قال : رؤية « وقولُ إلامه فلاده » قال المنذرى : قالوا معناه إلامه فلا هذه . معنى أن الأصل الادمه فلاده بالفتح المعجمة فحرف بالفتح غير المعجمة ، كما قالوا يهود . ثم عرب فقيل يهود ، وقيل أصله إلامه أى إن لم تضرب فأدخل التنوين فسقط الياء وقبله .

فاليوم قد نهتهى تنهتهى وأولُ حلمٍ ليس بالسُّفهِ
وقولُ إلامه فلاده وحقةٌ ليست بقول التَّزَمِ

يقول : زجرنى زواجر العقل ، ورجوع حلم ليس ينسب إلى السفه ، وقول أى ورجوع قول أى نساء قول يقرن إن لم يقب الآن مع هذه السوابع لا يتب أبداً . وقوله : و « حقة » أى وقالة حقة يقال حق وحقة كما يقال أهل وأهله يريد الموت وقر به انتهى . وقال عبد القادر البندادى فى كتاب خزانة الأدب بعد أن أورد هذه الأبيات : وصف رؤية قبل هذه الأبيات شباها ، وما كان فيه من مغازلة الغواني ومواصلة الأمانى — إلى أن قال — فاليوم قد زجرنى عما كنت فيه أربعة أشياء : الأول التنهية ، وهو مطاوع نهتهه عن كذا فتنهه . أى كفتته وزجرته عنه فكف ، أى زجرنى زواجر العقل ، الثانى أول حلم أى رجوع عقل لا ينسب إلى السفه ، الثالث عدل القائلين إن لم تتب الآن مع هذه السوابع إلى التوبة فلا تتوب أبداً فقوله « وقول » على حذف مضاف ، والرابع حقة أى خطه حقة ، فالوصف محذوف ، وأراد بها الموت وقر به ، يقال حق وحقة كما يقال أهل وأهله ،

والتره اسم مفرد بمعنى الباطل ، يقال تره وترهه وجمع الأول تراريه ، وجمع الثاني ترهات . وقول الرضى (دَه) بفتح الدال وسكون الهاء إلى آخر ما ذكره هذا كلام شارح الباب لإسماعيل القسالى من غير زيادة ولا نقص ، ولا يخفى أنه إذا كان ده بمعنى اضرب فهو اسم فعل لا صوت ، والحق أنها فى لغة الفرس زجر لذى الحافر ليسرع ، أوليذهب وليست بمعنى اضرب ، وهذا أمر ظاهر من استعمالهم إلى الآن ، ولكنهم أجمعوا على أنها بمعنى الضرب وحينئذ فيرد عليهم أنها تكون اسم فعل لا صوتاً قال صاحب الباب : ذكر جار الله أن ده زجر للإبل مثل هيد وهاد ، وذكر فى أمثاله أن ده بفتح الدال وكسرهما فارسية معناها الضرب قد استعملها العرب فى كلامهم ؛ وأصله أن اللوتور يلتقى وأتره فلا يتعرض له ، فيقال له : « إلامه فلا ده » أى إلامك إن لم تضربه الآن فإنك لا تضربه أبداً ، وتقديره إن لم يكن ده فلا يكون ده أى إن لم يوجد ضرب الساعة فلا يوجد ضرب أبداً ، ثم اتسعوا فيه فضر به مثلاً فى كل شيء لا يقدم عليه الرجل وقد حان حينه من قضاء دين قد حل ، أو حاجة طلبت ، أو ما أشبه ذلك من الأحوال التى لا يسوغ تأخيرها ؛ والحاصل أن قولهم إلامه فلا ده قد اختلف فى ضبط لفظه وشرح معناه ، وجميع الأقوال على أنها كلمة فارسية معربة ؛ وقد أبى أبو محمد عبد الله الشهير بابن برى المقدسى أن تكون هذه الكلمة فى هذا المثل غير عربية ، وذهب إلى أنها صفة مشبهة من الدهاء وهو الفطنة ، ورد على ملك النجاة فى زعمه أنها أعجمية فى الأصل بمعنى اسم الفعل ؛ ولقد أجاد ، فيما أفاد ، وحقق مدعاه فوق المراد ، وهو مذكور فى كتاب الخزانة ، ومنهم :

سقى بن أحمد بن زرار

كان شق هذا شق إنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ، ذكر الحافظ ابن الجوزى : أن خالد بن عبد الله القهري كان من ولد شق هذا ؛ وهذا

الاسم في الأصل اسم الحيوان وهو بكسر الشين ؛ قال القزويني . الشق من التشيطنة صورته صورة نصف آدمي ! ويزعمون أن التناسل مركب من الشق ومن الآدمي ، ويظهر للإنسان في أسفاره . وذكروا أن علقمة بن صفوان بن أمية خرج في بعض الليالي فاتته إلى موضع فعرض له شق ، فقال علقمة : يا شق ! مالي ولك ، اغمد عني مُنْصَلُكَ^(١) أقتل من لا يقتلك ؟ فقال شق : هَيْتَ لَكَ^(٢) ، واصبر لما قد حُمَّ لَكَ^(٣) فضرب كل واحد منهما صاحبه فوقع ميتاً ؛ وفي سيرة ابن هشام عن ابن إسحق : أن مالك بن نصر اللخمي رأى رؤيا هالته ، فبعث إلى جميع الكهان والسحرة والنجمين من رعيته فاجتمعوا إليه فقال : إني رأيت رؤيا هالتي وفظمت بها ، فقالوا : قصها علينا نخبرك بتأويلها ! فقال لم إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم في تأويلها ، ولست أصدق في تأويلها إلا أن عرفها قبل أن أخبره بها ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الذي يرومه الملك لا يجده إلا عند شق وسطيح ، فلما أخبروه بذلك أرسل الملك من أتاه بهما ، فسأل سطيحا فقال : أيها الملك إنك رأيت حمة^(٤) خرجت من ظلة فوقت بأرض تهمه^(٥) وأكلت منها كل ذات ججمه^(٦) ! فقال الملك ؛ ما أخطأت شيئا ، فاعندك في تأويلها ؟ فقال سطيح : أحلف بما بين الحرتين من حش ، ليهبطن أرضكم الحبش ، وليلسكن ما بين أبين إلى جرش ! فقال الملك : وأبيك يا سطيح إن هذا لنا لفاظ موجه ، فحق يكون ذلك أفي زمانى أم بعده ؟ فقال : بل بعده بحين ، أكثر من ستين ، أو سبعين ، يمضين من السفين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين ! قال الملك : ومن الذي يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه ابن ذى يزن^(٧) يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن ! قال : أفيدوم ذلك من

(١) سيفك (٢) أى هلم (٣) أى قضى لك وقدر (٤) قطعة من نار
(٥) منخفضة (٦) إنما قال كل ذات ججمه ولم يقل كل ذى ججمه لأن
القصد إلى النفس والنسمة فهو أعم ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح ولو
جاء بالتذكير لكان أما خاصا بالإنسان أو عاما في كل شيء حتى أو جماد .
(٧) كذا والصواب « يليه أرم ذى يزن » .

سلطانة أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع ، قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبى زكى ، يأتيه الوحي من ربه العلى ، قال : ومن هذا النبى ؟ قال : من ولد غالب بن فهر بن مالك ابن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر ، فقال الملك : وهل للدهر من آخر ياسطيح ؟ قال : نعم ! يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه الحسنون ، ويشقى فيه السيئون ، فقال الملك : أحق ما تقول ياسطيح ؟ قال : نعم ! والشفق^(١) والفسق^(٢) ، والتفلق إذا اتسق^(٣) ، إن ما أخبرتك به لحق (ثم إن الملك) دعا شقاً فسأله كما سأل سطيحاً ، فقال له شق . إنك رأيت حمة ، خرجت من ظلة ، فوقعت بين روضة وأكمة^(٤) . فأكلت كل ذات نسمة^(٥) فلما سمع الملك مقالة شق قال له . ما أخطأت شيئاً فما عندك فى تأويلها ؟ فقال شق . أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليظلمن على كل طقة البنان^(٦) ، وليلسكن ما بين أبين إلى نجران ، قال الملك وأبيك يا شق إن ذلك لنا لناظر مؤلم ففى يكون ذلك فى زمانى أم بعده ؟ فقال . بل بعده زمان ، ثم يستنقذكم منه عظيم الشأن ، ويذيقهم أشد الهوان ، قال الملك . من هو العظيم الشأن ؟ قال . غلام ليس بدنى ولا مدن^(٧) يخرج عليهم من بيت ذى وزن ، فقال الملك . أفيدوم ذلك من سلطانة أم ينقطع ؟ قال . بل ينقطع برسول مرسل ، يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل ، فقال الملك . وما يوم الفصل ؟ فقال شق . يوم يجرى فيه الولاة ، يدعى فيه من السماء بدعوات ، يسمعون الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للفيقات ، ويكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات ، فقال الملك . أحق

(١) الحمرة فى الافق من الغروب الى قريب العتمة (٢) ظلمة اول الليل.

(٣) أى انتظم (٤) شرفة كالرابية (٥) النسمة فى الاصل نفس الريح ثم سميت بها النفس بالسكون (٦) أى رخصة الاصابع ناعمتها (٧) الدنى : معروف والمدنى كمحدث الضعيف الخسيس الذى لا غناء عنده المقصر فى كل ما اخذ فيه نقله الازهرى وانشد :

فلا وابيك ما خلقى بومر ولا انا بالدنى ولا المدنى

ما تقول يا شق؟ قال . إى وربّ السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ،
إن ما أنبأتكم به لحق ما فيه أمض^(١) ، فوقع ذلك فى نفس الملك لما رأى من
تطابق شق وسطيح على ما ذكرناه ، فجزأ أهل بيته إلى الحيرة فرّقاً من سلطان
الحبيشة . ومنهم :

سطيح بن عازد بن عمارة

كان سطيح يدرج كما يدرج الثوب ، ولا عظم فيه إلا الجمجمة ويقال إنه كان
وجهه فى صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ، وكان فى عصره من أشهر الكهان ،
وأخباره فى التواريخ والسير كثيرة ؟ وكان هو وشق ولدا فى يوم واحد ، وكانا من
المعمرين . قال كثير من أهل السير وبعضهم يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما أنه قال . لما كانت الليلة التى ولد فيها النبی صلى الله تعالى عليه وسلم
ارتجس^(٢) إواب كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرافة ، فعظم ذلك
على أهل مملكته ، فما كان أو شك أن كتب إليه صاحب اليمن يخبره أن بحيرة
ساوة غاضت تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب السماوة يخبره أن وادى السماوة
انقطع تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يمر تلك الليلة فى بحيرة
طبرية ، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت التيران خدت تلك الليلة
ولم تحصد قبل ذلك بألف سنة ، فلما توارت الكتب أبرز سريره ، وظهر لأهل
مملكته ، فأخبرهم الخبر ، فقال المؤبدان^(٣) : أيها الملك إنى رأيت تلك الليلة
رؤيا هالتي ، قال له : وما رأيت ؟ قال رأيت إبلاً صاباً^(٤) ، تفود خيلاً عراباً^(٥)
قد اتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا ، قال : رأيت عظيماً فما عندك فى تأويلها ؟
قال : ما عندى فيها ولا فى تأويلها شيء ، ولكن أرسل إلى عاملك بالحيرة بوجه

(١) أى ما فيه شك ولا مسراب (٢) وجف (٣) بضم الميم وفتح الباء
فقيه الفرس وحاكم المجوس (٤) جمع صعب وهو من الدواب نقيض الذلول
(٥) أى عربية منسوبة إلى العرب .

إليك رجالاً من علمائهم ، فإنهم أصحاب علم بالحدثان ، فبحث إليه عبد المسيح بن بُقَيْلَةَ النِّسَانِيّ ، فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر ، فقال له : أيها الملك : والله ما عندى فيها ولا فى تأويلها شئ ، ولكن جهرنى إلى خال لى بالشام يقال له (سطيح) قال : جهزه ، فلما قدم على سطيح وجده قد احتضر ، فناداه فلم يجبه وكلمه فلم يرد عليه ، فقال عبد المسيح :

أَصَمَّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفَ الْيَمِينِ يَا فَاصِلَ الْخَطَّةِ أَعَيْتَ مَنْ وَمَنْ^(١)
أَنَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ أَيْبُضُ فَضْفَاضِ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنِ^(٢)
رَسُولُ قَبِيلِ الْعَجَمِ يَهُوَى لِلْوَنِّ لَا يَرْهَبُ الرِّعْدَ وَلَا رَزَبَ الزَّمَنِ^(٣)
فرفع إليه رأسه ، وقال : عبد المسيح ، على جمل مشيح^(٤) ، جاء إلى سطيح .
وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان ، لارتحاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا المؤبذان ، رأى إبلاً صاباً ، تقود خيلاً عرباً ، قد اقتحمت فى الواد ، واتشرت فى البلاد . ثم قال : يا عبد المسيح إذا ظهرت التلاوة ، وقاض وادى السماوة ، وظهر صاحب المراوة^(٥) فليست الشام لسطيح بشام ، يملك منهم ملوك وملكات ، عدد سقوط الشرفات ، وكل ما هوى آت ، ثم قال :

إِنْ كَانَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنْ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَاراً دَهَارِيْرُ^(٦)
مِنْهُمْ بَنُو الصَّرْحِ بِهَرَامٍ وَإِخْوَتُهُ وَالْمُرْمَزَاتِ وَسَابُورِ وَسَابُورِ
فَرَبَّمَا أَصْبَحُوا يَوْمًا بِمَنْزَلَةٍ تَهَابَ صَوْلَمُ الْأَسَدِ الْمَهَاصِرِ
حَثُوا الْمَطْلَى وَجَدُوا فِي رَحْلِهِمْ فَا يَقُومُ لَمْ يَسْرَجْ وَلَا كُورُ^(٧)
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَّاتٍ فَنَ عَلُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ فُحْقُورٍ وَمُهْجُورُ^(٨)

(١) الغطريف بالكسر السيد الشريف والسخي السرى (٢) الفضفاض الواسع (٣) القبيل الملك أو هو دون الملك الأعلى (٤) جاد مسرع (٥) الهراوة: العصا ، وصاحب الهراوة : هو سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
(٦) الدهارير : تصارييف الدهر ونوابيه مشتق من لفظ الدهر ليس له واحد من لفظه كعبايد ويقال دهر دهارير أى شديد (٧) الكور بالضم : رحل البعير (٨) أولاد العلات : أولاد امهات شتى من رجل واحد .

والخير والشر مقرونان في قرن^(١) فالخير متبع والشر محذور
فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره ، قال كسرى : إلى أن يملك منا
أربعة عشر ملكا تكون أمور ، ويدور الزمان ، فهلكوا كلهم في أربعين سنة ،
والموازنة عند الفرس هم القضاة ، والمراينة هم كالحلفاء للموازنة ، والأصهبيد حافظ
الجيش وأمير الأمراء ، والمذار هو الوزير الأعلى ، والمرازية حفظة النغور وولاة
الملسكة ، كذا في كتب السير . وأخبار وشق وسطيح كثيرة . قال ابن خلدون في
مقدمته : ومن مشهور الحكايات عنهما تأويل رؤيا ريعة بن مضر وما أخبر به :
من ملك الحبشة لليمن ، وملك مضر من بدم ، وظهور النبوة المحمدية في قرش ،
ورؤيا الموبدان التي أولها سطيح لما بعث إليه بها كسرى عبد المسيح فأخبره بشأن
النبوة ، وخراب ملك فارس ، وهذه كلها مشهورة ، ومنهم :

طريقة^(٢) الطائفة

كانت طريقة هذه من أشهر كهان عصرها ، وهي التي أئذرت عمرو بن عامر
أحد ملوك اليمن بزوال ملكه ، وأخبرته بخراب سد مأرب ، وإتيان سيل العرم
وإفساده الجنتين ، بمقتضى ما ظهر لها من الكهانة ، قال عبد الملك في شرح قصيدة
ابن عبدون : إن أرض سبأ من اليمن كانت العمارة فيها أزيد من مسيرة شهرين
للكركب المجذ ، وكان أهلها يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة أربعة أشهر ،
ففرقوا كل ممزق ، وكان أول من خرج من اليمن في أول الأمر عمرو بن عامر
مزقياء ، وكان سبب خروجه أنه كانت له زوجة كاهنة يقال لها طريقة الخير ،
وكانت رأت في منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ، ثم صمقت
فأحرقت كل ما وقعت عليه ، ففرغت طريقة لذلك فرعا شديدا ، وأنت الملك عمرأ

(١) أي مجموعان في جبل (٢) هكذا ضبطت في معجم البلدان « طبعة مصر » وضبطها بعضهم بفتح الطاء وكسر الراء .

وهي تقول : ما رأيت كاليوم ، أزال عني النوم ، رأيت غياً أرعد وأبرق ، وزجر وأصسق ، فاقع على شيء إلا أحرق ، فلما رأى ما دخلها من الفرع سكنها ، ثم إن عمراً دخل على حديقة له ومعه جارتان من جواريه ، فبلغ طريقة ، فخرجت إليه وخرج معها وصيف لها اسمه سنان ، فلما برزت من بيتها عرض لها ثلاث مناجد منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن (وهي دواب تشبه البراييم) قعدت إلى الأرض واضعة يديها على عينيها ، وقالت لوصيفها : إذا ذهبت هذه المناجد فأخبرني ، فلما ذهبت أخبرها ، فانطلقت مسرعة ، فلما عارضها الخليج الذي في حديقة عمرو وثبت من الماء سلخفاً ، فوقت على الطريق على ظهرها ، وجعلت تروم الانقلاب فلا تستطيع ، وتستمين بذنبها فتحتو التراب على بطنها من جنباته وتقذف بالبول على بطنها قذفاً ، فلما رأتها طريقة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلخفاة إلى الماء مضت طريقة إلى أن دخلت على عمرو وذلك حين انتصف النهار في ساعة شديدة حرها فإذا الشجر ينشكافاً من غير ريح ، فلما رآها استحميا منها وأمر الجاريتين بالانصراف إلى ناحية ، ثم قال لها : يا طريقة ، فكهنت وقالت : والنور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الشجر هالك ، وليعودن الماء كما كان في الزمن السالك ، قال عمرو : من أخبرك بهذا ؟ قالت : أخبرتني المناجد ، بسنين شتائد ، يقطع فيه الولد الوالد ، قال ما تقولين ؟ قالت أقول قول التندمان لهفاً ، لقد رأيت سلخفاً تجرف التراب جرفاً ، وتقذف بالبول قذفاً ، فدخلت الحديقة فإذا الشجر من غير ريح ينشكافاً قال : ما ترين في ذلك ؟ قالت : هي داهية دهياء من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة ، قال : وما هو بلك ؟ قالت : أجل وإن فيه الويل ، ومالك فيه من نيل ، وإن الويل فيما يجي . به السيل ، فألقى عمرو عن فراشه وقال : ما هذا يا طريقة ؟ قالت : خطب جليل ، وحزن طويل ، وخلف قليل ، قال : وما علامة ما تذكرين ؟ قالت : إذ ذهب إلى السد فإذا رأيت جرداً يكثر يديه في السد الحفر ويقلب برجليه من أجل الصخر ، فاعلم أن النمر غمر ، وأنه قد وقع الأمر ، قال

وما الذى تذكرين ؟ قالت : وعد من الله تعالى نزل ، وباطل بطل ، ونكال بنا نكل فبغيرك يا عمرو يكون الشكل ، فانطلق عمرو فإذا الجرذ يقلب رجله صخرة ما يقلها خسون رجلاً ، فرجع وهو يقول :

أبصرتُ أُنْزَا عَادَى مِنْهُ أَلَمٌ وَهَاجَ لِي مِنْ هَوَاهُ بَرَحَ السَّعْمِ^(١)
من جرذ كفعل خنزير الأَجْمِ أو كبش صرم من أفلوبق النعم^(٢)
يسحب قطعاً من جلاميد الرمم له غثاليبُ وأنيابُ قضم^(٣)
ما فاته سحلاً من الصَّخْرِ قضم^(٤)

فكانت طريقة : وإن من علامة ذلك الذى ذكرته لك أن تجلس فتأمر بزجاجة فوضع بين يديك ، فإن الريح يملؤها من تراب البطحاء من سهل الوادى وحزنيهِ ، وقد علمت أن الجنان مظلة لا يدخلها شمس ولا ريح ؛ فأمر عمر بزجاجة فوضعت بين يديه ، ولم تمسك إلا قليلاً حتى امتلأت من التراب فأخبرها بذلك ، وقال لها : متى يكون ذلك الخراب الذى يحدث فى السد ؟ قالت : فيما بينى وبينك سبع سنين ا قال : فى أيها يكون ؟ قالت : لا يعلم بذلك إلا الله تعالى ، ولو علمه أحد لعلته ، وأنه لأتانى على ليلة فيما بينى وبين سبع سنين إلا غلظت هلاكه فى غدها أو فى مساءها ؛ ثم رأى عمرو فى منامه سيل العرم ، وقيل له : إن آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت فى سفح النخل ، فنظر إليها ، فوجد الحصباء قد ظهرت فيها ، فلم أنه واقع ، وأن بلادم ستغرب ، فحكم ذلك وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب ، وأن يخرج منها هو وولده ؛ ثم خشى أن تنكر الناس عليه ذلك ، فأمر أحد أولاده إذا دعاه لما يدعوه إليه أن يتأبى عليه ، وأن يفعل ذلك به فى الملأ من الناس ، وإذا لطمه يرفع هو يده

(١) البرح : الشدة (٢) الاجم : جمع أجمة وهى الشجر الكثير اللثف .
والصرم : جمع صريجة وهى القطة من الابل (٣) قضم قضمًا اكل باطراف
سنانه (٤) سحله : قشره ونحنه . وقضمه : كسره .

ويلطمه ؛ ثم صنع عمرو طعاماً ، وبث إلى أهل مأرب أن عمراً قد صنع طعاماً يوم مجد وذكر فاحضروا طعامه ؛ فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذي أمره بما قد أمره ، فجعل يأمره فيأتني عليه ، فرفع عمرو يده فطمه ، فطمه ابنه وكان اسمه مالكاً ، فصاح عمرو واذلاء يوم فخر عمرو وبهجته : صبي يضرب وجهه ! وحلف ليقبله ، فلم يزالوا يرغبون إليه حتى ترك ، وقال : والله لا أقيم بموضع صنع فيه بي هذا ، ولأيسن أموالى حتى لا يرث بمدى منها شيئاً ! فقال الناس بعضهم لبعض : اغتسموا غيظ عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى ، فابتاع الناس منه كل ماله بأرض مأرب وفشى بعض حديثه فيها بلغم من شأن سيل العرم ، فقام ناس من الأزد فباعوا أموالهم ، فلما أكثروا البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا عن الشراء . فلما اجتمعت إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن السيل وخرج ، فخرج لخروجه منها بشر كثير ، فنزلوا أرض (عك) فخاربهم عك ، فارتحلوا عن بلادهم ، ثم اصطالحوا وبقوا بها حتى مات عمرو ، وتفرقوا في البلاد : فذهب من سار إلى الشام وهم أولاد جفنة عمرو بن عامر ، ومنهم من سار إلى يثرب وهم أبناء قيلة الأوس والخزرج وأبوها حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر ، وسارت أزد السراة إلى السراة ، وأزد عمان إلى عمان ، وسار مالك بن فهم إلى العراق ، ثم خرجت بمد عمرو يسيرون من أرض اليمن طي . فنزلت أجاً وسلى ، ونزلت أبناء ربيعة بن حارثة بن عامر بن عمرو تهامة وسموا خزاعة لانخزاعهم من إخوانهم ، ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه ، وفي ذلك يقول ميمون بن قيس الأعشى :

وفي ذلك لغوثى أسوة ومأرب عني عليها السرْمُ
رُخام بَلَّتَهُ لَمْ يَحْيَرْ إِذَا جَاءَ مَوَارِهِ لَمْ يَرِمِ
فَأَرَوَى الزَّرْعَ وَأَعْتَابَهَا عَلَى سَاعَةِ مَأْزَمِ إِذْ قَسَمِ
فَصَارُوا أَيَادَى مَا يَقْدُرُو نَ مِنْهُ عَلَى شَرْبِ طِفْلِ قَطَمِ

وذكر الميداني عند قول العرب في اللث « تفرقوا أيادي سبأ » عن فروة ابن مسيك ، قال أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت : يا رسول الله أخبرني عن سبأ أرجل هو أم امرأة ، فقال : هو رجل من العرب وله عشرة : تيامن منهم ستة ، وتشأم أربعة ، فأما الذين تيامنوا فالأزد والسكندة والمذحج والأشعرون وأثمار منهم بجيلة . وأما الذين تشأموا فعاملة وغسان ونلم وجذام ، وهم الذين أرسل عليهم سيل العرم ، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشحر وأودية اليمن ، فردموا ردماً بين جبلين ، وحبسوا الماء وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث ، فأخصبوا وكثرت أموالهم ، فلما كذبوا رسلهم بث الله جرذاً فقتل ذلك الردم حتى انتقض ، فدخل الماء جنتهم ، ففرقهما ودفن السيل بيوتهم ، فذلك قوله تعالى (فأرسلنا عليهم سَيْلَ الْعَرَمِ) والعرم : جمع عرمة وهو السكر الذي يحبس الماء . وقال ابن الأعرابي : العرم السيل الذي لا يطلق . وقال قتادة ومقاتل : العرم اسم وادي سبأ ، ثم ذكر الميداني عن الكلبي عن أبي صالح أن طريفة الكاهنة قد رأت في كهاتها أن سد مأبوس سيخرب ، وأنه سيأتي العرم فيخرب الجنتين ، فباع عمرو بن عاصر أمواله ، وسار هو وقومه ، حتى انتهوا إلى مكة فأقاموا بها وبما حولها ، فأصابتهم الحمى ، وكانوا يبذل لا يدرون فيه ما الحمى ، فدعوا طريفة فشكوا إليها الذي أصابهم ، فقالت لهم : قد أصابني الذين تشكون وهو مفرق بيننا . قالوا فإذا تأمرين ؟ قالت : من كان منكم ذا هم بعيد ، وجهل شديد ، ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد ، فكانت أزد عمان . ثم قالت : من كان منكم ذا جلد وقصر ، وصبر على أزمات الدهر ، فعليه بالأراك من بطن مر ، فكانت خزاعة ثم قالت : من كان منكم يريد الراسيات في الوحل ، المطعمات في الحبل ، فليلحق ببيترب ذات النخل ، فكانت الأوس والخزرج . ثم قالت : من كان منكم يريد الحجر والحجير ، والملك والتأسير ، ويلبس الديباج ، والحريز ، فليلحق ببُصْرَى وغوير ، وهما من أرض

الشام ، فكان الذين سكنوها آل جَفْنَة ، من غَسَّان . ثم قالت : من كان منكم يريد الثياب الرقاق ، والخليل السناق ؛ وكنوز الأرزاق ، والهم للهراق ، فليلق بأرض العراق ، فكان الذين سكنوها آل جَذِيمة الأبرش ، ومن كان بالحيرة وآل محرق . . . وللقصود أن طريفة كانت من مشاهير الكهان في زمنها ، ولها أخبار كثيرة ونوادير شهيرة . ومنهم :

زبراء الكاهنة

كانت من الكهنة المذكورين عند العرب ، وكلامها له وقع في نفوسهم ، ولها في ذلك نوادر معجبة . روى القالي في أماليه^(١) عن أبي بكر قال : حدثنا السكر بن سعيد عن محمد بن عباد عن أبي مخنف عن أشياخ من علماء قضاة قال : كان ثلاثة أبطن من قضاة مجتودين بين الشَّخِر وحِشْرَمَوْت : بنو ناعب وبنو داهن ، وبنو رثام وكانت بنو رثام ، أقلمهم عدداً ، وأشجعهم لقاء ، وكانت لبني رثام هجوز تسمى خُوَيْلة ، وكانت لها أمة من مولات العرب تسمى (زبراء) وكان يدخل على خويلة أربعون رجلاً كلهم لها محرمٌ بنو إخوة وبنو أخوات ، وكانت خويلة عقيماً ؛ وكانت بنو ناعب وبنو داهن متظاهرين على بني رثام ، فاجتمع بنو رثام ذات يوم في عُرْس لهم وهم سبعون رجلاً كلهم شجاعٌ بئيس ، فطعموا وأقبلوا على شرايهم ، وكانت زبراء كاهنة ، فقالت لخويلة انطلقى بنا إلى قومك أنذرهم ، فأقبلت خويلة تتوكأ على زبراء ، فلما أبصرها القوم قاموا إجلالاً لها ، فقالت يا عمر الأكباد ، وأنذاد الأولاد ، وشجا الحساد^(٢) هذه زبراء ، تخبركم عن أنباء . قبل انحسار الظلماء ، بالوَيْد^(٣) الشنماء ، فاسموا ماتقول ! قالوا : ما تقولين يا زبراء ؟ فقالت : والليل الناسق^(٤) ، والوَح^(٥) الخفافق ،

(١) ج ١ ص ١٢٦ ١٢١ الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه
(٢) أى الداهية والأمر العظيم (٤) ، أى الشديد الظلمة (٥) بالضم ، الهواء بين السماء والأرض ، وبالفتح العطنس .

والصباح الشارق ، والنجم الطارق ^(١) . وللزن الوادق ، إن شجر الوادى ليأدو
خَتَلًا ^(٢) ، ويحرق أنيابًا عُصَلًا ^(٣) . وإن صخر الطود لينذر نَسْكَلا ، لا تجحدون
عنه مثلاً ^(٤) ، فواقت قوماً أشارى سُكارى ^(٥) فقالوا : ربح خَجُوج ^(٦) ، بميدة
ما بين الفروج ، أنت زبراه بالأبلى التتوج ^(٧) ، قالت زبراء : مهلاً يا بنى
الأعزة ! والله إني لأشتم دَفَرَ ^(٨) ، الرجال تحت الحديد ! فقال لها فتى منهم يقال
له هُذَيْل بن مُنْقِد : يا خذاق ^(٩) ، والله ما تشمين إلّا دَفَرَ إبْطِيك ! فانصرفت
عنهم : فارتاب قوم من ذوى أَسَنَتهم ، فانصرف منهم أربعون ، وبقي ثلاثون ،
فرقدوا فى مشربهم ، وطرقتهم بنوداهن وبنو ناعب قتلوم أجمين ، وأقبلت
خُوَيْلَة مع الصباح فوقفت على مصارعهم ، ثم عمدت إلى خناصرهم فقطعتها ،
وانتظمت منها قلادة ، وألقتها فى عنقها ، وخرجت حتى لحقت بمرضاوى بن سعوة
المهرى وهو ابن أختها ، فأناخت بفنائها وأنشأت تقول :

ياخير مُعْتَمِدٍ ، وأمنع ملجأ وأعرّ منتقم وأدرّك طَلابٍ
جاءتك وافدة الشكالى تنقلى بسوادها فوق الفضا الناصب ^(١٠)

(١) الطارق : النجم سمي بذلك لانه بطرق أى يطلع ليلا (٢) أدوت له آدو
أدوا اذا ختلته - والختل - الخدع - قال الشاعر :

أدوت له لأختله فبهيات الفتى حدرا

(٣) حرق أنيابه : حك بعضها ببعض « والعرب تقول عند الغضب يفضبه
الرجل على صاحبه » هو يحرق الاربم « أى الاسنان . والمصل : المعوجة .

(٤) الملل : المنجى (٥) أشارى : جمع أشر كمرح (٦) سريضة المر

(٧) الأبلق لا يكون نتوجا ، والعرب يضرب هذا الشيء الذى لا ينال فتقول

« طلب الأبلق العقوق ، فلما فاته أراد بيض الأنوق » والأنوق : الذكر من الرخم

ولا يبيض له . هذا قول بعض القويين وعامتهم يقولون : الأنوق : الرخمة

وهي تبيض فى مكان لا يوصل فيه إلى بيضها إلا بعد عناء . فيراد على هذا

القول أنه طلب ما لا يقدر عليه فلما لم ينله طلب ما يجوز أن يناله . وعلى

الاول أنه طلب ما لا يمكن فلما لم يجد طلب أيضا ما لا يكون ولا يوجد ،

والعقوق : الحامل ٨ ، الذفر : يكون فى التنين والطيب وهو حدة الريح .
والذفر لا يكون الا فى التنين (٩) خذاق : كتابة عما يخرج من الانسان

(١٠) الغلالة : المباحدة فى الرمي . والناصب : البعيد ، ومنه نصب الماء
أى بعد عن أن ينال .

عَيَّانَةً سُرُحَ الْيَدَيْنِ شِمْلَةً
هَذِي خَنَاصِرُ أَسْرَتِي مُسْرُودَةٌ
عَشْرُونَ مُقْتَبَلًا وَشَطْرُ عَدِيدِهِمْ
طَرَقَتْهُمْ أُمُّ اللَّثَمِ فَأَصْبَحُوا
جَزْرًا لِمَا فِيهِ أَلْوَامِيعُ بَعْدَمَا
قَسَمْتُ رِجَالُ بَنِي أَبِيهِمْ بَيْنَهُمْ
فَابْرُذُ غَلِيلِ خَوْلَةَ الشُّكْلَى الَّتِي
وَتَلَّافَ قَبْلَ الْمَوْتِ ثَارِي إِيَّاهِ
فَقَالَ : حَجَرٌ^(٨) عَلَى مَرْضَاوِي الْأَعْدَابِ وَالْأَحْرَانِ^(٩) أَوْ يَقْتُلْ بَعْدِي
رِثَامٌ مِنْ دَاهِنٍ وَنَاعِبٍ أُنْثَمَ قَالَ :

أَخَالَعَنَا بَيْرُ النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ
كَذَاكَ وَأَفْلَاذُ الْفَيْثِ وَمَا رَزَمْتُ
لَنْ لَمْ أَصْبَحْ دَاهِنًا وَلَفِيهَا
عَلَى وَنَشْهَادُ النَّدَامَى عَلَى أَنْفَرِ^(١٠)
بِهِ بَنِي جَالِيهَا الْوَيْثَةُ^(١١) مِلْوَذَرٌ
وَنَاعِبًا جَهْرًا بِرَاغِيَةِ الْبَكْرِ^(١٢)

(١) عيرانة : تشبه العير لصلابتها . والسر : السهولة . رجوع اليدين .
والشملة : السريعة الخفيفة . ويقال « ناقة عبر أسفار » إذا كانت قوية على
السفر ، و « عبر الهواجر » إذا كانت قوية على الحر وأصل هذا كأنه يعبر
بها الهواجر والأسفار . والزهف : الظليم الجافي والخاضب : الذي قد أكل
الربيع فاحمرت ظنبيواه وأطراف ريشه . والظنوب مقدم معظم الساق .
(٢) مسرودة : مشكوكة . والسمط قلادة أطول من المخنقة . والكعب :
التي نهذ نديها (٣) مقتبل : مستأنف الشباب ، والصباية : صميم القوم
وخالصهم . وملقوم : من القوم . وأشايب : أخلاط من الناس (٤) أم الهيم :
الداهية . وتستن : تسمير . والخواصب : الرياح التي تسمى الحصباء .
(٥) الخوامع : الضبايع . واللاحب : القاتر (٦) المخارص : جمع مخرص
وهو سكين كبير مثل المنجل يقطع به الشجر (٧) الصاقب : جبل معروف
(٨) حرام (٩) الأعدبان : النكاح والاكل . والأحمران : اللحم والخمر
(١٠) السر : النكاح (١١) الأفلاذ : جمع فلد وهو ما قطع طولاً من اللحم .
والفئيد : الشواء وهو فصيل بمعنى مفعول يقال فادت اللحم إذا شويته .
والجالان : الناحيتان من أهلها إلى أسفلهما . والوئية : القدر العظيمة .
والوذر : من اللحم القطع الصغيرة التي لا عظم فيها (١٢) في الأساس : كانت
عليهم كراغية البكر أي اشتدت عليهم كراغاء نقيب ناقة صالح ، قال الأخطل :
لمعري لقد لاقت سليم وعامر على جانب الثرثار راغية البكر

فَوَارَى بَنَانِ الْقَوْمِ فِي غَامُضِ النَّرَى وَصُورَى إِلَيْكَ مِنْ قَنَاعٍ وَمِنْ سِنَرٍ^(١)
فَإِنِّي زَعِيمٌ أَنْ أُرَوِّى هَامَهُمْ وَأُعْطِيَهُ هَامًا مَا انْتَرَى اللَّيْلُ بِالْفَجْرِ^(٢)
ثُمَّ خَرَجَ فِي مَفْسَرٍ^(٣) مِنْ قَوْمِهِ فَطَرَقَ دَاهِنًا وَنَاعِبًا فَأَوْجَعَ فِيهِمْ . وَمِنْهُمْ :

خُفَّاءُ بَنِ النَّوَامِ الْحَبَرِي

ذَكَرَ الْقَالِي فِي أَمَالِيهِ^(٤) عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ
الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ خُفَّاءُ بَنِ النَّوَامِ الْحَبَرِي كَاهِنًا ، وَكَانَ قَدْ أُوتِيَ
بَسْطَةً فِي الْجِسْمِ ، وَسَعَةً فِي الْمَالِ ، وَكَانَ عَاتِيًا ، فَلَمَّا وَفَدَتْ وَفُودُ الْبَنِي عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ أَغَارَ عَلَى إِبْلِ لِمُرَادٍ فَانْتَسَحَمَ^(٥) ، وَخَرَجَ
بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَلَحِقَ بِالشَّجَرِ ، خَالَفَ جَوْدَانَ بْنَ يَحْيَى الْفِرَاضِيَّ وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيحًا ،
وَنَزَلَ بِوَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الشَّجَرِ مُخَصِّبًا كَثِيرَ الشَّجَرِ مِنَ الْأَيْكِ وَالْقَرِينِ^(٦) (قَالَ خُفَّاءُ)
وَكَانَ رُئِي^(٧) فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَكَادُ يَتَشَيَّبُ عَنْهُ ، فَلَمَّا شَاعَ الْإِسْلَامُ فَقَدَتْهُ مَدَّةُ
طَوِيلَةٍ وَسَادَنِي ذَلِكَ ، فَبَيْنَا أَنَا لَيْسَةٌ فِي ذَلِكَ الْوَادِي نَائِمًا إِذْ هَوَى هَوًى
الْعُقَابُ أَقَالَ : خُفَّاءُ ! قُلْتُ : شِصَارُ ! فَقَالَ : اِسْمِعْ أَقْلُ ! قُلْتُ : قُلْ اِسْمِعْ .
فَقَالَ : عَهْ تَفْسَمُ ، لِكُلِّ مَدَّةٍ نِهَاجَةٌ ، وَكُلُّ ذِي أَمْدٍ إِلَى غَايَةٍ . قُلْتُ : أَجَلُ ! فَقَالَ :
كُلُّ دَوْلَةٍ إِلَى أَجَلٍ ، ثُمَّ يُتَاجَ لَهَا حَوْلُ^(٨) ، انْتَسَحَمَتْ النَّحْلُ ، وَرَجَعَتْ
إِلَى حَقَائِقِهَا الْمَلَلِ ، إِنَّكَ سَجِيرٌ مُوصُولُ^(٩) ، وَالنَّصَحُ لَكَ مَبْذُولُ ، وَإِنِّي

أَيُّ الشُّؤْمِ وَالشَّدَةِ

(١) صُورَى : مِيلَى (٢) زَعِيمٌ : ضَامِنٌ وَكَذَلِكَ قَبِيلٌ وَحَمِيلٌ وَكَفِيلٌ وَضَمِيمٌ
وَاحِدٌ . وَقَوْلُهُ (أُرَوِّى هَامًا) كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ إِذَا قَتَلَ الرَّجُلُ فَلَمْ يَدْرِكْ
بِشَارَهُ خَرَجَ مِنْ هَامَتِهِ طَائِرٌ يُسَمَّى (الْهَامَةُ) فَلَا يَزَالُ يَقُولُ : (اسْقُونِي !
اسْقُونِي !) حَتَّى يَقْتُلَ قَاتِلَهُ فَيَسْكُنُ . (انْظُرِ الْجُزْءَ الثَّلَاثِيَّ ص ٣١١ وَ ٣١٢)
(٣) النَّسْرُ : مِنَ الْخَيْلِ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ وَقِيلَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ
إِلَى الْأَرْبَعِينَ أَوْ مِنَ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الْخَمْسِينَ أَوْ إِلَى السِّتِينَ أَوْ مِنَ الْمِائَةِ إِلَى الْمِائَتَيْنِ
وَالنَّسْرُ أَيْضًا قِطْعَةٌ مِنَ الْجَبَشِ تَمُرُ قُدَّامَ الْجَيْشِ الْكَبِيرِ (٤) أَمَالِي الْقَالِي ج
١ ص ١٢٢ (٥) كَنَسَهَا (٦) الْأَيْكُ : الشَّجَرُ الْمَتَفُّ الْكَثِيرُ وَالْفَيْضَةُ تَنْبِتُ السُّدْرَ
وَالْأَرَاكَ ، وَالْقَرِينُ : جَمَاعَةُ الشَّجَرِ (٧) الرُّئْيُ : مَا يَتَرَاوَى لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْجَنِّ
(٨) تَحُولُ (٩) السَّجِيرُ : الصَّدِيقُ ، وَالنَّجِيرُ بِاللَّيْنِ مَعْجَمَةُ الْغَرِيبِ .
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْغَوَايِينِ يَقَالُ السَّجِيرُ وَالشَّجِيرُ لِلصَّدِيقِ .

آتت^(١) بأرض الشام ، فقرأ من آل الشّذام^(٢) . حُكماً على الحكام ، يذُبّرون^(٣) ذارونق من الكلام ؛ ليس بالشعر المؤلف ، ولا بالسجع المتكلف ، فأصغيت فزجرت ، فهاودت فظليفت^(٤) ؛ قلت : بم تهيمون^(٥) ، وإلام تعززون^(٦) قالوا خطاب كِبّار^(٧) ، جاء من عند الملك الجبار ، فاسمع يا شِصار ، عن أصدق الأخبار واسلك أوضح الآثار ، تنجُ من أوار^(٨) النار ؛ قلت : وما هذا الكلام ؟ قالوا : فرقان بين الكفر والإيمان ، رسول من مُعمر ، من أهل المدر ، ابثمت فظهر ، فجاء بقول قد بهر ، وأوضح نهجاً قد دتر ، فيه مواعظ لمن اعتبر ، ومعاذ لمن ازدجر ، آت بالآي الكُبر . قلت . ومن هذا المبعوث من مُعمر ؟ قال : أحد خير البشر ، فإن أمنت أعطيت الشّر^(٩) ، وإن خالفت أصليت سقر ، فأمنت يا خُناقر ، وأقبلت إليك أبادر ، فجنب كل كافر ، وشايع كل مؤمن طاهر ، وإلا فهو الفراق لا عن تلاق . قلت : من أين أبني هذا الدين ؟ قال : من ذات الإحسين^(١٠) ، والفر الجانين ، أهل الماء والطين ، قلت : أوضح . قال : الحقّ يبرّب ذات النخل ، والحرة ذات النمل^(١١) ، فهناك أهل الطول والفضل ، والمواساة والبذل ، ثم أَمَس عني فبت مذعوراً أراعي الصباح ، فلما برق لي النور امتطيت راحتي ، وأذنت^(١٢) أعبدى ، واحتملت بأهل ، حتى وردت الجوف ، فرددت الإبل على أربابها ، يحولها ويقابها^(١٣) ، وأقيت أريد صنما ، فأصبت بها معاذ بن جبل أمير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فبايعته على الإسلام ، وعلني سوراً من القرآن فنّ " الله على " بالهدى بمد الضلالة ، والعلم بمد الجهالة ، وقلت في ذلك :

(١) اى ابصرت (٢) قبيلة من الجن . كذا قال ابو بكر (٣) يقرادون (٤) منعت . قال الشاعر :

الم اظلف عن الشعراء عرضي كما ظلف الوسيقة بالكراع
(٥) الهيمنة : الصوت الخفى (٦) تتسبون (٧) كبير (٨) الأوار : شدة الحر .
(٩) الشبر : الخير وحرك السجع (١٠) قال الاصمعي : جمع الحرة حرار وحررون واحرون (١١) النمل : المكان الغليظ من الحرة (١٢) أعلمت (١٣) الحول : جمع حائل وهى الانثى من اولاد الابل . والسقاب : جمع سقب وهو الذكر

ألم تر أن الله عاد فضله وأنقذ من لفتح الرخيخ خافرا^(١)
وگشت لی عن جحقی عاما وأوصح لی نهجی وقد کان دائرا^(٢)
دعای شصار لآقی لو رفضتها لأصلیت جرأمن لقی الموت واهرا^(٣)
فأصبحت والإسلام حشو جوامعی وجانبت من أمسى عن الحق ناثرا^(٤)
وكان مضی من هدیة برشده فله مقو عاد بالرشد آمرا
نحوت (بمدا الله) من كل فحة توڑت هلكا يوم شایت شامرا^(٥)
وقد أمنتني بعد ذاك يحابر بما كنت أغشى المنديات يحابرا^(٦)
فن مبلغ فتیان قوی الوكة باتی من أقتال من كان كافرا^(٧)
عليكم سواء القصد لأفل حدكم فقد أصبح الإسلام للكفر قاهرا
ومهم :

صواعبات مصداق بن مذكور القيني

روى عن أبي بكر بن دريد قال : حدثنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام عن أبيه . قال : كان مصداق بن مذكور القيني رئيساً قد أخذ ميرباع قومه دهرأ (وهو ربع الفضة) وكان ذا مال فندد دؤد من أذواد له^(٨) ، فخرج في بنائها^(٩) قال فإني لفي طلبها إذ هبطت وادياً شجيراً^(١٠) كنيف الظلال ، وقد تفسخت أيتاً^(١١) ، فأنحت راحلتی فی ظل شجرة ، وحططت رحلی ، ورسفت بعمري^(١٢) ، واضطجعت في بردي ، فاذا أربع جوار كأنهن الآلى ريعين

(١) الرخيخ بلغة أهل اليمن النار (٢) الجحمتان : العيتان بلغتهم والنهج : الطريق الواضح (٣) الهوب : الساكن مع شدة الحر . وكل هذه الأحرف من لغتهم (٤) أي نافرا (٥) القحة : الشدة (٦) يحابر « كيقاقل مضارع قاتل » ابن مالك بن ادد أبو مراد القبيلة المشهورة تم سميت القبيلة يحابر ، والمنديات : المخزبات (٧) الالوكة : الرسالة ، والاقبال : الأعداء (٨) ند : شرد « والدود : ما بين الثلاثة الى العشرة ، والعرب تقول : « الدود الى الدود ابل » يعني اذا اجتمع القليل الى القليل صار كثيراً (٩) أي طلبها (١٠) كثير الشجر (١١) كلالا وتمبا (١٢) شددت رسفه

بهما لمن ، فلما خالطت عيني السنة أقبلن حتى جلسن قريباً مني ، وفي كف كل واحدة حصيات تقلبن ، فخطت إحداهن ثم طرقت فقالت : قلن يابنات عرّاف في صاحب الجبل النّيف^(١) والبرّد الكثاف^(٢) والجِرم الخفاف^(٣) ثم طرقت الثانية فقالت : مُضِلُّ أذوادٍ علا كد^(٤) ، كَوْمٌ صَلاخِد^(٥) ، منهن ثلاث مقاحد^(٦) وأربع جدائد^(٧) شُصَفُ صِمَارِد^(٨) ، ثم طرقت الثالثة فقالت : رَعِينُ الْفَرَع^(٩) ثم هبطن السَّكَرَع^(١٠) ، بين العَفَدَاتِ والجَرَع^(١١) ، فقالت الرابعة : ليهبط العَاطِطُ الأفيج^(١٢) ثم ليظهر في الملاء الصَّحَصَح^(١٣) ، بين سدير وأملح^(١٤) ، فهناك الذَّودُ رِثَاع ، مُمْتَرَجُ الْأَجْرَاع ، قال : قممت إلى جملي ، فشددت عليه رحله ، وركبت ، وواهه ما سألتهم من هُنَّ ولا من هُنَّ ؟ فلما أدبرت قالت إحداهن أبرح^(١٥) فتى إن جدّ في طلب . فإله غيرهن نَشَب^(١٦) ، وسيثوب عن كَثَب^(١٧) ، فززع قلبي - والله - قولها ! فقلت : وكيف هذا وقد خلّفت بوادي عُرجاً عكاساً؟^(١٨) فركبت السميت الذي وصفن لي حتى انتهيت إلى الموضوع ، فإذا ذودى رواتع ، فضربت أعجازهن حتى أشرفت على الوادي الذي فيه إبلى فإذا الرعاء تدعو بالويل ، فقلت : ماشأ نكم ؟ قالوا : أغارت بهراء على إبلك فأشحفتها^(١٩) ، فأسميت

(١) العالي (٢) أى الكثيف (٣) الجرم : الجسد . والخفاف : الخفيف (٤) صلاب والواحد علكد (٥) التوم : العظام الأسنة ، والصلاحد : العظام الشداد واحدها صلاحد بالضم وفيه لغات يقال بغير صلاحد وصلخدى وناقصة صلاحداة . (٦) جمع مقحاذ وهى الغليظة السنام والتحدة السنام ويقال اصل السنام (٧) جمع جدود وهى التى انقطع لبنها (٨) شسفة : جمع شاسف وهو اليابس ضمراً وهزلاً . والصمارد جمع صمرد ، والصمرد والبكيسة والدهين القليلة اللبن (٩) جمع فرعة وهى أعلى الجبل (١٠) هو ماء السماء ينزل فيستنقع وسمى كرمها لأن الماشية تكرع فيه (١١) العقدة : مانعقد من الرمل . والجرع : جمع جرعة وهى الرملة الطيبة المنبت لاوعونة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، أو الدعص لأنبت كالاجر (١٢) العاطط : المطمئن من الأرض ، والأفيج : الواسع (١٣) الملاء : الفضاء والصحصح : الصحراء (١٤) موضعان (١٥) أشد (١٦) هو المال الأصيل من الناطق والصامت (١٧) أى قرب (١٨) العرج : نحو خمسمائة من الإبل ، والعكاس والعكاس جميعا الكثير (١٩) استأصلتها

والله مالى غير النود ، فرمى الله فى نواصيهن بالرَّغْسُ ^(١) ، وإنى اليوم لأكثر
ببى القين مالا ، وفى ذلك أقول :

هو الدهر آيس تارة ، ثم جارح سوانعه مبنوثة واليوارح ^(٢)
فبينا الفقى فى ظل نعماء غصية تبكره أفياءه وتراوح ^(٣)
إلى أن رمته الحادثات بنكية تضيق به منها الرحاب الفساح ^(٤)
فأصبح نضوا لا ينوه كائنا بأعظمه مما عراه القوادح ^(٥)
فأخيلنى من بعد عرج عكاسى أقسس أذوادا وهن روازح ^(٦)
حدايير ما ينهضن إلا تحاملا شوايف عوج أسارتهما الجوايح ^(٧)
فيا وائقا بالدهر كئن غيّر آمن لما تنتضيه الباهضات القوادح ^(٨)
فلست على أيامه بمحكم إذا ففرت فاهها الخطوب الكوايح ^(٩)
يُجيرك منه الصبر إن كنت صابرا وإلا كما يهوى القدو المكاشح ^(١٠)
ومنهم :

سلمى المهرانية الحميرية

روى أبو على القالى فى أماليه ^(١١) عن أبى بكر . قال : حدثنا السكن بن سعيد
عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال : أغار رجل من مراد يقال له حريم
على إبل عمرو بن برة الهذلى وخيل له ، فذهب بها ، فأتى عمرو سلمى وكانت

(١) البركة والنماء . قال رؤبة :

دعوت رب العزة القدوس دعاء من لا يقرع الناقوس

حتى أرانا وجهك المرفوس

(٢) آس : مداو ، والسائح والبارح : المبارك والنوم (٣) غصية : طريقة
نامعة (٤) الفسائح : الواسعات (٥) نضوا : مهزولا . وبنوء : ينهض بجهد
ومشقة ، والقوادح جمع قاذحة وهى الصيب فى العود والسن (٦) أقسس :
اتبع . والروازح : التى قد سقطت من الهزال (٧) الحدايير : التى قد تقوس
من الهزال واحدها حدبار . والشوايف : مر معناها قريبا ، والجوايح :
الشدائد (٨) فوادح الدهر : خطوبه . وبهضه الامر : فدحه (٩) ففرت :
فتحت . والكوايح : الشدائد . وكلح كلوحا وكلاحا : تكثر فى عبوس (١٠) كشح
له بالعداوة وكاشحه : عاداه (١١) ج ٢ ص ١٢٢ و ١٢٣

بنت سيدم وعن رأيها كانوا يَصُدُّون ، فأخبرها أن حريماً المرادى أغار على إبله وخيله ، فقالت : وانْخَفَوْ^(١) والوميض^(٢) ، والشفق كالآخر^(٣) بعض^(٤) ، والقَلْبُ والحضيض^(٥) . إن حريماً لمنيع الحيز^(٦) ، سيد مزيز^(٧) ، ذو مَعْقِلٍ حريز ، غير أن الحمة ستظفر منه بمرة^(٨) ، بطيئة الجيرة ، فأغزو ولا تُنْكَح^(٩) ، فأغار عمرو فاستاق كل شيء له ، فأتى حَرِيمٌ بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع ورجع ، فقال عمرو قصيدة منها :

تقول سُلَيْمَى لا تَمْرُضْ لَتَلْفَقَ وَلِيْلُكَ عَن لَيْلِ الصَّعَالِيكَ نَأْمٌ^(١٠)
ومنهم :

غزوة الطاهة الحميرية

ذكر رواة أخبار العرب نوادر طريقة لغزوة هذه . من ذلك ما أورده محمد بن ظفر في كتابه (خبر البشر بخبر البشر) . قال : روى أن مرثد بن عبد كلال قتل من غزاة غزاها بفنائم عظيمة : فوفد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئونه ، ففرغ الحجاب عن الوافدين ، وأوسمهم عطاء ، واشتد سروره بهم ، فبينما هو كذلك إذ نام يوماً فرأى رؤيا في المنام أخافته وأذعرته ، وأهالته في حال منامه ، فلما اتبه نسيها حتى لم يذكر منها شيئاً وثبت ارتياعه في نفسه بها ، فالتقلب سروره حزناً ، واحتجب عن الوفود حتى أساء به الوفود الظن ، ثم إنه حشر الكهان ، فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول له : أخبرني عما أريد أن أسألك عنه ! فيجيبه الكاهن بأن لا علم عندي حتى لم يدع كاهناً علمه إلا كان إليه منه ذلك ، فتضاعف قلقه ، وطال أرقه^(١١) ، وكانت أمه ، قد تسكعت

(١) اللعان الضعيف (٢) هو أشد من الخفو (٣) حجارة النورة (٤) القلة بالضم أعلى كل شيء . والحضيض : القرار في الأرض (٥) الناحية (٦) فاضل من قولهم هذا أمر من هذا أي أفضل منه (٧) الحمة : القدر وقيل هي واحد الحمام (٨) تنكح : تردع (٩) الصعاليك : الفقراء (١٠) الأرق السهر بالليل

فقال له : أَيْتَ اللَّعْنِ ^(١) أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنْ السُّكَّوَاهِنَ أَهْدَى إِلَى مَا نَسَأَلُ عَنْهُ لَأَنْ اتَّبَعَ السُّكَّوَاهِنَ مِنَ الْجَانِ ، أَلْطَفَ وَأَعْزَفَ مِنْ اتِّبَاعِ السُّكَّاهِنَ ، فَأَمْرٌ بِمُشْرِ السُّكَّوَاهِنَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُنَ كَمَا سَأَلَ السُّكَّاهِنَ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عِلْمًا عَمَّا أَرَادَ عَلَيْهِ ، وَلَمَّا بَنَسَ مِنْ طَلَبِهِ سَلَا عَنْهَا ، ثُمَّ لَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ ذَهَبَ بِتَصِيدِ فَأَوْغَلَ * ^(٢) ، فِي طَلَبِ الصَّيْدِ ، وَانْفَرَدَ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَرَفَعَتْ لَهُ آيَاتٍ مِنْ ذَرَى * جَبَلٍ ، وَكَانَ قَدْ لَفَحَهُ الْمَجِيرُ ^(٣) ، فَصَلَّ إِلَى الْآيَاتِ وَقَصَدَ بَيْتًا مِنْهَا كَانَ مَفْرَدًا عَنْهَا فَبَرَزَتْ إِلَيْهِ مِنْهُ عَجُوزٌ فَقَالَتْ لَهُ : أَنْزِلْ بِالرَّحْبِ وَالسَّعَةِ ، وَالْأَمْنِ وَالِدَعَةِ ، وَالْجَفْنَةِ ^(٤) الْمَدْعَةِ * ، وَالثَّلْبَةِ * الْمَتْرَعَةِ ، فَزَلْ عَنْ جَوَادِهِ وَدَخِلْ الْبَيْتَ ، فَلَمَّا احْتَجَبَ عَنِ الشَّمْسِ وَخَفَّتْ عَلَيْهِ الْأَرْوَاحُ * نَامَ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ حَتَّى تَصْرَمَ الْمَجِيرُ ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ ، فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَاةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَوْمًا وَلَا جِسَالًا ، فَقَالَتْ : أَيُّتَ اللَّعْنِ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهَمَامُ ، هَلْ لَكَ فِي الطَّعَامِ ؟ فَاشْتَدَّ إِشْفَاؤُهُ وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ لَمَّا رَأَى أَنَّهَا عَرَفَتْهُ وَتَصَامَمَ عَنْ كُلِّهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : لَا حَذَرَ ، فِدَاكَ الْبَشَرِ لِحَيْدِكَ الْأَكْبَرِ ، وَحِظْنَا بِكَ الْأَوْفَرِ ، ثُمَّ قَرَبَتْ إِلَيْهِ تَرِيدًا وَقَدِيدًا وَحَيْسًا ^(٥) ، وَقَامَتْ تَذْبُ عَنْهُ حَتَّى انْتَهَى أَكْلُهُ ، ثُمَّ سَقَتْهُ لَبَنًا صَرِيْقًا * وَضَرِبًا * فَشَرَبَ مَا شَاءَ ، وَجَمَلٌ يَتَأَمَّلُهَا مُقْبِلَةٌ وَمَدْبِرَةٌ فَلَأَتْ عَيْنَيْهِ حَسَنًا وَقَلْبَهُ هَوًى ، فَقَالَ لَهَا : مَا اسْمُكَ يَا جَارِيَّةُ ؟ قَالَتْ : اسْمِي (عَفِيرَاءُ) فَقَالَ لَهَا : يَا عَفِيرَاءُ مِنَ الَّذِي دَعَاكَ بِالْمَلِكِ الْهَمَامِ ؟ قَالَتْ : مَرْتَدُ الْعَظِيمِ الشَّانِ ، حَاشَرُ السُّكَّوَاهِنَ وَالسُّكَّاهِنَ ، لِمُعْصِلَةٍ ^(٦) بَعْدَ عَنْهَا الْجَانِ * ! فَقَالَ يَا عَفِيرَاءُ : أَتُعْلِمِينَ تِلْكَ الْمُعْصِلَةَ ؟ قَالَتْ : أَجَلُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهَا رُؤْيَا مُضَامٍ ، لَيْسَتْ بِأَضْفَانِ أَحْلَامٍ ، قَالَ الْمَلِكُ : أَصَبْتَ يَا عَفِيرَاءُ ! فَمَا تِلْكَ

(١) انظر ص ١٩٣ من الجزء الثاني (٢) كل ما وضعنا إزاءه هذه النجمة وأضرينا عن تفسيره فهو مشروح في الأصل (٣) لفحه : أحرقه والهجير : نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهور أو من عند زوالها إلى العصر لأن الناس يستكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا . والهجير : شدة الحر (٤) الجفنة : القصعة (٥) القديد : اللحم المشر المقطع . والجبس : تمر واقط وسمن . انظر الجزء الأول ص ٣٨٤ (٦) المعصلة : التنديدة

الرؤيا ؟ قالت : رأيت أعاصير زوايع * ، بعضها لبعض تابع ، فيها الهب لاعم ، ولها دخان ساطع * : يققوها نهر متدافع ، وسمعت فيا أنت سامع ، دعاء ذى جرس * صاعد ، هلموا إلى الشارع * فروى جارح * ، وغرق كارع * فقال الملك : أجل هذه رؤياي فما تأويلها يا عفيراء ؟ قالت : الأعاصير الزوايع : ملوك تباع * والنهر : علم واسع ، والداعى : نبى شافع ، والجارح ولى تابع ، والكارع : عدو منازع ، فقال الملك : يا عفيراء أسلم هذا النبى أم حرب ؟ فقالت : أقسم برفع السماء ومنزل الماء من السماء * ، إنه ليطل السماء ، ومنطق العقائل نطق الإمام * ، فقال الملك : إلآم يدعو يا عفيراء ؟ قالت إلى صلاة وصيام ، وصلة أرحام ، وكسر أصنام ، وتعطيل أزلام ، واجتناب آثام ، فقال الملك : يا عفيراء إذا ذبح قومه فن أعضاءه * ؟ قالت : أعضاده غطاريف * يمانون ، طأثرهم به ميمون ، يفرزهم فيفزون ، ويدمث بهم الحزون ، وإلى نصره يعتزون ، فأطرق الملك يؤامر نفسه فى خطبتها ، فقالت : آبيت اللعن أيها الملك إن تابى غيور ، ولأمرى صبور . وناكحى مثيرور . والكلف بى ثبور ، فنهض الملك وجال ، فى سهوة جواده وانطلق ، فبعث إليها بمائة ناقة كرماء !

* * *

« قال محمد بن ظفر » أوغل فى طلب الصيد : أى بالغ فى ذلك وأمن ، والوغول الدخول فى الشىء بقوة . وذرى جبل : بفتح الدال المعجمة السكن ، والمعدعة : هى التى ملئت بقوة ثم حركت حتى تراس مافيا ثم ملئت بعد ذلك والعلبة بضم العين المهملة وإسكان اللام إناء من جلد والأرواح : هى الرياح وصريفاً : اللين الخض يحدث آن الحلاب يصرف عن الضرع إلى الشارب . وضرباً : اللين الرائب . وبعد عنها الجان : أى جنبوا عنها ولم يطبقوها . وأعاصير زوايع : هى من الرياح ما يثير التراب فيعليه فى الجو ويديره . وساطع

أى مرتفع . ودعاء ذى جَرَسٍ ضادع : الجرس الصوت . والمشارع : الداخل إلى
النهر وجارع : أى من شرب جرعا أمن . وكارع : أى من أمن غرق . وتباع
جمع تبع ، وهذا لقب للملوك المين وهو من الأتباع لأن بعضهم كان يتبع فى الملك
بعضا . والباء : هو التيم والتمام . ومنطق العقائل : هن الكرائم من النساء أى
يسين فيشددن النطق على أوساطهن كالإماء للهنة والخدمة . والأعضاء :
الأنصار . والفطاريق : السادة . والتضطرب التكبر . ويدمت : أى يسهل .
ويؤامر نفسه : يراد به تعاضد الرأيين المتضادين فى النفس . وجال فى صهوة جواده :
جال أى وثب ، والصهوة : مقعد القارس من ظهر فرسه ، والكوماء : الناقة
العظيمة السنام . ومنهم :

سواد بن قارب الروسى

روى أبو بكر بن دريد قال : حدثنى عمى الحسين عن أبيه ابن الكلبي
عن الذبالب بن نقر عن الطرماح بن حكيم قال : خرج خمسة نفر من طلي من
ذوى الحجا والرأى منهم بُرْج بن مُسَير وهو أحد المعمرين ، وأنيب بن حارثة
ابن لأم ، وعبد الله بن سعد بن الحشرج أبو حاتم طي ، وعارق الشاعر ، ومُرّة
ابن عبد رضى ، يريدون (سواد بن قارب الدوسى) ليختبروا علمه ، فلما قربوا
من السرة قالوا : ليخبا كل واحد منا خبيثا ولا يخبر به صاحبه لنسأله عنه ، فإن
أصاب عرفنا علمه ، وإن أخطأ ارتحلنا عنه ، فخبأ كل واحد منهم خبيثا ، ثم
صاروا إليه فأهدوا إليه إبلا وطرفا من طرف (الحيرة) فضرب عليهم قبة ونحر
لهم ، فلما مضت ثلاث دعا بهم فدخلوا عليه ، فتكلم بُرْج ، وكان أسنهم ، فقال :
جارك السحاب ؛ وأمرع لك الجناب^(١) ، وضقت عليك التيم الرغاب^(٢) ،

(١) أمرع : اخصب ، والجناب : ماحول الدار (٢) الضافي : السابغ الكثير .
فقال : خير فلان ضاف على قومه أى سابغ عليهم . والرغاب : الواسعة الكثيرة

نحن أولو الآكال^(١) ، والحدائق والأغيا^(٢) ، والنعم الجفال^(٣) ، ونحن
أصهار الأملاك ، وفُرسان العراك ، يُورَى عنهم أنهم من بكر بن وائل ، فقال
سَوَادٌ . والسماء والأرض ، والفَرّ والبرض^(٤) ، والقرض والقرض^(٥) ، إنكم
لَأَهْلُ الهضاب الشَّم^(٦) ، والنخيل المُم^(٧) ، والصخور الصم^(٨) ، من أجأ
العِطاء ، وسلمى ذات الرّقة السّطاء^(٩) ، قالوا إنا كذلك وقد خبا لك كل رجل
منا خبيثاً لتخبرنا باسمه وخبيثه فقال لبرج : أقسم بالضياء والخلك^(١٠) ، والنجوم
والفلك ، والشروق والدّلك^(١١) ، لقد خبت بُرْنُ فَرْن^(١٢) في أعليط مَرْن^(١٣)
تحت آصرة الشّرْن^(١٤) ا فقال : ما أخطأت شيئاً ، فن أنا ؟ قال : برج بن مُسهر
عُصرة المُم^(١٥) وثمان المُعجّر^(١٦) ، ثم قام أنيف بن حارثة فقال : ما عيبي
وما اسمي ؟ فقال : والسحاب والتراب ، والأصبا والأحدا^(١٧) ، والنم
الكتاب^(١٨) ، لقد خبات قُطامة فسيط^(١٩) ، وقُدّة مَرِيط^(٢٠) ، في مدرة
من مدري مَطيظ^(٢١) ، قال ما أخطأت شيئاً فن أنا ؟ قال : أنيف ، قارى الضيف

(١) يقال : فلان ذو اكل (بضم الهمة وسكون الكاف) أى ذو حظ ورزق
في الدنيا والجمع آكال (٢) جمع غيل وهو الماء الجارى على وجه الارض
(٣) الكثيرة وهذا الجمع قليل جداً لم يأت منه الا أحرف مثل رباب جمع
ربى وهى الحديشة النتاج ، وفرار جمع فريز وهو ولد البقرة ، ونعم كتاب
وهى الكثيرة ، وبراء جمع برىء (٤) الفعر : الماء الكثير ، والبرض : الماء القليل
وجمعه براض (٥) القرض : الدين ، والقرض الهبة (٦) الهضاب : جمع
هضبة وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض ، والنشم ، الطوال (٧) الطوال
ايضا (٨) اجاوسلى : جبلا طييء ، والعطاء : الطويلة وكذلك السطاء
(٩) الظلام (١٠) هو اصفرار الشمس عند الغيب . وفى اللسان : الدلك
وقت الدلوك الذى هو اصفرار الشمس (١١) البرن : ظفر كل مالا يصيد
من السباع والطير مثل الحمام والضب والفارة فإذا كان مما يصيد قبل لظفره
مخلب (١٢) المرخ : شجر تقدم منه النار ، والاعليط : وعاء ثمر المرخ والعرب
تشبه به أذان الخيل (١٣) الأسرة : القدر الذى يشد به خشب الرحل ،
وشرخا الرحل : جانبا (١٤) العصرة : المنجاة ، والمعر : الذى ذهب ماله
(١٥) الشمال : النيات الذى يقوم بأمر قومه ، والمحجر : اللجا المضيق عليه
(١٦) الأصبا جمع صب وهو ما انخفض من الارض ، والأحدا : جمع
حدا وهو ما علا (١٧) الكثيرة (١٨) القطامة : ماقطنه بفيك ، والفسيط :
قلامة الظفر (١٩) القدة : الريشة . والمريط : من السهام الذى قد تمرط
ريشه أى تنف (٢٠) المدرة : قطعة طين يابسة . والمدى : جديول يجرى =

ومعيل السيف ، وخالط الشتاء بالصيف « ثم قام عبد الله بن سعد فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد . أقسم بالسَّوَامِ المازب^(١) ، والوقير الكارِب^(٢) ، والمُجِدِّ الرَّاكِب ، والمشيع الحارِب^(٣) ، لقد خبأتُ نَفَاةً فَن^(٤) ، في قطعٍ قد مرَّ^(٥) ، أو أدبم قد جرَّ^(٦) ، قال . ما أخطأتُ حرفاً فن أنا ؟ قال . أنت ابن سعد النوال ، عطاؤك سِجَال^(٧) ، وشرك عُضَال^(٨) ، وعدك طِوَال ، وبينك لا ينال ، ثم قام عارق . فقال . ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد . أقسم بنفب اللُّوْح^(٩) ، واللآء المَشْفُوح^(١٠) ، والقضاء المندوح^(١١) ، لقد خبأتُ رقة طَلَاً أغفر^(١٢) ، في زِعَنَفَةِ أدبم أحر^(١٣) ، تحت جِلْسِ نَضْوِ أدب^(١٤) ، قال ما أخطأتُ شيئاً فن أنا ؟ قال . أنت عارق ذو اللسان العُضْب^(١٥) ، والقلب النَّدْب^(١٦) ، والمضاء القُرْب^(١٧) ، متاع السَّرْب^(١٨) ، ومبيح النُهْب ، ثم قام مرة بن عبد رضى فقال . ما خبيثي ، وما اسمي ؟ فقال . سَوَاد . أقسم بالأرض والسماء ، والبروج والأنواء ، والظلمة والضياء ، لقد خبأتُ دِمَّةً في رِمَةٍ^(١٩) ، تحت مُشِيطٍ لَهُ^(٢٠) ، قال . ما أخطأتُ شيئاً فن أنا ؟ قال : أنت مره ، السريع السكره ، البطيء القره ، الشديد المره^(٢١) ، قالوا . فأخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك ، قال . والناظر

= منه ما سال ماهره من الحوض . كذا قال الأصمعي وانشد « وعن مطيحات المدى المدعوق » ، والمطيح : الماء الخائر في أسفل الحوض والمدعوق : الذي قد أكثر فيه الوطء (١) السوام : المال الراعي من الإبل . والمازب : البعيد (٢) الوقير : الفهم التي بالسواد ، والكارِب : القريب (٣) المشيع : الجاد في لغة هذيل . وفي غيرها الحاذر (٤) النفاة : ما تنفته من فيك . والفن : واحد أفنان الأشجار وهي أغصانها (٥) القطيع : الطائفة من الفهم والنعم ، ومرن وجرن : لأن في صلابه (٦) كثير ، يقال أسجله أي أكثر له من المعطاء وأعطاه سجله من كذا أي نصيبه (٧) شديد (٨) التفتف والوح واحد وهما الهواء وإنما أضاف لما اختلف اللفظان فكانه أضاف النية إلى غيره (٩) المصبوب (١٠) الواسع (١١) الطلا : ولد الظبي ساعة يولد ، والأعفر : الذي تملو بياضه حمرة (١٢) الزعنفه : القطعة من الثوب ، وطرف الأديم (١٣) المجلس للبعير بمنزلة القراطيل للحافر وهو البرذعة . والنضو : المهزول من الإبل وغيرها (١٤) أي الحديد الكلام (١٥) الذكي (١٦) الحد (١٧) بالفتح الماشية كلها وبالكسر القطيع من الظباء والنساء وغيرها (١٨) الدمة : القملة . والرمة : المعظام البالية (١٩) الامة : النسر المجاوز شحمة الأذن (٢٠) القوة .

من حيث لا يُدرى ، والسامع قبل أن يُنْجى ، والعالم بما لا يُدْرى ، لقد عُنْتُ
لكم عِقَابَ عَجَبَاءَ^(١) ، في شَتَائِبِ دَوْحَةِ جَرْدَاءِ^(٢) ، نَحْمِلُ جَدْلًا^(٣) ،
فَمَارِئِمَ^(٤) إِمَّا يَدَا وَإِمَّا رِجْلَا ، قَالُوا : كَذَلِكَ ، ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ سَنَحْ^(٥) لكم قبل
طلوع الشرق^(٦) ، سَيِّدُ أَمَقَ^(٧) ، على ماء طَرَقَ^(٨) ، قَالُوا : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ :
تَيْسُ أَفْرَقَ^(٩) ، سَنَدَقَى أَيْرَقَ^(١٠) ، فرمَاهُ النَّعْلَامُ الْأَزْرَقُ ، فأصاب بين
الوَابِلَةِ^(١١) والمَرِيقِ ، قَالُوا : صدقت وأنت أعلم من نَحْمِلُ الْأَرْضَ ائِمَّ ارْتَحَلُوا
عنه ، فقال عَارِقُ :

أَلَا لِلَّهِ عِلْمٌ لَا يَحَارَى إِلَى النَّبَاتِ فِي جَنَبِ سَوَادِ
أَتَيْنَاهُ نُسَائِلُهُ امْتَحَانَا وَنَحْسِبُ أَنْ سَيَعْبُدُ بِالْعَبَادِ
فَأَبْدَى عَنْ خَفَى غُخْبَاتٍ فَأَضْحَى سِرُّهَا لِلنَّاسِ بِأَدَى
حُسَامٍ لَا يَلِيقُ وَلَا يَنَاقِي عَنْ الْقَصْدِ الْمِيمِ وَالسَّدَادِ^(١٢)
كَأَنَّ خَيْثَنَا لَمَّا اتَّجَعْنَا بِسَيْنٍ بَصْرَحَ أَوْ يَنَادَى
فَأَقْسَمَ بِالْعَتَائِرِ حَيْثُ فَلَسَ وَمَنْ نَسَكَ الْأَقْيَصِرَ مَلْعَبَادِ^(١٣)
لَقَدْ حَزَّتْ الْكِهَانَةُ عَنْ (سَطِيحٍ) وَ (شَقَرٍ) وَ (الْمُرْفَلِ) مِنْ إِيَادِ

سبب إسلام سواد بن قارب ، وقصته البديعة

كان سواد بن قارب من أعلم أهل وقته ، وأشهرهم في الكهانة والشعر ،
وأطولهم باعاً في جميع السكّارم . وقد وفد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم

(١) هي التي ابيض ذنبها وقيل : التي كبرت عجيزتها (٢) الشغابيب :
ما تداخل من الأقصان . والدوحة : الشجرة العظيمة (٣) عضوا (٤) تجادلتم
(٥) عرض (٦) الشمس (٧) السيد : الذئب والامق : الطويل (٨) بولت فيه
الأبل (٩) هو البعيد ما بين قرنيه (١٠) سند : صعد ، والابرق : غلظ من
الأرض فيه حجارة ورمل وجبل ابرق اذا كان فيه لونان (١١) رأس العضد
الذي يلي الكتف (١٢) يليق : يمسك . قال الأصمعي للرشيدي : ما الاقننى
أرض حتى خرجت اليك يا أمير المؤمنين . اى ما امسكتنى . وبنائى :
يجبس . والميم : المقصود (١٣) العتائر : جمع عتيرة وهو ذبيح كان يذبح
للأنعام في الجاهلية . وفلس : صنم . والاقيصر : صنم ايضا . وملعباد
من العباد

وكان رثية قد أتاه ثلاث ليال في حال سنّته يضربه برجله ، ويقول : قم ياسود ابن قارب ، واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث نبي من لؤي بن غالب . وقد أورد قصته هذه مفصلة جمع من الثقات منهم الإمام الماوردي في كتابه (أعلام النبوة) قال بسنده : بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذات يوم جالسا إذ مرَّ به رجل فقيل له : أتعرف هذا المار يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن هو ؟ قالوا : هذا سواد ابن قارب رجل من أهل اليمن ، وكان له رثى من الجن ، فأرسل إليه عمر فقال : أنت سواد بن قارب ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : أنت الذى أتاك رثيك بظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين السأم واليقظان إذ أتاني رثي من الجن فضربني برجله ، وقال : قم ياسود ابن قارب فاسمع مقالى ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي ابن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته ، وأنشأ يقول :

عجبت للجنّ وتطلّابها وشدها العيس^(١) بأفتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما صادق الجنّ ككذّابها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدأماها كاذنابها

فقلت له : دعنى فإنى أمسيت ناعسا ، ولم أرفع بما قال رأسا ؛ فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله ، وقال : قم ياسود بن قارب فاسمع مقالى واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته ، وأنشأ يقول :

عجبت للجنّ وتخبّارها وشدها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى مامؤمنو الجنّ ككفارها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم بين روايبها وأحجارها
فقلت : دعنى فقد أمسيت ناعسا ، ولم أرفع بما قال رأسا ؛ فلما كانت الليلة

الثالثة أتاني فصر بني برجله ، وقال : قم ياسود بن قارب فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته وأنشأ يقول :

عجبتُ للجنّ وتجسّسها وشدها العيس بأحلامها^(١)
تهوى إلى مكة تبنى الهدى ما خيرو الجن كأجاسها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم وأسمُ بمعينك إلى رأسها

قال : فأصبحت وقد امتحن الله قلبي للإسلام ، فرحلت ناقتي ، وأتيت المدينة ، فإذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ، قلت : اسمع مقالتي يا رسول الله ! قال : هات ! فأنشأت :

أتاني رثي بصد هذه ورقدة ولم أكُ فيا قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ذيلي الإزارو وسطت في القلعب الوجناء بين السباب
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنت مأمون على كل غائب
وأنت أدنى للرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطياب
فرنا بما يأتيك ياخير مرسل وإن كان فيما جئت شيب القوائم
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة بمنقن فتيلاً عن سواد بن قارب

(الرثي : الخادم من الجن ، والهدء : السكون ، والقلعب بكسر اللام وسكون العين وكسر اللام : الناقة السريمة ، والوجناء : الشديدة ، والسباب : جمع سبب ، للمفاضة) ففرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً حتى روى الفرح في وجوههم ، قال : فوثب إليه عمر فالتزمه ، وقال : قد كنت أحب أن اسمع منك هذا الحديث ، فهل يأتيك رثيك اليوم ؟ فقال مذقرأت القرآن فلا ، ونعم الموض كتاب الله تعالى من الجن . وتمام الكلام على أخباره في الاستيعاب والإصابة . ومنهم :

(١) جمع جلس وهو كساء على ظهر البعير

فاطمه بنت مر الخثعمية

وهي كاهنة كانت بمكة ، ويحكى عنها أمور في باب الكهانة عجيبة ؛ ومن الأمثال الشائعة بين العرب « قد كان ذلك مرةً فالْيَوْمَ لَا » قال الليداني : أول من قال ذلك فاطمة بنت مر الخثعمية ، قال : وكانت قد قرأت الكتب ، فأقبل عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله يريد أن يزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، فرأى على فاطمة ، وهي بمكة ، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له : من أنت يا فتى ؟ قال أنا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، فقالت : هل لك أن تقع على وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال :

أما الحرام فالحلت دونة والحل لا حل فأستبينه

فكيف بالأمر القى تنوينه ؟

ومضى مع أبيه فزوجه آمنة ، وظل عندها يومه وليلته ، فاشتعلت بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم انصرف ، وقد دعت نفسه إلى الإبل فأناها ، فلم ير منها حرصاً ، فقال لها : هل لك فيما قلت لي ؟ فقالت « قد كان ذلك مرةً فالْيَوْمَ لَا » فأرسلتها مثلاً بضرب في الندم والإنابة بعد الاحترام ، ثم قالت له : أى شيء صنعت بعدى ؟ قال : زوجنى أبى آمنة بنت وهب ، فكنت عندها . فقالت : رأيت في وجهك نور النبوة ، فأردت أن يكون ذلك في فأبى الله تعالى إلا أن يضعه حيث أحبه ، وقالت :

بنى هاشم قد غادرت من أخيمك أمينة إذ للباء يتلجان
كما غادَرَ المصباح بعد خبوة فنائل قد ميئت له بدهان
وما كل ما نال الفتى من نصيبه مجزوم ، ولا ما فاته يتوان
فأجل إذا طالبت أسماً فإنه سيكفيكه جدان يصطرعان
وقالت أيضاً .

إني رأيتُ غيلةً نشأت فلالاً بمناهم القطر

لله ما زهرية سلبت منك الذي استلبت وما تدرى
وقد أورد هذه القصة الإمام الماوردي أيضاً في كتاب (أعلام النبوة) مع
بعض الزيادة . قولها « بعد خبوه » أى طفته . والخيلة . السحابة التي هي مظنة
الطر . قال في الصحاح : وقد خالت السحاب وأخيلت وخابلت إذا كانت
ترجى للطر وقد أخلت السحابة وأخيلتها إذا رأيتهما تخيلة . والخنايم : سحائب
سود لأن السواد عندهم خضرة ، والختم : الجرة الخضراء . وزهرية : منسوبة
إلى زهرة حتى من قريش ، وهواسم امرأة كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن
غالب بن فهر نسب ولده إليها ، وهم أخوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . .
والكهان كثيرون يحتاج استيعابهم ، وما روى عنهم من الأخبار ، وما نقلوا
به من السجع والرجز إلى سفر كبير^(١) ؛ قال الأصفهاني عند الكلام على الكهانة :
كان ذلك في العرب كثيراً ، وآخر من وجد وروى عنه الأخبار العجيبة سطيح
وسواد بن قارب ، قال : وكان وجود ذلك في العرب أحد أسباب معجزات النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان يخبر به ، ويحث على اتباعه .

العرافون

قال ابن خلدون في مقدمته : العرافون — كان في العرب منهم كثير ،
وذكروهم في أشعارهم ، قال قائلهم :

فقلتُ لعرافِ اليمامةِ داوِني فإنك إن داوِيتني أطيبُ
وقال الآخر .

جعلتُ لعرافِ اليمامةِ حكمةً وعرافِ نجدٍ إن هما شفياني
فتالا . شفاك الله أ والله مالنا بما حلت منك الضلوع يدا^(٢)

(١) قلت : وقد ألف الخرائطي كتاباً في هذا الباب حافلاً ، ومنه — على
ما بلغني — نسخة في مكتبة الظاهر في دمشق . (٢) أنظر ص {

وعراف اليمامة . هو رياح بن عجلة ، وعراف نجد . الأبلق الأسدى انتهى .
وبعض العرب يسمي الكاهن عرافاً أيضاً ، وبعضهم يطلق هذا اللفظ على الطبيب
أيضاً ، قال الخطابي في شرح سنن أبي داود : الكاهن هو الذى يدعى مطالمة علم
الغيب : ويخبر الناس عن الكوائن ، وكان في العرب كهنة يدعون أنهم يعرفون
كثيراً من الأمور . فمنهم من كان يزعم أن له رؤياً من الجن وتابعه يلقي إليه
الأخبار ، ومنهم من كان يدعى أنه يستدرك الأمور بفهم أعطيه ، قال : وكان
منهم من يسمي عرافاً ، وهو الذى يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل
بها على مواقعها . كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة ، وتتهم المرأة بالربية
فيعرف من صاحبها ، ونحو ذلك من الأمور . ومنهم من كان يسمي للنجم كاهناً ،
والحديث قد يشتمل على النهى عن إتيان هؤلاء كلهم ، والرجوع إلى قولهم ،
وتصديقهم على ما يدعونه من هذه الأمور ، ومنهم من كان يدعو الطبيب كاهناً ،
وربما دعوه عرافاً . قال أبو ذؤيب :

يقولون لى : لو كان بالرمل لم يمت نشيبة ، والكهان يكذب قيلها
وقال آخر : جعلت لعراف اليمامة البيت . وهذا غير داخل في جملة النهى وإنما
هو مخالطة في الأسماء . وقد أثبت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطب ،
وأباح العلاج والتداوى . ومن علومهم :

علم الزجر والحيافة

وهو الاستدلال بأصوات الحيوانات ، وحركاتها ، وسائر أحوالها ، على
الحوادث ، واستعلام ماغاب عنهم . وقال ابن خلدون : وأما الزجر فهو ما يحدث
من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان ، والفكر فيه
بعد مغيبه ، وهي قوة في النفس تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه من مرئ
أو مسموع ، وتكون قوته الخيلة قوية فيبعثها في البحث ، مستعيناً بما رآه أو سمعه

فيؤديه ذلك إلى إدراك ما كما تفعله القوة المتخيلة في النوم ، وعند ركود الحواس تنوسط بين المحسوس والمرئي في بقطة فتجعله مع ما عقلته فيكون عنها الرؤيا انتهى وقد كان العرب أعلم الناس بهذا العلم ، وهو مدار أفعالهم ، وقانون حركاتهم وسكناتهم ؛ وقد روى عنهم في هذا الباب ، روايات تحير ذوى الألباب ، قال ابن القيم في كتاب مفتاح دار السعادة^(١) : يروى في حرب بنى تفلب أن تيم اللات أرسل بنيه في طلب مال له ، فلما أمسى سمع صوت الريح فقال لامرأته : انظري من أين نشأت السحاب ، ومن أين نشأت الريح ؟ فأخبرته بالواقع ، قال : والله إنى لأرى ريحا تدهده الصخر ، وتمحق الأثر ، فلما دخل عليه بنوه قال لهم : ما لقيتم ؟ قالوا : سرنا من عندك فلما بلطنا دعص الشعثين إذا بغير جاثمات على دعص من رمل ، فقال : فأريهمكم . ناطح أم دابر أم بارح أم سانح ؟ قالوا : ناطح ، فقال يخاطب نفسه : ياتيم اللات دعص الشعثين والشعث الكبير وأنت شعث بنى بكر وجوادم بدعص وريح نطحت فبرحت ، قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم رأينا ذئبا قد دلع لسانه من فيه وهو يجرن وشعره عليه . فقال : ذلك حران ثائر ذو لسان عذول حامى الظهر همه سفك السماء وهو أرقم الأرقام يعنى مهلهلا ، قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم رأينا ريحا وسحابا ، قال فهل مطرتم ؟ قالوا : بلى . قال : يبرق ؟ قالوا : قد كان ذلك ، فقال أماء سائل ؟ فقالوا : نعم ، فقال : ذلك دم سائل ومرهفات . قال : ثم مه ؟ قالوا : ثم طلعنا قلعة صنعاء ثم تصوبنا من تل فاران ، قال : فكنتم سواء أو مترادين ؟ قالوا : بل سواء ، قال : فما سماؤكم ؟ قالوا : جناء . قال : فما ريحكم ؟ قالوا : ناطح ، قال فما فعل الجيش الذين لقيتموهم ؟ قالوا : نجونا منه هربا وجد القوم في أترنا قال : ثم مه ؟ قالوا : ثم رأينا عاقبا منقضة على عقاب فتشابكا وهويا إلى الأرض ، قال : ذاك جمع رام جمعا فهو لاقية . قال : ثم مه ؟ قالوا : رأينا سبعا على سبع ينهشه وبه جبية لم يمت . فقال : ذرونى أما والله إنها لقبيلة مصروعة

مأ كولة من بنى وائل بعد عز وامتتاع
 وذكروا أن نيم اللات ، هذا مر يوماً بجمل أجرب ، وعليه ثلاث غرايب
 فقال لبنيه : ستقفون على مقتول ! فكان كما قال وقتل عن قريب ، وكذلك قول
 علقمة في مسيره مع أصحابه ، وقد مروا في الليل بشبح فقال : لقيتم شيئاً كبيراً
 فانياً ينال الدهر والدهر يناله يخبركم أنكم ستلقون قوماً فيهم ضعف ووهن ،
 ثم انى سيماً فقال : دلاج لا ينلب ؛ ثم رأى غراباً يتفص بجؤجؤه فقال : أبشروا
 ألا ترون أنه يخبركم أن قد اطأنت بكم النار ؟ فكان الأمر كذلك . وذكر
 اللدائي قال : خرج رجل من لب ، ولم عيافة ، في حاجة ومعه سقاء من لبن
 فسار صدر يومه ثم عطش فأناخ ببيره ليشرب فإذا الغراب ينعب فأثار راحلته
 ومضى فلما أجهده العطش أناخ ليشرب فنعب الغراب فأثار راحلته ، ثم في الثالثة
 نعب الغراب وترغ في التراب ف ضرب الرجل السقاء بسيفه فإذا فيه أسود ضخم ،
 ثم مضى فإذا غراب على سدة فصاح به فوقع على سلمة فصاح به فوقع على صخرة
 فاتبعه إليه فإذا تحت الشجرة كنزاً فلما رجع إلى أبيه قال له : ما صنعت ؟ قال :
 سرت صدر يومى ، ثم أنخت لأشرب فإذا الغراب ينعب ، قال : أثره وإلا
 فلست بابنى ، قال : أثرته ، ثم أنخته لأشرب فإذا الغراب ينعب ، قال : أثره وإلا
 فلست بابنى ! قال : أثرته ، ثم أنخته لأشرب فنعب الغراب وترغ في التراب ،
 قال : اضرب السقاء وإلا فاست بابنى قال : ضلعت فإذا أسود ضخم ، قال : ثم مه ؟
 قال : ثم رأيت غراباً واقفاً على سدة قال : أطره وإلا فلست بابنى ، قال : أطرته
 ثم وقع على سلمة ، قال : أطره وإلا فلست بابنى ، قال : أطرته فوقع على صخرة ،
 قال : أخبرني بما وجدت فأخبره . . وذكر أيضاً أن أعرابياً أضل له ذوداً وخادماً
 فخرج في طلبهما حتى إذا اشتدت عليه الشمس وحى النهار مرَّ برجل يحلب ناقه
 قال : أظنه من بنى أسد فساله عن ضالته ، قال : أدنُ فأشرب من اللبن وأدلك على
 ضالته قال . فشرب ، ثم قال . ما سمعت حين خرجت ؟ قال . بكاء الصبيان ،

ونباح الكلاب ، وصراخ الديكة ، وثغاء الشاء ، قال : ينالك عن الفُدُو ، ثم مه ؟ قال ثم ارتفع النهار فعرض له ذئب ، قال . كسوب ذو ظفر ، ثم مه ؟ قال . ثم عرضت لى نامة ، قال ذات ريش واسمها حسن ، هل تركت فى أهلك مريضاً يعاد ؟ قال . نعم ! قال . ارجعْ إلى أهلك فذودك وخادمك عندهم فرجع فوجدهم .. وذكر أبو خالد التيمي قال . كنت آخذ الإبل بضمان فأرعاها فى ظهر البصرة فطردت فخرجت أقفوا أثرها حتى انتهيت إلى القادسية . فاختلطت على الآثار ، فقلت . لو دخلت الكوفة فتحسست منها ، فأتيت الكناسة فإذا الناس مجتمعون على عراف اليمامة فوقفت ، ثم قلت له . حاجتى ! فقال .

بعيدة أشطان الهوى جمعٌ مثليها على العاجز الباغي الفنى ذو تكاثف ولترجمن ! قال . فوجدتها فى الشام مع ابن عم لى فصالحت أصحابها عنها .. وقال المدائنى . كان بالسواد زاجر يقال له مهر فأخبر به بعض العمال فجعل يكذب زجره ، ثم أرسل إليه ، فلما أتاه قال . إئتني قد بعثت بنهم إلى مكان كذا وكذا فانظر هل وصلت أم لم تصل ؟ وقد عرف العامل قبل ذلك أن بينهما وبين الكلال مرحلة ، فقال لغلّامه : اخرج فانظر أى شيء تسمع ؟ قال . وكان العامل قد أمر غلامه أن يكن فى ناحية ويصيح صياح ابن آوى ، فخرج غلام الزاجر لسمع فصاح غلام العامل فرجع إلى الزاجر غلامه وأخبره بما سمع ، فقال للعامل . قد ذهبت علك وقطع عليها الطريق فاستيقت . قال . فضحك العامل ! وقال . قد جادنى خبرها أنها وصلت والصائح الذى صاح غلامى ! قال . إن كان الصائح الذى صاح ابن آوى فقد ذهبت النعم ، وإن كان كلامك فقد ذهب الراعى أيضا ! قال : فبلّغه بعد ذلك ذهب النعم وقتل الراعى .. وذكر المكلّى أنه خرج فى تسعة نفر هو عاشرهم ليصيوا الطريق فرأى غراباً واقفاً فوق بانه . فقال . يا قوم إنكم تصابون فى سفركم هذا فازدجروا وأطيعونى وارجعوا ! فأبوا عليه فأخذ قوسه وانصرف ، وقتلت التسعة ، وأنشأ يقول :

رأيتُ غراباً واقفاً فوق بانهٖ ينشش أعلى ريشهٖ ويطايره
 قفلت. غراب فاعتراب من النوى وبان فبين من حبيب يجاوره
 فما أعيف العكلى لأدّر دَرّهٖ وأزجره للعاير لاعرز ناصره
 وذكر عن كثير عزة أنه خرج يريد مصر، وكانت عزة بها، فلقيه أعرابي
 من نهد فقال: أين تريد؟ قال: أريد عزة بمصر، قال: ما رأيت في وجهك؟
 قال: رأيت غراباً ساقطاً فوق بانهٖ ينتف ريشه، فقال: ماتت عزة! فانتهى ومضى
 فوافق مصر والناس منصرفون من جنازتها، فأنشأ يقول:

فأما غرابٌ فاعترابٌ وغربةٖ وبانٌ فبين من حبيبٍ تعاشرهٖ
 وذكر عنه أيضاً أنه هوى امرأة من قومه بعد عزة يقال لها (أم الحويرث)
 وكانت فاتمة الجلال، كثيرة المال، فقالت له: اخرج فأصب مالاً فأزوجك!
 فخرج إلى اليمن وكان عليها رجل من بني مخزوم، فلما كان ببعض الطريق عرض
 له قوط (وهو الجماعة من الظباء) فضى، ثم عرض له غراب ينعب ويفحص
 التراب على رأسه، فأتى كثير حيا من الأزد، ثم من بني لهب، وهو من أزجر
 العرب، وفيهم شيخ قد سقط حاجباه على عينيه، فقص عليه ما عرض له فقال:
 إن كنت صادقاً لقد ماتت هذه المرأة أو تزوجت رجلاً من بني كعب! فاعتم
 كثير لذلك وسقى بطنه! فكان ذلك سبب موته، وقال في ذلك:

تيممتُ لهباً أبتنى السلمَ عندهم وقد ردّ علم العاقبين إلى لهب^(١)
 فيممتُ شيخاً منهم ذو أمانة بصيراً يزجر الطير منحنى الصلب
 قفلت له: ماذا ترى في سوانح وصوت غراب يفحص الأرض بالترب؟
 فقال: جرى الطيرُ السنيحُ يبيئها ونادى غرابٌ بالفرار والسلب!
 فان لا تكن ماتت فقد حال دونها سواك حليلٌ باطن من بني كعب!
 وقال رجل من بني أسد: تزوجت ابنة عم لي فخرجت أريدها، فلقيني شيء

(١) تيممت: قصدت. ولهب: قبيلة من الأزد في اليمن وهم أعيف العرب

كالكلب مندلع لسانه في شق ، قلت : أخفت ورب الكعبة ! فأنتيت القوم فلم أصل إليها ، وناقرنى أهلها ، فخرجت عنهم ، فكثت ثلاثة أيام ، ثم بدلى فخرجت نحوهم ، فقلت كلبة تنطف أطباؤها لبنا ، قلت : أدركت ورب الكعبة ، فدخلت بأهلى وحلت منى بسلام ، ثم بأخر حق ولدت أولاداً كثيرين ومارواه الثقات من الحكايات في هذا الباب لايقوم بها مثل هذا الكتاب من المختصرات .

كيفية الزجر عند العرب

قال ابن القيم في كتاب مفتاح دار السعادة عند الكلام على أصحاب الطير السانح والبارح والقييد والناطح - وأصل هذا أن العرب كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونها ، فما تيامن منها وأخذ ذات اليمين سموه سانحاً ، وماتيسر منها سموه بارحاً ، وما استقبلهم منها فهو الناطح ، وماجاهم من خلفهم فهو القعيد فمن العرب من يشاءم بالبارح لأنه لايمكن رميه إلا بأن ينحرف إليه ، ويتبرك بالسانح ؛ ومنهم من يرى خلاف ذلك . قال المدائني - سألت رؤبة ابن المعجاج ، ما السانخ ؟ قال : ماولاك ميامنه ، قال : قلت : فما البارح ؟ قال : ماولاك مياسره قال : والذي يجيء من قدامك فهو الناطح والنعطيح ، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقييد ، ونقل عن المفضل الضبي أن البارح ماياتيك من اليمين يريد يسارك ، والسانح ماياتيك عن اليسار فيمر على اليمين ، وإنما اختلفوا في مراتبها ومذاهبها ، لأنها خواطر وحدوس وتحيينات لا أصل لها ، فمن تبرك بشيء مدحه ، ومن تشاءم به ذمه^(١) .. وقد ذكرنا سابقاً عند الكلام على تشاؤم العرب بالطيور أن أهل نجد تتيمن بالسانح وتشاءم بالبارح ، وأهل العالية على عكس هذا ، وفي النهاية لابن الأثير : الزجر للطير هو التيمن والتشاؤم بها والتفاؤل بطيرانها كالسانح والبارح ، وهو نوع من الكهانة والعيافة . وأقول .

(١) مفتاح دار السعادة ج ١ ص ٢٤٢

إنه قسم للكهانة لا نوع منها ، وظاهر كلامه يوم أنها والعيافة مترادفان ، وهو أيضاً لا يسم له وليس شيء من الطير إلا وهو يزجر إلا الرخم . قال الحكيم بهجو رجلا :

أنشأت تنطق في الأمور ركوأغد الرخم النوائر
إذ قيل : يا رخم انطق في الطير إنك شر طائر
فأنت بما هي أهله والى من شلل المجاور

وفي المثل « انطق يا رخم إنك من طير الله » يقال : إن أصله أن الطير صاحت فصاحت الرخم ، فقيل لها يهزأ بها : إنك من طير الله فانطق ، يضرب للرجل لا يلتفت إليه ولا يسمع منه . والرخة طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة يقال له الأنوق والجمع رخم وهو اللجنس .

من اشتهر من العرب بالزجر والعيافة

قد كان في العرب جماعة يعرفون بذلك كحراف اليمامة ، والأبلى الأسدى والأحليج ، وعروة بن يزيد ، وغيرهم ممن لا يحصى عدداً ، فكانوا يحكمون بذلك ويمسكون به ويتقدمون ويتأخرون في جميع ما يتقلبون فيه ، ويتصرفون في حال الأمن والخوف والسعة والضيق والحرب والسلام ، فإن نجحوا فيما يتفادون به مدحوه وداموا عليه ، وأن عطبوا فيه تركوه وذموه ، ومن اشتهر بإحسان الزجر عندهم وجوهه حتى قصده الناس بالسؤال عن حوادثهم ، وما أمالوه من أعمالهم سموه عاتفاً وعرافاً كما سموه زاجراً ، وإنى ذاكر بحول الله تعالى في هذا المقام شيئاً من أخبار بعض من وقفت على ترجمته منهم على طريق الاختصار . منهم :

مسل بن عامر ^(١) بن عميرة الهمداني

ومن حديثه أن عامراً بث ابنه الحسل وعاجته إلى تجارة ، فلقى الحسل قوم من بني أسد فأخذوا ماله وأسروه ، وسار عاجته أياماً ثم وقع على مال في

(١) فرائد اللال : « حاتم بن عميرة ... » .

طريقه من قبل أن يبلغ موضع متجره فأخذه ورجع ، وقال ذلك :
 كفاي الله بعد السير ، إني رأيت الخير في السفر القريب
 رأيت البعد فيه شق ونأى ووحشة كل منفرد غريب
 فأسرعت الإياب بخير حال إلى حوراء خروجة لتؤوب
 وإني لئن يثني إذا رحلت سنوح سحاج نعوب
 (قال في الصحاح : الحور شدة بياض العين في شدة سوادها ، وامرأة حوراء
 بيضاء الحور ، وجارية خروجة وخرعوبة أى دقيقة العظام ناعمة ، ويعبر سحاج :
 يسحج الأرض بخفه أى يقشر) .

فلما رجع تباشر به أهله ، وانتظروا الحسل ، فلما جاء إبانة الذي كان يحىء
 فيه ولم يرجع رابعهم أمره ، وبث أبوه أخاه لم يكن من أمه يقال له شاكر في
 طلبه والبحث عنه ، فلما دنا شاكر من الأرض التي بها الحسل وكان الحسل عائناً
 يزجر الطير فقال :

تخبرني بالنجاة الطاعة وقول الغراب بها شاهم
 يقول : ألا قد دنا نازح فداء له الطرف والتالد^(١)
 أخ لم تكن أمنا أمه ولكن أبونا أب واحد
 تداركني رافة حاتم فقيم المريب والوالد
 ثم إن شاكرأ سأل عنه فأخبر بمكانه فاشتراه ممن أسره بأربعين ديناراً
 فلما رجع به قال له أبوه « إسمع يحذرك لا بكذك » فذهب مثلاً . ومنهم .

أبو ذؤيب الهزلي الشاعر

ومن خبره ما حكى عنه أنه قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم عليل فاستشرت حزناً ، وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديمورها ، ولا يطلع

(١) الطرف : المال المستحدث والتالد : القديم

نورها ، فبت أقامى طولها ، حتى إذا كان وقت السحر أغفيت ففتفت بى هاتفت وهو يقول :

خطبُ أجلّ أناخ بالإسلام بين النخيل ومقعد الآطام
قبض النجى (محمد) فميوننا تدرى اللموع عليه بالأسجام

قال أبو ذؤيب : فوثبت من منامى فزعا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سمد الذابح فأولته ذبحا يقع فى العرب ، وعلت أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد قبض أو هو ميت من علته ، فركبت ناقى وسرت ، فلما أصبحت طلبت شيئا أزرجه فعرض لى شيهم « وهو ذكر القنفاذ » قد قبض على صل (يعنى حية) فهى تلتوى عليه ، والشيهم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك وقلت شيهم شىء هم ، والتواء الصل تلوى الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم أولتُ أكل الشيهم لإياها غلبة القائم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الأمر ، فجننت ناقى حتى إذا كنت بالخابة زجرت الطائر فأخبرنى بوفاة صلى الله تعالى عليه وسلم ، ونصب غراب سائح فنطق بمثل ذلك ، فتصوّدت بالله من شر ما عنى فى طريقى ، فقدمت المدينة ولما ضجيج بالبكاء كضجيج الحجاج إذا أهلوا بالإحرام فقلت : ما الخير ؟ قالوا : قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فجننت إلى المسجد فوجدته خاليا فأتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدت بابه مرتجيا أى مغلقا ، وقيل : هو مسجى وقد خلا به أهله ، فقلت أين الناس ؟ فقيل : فى سقفة بنى ساعدة صاروا إلى الأنصار ، فجننت إلى السقفة فأصبت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وجاعة من قریش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، فأوتيت إلى قریش ، وتكلمت الأنصار فأطالوا الخطاب ، وأطالوا الجواب ، وتكلم أبو بكر فله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخطاب ، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا انقاد له ومال إليه ، ثم

تكلم عمر رضى الله تعالى عنه بدون كلامه ، ثم قال لأبي بكر : مد يدك أبايكت ، فديده فبايحه وبايحه الناس ، ورجع أبو بكر رضى الله تعالى عنه ورجعت معه . قال أبو ذؤيب : فشهدت الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشهدت دفنه . ومنهم :

جابر بن عمرو المازنى

ومن حديثه أنه كان يسير يوماً في طريق إذ رأى أثر رجلين ، وكان قائماً قائماً ، فقال أرى أثر رجلين شديداً كليهما ، غزيراً سلبهما ، (و) الفرار بقراب كيس) ثم مضى أى الذى يفر ومعه قراب سيفه إذا قاته السيف أكيس ممن أيفيت القراب أيضاً ^(١) . قال الشاعر :

أقاتل حتى لا أرى لى مقاتلا وأنجو إذا لم ينج إلا الكيس
ومنهم :

جندب بن الضبر بن عمرو بن تميم

قال الفضل الضبي : إن جندباً هذا كان رجلاً دميماً ^(٢) فاحشاً ، وكان شجاعاً ، وأنه جلس هو وسعد بن زيد مناة يشربان ، فلما أخذ الشراب فيهما قال جندب لسعد وهو يمازحه : يا سعد لشرب لبن اللقاح ^(٣) ، وطول النكاح ، وحسن المزاج ^(٤) أحب إليك من الكفاح ^(٥) ، ودعس الرماح ^(٦) ، وركض الوقاح ^(٧) ، فقال سعد : كذبت والله إني لأعمل العامل ، وأنحر البازل ^(٨) ، وأسكت القائل ، قال جندب : إنك لتعلم أنك لو فزعت دعوتى عجلاً ، وما ابغضيت لى بدلاً ، ولرايتى

(١) وقيل في معناه : إن فرارنا ونحن قراب من السلامة أكيس من أن نتورط في المكروه بشياننا (٢) أى قبيح المنظر صغير الجسم وكأنه مأخوذ من الدمة بالكسر وهى القملة أو النملة الصغيرة (٣) جمع لقحة وهى الناقة ذات اللبن (٤) المداعبة (٥) المقاتلة والمضاربة (٦) طعن الرماح (٧) الفرس الصلب القوى (٨) البعير الذى فطرن به بدخوله في السنة التاسعة ويستوى فيه الذكر والأنثى

بطلاً : أركب العظيمة ، وأمنع الكريمة ، وأحمى الحريمة ، فنضب سعد وأنشأ يقول :

هل يسود التقى اذا قبح الوجه وأمسى قواه غير عتيد^(١)
وإذا الناس في الندى رأوه ناطقاً قال قول غير سديد^(٢)
فأجابه جندب

ليس زين التقى الجمال ولكن زينه الضرب بالحسام التليد^(٣)
إن ينلك التقى فزين وإلا ربما ضن باليسير العتيد
قال سعد : وكان عاتقاً أيضاً : أما والذي أحلف به لتأمرنك طمعة ، بين
العرينة والاهنية ، ولقد أخبرني طبرى ، أنه لا يثبثك غيرى ! فقال جندب :
كلاً إنك لجبان ، تكره الطعان ، وتحب القيان^(٤) ، ففترقا على ذلك ، ففبرا
حيناً ؛ ثم إن جندباً خرج على فرس له يطلب القنص فأتى على أمة لبنى تميم يقال
إن أصلها من جرم فقال : لتكنفى مسرورة ، أو لتقهرن مجبورة ! قالت : مهلاً !
فإن المرء من نوكه^(٥) ، يشرب من سقاء لم يوكه^(٦) ، فنزل إليها عن فرسه
مدلاً ، فلما دأمنها قبضت على يديه بيد واحدة فزال نصعرا حتى تركته
لا يستطيع أن يحركهما ، ثم كفتته بمنان فرسه ، وراحت به مع غنمها وهي تحمى
به وتقول :

لا تأمنن بعدها الولائد فسوف تلقى بأسلاً موارد^(٧)
وحية تضجى لى راصداً

قال : فر بسعد في إبله فقال : يا سعد أغثنى ! قال سعد « إن الجبان لا يثبث »
فقال جندب :

(١) أى غير مهيا (٢) الندى : المجلس . وغير سديد : غير مصيب بقونه
(٣) الحسام : السيف القاطع . والتليد : كل مال قديم يورث عن الآباء .
(٤) جمع قينة وهي الأمة البيضاء هكذا قيده ابن السكيت مغنية كانت
أو غير مغنية وقبل تختص بالمغنية . (٥) حمقه (٦) لم يشد رأسه (٧) الولائد :
الاماء . والبائل : الشجاع

يا أيها المرء الكريمُ المشكومُ انصُرْ أخاك ظالماً لو مظلوم
فأقبل إليه سعد فأطلقه . ثم قال : لولا أن يقال قتل امرأة لقتلتك ! قالت :
كلا لم يكن ليكذب طيرك ، ويصدق غيرك ، قال : صدقت . . قوله : انصر
أخاك الخ هو من الأمثال يعنى انصره ظالماً إن كنت خصمه ، ومظلوماً من جهة
خصمه . أى لاتسله فى أى حال كنت . ومنهم :

مرة الأرسى

ومن خبره أنه كانت له امرأة من أجمل النساء فى زمانها ، وأنه غاب عنها
أعواماً فهويت حبداً لها حامياً كان يرعى لها ماشيتها ، فلما همت به أقبلت على
نفسها فقالت : يا نفس الا خير فى الشيرة ^(١) ، فلما تفضح الحرة ، وتحدث العرة
ثم أعرضت عنه حيناً ، ثم همت به فقالت : يا نفس مودة مريجة ، خير من الفضيحة
وركوب التبيحة ، وإياك والمار ، وليوس الشنار ^(٢) ، وسوء الشعار ، ولؤم
الدنار ^(٣) ثم همت به وقالت : إن كانت مرة واحدة ، فقد تصلح الفاسدة ، وتكرم
العائدة ؛ ثم جسرت على أمرها ، وقالت للعبد : احضر مبيتى الليلة فأتاناها فواقها ،
وكان زوجها عاتقاً مardاً ، وكان قد غاب دهرأ ، ثم أقبل آيباً ، فبينما هو يطعم إذ
نعب غراب فأخبره أن امرأته لم تفجر قط ولا تفجر إلا تلك الليلة ! فركب مرة
فرسه وسار مسرعاً رجاء إن هو أحسها أمها أبدأ ، فاتتهى إليها ، وقد قام العبد
عنها ، وقد ندمتْ وهى تقول « خيرٌ قليلٌ وفضحت نفسى » فسمعها مرة
فدخل عليها ، وهو يعدلها به من النيط . فقالت له : ما يردك ؟ قال مرة : ليعلم
أنه قد علم خير قليل المثل افشقت شقة وماتت ! فقال مرة :
لحى الله رب الناس (فاقِر) ميتة وأهونٌ بها مفقودة حين تُفقدُ

(١) شرة الشيب بالكسر نشاطه وإنما تفضح الحرة لأنها تهيج عليها
شهوتها فلا تلبث أن تصبر حتى يكون منها ما يكون فتحدث العرة وهى الخلة
التبيحة (٢) العار (٣) الشعار : ماتحت الدنار من اللباس وهو يلى شعر
الجسد . والدنار : ما فوق الشعر من الثياب .

لَعَزَّكَ مَا تَعْتَادُنِي مِنْكَ لَوْعَةً وَلَا أَنَا مِنْ وَجْدٍ عَلَيْكَ مُسَهَّدٌ
ثم قام إلى المبدقتله . . والفاقرة : الداهية^(١) ، ولحاه الله . قبحه ولعنه .
والمارد العاتق .

من أنكر الزجر والطيرة من العرب

ومن العرب من أنكر الزجر ونحوه بمقله ، وأبطل تأثيره بنظره ، وذم من
اغتر به ، واعتمد في أمره عليه وتوهم تأثيره « منهم ضابيء بن الحرث » وقد قال
في ذلك .

وما عاجلات الطير تدني من التقى نجاحاً ولا عن رَيْهِنٍ يَغِيْبُ
وربَّ أُمُورٍ لَا تُضِيرُكَ ضِيْرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاهِنَ وَجِيْبٌ^(٢)
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوْطِنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ
قوله : وما عاجلات الطير الخ قال للبرد في الكامل يقول . إذا لم تعجل له طير
سائحة فليس ذلك بمبعد خيراً عنه ، وإذا أبطأت خاب فاجلها لا يأتيتها بخير وأجلها
لا يدفع عنه إنما له ما قدر له ، والعرب تزجر على السائح ، وتترك به ، وتكره البارح ،
وتتشاء به ، والسائح ما أتاك مياسرة فأمكن الصائد ، والبارح ما أتاك ميامنة فلم
يمكن الصائد إلا أن ينحرف له . قال الشاعر :

لَا يَعْلَمُ الْمَرْءُ لَيْسَ مَا يَصْنُجُهُ إِلَّا كَوَاذِبُ مَا يَخْبِرُ النَّصَالُ
وَالْقَالَ وَالزَّجْرَ وَالْكُهَانَ كُلَّهُمْ مَضْلُوكُونَ وَدُونَ الْغَيْبِ أَقْصَالُ
وقال ابن خلف . إذا خرج الإنسان من منزله فأراد أن يزجر الطير فامر به
في أول ما يبعرفوه عاجلات الطير ، وإن أبطأت عنه وانتظرها فقد رأت أي
أبطأت ، والأول عندهم محمود ، والثاني مذموم يقول : ليس النجح بأن يعجل

(١) أقول : « فاقرة » هنا اسم امرأة مرة ، ورخمها في البيت .

(٢) ضاره الأمر : ضره وخشية خشياً وخشيته وخشاة ومخشاة :
خافته . والوجيب : الخفقان

الطائر الطير الطيران كما يقول الذين يزجرون الطير، ولا الخبية في إسطائها ،
وهذا رد على مذهب الأعراب .

« ومنهم للرقش » وهو شاعر قديم ، ومن شعره :

ولقد غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاثِمٍ وَحَاتِمٍ (١)
فَإِذَا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَامِنْ كَالْأَشْأَمِ
وَكَذَاكَ لَا خَيْرَ وَلَا شَرَّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمٍ
لَا يَمْنَعُكَ مِنْ بِنَا إِلَّا خَيْرٌ تَقْلَدُ الْقَتَامِ (٢)
قد خط ذلك في السطو ر الأوليات القدام

« ومنهم : جهم المذلي » وفي ذلك يقول من أبيات يرد بها على الماتقين

في زجر الطير :

يُظَنُّانِ ظَنًّا مَرَّةً يُحْطَأَنَهُ وَأُخْرَى عَلَى بَعْضِ الَّذِي يُصَفَّانِ
قَضَى اللَّهُ أَنْ لَا يَعْلَمَ النَّيْبُ غَيْرَهُ قَضَى أَيْ أَمَرَ اللَّهُ بِمُتْرِيَانِ (٣)
« ومنهم : ضابيه من حارث البرجي » حيث يقول في شعره :

وما أنا بمن يزجر الطير همه أصاح غرابٍ أم تمرّضَ كملب
ولا السامحات البارحات عشيةً أمرٌ سليم القرن أم مرٌّ أعضب
وقال آخر وهو ليبد

لعمرك ما تدرى الطوارقُ بالخصى ولا زاجراتُ الطيرِ ما الله صانع

« ومنهم : الرقاص السكبي » وكان على إنكار الزجر واعتقاد بطلانه ، وهو

الذي يقول ، وقيل لخيش بن عدي :

وجدت أباك الخبر (بحراً) بنجدة بناها له مجداً أشمُ قَمَاقِمِ (٤)

(١) الواقي : طائر ضخم الراس يصطاد المصافير . والحاتم : الغراب
الأسود وغراب البين وهو أحمر المنقار والرجلين وسمى حاتماً لأنه يحتتم
بالفرار (٢) التمام : جمع تميمة وهي خرزة رقيقة تنظم في السير لم يعقد في
عنق الصبي « تموده من العين فإذا كبر قطعت عنه . (٣) امتري فيه : شك
(٤) بحر : اسم رجل والمخاطب ابنه مسمود . والأشم : السيد ذو الأنفة .
القمام السيد

وليس بهيباب إذا شدَّ رحله يقول عداني اليوم واقٍ وحاتم
ولكنه يمضي على ذاك مُقَدِّما إذا صدَّ عن تلك الهفأة الخنثارم
والخنثارم كملابط : الرجل المتطير « ومنهم النابغة » فقد روى أنه خرج هو
وزياد بن سيار يريدان النزو فرأى زياد جرادة فقال : حرب ذات ألوان فرجع
ومضى النابغة ، ولما رجع غائما قال :

يلاحظ طيرة أبداً (زياد) لتخيره وما فيها خير
أقام كأنَّ لثمان بن عاد أشار له بحمكة مشير
تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور
بل شيء يوافق بعض شيء أحياناً وباطله كثير

وقد شفت الشريعة الحمدية الأمة في الطيرة ، وقال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وقد سئل عنها : « ذاك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه » . وذكر شراح
الحديث أن ليس في سnoch الطير وروحها ما يقتضى ما اعتقدوه ، وإنما هو تكلف
بتعاطي ما لا أصل له ، إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى
فيه ، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله ؛ وقد كان بعض عقلاء الجاهلية
ينكر التطير ويتمدح بتركه كما سبق ، وكان أكثرهم يتطهرون ويتمددون على
ذلك ، ويصح معهم غالباً لتزيين الشيطان ذلك ، وبقيت من ذلك بقايا في كثير
من المسلمين . وبقي كلام في الطيرة ، والقال والفرق بينهما ، وسبب تحريم أحدهما
دون الآخر ، مذكور في شروح كتب الحديث . ومن عجيب أمر بعض قبائل
العرب في الجاهلية أنهم لا يزوجون بناتهم إلا من اتصف بصفات : منها معرفته
للزجر والعيافة حيث إن هذه المعرفة عندهم من الصفات العالية ، ففى كتاب جمع
الأمثال للميداني « عن الفضل الضبي : أن ابن أروى السكلاعى خرج تاجراً من
اليمن إلى الشام فسار أياماً ، ثم ساد عن أصحابه فبقى مفرداً في تيه من الأرض حتى

سقط إلى قوم لا يدري من هم ، فسأل عنهم فأخبر أنهم همدان ، فزل بهم ، وكان طريقاً^(١) عريقاً ، وأن امرأة منهم يقال لها (عمرة بنت سبيع) هويته وهويها ، فخطبها ابن أروى ، وكان اسمه (الضب) إلى أهل بيتها ، وكانوا لا يزوجون إلا شاعراً أو عائناً أو علماً ببيون الماء ، فسألوه عن ذلك ، فلم يعرف منها شيئاً ، فأبوا تزويجه ، فلم يزل بهم حتى أجابوه فتزوجها ؛ ثم إن حياً من أحياء العرب أرادوا النار عليهم فتطهروا بالضب فأخرجوه وامرأته ، وهي طامث^(٢) ، فانطلقا ومع الضب سقاء من ماء ، فسارا يوماً وليلته وأمامهما عين يظنان أنها يصحبانهما ، فقالت له : ادفع إلى هذا السقاء حتى أغتسل فقد قاربنا العين . فدفع إليها السقاء فاغتسلت بما فيه ولم يكفها ، ثم صبحا العين فوجداها ناضبة وأدركهما العطش ! فقال الضب (لا ماءك أبقيت ولا حرك^(٣)) أفقيت) ثم استظلا بشجرة حيال العين ، فأنشأ الضب يقول :

تا لله ما طلة أصاب بها بلاء سوى قوارع العطب^(٤)
وأى مهر يكون أقل مما طلبوه إذن من الضب
إن يعرف الماء تحت صم الصفا ويخبر الناس منطلق الخطب^(٥)
أخرجني قومها بأن الرحي دارت بشؤم لم على القطب

فلما سمعت امرأته ذلك فرحت وقالت : ارجع إلى القوم فإنك شاعر ! فانطلقا راجعين ، فلما وصلا خرج القوم إليهما ، وقصصوا ضربهما وردما ، فقال لم الضب : اسمعوا شعري ثم اقتلوني ! فأنشدهم شعره فنجا ، وصار فيهم أثر من بعضهم . قال الفرزدق :

وكنت كذات الحيض لم تبقي ماءها ولا هي من ماء العذابة طاهر^(٦)

(١) أى ذا منظر ورواء (٢) حائض (٣) الحر : بالكسر فرج المرأة (٤) الطلة : الزوجة . والبعل : الزوج . (٥) الصفا : جمع صفاة وهي الحجر الصلب الضخم الذى لا ينبت . والسم : الصلب (٦) العذابة : بالدال والذال الرجم . وهذا البيت أورده الجوهري * ولا هي مما بالعذابة طاهر * قال ابن مكرم : وكذلك وجدته في عدة نسخ . ويقال : امرأة طاهرة من الأدناس وطاهر من الحيض بغير هاء

الطرق بالحصى والخط ونحو ذلك

كانت عند العرب أمور كثيرة يتوصلون بها إلى معرفة الخفيات بزعمهم كالطرق بالحصى والخط والحبوب وغير ذلك ، وهذه كلها من الكهانة على ما حققه أهل العلم ، والطرق له صورة مخصوصة فإن الكاهن إذا سئل عن حادثة أخرج حصيات قد أعدّها عنده فيطرق بعضها ببعض فيلوح له حيثئذ ما يعلم به جواب السؤال ، وصورة الخط ما نقله ابن الأعرابي قال : يمشي الحارزي^(١) ويأمر غلاماً له بين يديه فيخط خطوطاً على رمل أو تراب ، ويكون ذلك منه في خفة وعجلة كي لا يدركها العدو والإحصاء ، ثم يأمره فيسحوها خطين خطين وهو يقول : « ابنى عيان . أسرها البيان ! » فإن كان آخر ما يبق منها خطين فهو آية التجاح . وإن كان قد بقي خط واحد فهو علامة الخفية والحرامان ، ورأيت في بعض كتب الأدب راجزاً قال يصف جندباً^(٢) وهو ضرب من الجراد :

يحجل فيها مقلز الجبول بغيّاً على شقيه كالمشكول^(٣)
بخط لأم ألف موصول والزاي والرا أيما تهليل

خط يد المستطرق المسئول

أي بخط لأم ألف كخط يد الكاهن المسئول منه التكهن ، والمستطرق الذي يتكهن فإذا سئل عن الشيء خط في التراب ونظر ، وقيل : المستطرق الكاهن الذي يطرق الحصى بعضه ببعض ، وفي سنن أبي داود عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي قال : قلت لرسول الله ومنا رجال يخطون ا قال كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك ، وهذا يحتمل أن يكون معناه الزجر

(١) الكاهن . وانظر ص ١٥٩ من هذا الجزء . (٢) وقيل يصف غراباً (٣) حجج الغراب : نزا في مشيه كما يحجل البعير العقيم على ثلاث وقوله « فيها » أي في الدار . ويقال : إنه لقلز كمشبر أي وثاب عن ابن الأعرابي وأنشد :

وقلّز الغراب والمصفور وتب وكل مالا يمشى مشياً فقد قلز
وبغى في مشيته اختال وأسرع . والمشكول : الذي شددت قوائمه بخيط

عنه إذا كان من بعده لا يوافق خطه ، ولا ينال حظه من الصواب ، لأن ذلك إنما كان آية لتلك النبي ومعجزة له ، فليس لمن بعده أن يتساواه طمعاً في نيله ، وقد ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى (أو أنارة من علم) أن المراد به هذا العلم وهو المشهور اليوم بعلم الرمل ، وكل ذلك من قبيل الكهانة . قال (ابن خلدون في مقدمته) : إنما نجد في النوع الإنساني أشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ، ولا يرجعون في ذلك إلى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا غيرها ، إنما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرته التي فطروا عليها ، وذلك مثل المرافين والناظرين في الأجسام الشفافة كالإبريا وطساس الماء ، والناظرين في قلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها ، وأهل الزجر في الطير والسباع ، وأهل الطرق بالخصى والحبوب من الخنطة والنوى ، وهذه كلها موجودة في عالم الإنسان لا يسمع أحداً جحدوها ولا إنكارها وكذلك المجانين يلقى على ألسنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها ، وكذلك النائم والميت لأول موته أو نومه يتكلم بالغيب ، وكذلك أهل الرياضيات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة . قال : ونحن نتكلم على هذه الإدراكات كلها ، ونبتدئ منها بالكهانة . ثم نأتي عليها واحدة واحدة إلى آخرها وقدم على ذلك مقدمة في النفس الإنسانية كيف تستمد الإدراك الغيب في جميع الأصناف التي ذكرناها ؛ وذلك أنها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات وإنما تخرج من القوة إلى الفعل بالبدن وأحواله ، وهذا أمر مدرك لكل أحد ، وكل ما بالقوة فله مادة وصورة ، وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها هو عين الإدراك والتمثل ، فهي توجد أولاً بالقوة مستعدة للإدراك وقبول الصور الكلية والجزئية ، ثم يتم نشؤها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن ، وما يعودها بوجود مدركاتها المحسوسة عليها ، وماتنزع من تلك الإدراكات من المعاني الكلية فتتمثل الصور مرة بعد أخرى حتى يحصل لها الإدراك والتمثل طوراً

بالفعل فتتم ذاتها وتبقى النفس كالميولي^(١) والصور، متعاقبة عليها بالإدراك واحدة بعد واحدة ؛ ولذلك نجد الصبي في أول نشأته لا يقدر على الإدراك الذى لها من ذاتها لا بنوم ولا بكشف ولا بغيرها ، وذلك لأن صورتها التى هى عين ذاتها وهى الإدراك والتفعل لم يتم بعد ، بل لم يتم لها انشراح الكلبيات ، ثم إذا تمت ذاتها بالفعل حصل لها مادامت مع البدن نوعان من الادراك : إدراك بآلات الجسم تؤديه إليها المدارك البدنية ، وإدراك بذاتها من غير واسطة ، وهى محبوبة عنه بالانتماس فى البدن والحواس وبشواغلها لأن الحواس أبداً جاذبة لها إلى الظاهر بما فطرت عليه أولاً من الإدراك الجسماني ، وربما تنفخ من الظاهر إلى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة إما بالخاصية التى للإنسان على الإطلاق مثل النوم أو بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق ، أو بالرياضة مثل الصوفية ، فتتلف حينئذ إلى القنات التى فوقها من الملاء الأعلى لما بين أقطابها وأقمتهم من الاتصال فى الوجود ، وتلك القنات روحانية وهى إدراك محض وعقول بالفعل وفيها صور للوجودات وحقائقها فيتجلى فيها شئ من تلك الصور وتقتبس منها علوماً ، وربما رفعت تلك الصور المدركة إلى الخيال فيصرفه فى القوالب المعتادة ؛ ثم يراجع الحس بما أدركت إما مجرداً أو فى قوالبه فتخبر به . هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الإدراك النبوي . قال : ولنرجع إلى ما وعدنا به من بيان أصنافه فأما الناظرون فى الأجسام الشفافة من المرايا وطلاس المياه وقلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها وأهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان إلا أنهم أضعف رتبة فيه فى أصل خلقهم لأن الكهان لا يحتاج فى رفع حجاب الحس إلى كثير معاناة ، وهؤلاء يمانونه بانحصار المدارك الحسية كلها فى نوع واحد منها ، وأشرفها البصر ، فيعكف على المرمى البسيط حتى يبدو له مدركه الذى يغير به عنه ، وربما يظن أن مشاهدة هؤلاء لما يروته

(١) تقدم تفسيرها فى ج ٢ من ٢٣١

هو في سطح المرأة ، وليس كذلك بل لا يزالون ينظرون في سطح المرأة إلى أن
ينيب عن البصر ، ويبدو فيما بينهم وبين سطح المرأة حجاب كأنه غمام يتمثل
فيه صور هي مداركهم ، فيشيرون إليهم بالمقصود لما يتوجهون إلى معرفته من نقي
أو إثبات فيخبرون بذلك على نحو ما أدركوه ؛ وأما المرأة وما يدرك فيها من
الصور فلا يدركونه في تلك الحال ، وإنما ينشأ لهم بها من هذا النوع الآخر من
الإدراك ، وهو نفساني ليس من إدراك البصر بل يتشكل به المدرك النفساني
للحس كما هو معروف ، ومثل ذلك ما يعرض للناظرين في قلوب الحيوانات
وأكبادها وللناظرين في الماء والطاس وأمثال ذلك ، قال وقد شاهدنا من
هؤلاء من يشغل الحس بالبخور فقط ، ثم بالزائم للاستعداد ، ثم مخبر كما أدرك
ورزعون أنهم يرون الصور متشخصة في الهواء تحكي لهم أحوال ما يتوجهون
إلى إدراكه بالمثل والإشارة ، وغية هؤلاء عن الحس أخف من الأولين ،
والعالم أبو الفرائد ، ثم ذكر الزجر وسبب تكلم المجانين بأخبار الغيب ، ثم قال :
وأما العرافون منهم المتعلقون بهذا الإدراك ، وليس لهم ذلك الاتصال ، فيسلطون
الفكر على الأمر الذي يتوجهون إليه ، وبأخفون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه
من مبادئ ذلك الاتصال والإدراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه
على الحقيقة ، هذا تحصيل هذه الأمور . قال : وقد تكلم عليها المسعودي
في مروج الذهب فما صادف تحقيقاً ولا إصابة ، ويظهر من كلام الرجل أنه كان
يسدأ عن الرسوخ في المعارف فينقل ماسمع من أهله ومن غير أهله ثم ذكر
ما للعرب في ذلك من الاعتناء والاعتبار ، والمشاهير منهم في معرفة هذه الأمور ،
وحقيقة ما يصدر من التصوفة مما يطول ذكره . ومن علومهم :

علم الطب

كان للعرب حظ وافر من معرفة الطب اللبني في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحنّ وعجائزه ، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعى ، ولا على موافقة المزاج بقاقيير^(١) وأدوية من نباتات وأغذية يحصل لنابلهم البرء العاجل باستعمالها ؛ وفي عرب البوادرى اليوم كثير من ذلك ، وقد سمعنا عنهم في هذا الباب عجائب قلها من شاهدها منهم من الفقات ، وكذلك في معالجة الجروح والعماءات ، وقسم منهم يماجون أدواءهم بالسكى فيحصل لهم البرء مما يشكون بأقل زمان وأيسر وقت ؛ وكذلك لهم العلم التام في معالجة اللواب من الخليل والبنال والحير والإبل ونحو ذلك ، ومعرفة تريبتها على أحسن وجه مما لا يبلغهم به غيرهم ، كل ذلك مشهور عنهم مسلم لهم ، وقد دون للتقدمون كل ما بلغهم عنهم من هذه الفنون بكتب كثيرة . وقد كان في الجاهلية من العرب أطباء موسومون بالخذاقة ، موصوفون بالرئاسة في الفن ، غير من كان منهم في اليمن وعند التباينة ، فإن هؤلاء لا يمكن حصرهم ، شأن لقمان وما بلغه من الخذاقة أمر مشهور ؛ وكلامنا فيمن كان قبيل الإسلام بين مضر ومن جاورهم ؛ ونحن نذكر إن شاء الله نبذة منهم ، ومن أخبارهم ، وجعلا من كلامهم في هذا الفن ، مما يكون أنموذجاً ودليلاً واضحاً ، على من تردد في ذلك واستبعده ، وفضل الله تعالى ليس مقصوداً على أحد .

(١) قال الجوهري : العقاقير أصول الأدوية . وقال صاحب اللسان : مايتداوى به من النبات والنسج . وقال الأزهري : الأدوية التى يستمشى بها . قال ابو الهيثم : العقار والعقاقير كل نبت ينبت مما فيه شفاء .

مشاهير أطباء العرب

منهم :

الحارث بن كلدة الثقفي

قال ابن أصيبعة في كتابه عيون الأنباء ، في طبقات الأطباء : كان الحارث هذا من الطائفة ، وسافر إلى البلاد ، وتعلم الطب وعرف الداء والدواء ، وكان يضرب بالود ، تعلم ذلك بفارس واليمن ، وبقى أيام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبي طالب ومعاوية ، وقال له معاوية : ما الطب يا حارث ؟ فقال الأزم . يعني الجوع ذكر ذلك ابن جليل . وقال الجوهري في الصحاح : الأزم المسك يقال أزم الرجل عن الشيء أمسك عنه ، وقال أبو زيد : الأزم الذي ضم شفتيه في الحديث ، وقد سأل عمر رضى الله تعالى عنه الحارث بن كلدة عن الداء ، فقال : الأزم يعني الحية . قال : وكان طيب العرب ، ويروى عن سميد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه أنه مرض بمكة مرضاً فماده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : ادعوا له الحارث بن كلدة فإنه رجل يتطبيب ، فلما عاده الحارث نظر إليه وقال : ليس عليه بأس أعوذوا له فريقة^(١) بشيء من تمر عجوة^(٢) وحلبة يطبخان ، فتحسأها^(٣) فبرئ^(٤) ؛ وكانت للحارث معالجات كثيرة ، ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج إليه من المداواة ؛ وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره .

من ذلك أنه لما وفد على كسرى أنو شروان أذن له بالدخول عليه ، فلما وقف بين يديه منتصباً قال له : من أنت ؟ قال : أنا الحارث بن كلدة الثقفي .

(١) تمر يطبخ بحلبة للنفساء أو حلبة تطبخ من الحبوب لها . (٢) العجوة بالحجاز التمر المخشى وهي أم التمر الذي إليه المرجع كالشهريز بالبصرة والتبى بالبحرين والجدامى باليمامة وأيضاً تمر بالمدينة يقال هو مما غرسه النبي (ص) بيده قال ابن الأثير : هي أكبر من الصبغاني يضرب إلى السواد (٣) أى شربها شيئاً بعد شيء .

قال : فما صناعتك ؟ قال : الطب . قال : أعرابي أنت ؟ قال : نعم من صميمها ، ومُجْبُوحة^(١) دارها ، قال : فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها ، وضعف عقولها ، وسوء أغذيتها ؟ قال : أيها الملك إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج إلى من يصلح جهلها ، ويقيم عوجها ، ويسوس أبلانها ، ويعدل أمشاجها^(٢) ، فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه ! قال كسرى : فكيف تعرف ما تورده عليها ولو عرفت الحلم لم تنسب إلى الجهل ؟ قال : الطفل يباغي^(٣) فيداوى ، والحية ترقى فتحاوى^(٤) ، ثم قال : أيها الملك العقل من قسم الله تعالى قسمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم فكل من قسمته أصاب ، وخص بها قوم وزاد ، فمنهم من لم يعدل ، وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، وذلك تقدير العزيز العليم ! فأعجب كسرى من كلامه ثم قال : فما الذى تَحْمَدُ من أخلاقها ، ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال الحارث : أيها الملك لها أنفُسُ سَخِيَّةٌ ، وقلوب جريئة ، ولغة فصيحة ، وألسن بليغة ، وأنساب صحيحة ، وأحساب شريفة ، يرقى^(٥) من أفواههم الكلام ، صروق السهم من نبتة الزَّام ، أعذب من هواء الربيع ، وألين من سلسيل المعين^(٦) مُطْعَمُو الطعام في التجذُّب^(٧) ، وضاربو الهام في الحرب ، لا يرام عزهم ، ولا يُضام جارهم ، ولا يستباح حريمهم ، ولا يذل كريمهم ، ولا يقرون بفضل للأَنام ، إلا للملك الكُمام ، الذى لا يقاس به أحد . ولا يوازيه سوقة^(٨) ولا ملك !

قال فاستوى كسرى جالسا ، وجرى ماء رياضة الحِلْم في وجهه لما سمع من محكم كلامه ، وقال لجلسائه : إني وجدته راجعا ، ولقومه مادحا ، وبفضيلتهم ناطقا ، وبما يورده من لفظه صادقا ، وكذا العاقل من أحكمته التجارب ! ثم أمره بالجلوس فجلس ، فقال :

(١) وسط (٢١) الامشاج : الاخلاط . قال تعالى : انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه . قال ابن السكت : يريد النطفة لانها ممتزجة من انواع ولذلك يولد الانسان ذا طبائع مختلفة (٢) أى يكلم بما يجذله . (٣) التحوية : القبض (٥) يخرج (٦) السلسبيل : اللين الذى لا خشونة فيه . والمعين : الماء الجارى (٧) التجذُّب (٨) السوقة عند العرب خلاف الملك وليس المراد من قولهم (رحل سوقة) انه من اهل الاسواق كما بتوهم عامة الكتاب والادباء

كيف بصرك بالطب ؟ قال : ناهيك ! قال : فما أصل الطب ؟ قال : الأزم ، قال : فما الأزم ؟ قال : ضبط الشفتين ، والرقق باليدين ، قال : أصبت ، فما الداء السوى ؟ قال : إدخال الطعام على الطعام هو الذى يفتى البرية ، ويهلك السباع فى جوف البرية ، قال فما الجرة التى تصطم منها الأدوية ؟ قال : هى التخمة إن بقيت فى الجوف قتلت ، وإن تحلت أسقمت ، قال : صدقت ، فما تقول فى الحجامة ؟ قال فى نقصان الهلال ، فى يوم محو لا غيم فيه ، والنفس طيبة ، والعروق ساكنة ، لسرور يفاجؤك وهم يباعذك ، قال : فما تقول فى دخول الحمام ؟ قال : لا تدخله شعباناً ، ولا تنس أهلك سكراناً ، ولا تقم بالليل عرباناً ، ولا تقعد على الطعام غضباناً ، وارفق بنفسك يكن أرخى لبالك ، وقلل من طعامك يكن أهناً لنومك ، قال : فما تقول فى الدواء ؟ قال ما زمتك الصحة فاجتنبه ، فإن حاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه ، فإن البدن بمنزلة الأرض إن أصلحتها عمرت ، وإن تركتها خربت ، قال فما تقول فى الشراب ؟ قال : أطيبه أهناه ، وأرقه أمراه ، وأعذبه أشباه ، لا تشربه صرفاً فيورثك صداعاً ، ويشير عليك من الأدوية أنواعاً ، قال : فأى اللعنان أفضل ؟ قال : الضأن الفقى ، والقديد المالح مهلك إلا كل ، واجتنب لحم الجزور والبقر ، قال : فما تقول فى الفواكه ؟ قال : كلها فى إقبالها وحين أوانها ، وأتركها إذا أدبرت وولت واقضى زمانها ، وأفضل الفواكه الرمان والأنرج ، وأفضل الرياحين الورود والبنفسج ، وأفضل البقول الهندباء والخس ، قال : فما تقول فى شرب الماء ؟ قال هو حياة البدن ، وبه قوامه ينفع ما شرب منه بقدر الحاجة ، وشربه بعد النوم ضرر أفضله أمراه ، وأرقه أصفاء ، ومن عظام أنهار^(١) البارد الزلال لم يختلط بماء الآجام والآكام^(٢) ينزل من صradح^(٣) المسطان ويتسلسل عن الرضراض^(٤) ، وعظام الحصى فى الأفاع^(٥) قال : فما طعمه ؟ قال : لا يوم له طعم إلا أنه مشتق من الحياة ،

(١) كذا (٢) الآكام : الحصون . والآكام : التلول (٣) الصradح : جمع صradح وهو المكان المستوى (٤) الحصى ١٥١ جمع يقع وهو المحل المرتفع

قال : فالونه قال ، اشتبه عن الأبصار لونه ، لأنه يحكى لون كل شيء يكون فيه ،
قال : أخبرني عن أصل الإنسان ما هو : قال : أصله من حيث شرب الماء عنى رأسه ،
قال : فما هذا النور الذى فى العينين : قال : مركب من ثلاثة أشياء : فالبياض
شمع ، والسواد ماء ، والناظر ريح : قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن ؟ قال : على
أربع طبائع : المرة السوداء وهى باردة يابسة ، والمرة الصفراء وهى حارة يابسة
والدم وهو حار رطب ، والبلغم وهو بارد رطب ؛ قال : فلم لم يكن من طبع واحد ؟
قال : لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك ! قال : فن
طبيعتين لو كان اقتصر عليهما ؟ قال : لم يميز لأنهما ضدان يقتتلان ! قال : فن
ثلاث ؟ قال : لم يصلح موافقان ومخالف ! فالأربع هو الاعتدال والقيام ، قال :
فأجل لى الحار والبارد فى أحرف جامعة ؟ قال : كل حار حار وكل حامض بارد وكل
حريف حار وكل مرت معتدل وفى المرة حار وبارد ، قال : فأفضل ما عولج به المرة
الصفراء ؟ قال : كل بارد لين ، قال : فالمرة السوداء ؟ قال : كل حار لين ، قال :
فالبلغم ؟ قال : كل حار يابس ، قال : فالدم ؟ قال : إخراجه إذا زاد ، وتطعنته إذا
سخن بالأشياء الباردة اليابسة ، قال : فالرياح ؟ قال بالحقن اللينة ، والأدهان الحارة
اللينة : قال : أفتأمر بالحقنة ؟ قال : نعم ! قرأت فى بعض كتب الحكماء أن الحقنة
تنقى الجوف ، وتكسح الأدوية عنه ، والعجب لمن احتقن كيف يهرم أو يعدم
الولد ! وإن الجهل كل الجهل من أن كل ما قد عرف مضرته ، ويؤثر شهوته على
راحة بدنه ، قال : فما الحقنة ؟ قال : الاقتصاد فى كل شيء ، فإن الأكل فوق
المقدار يضيق على الروح ساحتها ، ويسد مسامها ، قال : فما تقول فى النساء
وإتيانهن ؟ قال : كثرة غشيانهن ردىء ، وإياك وإتيان المرأة المسنة ، فإنها
كالشئ^(١) البالى تجذب قوتك ، وتسقم بدنك ، ماؤها سم قاتل ، ونفسها
موت عاجل ، تأخذ منك الكل ، ولا تعطيك البعض ، والشابة ماؤها عذب

زالال ، وعناقها غُنج ودلال ، فوها بارد ، وريقها عذب ، وريحها طيب ، وَهَهَا^(١) ضيق ، تزيدك قوة إلى قوتك ، ونشاطاً إلى نشاطك ، قال : فأبين القلب إليها أميل ، والعين برؤيتها أسر ، قال إذا أصبتها للمديدة القائمة ، العظيمة الهامة^(٢) واسعة الجبين ، قنواء المرئين^(٣) ، كحلاء^(٤) لساء^(٥) صافية الخلد ، عريضة الصدر ، مليحة النحر^(٦) في خلد رقة ، وفي شفقتها لمس ، مقرونة الحاجبين ناهدة الثديين ، لطيفة الخصر^(٧) والقدمين ، بيضاء ، فرعاء^(٨) جمدة^(٩) غضة بضة^(١٠) تخالها في الظلصة بدرأ زاهراً ، تبسم عن أفحوان^(١١) وعن ميسم كالأرجوان^(١٢) كأنها بيضة مكنونة ، ألين من الزبد ، وأحلى من الشهد ، وأزهر من الفردوس والخلد ، وأزكى ريحاً من الياسمين والورد ، تفرح بقرعها ، وتسرك الخلوة معها قال : فاستضحك كسرى حتى اختلجت^(١٣) كفتها ! قال : ففى أى الأوقات إتيانهم أفضل ؟ قال : عند إدبار الليل يكون الجوف أخلى ، والنفس أهدأ ، والقلب أشهى ، والرحم أدنى ، فإن أردت الاستمتاع بها نهراً تسرح عينك في جمال وجهها ، ويحتفى فوك من ثمرات حسنها ، ويبى سمعك من حلوة لفظها ، وتسكن الجوارح كلها إليها ! قال كسرى : لله درك من أهرابى ! لقد أعطيت علماً ، وخصصت فطنة وفهما ! وأحسن صلته وأمر بتدوين ما نطق به .

وقال (الرائى بالله) في كتابه المسمى (بالبستان) إن الحرث بن كعدة مر يقوم وهم في الشمس ، فقال : عليكم بالظل فإن الشمس تنهج الثوب^(١٤) وتنقل الريح وتنحب^(١٥) اللون ، وتنهج الداء اللعين ، ومن كلام الحرث : البطنة بيت الداء

(١) فرجها (٢) الراس (٣) قنواء : بينة القنا وهو ارتفاع أعلى الأنف واحديداب وسطه وسبوغ طرفه . والمرئين : الأنف كله أو ماصلب من عظمه . (٤) شديدة سواد العين أو التي كانها مكحولة وإن لم تكحل (٥) في شفقتها ولنتها سواد (٦) أعلى الصدر أو موضع القلادة (٧) يفتح فسكون وسط الإنسان (٨) تامة الشعر ومن سجمات الأساس : لا بد للقرعاء ، من حسد للقرعاء . (٩) أى غير سيطرة الشعر (١٠) ناعمة رخصة الجسد رقيقة الجلد ممثلة (١١) نبت من نبات الربيع مقرض الورق رقيق العيدان له نور أبيض كأنه نقر جارية حديثة السن (١٢) صبغ أحمر (١٣) اضطربت وتحركت (١٤) أى تخلفه . (١٥) تقرير

والحمية رأس الدواء ، وعوتدوا كل بدن ما اعتاد . وقيل : هو من كلام عبد الملك ابن أبجر ، وقد نسب قوم هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوله (المعدة بيت الداء) وهو أبلغ من لفظ البطنة . وروى عن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه أنه قال : من أراد البقاء ، ولا بقاء ، فليجود الغذاء ، وليتمش بعد العشاء ، ولا يبت حتى يمرض نفسه على الخلاء ، ودخول الحمام على البطنة من شر الداء ، ودخلة إلى الحمام في الصيف خير من عشر في الشتاء ، وأكل القديد اليابس في الليل منين على الفناء ، ومجاعة المعجوز تهدم أعمار الأحياء . وروى بعض هذه الكلمات عن الحرث بن كعدة وفيها : من سره النساء ولا نساء ، فليكر العشاء ، وليياكر الفذاء ، وليخفف الرداء ، وليقل غشيان النساء . ومعنى (فليكر) فليؤخر . والمراد بالرداء الدين ، وسعى الدين رداء لقولهم هو في عتقى وفي ذمتى فلما كانت العتق موضع الرداء سعى الدين رداء . وقد روى من طريق آخر وفيه (تمجيل العشاء) وهو أصح . وروى أبو عروانة : ولیمجل العشاء وليخفف الرداء وليقل الجماع . وروى حرب بن محمد قال : حدثنا أبى قال قال الحرث بن كعدة : أربعة أشياء تهدم البدن : الغشيان على البطنة ، ودخول الحمام على الامتلاء ، وأكل القديد ، ومجاعة المعجوز . وروى داود بن رشيد عن عمرو بن عوف قال : لما احتضر الحرث بن كعدة اجتمع إليه الناس فقالوا : مرنا بأمر ننتهى إليه من بعدك ، قال : لا تنزجوا من النساء إلا شابة ولا تأكلوا الفاكهة إلا في أوان نضجها ، ولا يتماجن أحد منكم ما احتمل بدنه الداء ؛ وعليكم بالنورة في كل شهر فإنها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة منبثة للحم ؛ وإذا تغدى أحدكم فليبتغى على أثر غدائه ، وإذا تشى فليخط أربعين خطوة . ومن كلام الحرث أيضاً قال : دافع بالدواء ما وجدت مدفعاً ، ولا تشربه إلا من ضرورة ، فإنه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله . وقال سليمان بن جليل : أخبرنا الحسن بن الحسين ، قال : أخبرنا سعيد بن الأموى قال : أخبرنا عمى محمد بن سعيد بن عبد الملك بن عمير ،

قال : كان أخوان من ثقيف من بنى كُنتَ يتحابان لم يرقط أحسن ألفة منهما ،
فخرج الأكبر إلى سفر فأوصى الأصغر بأمراته ، فوقت عنه عليها يوماً غير متعمد
لذلك ، فهاها وصني^(١) ، وقدم أخوه نجاء بالأطباء ، فلم يعرفوا ما به إلى أن جاء
بالحرث بن كعدة ، فقال : أرى عينين محتجبتين وما أدري ما هذا الوجع ،
وسأجرب ، فاسقوه نبيذاً ، فلما عمل النبيذ فيه قال :

ألا رفقاَ إلا رفقاَ قليلاً ما أكونته
ألبا بي على الأيسا تِ بالخيف أزرهته^(٢)
فزالاً ما رأيت إلا سيموم في دور بني كُنتَ
أسيل انخد مر يوب وفي منطقه عُنْته^(٣)

فقالوا له : أنت أظب العرب ! ثم قال : ردوا النبيذ عليه فلما عمل فيه قال :

أيها الجيرة أسلوا وقفوا كُنْ تكلموا
وتغنصوا لبانةً وتحميوا وتغنصوا^(٤)
خرجت مَزنة من الـ جعر ريثاً تجمجم^(٥)
هي ما كنتي وتز مُم أني لها سحمو^(٦)

فطلقها أخوه . ثم قال : تزوج بها يا أخى ! فقال : والله ما تزوجتها ! فأت
وما تزوجها . وللمحرث بن كعدة التقفى من الكتب (كتاب المحاورة) في الطب
بينه وبين كسرى أنوشروان . ومنهم :

(١) أى مرضى مرضاً مخامراً كلما ظن برؤيه تكس .
(٢) اللام : الزيارة غبا وقد ألم به والم عليه . والخيف : الناحية وما انحدر
من غلط الجبل وارتفع عن مسيل الماء . وهو اسم لمواضع كثيرة . (٣) الأسيل
من الخدود الطويل اللين الخلق المسترسل . ورب الصبى : أحسن القيام
عليه ووليه حتى فارق الطفولية . وهو مربوب وربيب . والفنة : صوت
يخرج من الخيشوم والافن الذى يتكلم من قبل خياشيمه (٤) اللبنة بالضم
الحاجة (٥) قال المجد : الجمجمة أن لا يبين كلامه كالتجمجم . (٦) الكنة :
بالفتح امرأة الأخ أو الابن والمراد هنا الأول . وحمو المرأة : أبو زوجها ومن
كان من قبله كالآخ وغيره ، وحمو الرجل أبو امرأته أو أخوها أو عمها . أو
الاحماء من قبلها خاصة وحمو من الاسماء التى لا تكون الا مضافة وقد جاء
في هذا الشعر مفرداً

النضر بن الحرث بن كلدة الثقفي

كان النضر ابن خالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان قد سافر البلاد أيضاً كأييه ، واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها ، وعاشر الأحناء والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر ، واطلع على علوم الفلاسفة وأجزاء الحكمة ، وتعلم من أييه أيضاً ما كان يعلمه من الطب وغيره ، وكان النضر يروى^(١) أباسفيان في عداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه كان ثقفياً كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « قريش والأنصار حليفان ، وبنو أمية وثقيف حليفان » وكان النضر كثيراً لأذى والحسد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويتكلم فيه بأشياء كثيرة كما يحط من قدره عند أهل مكة ، ويبطل ما أتى به بزعمه ، ولم يعلم بشقاوته أن النبوة أعظم ، والسعادة أقدر ، والعناية الآلمية أجل ، والأمور المقدرة أثبت ، وإنما النضر اعتقد أنه بمعلوماته وفصائله وحكمته يقاوم النبوة ، وأين الثرى من الثريا ؟ والحضيض من الأوج ؟ والشقي من السعيد ؟

ولما كان يوم بدر والتقى فيه المسلمون ومشركو قريش كان المقدم على المشركين أبي سفيان ، وعدتهم مابين التسعمائة والألف ، وللمسلمون يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وأيد الله تعالى الإسلام ، ونصر نبيه عليه الصلاة والسلام ، ووقعت الكسرة على المشركين ، وقتلت في جملتهم صناديد قريش ، وأسر جماعة من المشركين ، فبعضهم استفسكوا أنفسهم ، وبعضهم أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلهم . وكان من جملة المأسورين عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحرث ابن كلدة ، فقتلها عليه الصلاة والسلام بعد منصرفه من بدر . قيل : قتل عقبة ابن أبي معيط صبراً ، أمرعاصم ابن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ففرضب عنه ، ثم أقبل من بدر حتى إذا كان بالصفراء قتل النضر بن الحرث بن كلدة

(١) يوافق

القفى أحد بنى عبد الدار ، أمر على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أن يضرب عنقه ، وقالت أخته قتيلة بنت الحرث .

أيا راكباً إن الأئيلَ مظنةً من أصبح خامسة وأنت موقوف^(١)
بلغ به ميتاً فلن تحية ما إن نزالها الركائب تنفق^(٢)
منى إليه ، وعبرة مسفوحة جادت لماعها وأخرى تنفق^(٣)
فليس سمع النضر إن ناديتته إن كان يسمع ميت أو يطلق^(٤)
ظلت سيفوف بنى أبيه تنوشه لله أرحام هناك تمزق^(٥)
صبراً يقاد إلى المنية متعباً رسف المقيد وهو عان موقوف^(٦)
أحمد ولأنت نسل نجبية في قومها والفعل لغل تمزق^(٧)
ما كان ضرك لو مننت وربما من القفى وهو المفيظ المحقق^(٨)
والنضر أقرب من أخذت بركة وأحفهم إن كان عتق ينق^(٩)
لو كنت قابل فدية لفديته بأعز ما يفدى به من ينق^(١٠)
قال أبو الفرج الأصبهاني . فبلغنا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
« لو سمعت هذا قيل أن أقتله ما قتلت » فيقال إن شعرها أكرم شعر وأعفه ، وأكفه
وأحلّه ، وكأنه عليه الصلاة والسلام إنما أخرقت النضر بن الحرث إلى أن وصل
الصفراء ليتروى فيه ، ثم إنه رأى الصواب قتله فقتله . ومنهم .

(١) الأئيل : موضع فيه قبر النضر . والمظنة : موضع الظن . تريد أن الأئيل مظنة أن تصل إليه في صبح الليلة الخامسة أن وفقت إلى الطريق ولم تحد عنه . (٢) ان بعد « ما » زائدة ، وتنفق : تتحرك . ومسفوحة : مصبوبة . والمناخ : النازل في البشر ليملا الدلو . ومعنى البيتين : إذا وصلت هذا المكان فبلغ ساكنه تحية لاتزال الركائب تتحرك بها منى إليه ، وبلغه عبرة مصبوبة استنزفها من العين ففقدته وأخرى أخذه بالحق . (٣) تقول : إن كان الميت يسمع أو ينطق وهو محال فعلى النضر أن يسمع نداءك (٤) تنوشه : تتناول . واللام في (الله) التمتع . والمعنى لم يقتله أحد غير بنى أبيه فعجبا من أرحام تنقطع هناك (٥) المنية : الموت . ورسف المقيد : مشى المقيد إذا جاء بتحاميل برجله مع القيد . (٦) النجبية : الكريمة . والمعرق : من له عرق في أكرم . ويروى « ضنء » موضع « نسل » وهو الولد . (٧) الحنق : الفيظ أو أشده - ومعنى هذه الأبيات ظاهر .

ابن حزميم^(١)

كان ابن حزميم له قدم راسخة في علم الطب . وله فيها أطول باع . قال الزمخشري في المستقصى : ابن حزميم رجل كان من أطباء العرب . وقال أبو الندى : ابن حزميم رجل من تيم الرباب ، كان أطب العرب . وكان أطب من الحرث بن كلدة . وقال ابن الأثير في الموضع : ابن حزميم شاعر في قديم الدهر يقال إنه كان طبيباً حاذقاً يضرب به المثل في الطب . فيقال : أطب في السكى من ابن حزميم . وقال الميداني عند قولهم : أطب من حزميم : هذا رجل كان معروفاً بالحق في الطب . ونقل ما ذكره أبو الندى من تفضيله على ابن كلدة وتقدمه . وأهل اللغة على ذلك ؛ وقد ذكره الشعراء في شعرهم ونوهوا بشأنه . ومنهم . الأوس بن حجر فإنه ذكره في أبيات قالها لبني الحرث بن سدوس بن شيبان . وهم أهل (القرية) بالجميمة حيث اقتسموا معزاه وقيل اقتسمها بنو حنيفة وبنو سحيم . وكان أوس بن حجر أغرى عليهم عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، ثم جاور فيهم فاققسموا معزاه . ومن الأبيات قوله :

فهل لكم فيها إلى فإني طيب بما أعيا النطاسي حذيم^(٢)

(١) سماه جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (ج ١ ص ١٧٧) : حزميم بالزاي وهو خطأ فاضح ولولا أنه كرره لكننا نحمله على أنه خطأ مطبعي ! (٢) أورده المحقق الرضي في شرح الكافية على أن فيه حذف مضاف أي ابن حزميم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لأنه علم أنه العالم بالطب والمشهور لا حزميم فإنه ورد في الأمثال « أطب من ابن حزميم » . . . قال العلامة البغدادي في الخزائن : وأورد صاحب الكشاف هذا البيت عند قوله تعالى « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » على أن التسمية واقعة على المضاف والمضاف إليه جميعاً وأما ما برد من نحو قوله عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » فهو من باب الحذف لا من الإلباس كما حذف الشاعر « ابن » من ابن حزميم . قال : وقد خالف كلامه هنا في (المفصل) فإنه قال إذا أمنوا الإلباس حذفوا المضاف وقد جاء اللبس في الشعر . قال ذو الرمة :

عشية فر الحارثيون بعد ما قضى نحيه في ملتقى القوم هوير
وقال « بما أعيا النطاسي حذيم » أي ابن هوير وابن حزميم . وهو في قوله هذا تابع لأبي على في ابضاح الشعر - إلى أن قال - وقد قال يعقوب ابن (٢٢ - ثالث)

فأخرجكم من ثوب شمطاء عارك مشهرة بَلَّتْ أسافله دَمَا
ولو كان جارٌّ منكم في عَشِيرَتِي إِذَا تَرَأَوْا لِلجَارِ حَقًّا ومحرما
ولو كان حَوَّلِي من تميم عصابة لما كان مالى فيكم متقسما
أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ إِذْ تَعْلِفُونَهَا رَصِيخَ النَّوَى والمُضَّ حَوْلًا مجرما
وأعجبكم فيها أغرَّ مشهر تلاد إذا نام الريض تغمنا
قوله : فهل لكم فيها إلخ قال الفضل بن سلمة في الفاخر وابن الأنباري
في الزاهر : الطب القطننة والحذق ومنه سمي الطبيب لعله وحذقه وأشد هذا البيت ،
وأعياء الشيء إذا لم يهتد لوجهه ، والطناسى بكسر النون قال ابن السكيت : العالم
الشديد النظر في الأمور . قال أبو عبيد : ويروى التَّنَاسَى بفتح النون .
قال الجوهري : التَّنَطُّس المبالغة في التطهر . وكل من أدق النظر في الأمور ، واستقصى
علمها فهو متنطس ، ومنه قيل للمتطيب نطيس كفسيق ونطاسى بكسر النون
وفتحها . أى اتنى طبيب حاذق بالداء الذى أعجز الأطباء في مداوانه وعلاجه ،
وضمير فيها للمعزى ، وفيه حذف مضاف أى فهل لكم ميل فى رد المعزى
إلى . وقوله : فهل لكم فى ثوب شمطاء^(١) إلخ . الشمطاء للراة التى فى رأسها
شمط بالتحريك ، وهو يبيض شعر الرأس يخالطه سواد والرجل أشمط . والعارك .
الحائض ، والشهرة : وضوح الأمر . يقول : هل لكم فى رد معزى فأخرجكم من
سبة شمعاء تلتخ أعراضكم وتدنسها كما تدنس الحائض ثوبها بالدم فأغسله عنكم ،
وهذا مثل ضربه . وقوله : أَلَا تَتَّقُونَ الله الخ . يقول : لولا أنك سرقها لأى

السكيت فى شرح هذا البيت من ديوان أوس بن حجر : حذيم رجل من تميم
الرباب وكان متطببا عالما . هذا كلامه فمنده ان الطبيب هو حذيم لا ابن
حذيم . وتبعه على هذا صاحب القاموس فلا حذف فيه ولا شاهد على
ماذكر . . وقوله « طبيب » روى ابن السكيت بدله « بصير » والبصير
العالم ، والنطاسى مفعول أعيا وحذيم بدل من النطاسى وفاعل أعيا ضمير
ما النوصولة الواقعة على الداء . أى اتنى طبيب حاذق بالداء الذى أعجز
الأطباء فى مداوانه وعلاجه . (١) قوله « شمطاء » ورد فى كتاب تهذيب
الألفاظ ص ٥٤١ طبعة اليسوعيين — « شحطاء » وهو تحريف فاحذره !

شيء تعلقها يقول فردها ولا تعلقها . والرضيخ : بالضاد والهاء المجتمعتين المدقوق ، يقال رضخت الحصى والنوى كسرتة . والعَصّ بضم العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة . قال ابن السكيت : هو القت . وقال الجوهري : علف أهل الأمصار مثل الكسب والنوى المرضوخ ، والمجرم بالجيم على وزن اسم المفعول التام والكامل . وقوله : وأعجبكم فيها أغر الخ . قال ابن السكيت : الأغر الأبيض ، والتلاد : القديم من اللال . والرييض : ههنا التيم . وقوله : تمنعا يعنى هذا الأغر ، والغنمة : هبابه أى لا ينام وإنما يمرض بهم ويفترى عليهم ، وقد ذكر ابن أصيبعة كثيراً من أطباء العرب في كتابه الطبقات .

نبذة من أسماء العلل التي وصفها العرب

من تصفح كتب اللغة وجد فيها كثيراً من العلل التي وصفها قدماء العرب ووضوها لها الأسماء الكثيرة ، ونحن نذكر هنا نبذة يسيرة من ذلك استدلالاً بها على ما كان للقوم من المعرفة بهذا الفن « الحمى » وتكنى بأمر ملدّم ، وهي الحرارة التي توجد من تمنن الأخلاط ، تقول حمى واحدة ، فلا تنون حمى ، وهو محموم وحم حمين وثلاثاً . والحمى أنواع كثيرة يقال : فلان يُحمّ الفُبُّ إذا أخذته يوماً وتركته يوماً ، والربع أن تأخذه يوماً وتدعه يومين يقال رُبْع فهو مربوع وقد يقال أَرْبَع حوّل إلى الربع ، ومنهم من قال : حمى الربع هي التي تقع التوبة الثانية بعد التوبة الأولى بيومين فتكون في اليوم الرابع ، ومن عدّ التوبة ويوم الراحة دوراً مستقلاً سماها الثلثة ؛ ويحم الصالب للتي معها الصداع ؛ والنافض والراجف التي معها رعدة وقد نفّضته الحمى . ويحم حمى مغبطة ومردمة أى دائمة عليه لا تغلق ؛ وتسمى الحمى المطبقة أيضاً ؛ ومن أنواعها حمى الروح وحمى الدق « السبات » أن يغمى عليه في الحمى وهو مضى عليه ومغشى عليه ؛ فإن كان مع الحمى برسام فهو مُوم ؛ والموعك : الحمى . وقد وعك

فهو موعوك ، وورد فهو مورود ، والورذ يوم يأتيه الريحُ وقد غبت الحى ، وفلان شاكٍ وبه شكاة ، وموَّعٌ يجد تكسيراً فى عظامه ، ووصب : وجع ؛ ومنهوك : براه المرض ، ومُثَبَّت : لا يبرحُ الفراش ، ونصب أسهره للرض ، والمُسْتَهْض : الذى يُنكس بعد ما يبرأ ، وأول ما يحس بالحى فهو مسَّها ورَّسها ، فإن كانت هناك قِرةُ فُهى العُرَّواء ، والبرق فيها الرُّخصاء ، ووجد رمضة ومليلة للحرقة والتكسير .

ومن الملل : اليرقان وهو داء يصفر الإنسان « والصداع » وجع الرأس و « الشقيقة » وجع فى شقه « والسعال » وجع فى الصدر « والزكام » وهو اندفاع فضلات تحلبا من الزائدين فهو أخص من النزلة لكونها تقال على ما اندفع مطلقاً « الزحير » وهو من أمراض اللَّمَى وهو حركة من المستقيم تدعو إلى دفع البراز اضطراراً « الحصر » احتباس البطن « الأُسر » احتباس البول « الحصى » يقال به حصة وهى كالحجر فى مجرى البول « الحكة » تنير سطح الجلد فى اللمس مع لدغ مستلذ إذا حك . ومنهم من لم يفرق بينها وبين الجرب « الحصف » بثور شوكة مختلفة الأوضاع « الحصبية » داء كالجدري يحمر منه الجلد « الحمرة » ورم حار شفاف براق يسهل غزوه ويبيض به ثم يعود الجدري وهو من الأمراض العامة الوبائية وصورته تنوء يستدير غالباً ثم يطفو ومنه ما يتصل وما ينفصل (الشرى) بَثْرٌ بين الجلد واللحم يقال شرى شرى (الخناق) شئ كالجدري يصيب الرجل وحق أصابته الحقياء (القوباء) بثرة يتقوَّب عنها الجلد أى ينقطع من أصله (والتؤلول) ما يخرج فوق الجلد ولا يسبرأ بسرعة وجمه تأليل (والجرب) وهو من الأمراض العامة الظاهرة فى سطح الجلد (والعر)^(١) الجرب الأبيض « والجذام » داء معلوم وهو من الجذم وهو القطع سُمى بذلك لأنه يقطع الأعضاء أو القسل أو العمر ، ويسمى أيضاً داء الأسد لجعله سخنة

(١) أنظر الفرق بين العر بالفتح ، والعر بالضم ، فى (ص ٣٠٥) من الجزء الثانى .

الإنسان كسفنة الأسد ، أو لأنه تعتريه ، أو يفترس البدن كافتراسه « وداء الثعلب » وهو نقص الشعر ، أو ذهابه وفساد مناجته ، ويسمى أيضاً داء الحية ، وسمى بذلك لأنه يمتري هذين الحيوانين ، أو لأن الثعلب يفسد الزرع بتمرغه كما يفسد هذا الداء الشعر الذى هو زرع البدن . « داء الفيل » هو داء يمتري الرجلين فترمان من الركبة إلى النهاية ، وسمى بذلك لأنه يمتري الفيل ، أو لشبه الرجل فيه برجله « الدُّوَار » وهو أن يتخيل الشخص أنه دائر بجملته أجزائه ، أو أن المكان دائر عليه « الوباء » وهو تغير يعرض للهواء يخرج به عن اعتدال الصحة إلى إيجاب المرض « الهَيْصَةُ » وتسمى الفُصْبَةُ وهى من أدواء البطن وهو ما يستوجب القيء والإسهال . قال الجوهري : يقال هاضى الشيء إذا ردك في مرضك ، ويقال بالرجل هَيْصَةً أى به قِيَاءٌ وقيام جميعاً « النملة » وهى بشور صفار مع ورم يسير ثم تتقرح فتسعى وتتسع ، ويسمىها الأطباء الدُّنَاب ؛ وتقول المجوس : إن ولد الرجل إذا كان من أخته ثم خط على النملة شفى صاحبها . وقال :

ولا عَيْبَ فِينَا غَيْرُ عَرَقٍ لِمَتَشَرِّ كَرَامٍ وَأَنَا لَا نَخْطُ عَلَى النَّمْلِ (١)
والنملة أيضاً عيب من عيوب الخيل وهو شق في الخافر من الأشعر إلى المقط ، وفرس نمل القوائم إذا كان لا يستقر « الجنون » داء يستوجب زوال العقل ، أو استتاره بحيث ينقص ، أو يعدم التمييز أو الشعور ، وهو إما مطبق

(١) قال ابن السيد : هذا البيت لا أعلم قائله ، وفيه روايتان « نخط بالخاء معجمة ، ونخط بالخاء غير معجمة ؟ فمن رواه بالخاء معجمة أراد بالنمل القروح التى تخرج فى الجنب . يمرض برجل كان أخواله مجوساً . كذا قال ابن قتيبة فى كتاب المعانى وائشده :

« ولا عيب إلا نزع عرق لمشر » . ومن روى نخط بالخاء غير معجمة فله معنيان : أحدهما أن يكون الخط الدلك من قولهم حططت الجلد إذا دلكته فيكون معناه كاللعنى فى رواية من رواه بالخاء معجمة . والثانى أن يريد بالنمل الحيوان المعروف ولا يريد القروح فيكون تأويله أنا لانحفر بيوت النمل نستخرج ما فيها مهانة وخساسة . فيكون على هذا قد عرض بقوم كانوا يفعلون ذلك . والتفسير الصحيح هو الأول ، وهذا التفسير الثانى ليس بشيء ، وقد أنكره ابن قتيبة انتهى وقال أبو أحمد العسكري أن الحاء المهملة تصحيف من ابن الأعرابى ذكره فى كتاب التصحيف من كتابه . وبقي فى البيت كلام يطلب من الاقتضاب ص ٢٩٠

أو منقطع أما بأدوار معلومة أولا « البيضاء » من أنواع الصداع وهى مام فى قول
 أو خصّ وسط الرأس « الخدر والفالج والإفلاج » وهى متقاربة معلومة « البثور »
 واحدتها بثرة وهى عبارة عن تأكل الجلد أو تنوّه على أوضاع مخصوصة
 « الحزاز » من أمراض الرأس الظاهرة وهى خشونة منفصلة تنسلخ قشوراً
 كالنخالة . وقد يطلق هذا الإسم على القوابى « الحدبة » خروج بعض فقرات
 الظهر عن سمت الطبيعى بخلط ونحوه فتبرز « الطرش » وهو نقص السمع
 أو زواله وكذلك الصمم « الطلق » هو تغير المزاج عند إرادة الوضع « الجشاء »
 وهو من أمراض اللثة عند فساد حالة من حالاتها « الباسور » زيادات غير
 طبيعية جذبتها القوى الضعيفة على غير وجه طبيعى نحو الأغوار الباطنة
 كبطن الأنف والرحم والمقعدة وكثيراً ما يطلق فيراد به باسور المقعدة ويقيّد
 غيره « والناسور » عرق يتفق منه قرح دائم « البهق » وهو داء كالبرص
 ويسمى الأسود منه عند كثير القوابى والحزازة والتعطيش ويسمى الأبيض
 منه الوضع . وفى المبادئ : وبه بهق يياض كالنكتة غير ناصع « والبرص »
 إذا تفتشت جلده وتَصَمَّح يياضه فإذا كان هناك وضع كالبرص قيل به
 برش ، وفسر البرص بأنه تغير اللون إلى يياض أو سواد غير طبيعيين « الكلف »
 كدرة تلو الوجه « والنس والنقص » وجع فى الأمعاء وتقطع « والدُّبْلَجَة »
 الخناق وهى من تبيخ الدم أى هيجانه وغلبته « الاستسقاء » وهو من أمراض
 الكبد أو الطحال ، وهو اسم لما خبث من الخلط « الإغماء » وهو من
 أمراض الباطن ويكون عاماً وخاصاً ، وحقيقته يحز البدن أو العضو عن فعل
 ما من شأنه فعله ككلالة بواسطة ما انصبّ إليه « الاختلاج » وهو حركة
 العضو والبدن غير إرادية تكون عن فاعل هو البخار ، ومادى هو الغذاء
 المبخّر ، وصورى هو الاجتماع ، وغاذى هو الاندفاع « البَحَر » هو تغير رائحة القم
 أو البدن بسبب تعفن الخلط « والقَوَاقى » هو الذى يأخذ الإنسان عند النزاع ،

وكذلك الریح التي تشخص من صدره « والثوباء » نفس تفتح له فاك مع تمطر
وفقرة « والجشاة » نفس من الصدر على شبع أورى « والقلس » دسعة تخرج من
الحلق عند الامتلاء . إلى غير ذلك مما يطول استقصاؤه ، وكانوا بالجلون هذه الأدوية
ونحوها بمقاير جر بوها أو بكى أوقية ، وفي كتاب (زاد للماد) و (الداء والدواء)
تفصيل ذلك . والمقصود مما نقلناه أن القوم لم يكونوا غافلين عن هذا العلم الجليل غير
أنهم لم يكونوا متقنين له كل الإتقان ، وذلك شأن كل من لم يتوغل في الحضارة
وما تقتضيه ؛ وفي مقدمة ابن خلدون كلام مفيد على هذا الموضوع ، والله للوفى
لما يرضيه . ومن علومهم :

علم السرافة

وهو معرفة استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجوده
فيعرف بعده وقربه بشم التراب ، أو برائحة بعض النباتات فيه ، أو بحركة حيوان
مخصوص ، وهو من فروع القراسة ، وهى موجودة فى بعض أعراب نجد ؛ وقد
أخبرنى بعض الثقات أنه شاهد بعض هؤلاء قال : يضع أذنه على الأرض فيخبر
بما يتبين له من وجود الماء وعدمه وقربه وبعده ، فإذا حفروا وجدوا الأمر كما
وصف ؛ ويسمى من له هذه المعرفة بين العرب اليوم (بالنصّات) ولا ينبغي لمن
لا استعداد له لهذه القوة أن ينسكرها فإن كل أمة من الأمم ، وكل قبيلة من
القبائل ، وكل فرد من الأفراد ، تختص بأشياء وهبت له ، ومن بها عليه من
العلوم والصنائع والمعرفة والأخلاق والسير والحاسن والقبائح . ونحن نرى ألوفا من
الناس يتعاطون صنعة واحدة ؛ ويتدارسون علما واحدا ، فلا يبرع منهم إلا
الواحد بعد الواحد ، وكل يقاض عليه على حسب استعداده . ومن علومهم :

علم الوهنة في البرارى

وهو علم يتعرف به أحوال الأمكنة من غير دلالة عليه بالأمارات المحسوسة دلالة ظاهرة أو خفية بقوة الشامة فقط لا يعرفها إلا من تدرب فيها كالاستدلال براحة القرب ، ومسامنة الكواكب الثابتة ، ومنازل القمر ، إذ لكل بقعة رائحة مخصوصة ، ولكل كوكب سمت يهتدى به كما قال الله تعالى (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) ونفع هذا العلم العظيم بين وإلا لهلكت القوافل . وضلت الجيوش ، فضاعت فى البرارى والقفار . والعرب لوقوفهم على معرفة الكواكب والأنواء ومهب الرياح وصفاتها ، ولوجانهم فى البرارى والقفار ، كانوا أعرف الناس بهذا العلم ؛ ولا بد من إيراد مثال لذلك ليعلم من وقف على هذا المقام كيفية اهتمادهم واستدلالهم . فمن أراد منهم أن يسافر إلى (مكة) نظر إلى أنبت النجوم دلالة وأقواها وهو القطب الشمالى لأنه لا يزول عن مكانه ، ويمكن لكل أحد معرفته لكن تختلف دلالاته باختلاف الأقاليم ، فبالمرق وما وراء النهر يحمله من قصد مكة من المسافرين خلف أذنه اليمنى ، وبمصر خلف أذنه اليسرى ، وباليمن قبالة مما يلي جانبه الأيسر ؛ وبالشام وراءه ، وقيل ينحرف بدمشق وما قاربها إلى الشرق قليلاً ، ثم بعد ذلك الجدى والفرقدان ، والقطب نجم شمالى خفى حوله أنجم دائرة كغراشة رعى أو كسمكة فى أحد طرفيها الفرقدان ، وفى الطرف الآخر الجدى ، والقطب فى وسط الغراشة لا يبرح من مكانه دائماً ، ولا يراه إلا حديد البصر فى الليلة الظلماء ، ويستدل عليه بالجدى والفرقدين فإنه بينهما ، والجدى هو الذى على طرف بنات نكش الصغرى ؛ فكواكب بنات نكش الصغرى سبعة : أربعة منها على شكل منحرف يسمى نكشاً ؛ والنيران منها يسميان الفرقدين ؛ وثلاثة على خط معوج تسمى بناتاً ؛ وطرف الثلاثة النير يسمى الجدى ؛ فالقطب فيما بين الجدى والفرقدين كما ذكرنا .

وما يستدل به من قصد (الكعبة) من العرب الحجرة فإنها تكون في الشتاء أول الليل في ناحية السماء ممتدة شرقاً وغرباً على الكنف الأيسر من الإنسان إذا كان متوجهاً إلى المشرق ثم تصوير في آخره ممتدة شرقاً وغرباً أيضاً على كنفه الأيمن ، وأما في الصيف فإنها تتوسط السماء لكن دالاتها أضعف من دلالة ما تقدم ، والحجرة كواكب صفار متقاربة متشابكة كثيرة جداً لا تميز حساً بل هي لشدة تكاثفها وصفرها صارت كأنها لطخات سحابية ، وقيل غير ذلك ، وما يستدل به على (الكعبة) أيضاً الشمس والقمر ومنازلها الثمانية والعشرون وكذلك يستدل به بما تقرن بهذه المنازل أو يقاربها فإنها كلها تطلع من مشرق وتغيب بمغرب . فالهلال يكون في أول الشهر إلى ثلاثة عن يمين قاصد الكعبة عند غروب الشمس ، وفي ثالث ليلة يكون عند غروب الشمس أمامه ، وفي عاشر ليلة يكون على سمت الكعبة وقت العشاء بعد مغيب الشفق الأحمر ، وفي الليلة الثانية والعشرين يكون على سمتها وقت طلوع الفجر ، وهذا كله على سبيل التقريب . وما يستدل به الرياح ، ويعسر الاستدلال بها في الصحراء ، وأما بين الجبال والبيان فتدور وتختلف فتبطل دالاتها ، وما يستدل به على الكعبة الجبال الكبار فكلها ممتدة عن ميمنة قاصدها إلى ميسرة ، ودالاتها قوية تدرك بالحس لكنها تضعف من حيث اشتباهاها على ذلك القاصدها لم يحل ممتددا خلفه أو قدماه فتحصل الدلالة على جهتين والاشتبا على جهتين ، هذا إذا لم يعرف وجه الجبل فإن عرفه استدبره لأن وجوها للكعبة ووجه الجبل مافيه مضمد ، إلى غير ذلك من الدلائل على كل جهة يقصدونها ؛ وكان من لم يعرف الطرق من العرب ميمياً بينهم مذموماً عندهم : كل ذلك تحرزاً عن غلبة خصومهم وتطاول الأعداء عليهم ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

علم العرب بأدواء الخيل ودوائها وعيوبها ومحاسنها

قد سبق منا كلام موجز في ذلك أواخر الجزء الثاني من هذا الكتاب وحيث إننا بصدد تعداد معارفهم ، وذكر علومهم القطرية ، اقتضى إعادة الكلام بأبسط مما ذكرناه أولاً . إعلم أن العرب كانوا في معرفة شؤون الخيل وأحوالها بمنزلة لم يصل إليها غيرهم وربما بقيت هذه المعرفة في أفراد منهم إلى اليوم جائلين في الفياق والقلاوت فيعرفون أدواءها ودوائها معرفة حاذق متقن ، ولهم في ذلك قدم راسخة ، وباع طويل ، وروت عنهم ثقات الرواة أخباراً طريقة تستلذها الاسماع ؛ وقد جمع ماورد عنهم في هذا العلم ، وما شخصوه من أدواء الخيل ، وسائر ذوات الاربع مع وصف دوائها على أتم وجه وأبينه .

وقد وجدت منه نسخة سقيمة الخط ، غير مأمونة من الغلط ، في خزانة كتب (المدرسة الاحمدية) إحدى مدارس بغداد الحمية ، فأعنت النظر فيها ، والنظت منها بعض الفرائد وغرر القوائد ؛ وفي هذا العلم كثير من التصنيف القديمة والحديثة ؛ ومن أحسنها وضعاً ، وأتمها جماعاً ، (كتاب الخيل) لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي رحمه الله تعالى فإنه لم يهمل في كتابه هذا شيئاً مما يتعلق بالخيل وغيرها من الدواب ، وقد ذكر طرفاً من عيوبها ، وما يستحب منها في بابين من ذلك الكتاب ، ولعلم ما يترتب على هذين البابين من النفع للقارئین تلخصتهما في هذا المقام رجاء المثوبة والفوز بالمغفرة .

عيوب الخيل

العيوب في الخيل لا تحصى بعدد ، ولا تعرف بحمد ، فإن كل عضو من أعضائها من الممكن أن يعرض له ما يسييه أو يحسنه ، غير أن الذي ثبت عن العرب تسميته مائة عيب : في جريها أربعة وعشرون ، وفي خلقها ستة وخمسون وعشرون حادثة ، فأما التي في جريها « فالطموح » وهو السامى ببصره صمداً فلا

يبالي أين وقت قوائمه « والمنكس » وهو الذى إذا جرى طأطأ رأسه من ضعف خلقته « والجوح » الصلب الرأس الذى يمتز فارسه على رأسه حتى يغلبه « وللمترنم » وهو الذى يجمع أحياناً وَيَدْعُ الجلاح أحياناً « والترب » وهو المداد المتراعى الذى لا يُورَعُ الكف حتى يبعد بفارسه « والشموس » هو الذى يمنع السرج والمس « والحرون » هو الذى إذا درَّ جريه قام لاعن كلال « والبالح » إذا انقطع جريه ضعفاً « والضغن » وهو الذى يَتَلَكَّأُ^(١) ويتوقف فى الحضر ويقصر عن الحران « والحفّاش » وهو للتنسب حضراً ثم يرجع القهقرى « والرواغ » وهو الذى يحدّ فى حضره غير مستتب يميناً وشمالاً « والقيوش » وهو الذى يظن به جرى وليس عنده شيء « والحبوس » وهو الذى يعدل يميناً وشمالاً فى استقامة حضر « والمشتق » وهو الذى يدع طريقه ويعدل ثم يمضى على عدوله لا يروغ ولا يحيص « والشبوب » وهو الذى يقوم على رجله ويرفع يديه « والعاجر والمعاجر » وهو الذى يعجر برجله كقصاص الحمار وهو أن يرفع رجله ثم يضمهما معاً « والمذؤوم والمضوض » وهو الذى بعض ماسايره « والشادخ » وهو الذى يعدل عن طريقه ولا يبالي ماركب « والجور » وهو البطيء إعياء وقطافاً فيجترُّ بالجليل « والمُتمثل » وهو الذى يفرّق بين قوائمه فإذا رفعها كأنما ينزعها من وَحَلٍ يحقّق برأسه ولا تتبعه رجلاه « والمجرذ » وهو الذى يقارب الخطو يقرب سنا بكه من الأرض ولا يرفعها رفعاً شديداً . قال الشاعر :

جر بذت دونها يداك وأزرى بك لؤم الآباء والأجداد^(٢)

« والمشاغر » وهو أن تطمح قوائمه جميعاً متفرقة ويكون بعيد التدر ولا ضَبْرَ له^(٣) « والمتراد » هو أن ينقص حضره من ابتداء مايجرى « والفاتر » هو الذى عجز عن نفسه وفتر فى حضره ولم تساعده قوائمه على مايطالب به

(١) تلكا عليه اعتل . وعنه أبطأ (٢) يقول : ضعف جريك لما سابقت وتغارب خطوك فعمل الفرس المجربذ الذى لا يقوى على رفع قوائمه من الأرض شديداً ولحقك ضعف بآباتك وأجدادك ولؤمهم . (٣) الضبر : الوثب

نفسه « والموكل » وهو الذى لا يسير إلا بسير غيره وفيه وكال « والخروط » وهو الذى يخرط رسته عن رأسه « والرّموح » وهو الذى يرمح بإحدى رجليه « والضروح » وهو الذى يرمح بكتفها . وهذه الأربعة ليست من الباب ، وإنما بعضها من سوء العادة وفساد الرياضة .

الصيوب التى تكونه حلقه فى الحبل

وهى ستة وخمسون عيباً « الأخدعى » وهو المسترخى أصول الأذنين على الخدين « والأمعر » وهو الذى ذهب شعر ناصيته حتى لم يبق منه شيء « والأنقى » وهو الخفيف الناصية وهو محمود فى البفال « والأغم » وهو الذى تنطى الناصية عينية « والأسف » وهو الذى فى ناصيته يياض « والأحول » وهو الذى ابيض مؤخر عينيه وغار السواد من قبل مآقيه « والأزرق » الذى فى إحدى عينيه يياض أو فيهما « والأقنى » وهو الذى فى أفه احديداب « والمغرب » وهو الذى تبيض أشعار عينيه مع زرقها « والأدن » وهو الذى اطمان عنقه من أصله « والأهنع » وهو الذى اطمان عنقه من وسطها « والأقصر » وهو الذى فى عنقه قصر وَيَبَسُ مطف « والأكتف » وهو الذى فى أعالي كتفيه انخراج وانكشاف « والأزور » وهو أن تدخل إحدى فهدتى^(١) صدره وتخرج الأخرى « والأفس » وهو المطنن الصلب من الصهوة^(٢) المرتفع التقطاة والحارك « والأبزخ » وهو المطنن الصلب والقطاة « والمخطف » وهو الذى لحق ما خلف تحزّمه من بطنه « والأهضم » وهو المستقيم الضلوع الذى دخل أعاليه « والصقل » وهو الطويل الضقة « والأنجل » وهو الذى خرجت خاصرته ورق صيفاته وهو جلد البطن « والأفرق » وهو الذى أشرفت إحدى ركيه على الأخرى « والأرصح » وهو القليل لحم الصلا وهو ما أسهل من جانب

(١) فهدتا الفرس : لحمتان ناتئتان فى زوره . (٢) مقعد الفارس

الورك « والأعصل » وهو للثوى عيب الذنب حتى يبرز بعض باطنه الذى لا شر عليه « والأكشف » وهو الذى التوى عيب ذنبه حتى يصير على إحدى كاذتيه وهما لخم أعلى الوركين « والأصبنغ » وهو للبيض القنب « والأشمل » وهو الذى فى عرض ذنبه يياض « والأشرج » وهو ذو بيضة واحدة « والأخج » وهو الذى تباعد كعباه « والأبد » وهو الذى تباعدت يداه « والأصك » وهو الذى يصطك كعباه إذا مشى « والأحل » للمسح النساء الرخو الكعب « والأقعد » وهو المنتصب الرنغ للقبل على الحافر وهو فى الرجل خاصة « والأصدف » وهو الذى تدانى ذراعاها وتباعد حافراها فى التواء الرسنين و « التوجّه » وهو الذى به قليل صدف قدر ما يشك فيه « والأقدر » وهو للثوى الرسغ من عرضه الوحش^(١) « والأقسط » وهو الذى رجلاه متصبتان غير منحنيتين « والأمدش » وهو للمصطك بواطن الرُسْنَيْن من شدة القدح « والأحنف » وهو للثوى الحافرين يقبل كل واحد منهما على صاحبه فى التواء الرسنين « والتلقف » وهو الذى يحنط يده فى استقامة لا يقبلها نحو بطنه « والأرجز » وهو المضطرب الرجل والكفل فإذا اضطربت فخذه « والشعّت » القليل اللحم الجش العظام^(٢) « والرطل » وهو الضميف الخفيف « والمكبون » وهو القصير السوارج أى القوائم القريب من الأرض الرحيب الجوف « والعش » وهو الضاحى العظام أى ظاهرها قلّة لحم « والسفل » وهو الصغير الجسم . قال سلامة يصف فرساً :

ليس بأسنى ولا أفتى ولا سفل يعلو دواء فنى السكن مروب^(٣)

« والجأب » وهو القصير الغليظ . قال أبو ذؤاد :

أسيل سليم المنة بل لا شخت ولا جأب^(٤)

(١) الأيسر (٢) أى الدقيق العظام (٣) يقول : ليس هذا الفرس بخفيف الناصية ولا صغير الجرم ولا من الخيل التى فى أنوفها أحديداب ، وهو يؤثر بما يعدّ لمن يكرم من أهل البيت ويرى بمختار الطعام . (٤) يقول : رقيق الخد مستطيله مصدر غليظ المتقدم لارقيق العظام ولا غليظها .

« وللواح » وهو الصنير السريع العطش « والصاد » وهو البطيء الرق
« والضوى » وهو الذى أضواه ^(١) أبواه « وللقرف » وهو الذى أمة عتيقة وأبوه
غير عتيق « والمجبين » وهو الذى أبوه عتيق وأمه ليست كذلك « والحقق
وهو الذى لا ينتج منه إلا أحمق » والكويى وهو الذى إذا جرى نكس
فى إقراف كالخمار « والجالسى » وهو الذى ترى معاقده وفقار ظهره ^(٢) وعنقه فى
تمعكه ^(٣) وتمرغه جاسية غير لينة .

العيوب الحادثة فى الخيل

وهى على ما سبق عشرون « الانتشار » وهو انتفاخ العصب للانجاب حتى
تفتق وشأجه « والشفلى » وهو تحرك العظم اللاصق بالركبة « والفنوق » ونسبه
العامة البيض وهو افتتاق من العصب على الأوتلة ويشدها كالسماير
عليها « والدخس » وهو ورم فى أطرة الحافر « والزوائد » أطراف عصب تفرق
عند العجاجة « والعرن » جسوة ويس فى رسغ الرجل خاصة لشقاق أو مشقة فيرم
« والشقاق » تبزل يصيبه فى أرساغه وربما ارتفع إلى أوتفته ويسمى (الحلاوة) .
« والجرد » ما حدث فى عرض عرقويه ظاهراً وباطناً من تزايد وانتفاخ عصب
ويكون مع المفصل طولاً كالموزة « واللح » افتتاق من العصب أسفل العرقوب
لمادة تنصب إليه كالبولطة « والقمع » عظم قمة العرقوب « والمشش » وهو كل
ما شخص فى الوظيف وله حجم وليست له صلابة العظم « والارتهاش » وهو أن
يصك بعرض حافره عرض مجايته من اليد الأخرى وربما أدامها وذلك لضعف
يصيب يده « والرهصة » وهو ماء يصير فى الحافر « والوجى » وهو ما يصيب
الحافر من الخشونة والحجارة تأكله « والرقق » وهو ضعف ورقة فى الحافر
« والمثلة » وهو شق فى الحافر من الأشعر إلى طرف الشنبك « والسرطان »

(١) الضوى : دقة العظم وقلة الجسم خلقة أو الهزال (٢) الفقار : ما انتضد
من عظام الصلب ، من لدن الكاهل الى العجب (٣) التمعك : التمرغ وهو
التقلب والتلوى من وجع بجده .

وهوداء يأخذ في الرسخ فيبیس عروقه حتى يقلب حافره (والعزل) وهو أن يزل
ذنبه في شق عادة (وارتخايق) صوت من خلية الأتئ (والبيجر) وهو أن تكون
الرَّهَابَة غير ملتئمة فيعظم ما والاها من جلد السرَّة (والرَّهَابَة) عظم مشرف
على البطن .

محاس الخيل وما يستحب فيها من الخلق

مما يستحب فيها الأذن المزلَّة^(١) والناصية المعتدلة ، التي ليست بسفواء
ولا غماء^(٢) ، والجبهة الواسعة ، والعين الطامحة السامية ، والخذ الأسيل ، ورحب
المنخرين ، وهَرْت الشَّدَقَيْن^(٣) وقَوْد العنق^(٤) ولينها حتى لا تكون جاسية ،
ورقة الجحفلتين^(٥) ، وارتفاع الكتفين ، والحارك والكاهل ؛ ويستحب أن
يشد مَرَكَب عنقه في كاهله لأنه يتساند إليه إذا أحضر ، وعرض الصدر ،
وضيق الزَّوَر^(٦) ، وارتفاع اللَّبَان^(٧) وأن يشدَّ حَقْوُهُ^(٨) لأنه معلق وركبه ورجليه
في صلبه ، وعظم جوفه وجنبه ، وانطواء كشحه ، وإشراف القِطَاعَة وقصر المسبب ،
وطول الذَّنَب ، وشنج النِّسَا (وهو التقبض في الجلد وغيره واستواء الكفل حتى
لا يكون أفرق) وملاسة الكفل ، وقصر الساقين ، وطول الفخذين ، وتوتر الرجلين
حتى لا يكون أقسط^(٩) وتأنيف المَرْقُوب^(١٠) حتى لا يكون أقع ، وغلظ
الرُّسْغ ، وقصر الرُّسْغ ، وأن تكون الحوافر صلاباً سوداً أو خضراً . والشواهد
على ذلك من كلام العرب مفصلة في محلها .

(١) المحددة (٢) السفواء : الخفيفة ، والغماء : الكثيرة الشعر حتى تضيق
الجهة والقفا منه . (٣) الهرت : السعة . والشدق : جانب القم (٤) القود :
طول العنق (٥) الجحفلة بمنزلة الشفة للخيل والبقال والحمير . (٦) ملتقى
أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت (٧) الصدر (٨) كشحه (٩) هو الذي في
رجليه انتصاب (١٠) المرقوب : من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها .
وتأنيفه : تحديده طريقه .

ما لله للعرب من العلم بخلق الإنسان

قد مرت على العرب شؤون وأطوار مختلفة ، وأدوار متباينة ، في الترقى والانحطاط ، فلا يمكن أن يستدل على أحوالهم بدور من أدوارهم بل أن لغتهم وشعرهم وأمثالهم تخبر عما كانوا عليه . فن نظر إلى الكتب المؤلفة في بيان خلق الإنسان ، وما ورد عنهم فيما اشتمل عليه بدن كل حيوان ، علم أن العرب في سابق قرونهم كانوا ممن له للإمام ومعرفة بكيفية تركيب أجزاء البدن وترتيبها ، وما فيه من العروق والأعصاب والنضاريف والعظام واللحم ، وغير ذلك من أحوال كل عضو ، وما تركب منه ، وما أهد له من الوظائف والمنافع ، وهو العلم المسمى لدى المتأخرين (بعلم التشريح) فلا ينبغي أن نسلب عنهم هذا العلم بما حدث له من الاسم ! والكتب المؤلفة في خلق الإنسان كثيرة ومن أحسن ما رأيت منها (كتاب خلق الإنسان) للإمام الفقوى أبى عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ، فإن كتابه جمع فأوعى حيث اشتمل على ترتيب سن الإنسان من حين ولادته إلى آخر عمره ، وأسماء جملة خلق الإنسان ، والرأس وما تركب منه وما له من الصفات ، والشعر وأقسامه وألوانه ، والأذن وما تركب منه وأقسامها ، والوجه وما تركب منه ، والحاجب وأنواعه وما يحمى منه وما يذم ، والعين وأصنافها وطبقاتها ومجاري دمعها وغير ذلك مما اشتملت عليه ، والأنف وما تركب منه وبيان أقسامه ، والفم وما تركب منه ، والأسنان وعددها وأسماء أصنافها وأجزائها ومنابتها ، واللسان وما اشتمل عليه من الأجزاء والعظام التي في أسفله ، والحلق وبيان ما فيه من اللغزير ، واللغزين ^(١) والخنجرة ^(٢) والصلصة ^(٣) والبلعوم ، والحلقوم واللحيان وبيان محلها وأسماء ما تركبها منه ، واللحية وأسماء أجزائها وأقسامها وألوانها وسائر

(١) جمع لغزير ولغزير ولغزير وهما لحمية في الحلق (٢) الحلقوم (٣) اللحم بين الرأس والعنق ، أو الصخرة على ملتقى اللغزير والمريء أو أصل اللسان .

أوصافها ، والعنق وما تركبت منه ، والشكب والكشف وما اشتملا عليه ، واليد وما تركبت منه من العظام والأعصاب والمضلات والروق وما وضع لذلك من الأسماء والأصابع وأسمائها وأجزائها ، والظفر وأقسامه وأسمائه ، والصدر وما تركب منه ، والتديان وما فيهما ، والجنيان وعدد أضلاعهما وأسمائها وما يلحق ذلك ، والبطن وما حوى ، والجوف وما اشتمل عليه من القلب والكبد والطحال والرئة والكليتان والمصارين والأمعاء والأعناق^(١) والحشى والحوايا^(٢) والكشر والمبر وما فى هذه الجوارح من الأجزاء وأسمائها وأدواء البطن وما لها من الأسماء ، والظفر وما تركب منه من العظام والمصّب والروق وغير ذلك ، والركب وما تكونت منه ، والذكر وما تركب منه ومفرزه وما وضع لذلك من الأسماء ، والأنثيين وأسماء ما فيهما من الأجزاء ، وبيان ما يمرض لذلك من الأدواء وإللال ، والفرج وما تركب منه وأسمائه ، وما انفردت به المرأة دون الرجل ، والرحم وموضعه وما تركب منه ، والوركين وما فيهما ، والدبر وما فيه ، والفخذين وما فيهما من الأجزاء وأسمائها ، والساق وما فيه ، والقسم وما اشتملت عليه ، والحمل والولادة وما يتعلق بذلك ، وقد أطنب المؤلف فى بيان كل واحد مما ذكر ، وبين موضعه ، وما اشتمل عليه ، وما وضع له من لغة العرب ، واستشهد على ما ادعاه بالشعر الجاهلى ، وذلك مما لا يشك الواقف عليه أن للقوم الباع الطويل فى هذا العلم إذ لولاه لم يمكنهم الوقوف على مثل هذه العقائق ، ووضع الأسماء لها ، لاسيما القلب وما فيه من العجائب ، ولغات الأمم شهود عدول على أحوال أربابها ومن علومهم :

(١) جمع فنج يفتح فسكون وهو ما يصير الطعام اليه بعد المعدة (٢) الامعاء
(٣٣ — ثالث)

علم الرمي بالسهم

وهو علم يتعرف منه رى النبال بالمزاولة ليكون عملاً على وجه الإصابة ؛ وكان للعرب مزيد اعتناء بتعلم هذا العلم بالتلقى والعمل ، فإن القسوى والرى بالسهم كانت من أنسكى أسلحتهم ، ولم تزل كذلك إلى أن ظهر ماظهر من الأسلحة ؛ وقد ألف أهل الفضل قديماً وحديثاً فى علم الرى بالقوس رسائل كثيرةً نظماً ونثراً ، وبينوا فيها كيف يقف الرامى ، وكيف يمكسها ، وحال الرمى قرباً وبعداً ارتفاعاً وانخفاضاً ، وبيان أحوال السهم ، وبرى النبال ، وغير ذلك مما هو مفصل فى هاتيك الرسائل ؛ وهذا العلم فى الشريعة معنى يشأه ، وقد وردت نصوص فى الحث على تعلمه ؛ والمقصود من ذلك تعلم كل ما يمين فى الحرب ، ويكون من عدده وفنونه ، وكان العرب يتسابقون فى أشياء كثيرة ، ولم لعب شهيرة مشحون منها كتب اللثة وقد أبطل الشرع السبق (بفتح الباء) وهو المال الذى يؤخذ على المسابقة فى جميعها إلا ما استثناء الحديث وهو قوله عليه السلام (لاسبق إلا فى خوف أو حافر أو نصل) أراد بالغف المسابقة على الإبل ، وأراد بالحافر المسابقة على الخيل ، وأراد بالنصل المراماة بالسهم ، كل ذلك أباح فيه الخطر الذى كان عليه العرب أيام جاهليتهم لما فى ذلك من المصالح والفوائد التى تصين فى الحرب ، وتستوجب القروسية ، ويجتري بها الإنسان على المناضلة والنزال ، والسبق فى غير الأخير قد مرّ بيانه أثناء الكلام على الخيل ، وأما السبق بالنصل وهو المراماة بالسهم فهذا ملخص الكلام عليه من كتاب (عيون الفنون) وبالله نستعين :

المراماة بالسهم والسبق بالنصل

اعلم أن الإصابات على سبعة أوصاف . ذكر الإمام الشافى رحمه الله تعالى منها أربعاً ، وذكر أصحابه ثلاثاً ؛ أما ما ذكره الشافى فالتفاضل والتعاقب والغلق والغلق

والحاي : فالخاضل الذى يقرع الشن^(١) ولا يחדشه ، والخازق الذى يחדشه ولا يثقبه ، والخاسق الذى يثقبه ويثبت فيه ، والحاي أن يدنى الراى يده من الأرض فيرميه فيمر على وجه الأرض فيصيب القرض^(٢) ؛ وأما ما ذكره الأصحاب فالمارق والخارم والمزدلف : فالمارق الذى يقرع الشن أى يثقبه وينفذ فيه ، والخارم الذى يخرم طرف الشن أى يقطعه ، والمزدلف الذى يسقط بقرب القرض ثم يشتن فيصيب القرض .

النضال وأنواعه

النضال يتنوع ثلاثة أنواع : مبادرة ، ومحاطة ، ومناضلة ، فالمبادرة أن يشترطا إصابة عشرة من عشرين فيتدر أحدهما إلى العشرة فينضل صاحبه ، والمحاطة أن يقولوا نرى عشرين رشقا على أن من فضل صاحبه بخمس إصابات فقد نضله ، فإذا اشترطا ذلك ، ورى كل واحد منهما عشرين رشقا وأصابا إصابات نظرا إن استويا فى الإصابة لم يحصل النضال ، وإن تفاوتتا فى الإصابة حط الأقل عن الأكثر ، فإن بقى لصاحب الأكثر الخمس المشروطة فقد نضل صاحبه ، وإن بقى له أقل من الخمس المشروطة لم يحصل النضال ؛ والمناضلة أن يشترطا عشرة من عشرين على أن يستويا جميعا فيرميان معا جميع ذلك ، فإن أصاب كل واحد منهما عشرة أو فوقها أو دونها لم يحصل النضال ، وإن أصاب واحد منهما دون العشرة والآخر عشرة فما فوقها فقد نضل صاحبه .

القوس وما وضع لها ولأجزائها من الأسماء

كانت العرب تتخذ القسي من شجر الضال والنيع والشوخط والسدر والشران والسراء والتين والأشكل والحاط والتالب والتشم . وحيث كانت القوس لدى العرب بما ذكرناه من اللزلة وضعوا لها ولأجزائها أسماء كثيرة ،

(١) القربة الخلق الصغيرة (٢) الهدف يرمى فيه

ذلك شأن كل ما كان لهم به اعتناء ، ولخطوه بين العناية ، فقالوا : القوس وكبدها ما بين طَرَفَيِ العِلاَقَةِ ، والكَلِيَّةُ تلى ذلك ، ثم الأَبْهَرُ بلى السكبية ، ثم الطائف وما طاقان الأعلى والأسفل ، والسِّيَّةُ ما عَطِفَ من طَرَفِهَا وبدها أعلاها ورجلها أسفلها والصَّبَسُ والمَحْبَسُ مقيضها ، وإنسيها ما أُقْبِلَ على الرأى ، ووحشيتها ما إلى الصيد ، والفرض والقرضة الحزرة التى يقع فيها طرف الوتر المقود ، وما فوق القرضه الطافر ، والكُفْطَرَةُ والنمل العقبة التى تلبس ظهر السية ، والجلائز العقب على طائفيها وأصول سَمَتَيْهَا ، وإِغْلَالُ الجلود التى على ظهر السنتين ، والمذروان ما عن يمين المقبض وشماله ، والرصاص السبور المضفورة تشد إليها العلاقة وهى التى علقَت به ، والغِفَارَةُ رقعة على القرضه والسِّيَّةُ ليلف فوقها إطنابة الوتر ، وهى سِرُّ يوصل بطرف الوتر ، قال الشاعر :

لَهَا إطنابَةٌ ولَهَا فضولٌ ثلاثٌ على النِفَارَةِ من مُعالٍ^(١)

أى من فوق . والشرعة الوتر ، والدَّرَكَةُ حلقة الوتر التى تقع فى القرضه ، والعَتَلُ القسى القارسية ، وقوس فِلَقَى وشريعة إذا كانت من شقة لاغصن صحيح والقبضب التى من غصن صحيح ، وقوس فِجَاءَ وفِجَوَاءَ وَمُنْفَجَّةٌ ، وفارج وفَرْجُج بَانَ وَتَرُّهَا عن كَبِدِهَا ، ويفعل ذلك بالتى للقتال لا الصيد يحبس صاحبها بالتفريق ، والكُتُومُ التى ليس فيها شق ، والماتكة التى احترت قدما ، والجَشْنُ الخفيفة ، وإِجْلَدَةُ التى فيها ميل ، وزاغت اقلبت عن عطفها الذى عطف عليه ، وقوس عاظم ومعلطة بلاوتر وقد وترتها وحططت وترها ، وحط قوسك وانبطض عنها قرضها للوتر ، ويقال أطَرَّت القوس أى عطفقتها وحنوتها وهى حنية . ويقال للقواس للاسخى وأصله لرجل من أزد السراة ، ثم اتسع فيه كما قيل لكل حداد هالكي ، قال الجعدى :

(١) يقول : لهذه القوس موصول مغترف الوتر ولها جلود تلف على الرفعة الجمجمة لقرضتها وسلتها .

بئس تَعَطَّفُ أعناقها كما عَطَّفَ الماسخُ القياساً^(١)

وتقول نزلت في القوس ورميت عنها وعليها وبها ، وعروتا الوتر عقداه .

السهم وما وضع له من الأسماء وما يتعلق بذلك

السهم والنشأب والنزع والنبل سواء ، إلا أن النبل جمع لا واحد له من لفظه ، ويجمع على نبال . والمرامة سهم الهدف ، والمرّيح سهم طويل له أربع آذان يُغالى به . قال الجهمي :

يَمُرُّ كَمَرِّ رِيحٍ الْمَعَالَى اتَّحَتْ بِهِ شِمَالُ عِبَادِي عِلا الرِّيحِ أَعْسَرَا

(يقول : يمر هذا الفرس مر هذا السهم إذا أعمله في رمية يد رجل من هذه القبيلة أعسر ترى شماله فتعين الريح على رفعه) والمبيلة والمشقّص سهم عريض النصل ، وخشبه قبل أن يعمل نَصِيٌّ وجهه أنضاه فإذا خرق موضع نصله فهو قَذَح . والمخشوب الذي لم يتم عمله ، وفوق السهم برد طرفه وجعل له فوق وهو موضع الوتر ، وإغناق السهم انكسر فوقه ، وشرخا الفوق جانباه ، والأطربة العقب الذي على الفوق ، والحقو موضع الريش ومستدقه ، والزافرة مستظله والمثن وسطه ، والرُعْطُ الخرق الذي يدخل فيه سَنَخُ النَّصْلِ ، والعقب الذي فوقه الرّصاف والواحدة رَصَفَةٌ ، ويقال برى القوس . والسهم برى ، والطريدة قصبة يوضع فيها السكين فتبرى بها القداح والمنازل ، والقذذ ريش السهم ، والأفد السهم الذي لا ريش له . والمرّيش ذو الريش ، وراش سهمه بظهار لؤام إذا صبر بطن آذنه وهو الشق الأطول إلى ظهر أخرى وهو الأقصر فيلثم ، فإن النقي بطان أو ظهران فهو ريش لغب ولُغاب ، قال بشر :

وإنَّ الوائِلِيَّ أَصَابَ قَلْبِي بِسَهْمٍ لَمْ يَكُنْ يَكْسِي لُغَاباً^(٢)

(١) يقول بابل بيض تنحني في السير أعناقها كانهناء هذه القسي التي يحنوها هذا القواس (٢) ويروي :
فإن الوائلي أصاب قومي بسهم ريش لم يكس اللغابا

والمراسم سهم لاريش عليه يذهب عرضاً ، والتكس الذى انكسر فوجه
 فجعل أسفله أعلاه فلا يزال ضعيفاً ، ويشبه به الرذل من الناس ، والحشور والحشر
 اللطيف الفذ ، ونبل قران وصيفة مستوية ، والمربط الذى تترط ريشه وجمعه
 مرابط وسهم طائش لا يقصد ، ومعظم مضطرب ، وزالج يمر على وجه الأرض ،
 ومصادر نافذ ، وحايض يقع بين يذى الراى لخروج الفوق من الوتر ، والدابر
 سهم يدبر الهدف دبراً أى يقع وراءه ، وصائف عادل عن الهدف ، وطالع
 يتجاوزته وقاصره لا يبلننه ، قال الشاعر :

فما بقياً على تركمانى ولكن خفتما صرد النبال^(١)

والخاسق والخازق للقرطس جميعاً ، ويسمى القرض قرطاساً يقال : رعى
 قرطس إذا أصابه ، والأهزع سهم يبق فى الكنانة ، ونصل السهم حديدته وله
 المعبر كالجذير وسطه . وفى الصحاح : غير النصل الثانى منه فى وسطه ، وطبته
 وقزنته وحده وشفرته وغراره حده ، والكلتان ما عن يمينه وشماله ، والقطة
 نصل الهدف ، وكذلك القتره والسرورة . ونصل مدملك ليس له عرض ،
 والقطع : التصير الرريض الحديدية ، وما يحفظ فيها السهام تسمى الجبهة والوفضة
 والكنانة . والقرن والجفير جمبة مشقوفة فى جنبها ، وإنما يفعل ذلك لئلا تدخل
 الريح على السهام فلا يأتكل ريشها . والله ولى التوفيق . ومن علومهم :

علم نزول الغيث

هو علم باحث عن كيفية الاستدلال بأحوال الرياح والسحاب والبرق على
 نزول المطر ، والعرب لهم مزيد اختصاص بهذا العلم لأنهم أحوج الناس إلى
 الغيث إذ به حصول مايشهم من السقى والرعى ، وقد حصل لهم هذا العلم بكثرة
 التجارب ، ودليله الدوران بين أحوال السحب والأمطار ؛ وقد ذكرنا عند
 الكلام على غيايل العرب فى الأنواء من كلامهم ما يوضح المقصود ويثبت ،
 (١) يقول : لم تتركاني وتتركا قتالى طلباً للبقاء على ولكن خفتما سهمائى
 التى تنفذ فيكما .

ومالم يذكر من منظوم كلامهم ومنشوره في هذا الباب شيء كثير ! وفي الأغاني^(١)
 لأبي الفرج الأصبهاني بسنده قال : خرج أهرابي مكفوف البصر ، ومعه ابنة
 عم له ، لرى غنم لها فقال الشيخ : أجد ريح النسيم قد دنا فارفعي رأسك فانظري
 فقالت : أراها كأنها ربرب^(٢) معزى هزلى ، قال : ارعى واحذرى ، ثم قال لها
 بعد ساعة : إني أجد ريح النسيم قد دنا فارفعي رأسك فانظري ، قالت : أراها
 كأنها بقال دم تجر جلأها ، قال : ارعى واحذرى ، ثم مكث ساعة ثم قال : إني
 لأجد ريح النسيم قد دنا فانظري ، قالت : أراها كأنها بطن حار أحمر ، فقال :
 ارعى واحذرى ، ثم مكث ساعة فقال : إني لأجد ريح النسيم فارتبني ؟ قالت :
 أراها كما قال الشاعر :

دان مسف فوق الأرض هَيْدَبُ يَكاد يَدْقُمُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ^(٣)
 كأنما بين أعلاه وأسفله رَيْطٌ مَنْشَرَةٌ أَوْ صَوءٌ مَصْبَاحِ^(٤)
 فمن بمحفله كن بنجوته وللمستكن كن يمشى بِقِرْوَاحِ
 فقال : أنبى لا أبالك ! فاقضى كلامه حتى هطلت السماء عليها . ثم أخذ
 أبو الفرج يشرح تلك الألفاظ ؛ وملخص ذلك : أن الأصحر : الأبيض وفيه
 حرة ، ومعنى فمن بمحفله كن بنجوته : فمن هو بمحفله أى مجرى معظم السيل كن
 بنجوته أى ناحية عنه سواء لكثرة المطر ، والقرواح الفضاء ، ومن تتبع كتاب
 الأغاني يجد كثيراً من ذلك ، وحيث إن الرياح وأوصافها ، والسحب وأنواعها ،
 والرعد والبرق ، من جملة ما يستدلون به على هذا العلم ، ويتوصلون به إلى معرفة
 نزول النيث ، لا بد من التعرض لذكر نبذة مما ورد عنهم في هذه الأمور مما رواه
 ثقات الرواة :

(١) ج ١٠ ص ٦ - طبعة مطبعة التقدم بمصر (٢) الربرب : القطيع من
 بقر الوحش (٣) المسف : الدانى من الأرض . والهيدب : السحاب الذى
 يتدلى ويدنو مثل هذب القطيفة . (٤) الریط : جمع ريطة وهى كل ثوب
 لين رقيق .

الرياح وأوصافها

وأما الرياح الأربع : الشمال ، والجنوب ، والصبّاء ، والدبور ؛ وبذلك نطقت
أشعارهم « فالشمال » مهبها من كرسى بنات نعش إلى مغرب الشمس صيفاً ،
وكانت العرب تكرهها لبردها وذهابها بالنسيم والحياء والخصب بزعمهم ، وهى عند
الشامية ، ولم تزل العرب تتأدح بالإغراق والكرم إذا هبت هذه الرياح « والجنوب »
مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس شتاء « والصبّاء » مهبها من مطلع الشمس
إلى مطلع الميوق وهو كوكب نير أحر شمال مطلع الثريا قدر ثلاث قامات رمح
أو أراجع نظراً للرأى ويسى رقيب الثريا ، وكانت العرب تحب الصبا من بين
الرياح لرقتها ولأنها تهب بالسحاب والمطر ، وفيها الرى والخصب وهى عند
البيانية . قيل : إنما سميت صبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها
والصبوة الليل . يقال . صبا إلى كذا إذا مال إليه ، وفي الأثر ما بعث نبي
إلا والصبّاء معه « وأما الدبور » فمهبها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل . وما بين
كل واحدة من هذه الرياح الأربع نكباء وسميت بذلك لتتكبها طريق الرياح
المعروفة . ولكل من هذه الرياح صفات وخواص يعرفها ذوو الخبرة منهم ، وتفصيل
ذلك في كتب الأنواء . وقال الشيخ أبو عبد الله الإسكافي في كتاب المبادئ
عند الكلام على الرياح . الشمال عن عين المصلى ، ويزاها الجنوب ، والصباء من
وراء المصلى ، والدبور تجاهه ؛ ولعل ذلك باعتبار بعض الأقطار ، وإلا فالأصل
ما ذكرناه . ثم قال . وكل ربح عدلت عن مهابّ هذه الأربع فعى نكباء ،
ونسمت الرياح تنسم نسيماً ونسماً ضعفت في استقامة من غير أن تحرك شجراً
أو تنفخ أئراً . ويقال للشمال الجزياء ونحوه ونسج ونسج ، وفي الصحاح . الجرياء
على فعلياء بالكسر والمد النكباء التى تجرى بين الشمال والدبور وهى ربح تقشع
السحاب . قال ابن أحر :

يَجْعَلُ مِنْ قَسَا ذِفَرِ الْخَزَامَى تَهَادَى الْجُرَبِيَاءُ بِهِ الْحَنِينَا^(١)

وللجنوب النَّمْلَى والخَرْج والأَرْبِ والمِيف ، وللبا القبول وإِبر
وهِيز ، وأَبْرَ وَهَيَّز ، وقيل للذبور نَحْوَة ، ومن أوصافها الغالبة عليها :
الديدانة اللينة كالنسيم ، والذاريات والمعمرات تجمى بالمطر ، وقيل . الساطمة
بالسما مستديرة ، واللوامع والبوارح والأُخاء والجفول المسرعة . والجافلة
والمُجْفَلُ والناثجة والمهوج والسوافي والخُرُوق والثَّوُوج والمتذابة التي تجمى من هنا
وَتَمَّة ، والمُسْقِفة تجري على وجه الأرض ، والدَّرُوج هي التي يرى لها مثل ذيل
الزَّسَن في الرمل ، والخُجُوج والسَّهْج والسَّهْج والسَّهْج والكهفافة والكهفوة
والمذعذعة وهُدُوج والمهجوم والعاتية والعاصفة والعصفة والقاصفة : التي تكسر كل
شيء ، والزعازع والإعصار والخنون والزفازفة والروامس والناثجة : أول كل ريح
بشدة (الرياح الباردة) الحرجف والمرصر والقريّة وخازم ، والبليل فيها برد
وندى ، والشقان والهلاب والنضيفة وهي التي تنضئ بالماء فيسيل (الرياح
الحارة) السَّهَام والمِيف والبارح والسوم بالنهار وقد تكون بالليل ، والحرور بالليل
وقد تكون بالنهار والممعان .

السحب وأنواعها

قد ذكر الثعالبي نبذة من أنواعه وأسمائها في القسم الأول من كتاب لباب
الآداب ، وكذا الشيخ أبو اسحق الطرابلسي في الكفاية ، والاسكفاني في المبادئ
وغيرهم من أئمة اللغة . فن السحاب « السماء » وهو النيم الرقيق وكذلك الطخاء
والطهاء « والصبر » السحاب الأبيض « والحبي » السحاب الذي يمتدح اعتراض
الجل قبل أن يطبق السماء . قال امرؤ القيس :

(١) الهجل : المطمئن من الأرض ، وقسا : موضع بعينه . والكزامي :
نبت طيب الريح . والذفر : الطيب الريح . وتهادى الجربياء : كثر حنينها
ويروى « تدهامى الجربياء » والبيت من أبيات لخلف في وصف ظليم . راجع
تهذيب المنطق للتبريزي ج ١ ص ٧٣ من الطبعة المصرية .

أصلح ترى برقاً أريك وميضه كلع اليدين في حَيٍّ مكلَّل
والجبا كصا مثله . ويقال سمي به لدنوه من الأرض « والنشاص » السحاب
لترفع بعضه فوق بعض « والمكفهر » السحاب الغليظ للتراكب والكنهونور
نحوه « والجهام » وهو السحاب الذى قد أراق مائه « والهف » الذى لا ماء فيه
والزبرج نحوه « والشراد » سحاب بارد ندى وليس فيه ماء « والنام والزن »
السحاب الأبيض « والرباب » السحاب الأبيض والأسود . وفى الكفاية : الرباب
السحاب للمتعلق دون السحاب « والسيق » وهو السحاب الذى طردته الريح
« وأتلق » السحاب الذى يرجى منه المطر « والنجا » السحاب الذى يسرع
« والهيذب » ما يتدلى من السحاب كأنه هذب القطيفة « والجلب »^(١) السحاب
الريق الذى ليس فيه ماء . قال تاج طرّاً :

ولست يجلب جلب ريح وقرّة ولا بصفا صلد عن الخير معزل^(٢)
وبعضهم يقول : هو السحاب الذى يعترض كأنه جبل وليس فيه ماء
« والدجن » السحاب للطل على الأرض . قال أبو زيد : والدجنة من الضيم
للطبق تطبيقاً الرّيان المظلم الذى ليس فيه مطر ، يقال يوم دجن ويوم دجنة ،
وكذلك الليلة على الوجهين بالوصف والإضافة . قال : والداجنة الماطرة المطبقة نحو
الديمة ، قال : والدجن المطر الكثير وسحابة داجنة ومدجنة وأدجنت السماء دام
مطرها قال ليبد :

من كل سارية وغادر مدجن وعشية متجاوب إزرامها^(٣)
« والمزيم » السحاب المنصوت بالرعد والإزرام صوت الرعد ، وكذلك المزيم
والمرتجس والأجش . وبعضهم يقول : هزيم الرعد صوته ، يقال تهزم الرعد تهزماً
وغيث هزم متبع لا يستمسك ، قال يزيد بن مفرغ :

(١) بالضم ويكسر (٢) يقول : لست برجل لانفع فيه ومع ذلك فيه اذى
لكذلك السحاب الذى فيه ريع وقر (أى برد) ولا مطر فيه . (٣) السارية :
السحابة الماطرة ليلا . والمدجن الملبس افاق السماء بظلامه لفرط كثافته .
والارزام : التصويت .

سَقَى هَزَمُ الإِرْعَادِ مِنْجَسُ الرُّمَى منازلها من مَسْرَقَانِ قَسْرَتَا^(١)
 « والقاصب » السحاب الشديد صوت الرعد « والبارق » السحاب الذى
 فيه برق ، والقَلَمَةُ القطعة العظيمة من السحاب والجمع قلع ، قال ابن أحر :
 تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارَى وَجُنَّ الْخَازِبَارُ بِهِ جُنُونًا^(٢)
 وَالْقَزْعُ قَطْعٌ مِنَ السَّحَابِ رَقِيقَةٌ الْوَاحِدَةُ قَرْعَةٌ . قال ذو الرُّمَّةِ يَصِفُ مَاءَ
 فِي فَلَائِ :

نَرَى عُصَبَ الْقَطَا هَمَلًا عَلَيْهَا كَأَنَّ رِعَالَهُ قَزَعُ الْجَهَامِ^(٣)
 وَفِي الْحَدِيثِ : « كَأَنَّهُمْ قَزَعُ الْخُرَيْفِ » وَالضُّبَابَةُ سَحَابَةٌ تَفْشَى الْأَرْضَ
 كَالسَّخَانِ وَالْجَمْعُ الضُّبَابُ .

الرعد والبرق

من جملة ما يستدلون به على نزول الفيث الرعد والبرق ، فإن الرعد إذا
 أَرَزَمَ أى صَوْتٌ غير صَوْتًا شَدِيدٍ اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى بَسَدِ الْمَطَرِ ، وَإِذَا تَهَزَّمَ أى
 صَوْتٌ أَشَدُّ صَوْتٍ اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى قَرَبِ الْمَطَرِ ، وَالْقَعْقَعَةُ تَتَابَعُ صَوْتُهُ فِي شِدَّةٍ وَهُوَ
 دَلَالَةٌ أُخْرَى عَلَى حَالِ الْفَيْثِ ، وَالرَّجْسَانُ وَهُوَ صَوْتُهُ الثَّقِيلُ فَإِذَا رَجَسَ عُلِمَا
 أَنَّ الْمَطَرَ يَكُونُ بِشِدَّةٍ ، وَإِذَا أَصْقَى أى رَمَى بِالصَّاعِقَةِ وَهِيَ نَارٌ تَسْقُطُ فِي رَعْدٍ
 شَدِيدٍ ، وَإِذَا أَرَّ وَرَزَّ أى صَوْتُ الرعد من بعيد ، قال الراجز :

جَارَتْنَا مِنْ وَائِلٍ أَلَا اسْلُمَى أَلَا اسْلُمَى اسْقَيْتِ صَوْبَ الدَّيْمِ
 صَوْبَ رَيْجٍ بَاكِرٍ لَمْ يَنْ يَزِدْ رَزًّا مِنْ وَرَاءِ الْأَكَمِ

(١) مسرقان : نهر نصوصرستان عليه عدة قرى وبلدان يسقى ذلك كله
 ومبدؤه من ستر ، وسرق : كورة بالاهاواز ومدينتها (دورق) . وموضع
 بظاهر مدينة سنجار . (٢) تَفَقَّأَتِ السَّحَابَةُ عَنْ مَائِهَا : تَشَقَّقَتْ وَتَبَعَجَتْ .
 والسَّوَارَى : جَمْعُ سَارِيَةٍ وَهِيَ السَّحَابَةُ الْمَاطِرَةُ لَيْلًا وَالْخَازِبَارُ : صَوْتُ الدُّبَابِ
 سَمَّى الدُّبَابَ نَفْسَهُ بِهِ . وَالْهَاءُ فِي (فَوْقَهُ) وَ (بِهِ) عَائِدَةٌ إِلَى (هَجَلٍ) فِي
 الْبَيْتِ قَبْلَهُ وَقَدْ مَرَّ فِي ص ٣٦١ . (٣) الْعُصْبُ : جَمْعُ عُصْبَةٍ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ
 مِنَ النَّاسِ وَالْخَيْلِ وَالطَّيْرِ . وَقَوْلُهُ « هَمَلًا عَلَيْهَا » أى سَدَى تَرَعَى بِغَيْرِ رَاعٍ .
 وَالرِّعَالُ : الْجَمَاعَاتُ . وَالْجَهَامُ : السَّحَابُ الَّذِي لَامَهُ فِيهِ أَوِ الَّذِي قَدَّ
 هَرَأَى مَاءَهُ .

رَزَّ الرُّوَايَا بِالْمَزَادِ لِلْمَعْمَرِ^(١)

« وأما البرق » فنه المستطير وهو للفرق ، ومنه السلسلة وهي برقة دقيقة بالتهار ، ومنه الوميض وهو الضيف من البرق ؛ ومنه الخفاق وهو المضطرب ، والخفول لأخفى ما يرى منه ، ومنه المتكلح ، وهو المستديم المتتابع ، ومنه الرامح والماصع وهو السريع الخفيف ، ومنه الخُطْب وهو الذى ليس فيه مطر كأنه يخلب من نسيجه^(٢) أى يحدده ، ومنه البرق المنعق ، والانفلاق تشقق البرق ومثله التبوج ، وقد سبق فى الحديث وكثير من منشور العرب فى مخايل العرب فى الأنواء كيف استدلوا بذلك على النيث ونزوله ، وما ذكرناه نبذة يسيرة ملخصة من كلام الأئمة فى بيان مقصدنا ، ومن أراد استيعاب ذلك فعليه بمفصلات كتب اللغة والأدب .

ما ظهّر للعرب من المعرفة بعلم الملوحة

لأعلم أن من العرب من كان يسكن جزيرتهم سواحل بحر القلزم ، ومن جهة الجنوب بحر الهند للتصل به بحر القلزم ، ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين ، وهناك بلاد كثيرة من اليمن والحجاز وعمان والبحرين ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، وكان سكنة هذه الأقطار والبلاد كلهم من العرب ، ولهم متاجر فى الهند والحبشة والروم وغيرهم ، فكانوا بمن تمس حوائجهم إلى ركوب البحر ، ومعاناة سيره ، والقيام بما يعين على ذلك وهو (علم الملاحه) الذى أظن المؤلفون الكلام عليه ؛ وفى عدة آيات من الكتاب الكريم دلالة على ركوبهم البحر ، وجرى الفلك بهم ، واهتداهم

(١) يقول : يا ابتها المرأة المجاورة لنا من هذه القبيلة كوني فى سلامة وسفك الله تعالى حيث حللت الحيا حتى تجنى ابلك ويسمن مالك مطرا لابنة قطع ولا بفعل عن سقى محلك بصوت من وراء الجبال الصغار لشدة وطئه كصوت الروايا المملوءة ماء اذا اضطرب الماء فيها فسمعت له طبطبة كطبطبة السيل (٢) شام البرق : نظر اليه ابن يقصد واين يطر .

في سيرها إذا اشتد الظلام بنجوم السماء وكواكبها المألومة لديهم ؛ وكذلك في الأحاديث ما يفيد ذلك ، وفي شعرهم أيضاً ما يستدل به على ما ذكرنا . قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته :

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا

إذا بلغَ الطعامَ لنا صبي* تخرُّ له الجبابرُ ساجدينَا

يقول عمنا الدنيا برّاً وبحراً فضاقت البر عن بيوتنا والبحر عن سفينا ، وإذا بلغ صبينا وقت الطعام سجدت له الجبابر من غيظنا ؛ وقال طرفة بن العبد البكري :

كأنَّ حدُوجَ المالِكيّةِ غُدُوَّةَ خلايسفَينَ بالنواصفِ من دَدٍ^(١)

عَدُوِّيَّةُ أومنَ سفَينِ ابنِ يامنَ يحوُرُ بها الملاحُ طَوْرًا ويهدى

يَشقُّ حِجابَ الماءِ حينَ نومِها بها كما قَسَمَ التُّرَبُ المِقالِ باليدِ^(٢)

العدولية : سفينة منسوبة إلى قرية في البحرين يقال لها عَدُوْلَى ، وبعضهم يقول عدولى قبيلة من قبائل العرب والعدولى الملاح ، وابن يامن : رجل من أهل تلك القرية ، وروى أبو عبيدة (ابن نبتل) وهو رجل آخر منهم ، والشعر في هذا الباب كثير ، وفي لغتهم أيضاً ما يستدل به على ما ذكرناه : فالركب اسم لما يركب في البر والبحر ، والسفينة وهى الجارية من سفنه يسفنه قشره ، وسميت بذلك لقشرها، وجه الماء جمعها سفائن وسفن وسفين ، وصانها سفان . وحرفته السفانة . والدسار واحد الدسر وهى خيوط تشد بها ألواح السفينة . ويقال هى

(١) الحدوج : جمع حذج وهو مركب من مراكب النساء . والمالكية منسوبة إلى بنى مالك قبيلة من كلب . والخلايا : جمع خلية وهى السفينة العظيمة . والسفين : جمع سفينة والنواصف : جمع ناصفة وهى أماكن تتسع من نواحي الأودية مثال السك وغيرها . ودد : قيل اسم واد في هذا البيت . وقيل : دد مثل يد اللهو واللعب . (٢) حجاب الماء : أمواجه الواحدة حجابة : والحيزوم : الصدر . والفيال : ضرب من اللعب وهو أن يجمع التراب فيدفع فيه شيء ثم يقسم نصفين ويسأل عن الدفين في أيهما هو ؟ فمن أصاب تمر ومن أخطأ قمر ، شبه الشاعر شق السفن الماء بشق المقال التراب المجموع بيده .

المسامير . وفي التنزيل (وحملناه على ذات ألواح ودُسر) ودُسر أيضاً مثل عُسْر وعُسْر . قال بشر :

مُعَبَّدَةُ السَّقَافِ ذَاتُ دُسرٍ مُضَبَّرَةٌ جَوَانِبُهَا رِدَاحٌ^(١)

والمجداف ما تجدف به السفينة ، قال ابن دريد : مجداف السفينة بالدال والذال جميعاً لنتان فصيحتان ، وهو مأخوذ من جدف الطائر يجدف جدوفاً إذا كان مقصوفاً فرأيته إذا طار كأنه يردّ جناحيه إلى خلفه والقلع بالكسر الشراع والجمع قلاع ، قال قائلهم :

يَكْبُ الخَلِيَّةُ ذَاتُ القَلْعِ وَقَدْ كَادَ جُوجُوهَا يَنْحَطُّ^(٢)

وسفن مُقْلَعَاتٌ إذا كان لها قلاع ، وأقلعت السفينة رفعت شراعها ، والشراعة كالملاعة الواسعة فوق خشبة تصفقه الريح فتعصف بالسفينة ، جمع أشرعة وشرع ، والدقل سهم السفينة وأصله الأول . والفلس حبلها ويسمى الجبل وهو حبل ضخم من ليف أو خوص من قلوب السفن والجوؤجؤ صدرها ، والكؤؤنل ذنبها . والمردى والقيقلان خشبة يدفع بها السفينة ورأسها في الأرض ، قال شاعرهم :

وَجَارِيَةٌ قَعْدَتْ عَلَى صَلَاحِهَا أَدَارِيءٌ صَدَرُهَا بِالْقَيْقِلَانِ^(٣)

والمِرْسَاةُ آلة ترمى بها السفينة وتسميها القرس (لنكر) وهي حديدة تلقى في الماء متصلة بالسفينة فتقف ، والمِرْسَاةُ بفتح الميم البقعة التي رست فيها السفينة . والرَّيَّانُ بالضم رئيس الملاحين كالرياني ، والثَوْنُ الملاح والجمع الثَوَاتِي ، والكَرْكِيّ الملاح أيضاً ، والملاح الذي يلى الشراع ، والملاح ككتاب ربح تجري بها السفينة والنوئل جُمْلُ السفينة . إلى غير ذلك مما هو معلوم للمتتبع ؛ ومن أسماء السفينة : القلح ، والقرقور . والجارية . والخلية . أسماء للسفينة الكبيرة . ومن أسماء الصغيرة

(١) المعبدة : السفينة المقررة . والرداح : الواسعة (٢) الخلية : السفينة العظيمة . والجوؤ : الصدر . وينحط : ينكسر (٣) يقول : ورب سفينة قعدت على مدفرها أقوم مقدمها بالمجداف .

الزورق والبوص وقال الجوهري : والبوصى ضرب من سفن البحر وهو معرب ، قال الأحمشي :

مثل الفرائى إذا ما طوى يقذف بالبوصى^(١) وللاهر

والقارب سفينة صغيرة تكون مع أصحاب السفن البحرية تستخف لحوائجهم . وعلم الملاحة علم واسع موقوف على معارف كثيرة : منها معرفة سموت الأبحر ، ومعرفة مهاب الرياح وعواصفها وريحاتها وعطرها وغير عطرها وسائر الأنواء ، ومعرفة مافى البحر من الجبال والجزر ، ومعرفة صناعة التجارة . فقد قال ابن خلدون : قد يحتاج إلى صناعة التجارة فى إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدر ، وهى أجرام هندسية صنعت على قلب الحوت ، واعتبار سبحة فى الماء بقواده وكلكله ؛ ليكون ذلك الشكل أعون لها فى مصادمة الماء ، وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التى للسماك تحريك الرياح ؛ وربما أعيئت بحركة للقاذيف كما فى الأساطيل إلى آخر ما قال . وأنت تعلم أن السفن فى قديم الزمان ، لم تكن صناعتها متقنة كل الإتقان ، فإذ ولا كصدا^(٢) ، ومرعى ولا كالسدان^(٣) .

كتابة العرب فى الجاهلية

كتابة العرب فى الجاهلية بما دل عليه شعرهم ولقنتهم ، قال لبيد بن ربيعة :
وجلا السيول عن الطلول كأنها زُبُرٌ تُجَدُّ مُتَوَهَا أَقْلَامُهَا
يقول : وكشفت السيول عن أطلال الديار فأظهرتها بعد ستر القرباب لإياها ، فكان الديار كتب تجدد الأقلام كتابتها ؛ شبه كشف السيول عن الأطلال

(١) الفرائى : الماء المنسوب الى الفرات . وطوى : ارتفع . والبوصى : يطلق على الزورق وعلى الملاح . والماهر : السابح المجيد . (٢) مثل يضرب لما يحمد بعض الخمد ويفضل عليه غيره . أى هذا مما لا بأس به ولكن ليس كماء صداء وهى بشر أوركينة لم يكن عند العرب ماء أعذب من مائها . (٣) يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله . والسعدان : نبت أخضر العشب لبنا وإذا خثر لبن الراعية كان أفضل ما يكون وإطيب وأدسم . ومنابت السعدان السهول وهو من انجع المراعى فى المال ولا تحسن على نبت حسننها عليه .

التي غطاها التراب بتجديد الكتاب الدارس ، وظهور الأطلال بعد دروسها بظهور السطور بعد دروسها ؛ وقال رجل كندى من دومة الجندل يمن على قريش :

(و) تَجَحَّدُوا نِعْمًا بِشِرِّ عَلَيِّكُمْ قَدْ كَانَ مَيْمُونُ النَقِيبَةِ أَزْهَرًا^(١)
أَنَا كَمْ بَحَطَ الْجَزْمُ حَتَّى حَفِظْتُمْ مِنْ لِلَالِ مَا قَدْ كَانَ شَقًى مُبَعَّرًا
وَأَنْفَيْتُمْ مَا كَانَ بِاللِّسَالِ مَهْلًا وَطَلَمْتُمْ مَا كَانَ مِنْهُ مَبْقَرًا
فَأَجْرَيْتُمْ الْأَقْلَامَ عَوْدًا وَبَدَاةً وَضَاهَيْتُمْ كِتَابَ كَثْرَى وَقَيْصَرًا
وَأَغْنَيْتُمْ عَنْ مَسْنَدِ الْحَيِّ حَيَّرًا وَمَا زَبَرْتُمْ فِي الصَّحْفِ أَقْلَامَ حَيَّرًا

فإن أول من كتب بخطنا هذا (وهو الجزم) مراسم بن مرة وأسلم بن سدره وعامر بن جدرة كما في القاموس ، وهم من طيء تعلموه من كاتب الوحي لهود عليه السلام ، ثم علموه أهل الأنبار ، ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرها ، فعلمها بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل ، وكان له صحبة بحرب بن أمية لتجارته عندهم في بلاد العراق فتعلم حرب منه الكتابة ، ثم سافر معه بشر إلى مكة ، فتزوج (الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان) فتعلم منه جماعة من أهل مكة ، فلهذا كثرت الكتابة في قريش يومئذ فابتن الكندى على قريش بذلك . وسمى خط العرب بخط الجزم لأن الخط الكوفي كان أولاً يسمى الجزم قبل وجود الكوفة لأنه جزم أى اقتطع وولد من المسند الحيرى ، ومراسم هو الذى اقتطعه . . . وقد تكلم الشولى في (أدب الكتاب) على هذه للسألة ، وأتى بباب مفيد نخلص فيه ما ثبت لديه من الأقوال ، وكذا السيوطى في الزهر ، وجماعة من أهل الأدب ؛ وكتب ابن خلدون في مقدمته فصلاً مفيداً يتعلق بنرضنا ، وبين أن الكتابة في العرب كانت أعز من بيض الأنوق وأن أكثرهم كانوا أميين ولا سيما أهل البدو ؛ ومن قرأ منهم أو كتب كان خطه قاصراً وقرآته غير نافذة ؛ لأن هذه الصناعة من الصنائع

(١) ميمون النقيب . مبارك النفس مظفر بما يحاول

التابعة للعران ، ولهذا قد كان الخط العربي بالغاً مبالغته من الإحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو الخط المسمى بالحيري وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نساء التبابعة في العصبية والمجديدين للملك العرب بالعراق ، ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين ، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك . قال : ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش . ويقال : إن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية أو حرب بن أمية ، وأخذها من أسلم بن سدره ؛ وهو قول ممكن وأقرب ممن ذهب إلى أنهم تعلموها من إياد أهل العراق لقول شاعرهم وهو أمية بن أبي الصلت التقي :

قوى إياد لو أنهم أم أولو أقلموا قهزل النعم
قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً والخط والقلم

وهو قول بعيد لأن إياداً وإن نزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شأنهم من البداوة والخط من الصنائع الحضرية ، وإنما معنى قول الشاعر : أنهم أقرب إلى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الأمصار وضواحيها ، فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة ، ولقنها أهل الحيرة من التبابعة وحير هو الأليق من الأقوال ؛ وكان لحير كتابة تسمى للسند حروفها متصلة ، وكانوا يمنعون من تعلمها إلا بأذنهم ، ومن حير تعلمت مضى الكتابة العربية إلا أنهم لم يكونوا يجيدين لها شأن الصنائع إذا وقتت بالبدو فلا تكون محكمة المذهب ، ولا مائلة إلى الاتقان والتنميق ليعون ما بين البدو والصناعة ، واستغناء البدو عنها في الأكثر ؛ وكانت كتابة العرب بدوية وأما مضى فكانوا أعرق في البدو ، وأبعد عن الحضرة من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر ، فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والاتقان والإجادة ، ولا إلى التوسط ، لمكان العرب من البداوة ، وبعدم عن الصنائع ، (٢٤ - تالك)

نم قال : واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم إذ الخط من جملة الصنائع المدنية
للمعاشية ، والكمال في الصنائع إضافي ، وليس بكمال مطلق إذ لا يعود نقصه على
القائد في الدين ولا في الخلال ، وإنما يعود على أسباب المماش ، وبحسب العمران
والتعاون عليه لأجل دلالة على مافي النفوس ؛ وقد كان صلى الله تعالى عليه
وسلم أمياً وكان ذلك كمالاً في حقه وبالنسبة إلى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع
العملية التي هي أسباب المماش والعمران كلها ، وليست الأمية كمالاً في حقنا
نحن إذ هو منقطع إلى ربه ، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها
حتى العلوم الاصطلاحية ، فان الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا .

فوائد لغوية تتعلق بالكتابة والاداء

من أدلة وجود الكتابة في العرب مافي لقتهم من الألفاظ الموضوعة لآلات
الكتابة والكتاب ، ولو لم يعرفوها لم يضعوا تلك الألفاظ لمعانيها ؛ فن ذلك
الدَّوَاةُ وجمعها دَوَى وَدَوَاتٍ وَدَوَى ، وقولهم لموضع الملقى مَمْلَقَةٌ خطأ والصواب
مَلَقَةٌ لأن الملقى ميمه زائدة وهو من لَقَتْ الدَّوَاةُ أَلْقِيَهَا وأَلْقَتْهَا ، والملقى اسم
القطن أو الصوف الذي يلمص به المداد ، وهو من قولك لاقَ به الشيء يليق إذا
لمص به فلا تدخل ميم زائدة على ميم أخرى مزيدة : وسمى المداد مداداً لأنه
يمد الكتاب ، ومددت الدواة صببت فيها ماء ومدها ، وتقول مُدِّنِي أى أعطنى
مِدَّةً من الدواة . وقد خُثِرَت الدواة خُثُورَةً وَخَثَارَةً إِذَا تُخِنَ نَقِصُهَا وهو المداد
يقال نَقِسَ وأَنفَسَ لقطع منه ، والقلم قبل أن تبريه أنبوبة فإذا بريته فهو قلم ، وما
يسقط منه عند البري البرية ، وبطنت القلم رَقَّتْ بطنه وأُنْقِصَتْ حَدَّتْ طَرَفَهُ ،
وشباهته حَدَّه ، وَلَيَّطْتَهُ إِذَا وَضَعْتَ فِي شَقِهِ لِيُطْعَ بِهَا ضَيْقَهُ ، والليطة ثشر
القصب . وقطعته قَطًّا ، وَلَيَّطْتُ مَا يُقَطُّ عَلَيْهِ ؛ وَالْقَطُّ الْقَطْعُ عَرَضًا ، والقَدُّ أَنْ
يُقَطَّعَ الشَّيْءُ طَوْلًا ، ويقولون قلم رشاش ؛ وذلك إذا حاف الشق على أحد جانبيه

فدقّ وتمثّر بشظايا الكتاب ، ورشّش اللداد ، وتقول كتبت كتاباً وهو مصدر ، ثم يسمّى المكتوب على السّمة كتاباً ، والكتابة صناعة الكاتب ، والطّرس الكتاب المحوّ الذى يستطاع أن تماد فيه الكتابة ، والتطريس فلك به ، وطرس الباب سوّده ، والطّلس باللام كتاب لم ينم محوه فيصير طرساً ، وللجَمْجَمَةُ تخليط الكتب وإفساده بالقلم كالجَمْجَمَةِ باللسان ، وهو أن لا يبين الكلام من غير عى ، والصّحف ما كان من جلود ، والقِطُّ الكتاب ، والجملة صحيفة كانوا يكتبون فيها الحكمة .
قال النابتة :

تَجَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينِهِمْ قَوْمٌ بِهِ يَرْجُونَ خَيْرَ الْعَوَاقِبِ^(١)
والهْؤُةُ كتاب الشراء ، وكتبه منشوراً وهو ما لا يُشَدُّ ، ورُجْمَةُ الكتاب ورُجْعَانُهُ جوابه ، ويقال أجاهه فى هامشة كتابه إذا كتب بين السطرين وهو من قولك تهاشم القوم إذا دخل بعضهم فى بعض ، وهمشَ الجراد إذا تحرك ليثور ؛ وتقول نَقَطْتُ الكتاب وأعجمته وشكّلته وقيدته فالنقط لما كان مدوّراً والنقطة الاسم ، وهذا كتاب غُفِّل كقولك دابة غُفِّل إذا لم يكن موسوماً ، والسجلُّ كتاب العهد ، وتقول : أمليت الكتاب وأملته واستئلى إذا سأل أن يملى ، وكذلك استملّ والزبور والرقيم الكتاب ، وزَيَّرْتُ ورَقَمْتُ كتبت وقرّمت قطت قاربت بين الحروف ، وطويت الكتاب وأدرجته وسحيته أسحاه سَحياً إذا قلعت منه سحاة وهى القشرة تأخذها عن القرطاس ، وخزمته تقيته وحزمته شدته ، ويقال تَرَبَّتْ الكتاب وأثَرَتْه ونَزَبَتْه وطينَتْه أطينه طيناً ، وختمته والاسم الختام ، وعنوته أعنونه وأرخت الكتاب تاريخاً ، وهذه إضبارة من كتب وإضامة ، والكُرامَةُ ما تَكْرَسَتْ أوراقه وتلبّدت ، والمصحف سُمى مصحفاً لأنه أُصْحِفَ أى جعل جامعا للمصحف المكتوبة بين الدفتين ، وما اللوحان اللذان يكتنفانه ، وله الوعاء والنفلاف وفيه العروتان ، والمِغْلَاق ما يُلَقِّق

(١) يقول : صحيفتهم التى فيها وصاياهم مثبتة على طاعة الله ، ودينهم مستقيم يرجون به ثواب الله تعالى

به ، وفيه الفكوك والواحد فكّ وهو ما يستر الأوراق من جانبيه ، والعلاوة من أعلام والخلق واحدها حلقة . وفي الخلق الدواب وهي السيور التي في أطرافها ، والأشراج والواحد شَرَج وهو السير المرسّع أسفل الخلق والترسيم صغر السير على نحو معروف وفي المصحف الخارز وهي المواضع التي تُتَخَرَّزُ منه ، وله الأذان ، وفي اللتين المسامير والكراكب ؛ فأما الحبرة والخبرية فالتى فيها الخبر وهو الزجاج ، ولها اللعلاق وهو خيط أو سير يشد إلى عراها ، والرشق صوت القلم . والقشقة كتقطة في جوف القصة ، وحسرم القلم براه ، والرقم القلم ؛ ومثل ذلك كثير في كتب اللغة والأدب لاسيما كتاب (أدب الكتاب الصولى) فقد ذكر فيه كل ما يتعلق بهذه الصناعة .

ملحقات العرب ومراسلاتهم وما لهم في ذلك من العوائد

خير الكلام لدى العرب ما أدى المقصود بكلامه بلفظ وجيز ، وعبارة مختصرة ومدار البلاغة عندهم على ذلك ؛ والكتب والمراسلات من ضروريات الأمم التي لا يمكن الاستغناء عنها ؛ وحيث أن الكتابة لم تكن في جميع العرب لقربهم يومئذ من البداوة قل الترسل فيما بينهم تحريراً قبل شيوع الكتابة فيهم ، وكانوا يستفتون عن ذلك بإرسال الرسل يبلغون عنهم مقاصدهم إلى من يرومون وربما ألفزوا عنها إخفاء لها إذا كانت مما يجب إخفاؤها وإسرارها .

وربما كتبوا أحياناً من الشعر تؤدى مقاصدهم إذ الشعر كان يومئذ ديوان العرب ، وقد صادفت من ذلك ما لا يستقل ، ففى كتاب (مروج الذهب) عند ذكر سابور ذى الأكتاف وغلبة العرب على سواد العراق قال : وكانت جرة العرب ممن غلب على العراق ولد إباد بن نزار ، وكان يقال لها طبق لإطباقتها على البلاد ، وملكتها يومئذ الحرث بن الأغبر الأيادى ، فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة أعد أساورته بالخروج إليهم والإيقاع بهم ؛ وكانت إباد تصيف

بالجزيرة وتشتو بالعراق ، وكان في حبس سابور رجل منهم يقال له لقيط فكتب إلى إياد شراً يذخرهم به ، ويطلبهم خير من يقصدهم ، وهو :

سلامٌ في الصحيفة من لقيط على من في الجزيرة من إياد
بأنّ الليثَ يأتيكم دلاقاً فلا يحسبكم شوكَ القتاد^(١)
أناكم منهم سبعون ألفاً يجرّون الكتائبَ كالجراد^(٢)
على خيل ستاتيكم ، فهذا أو ان هلاككم كهلاك عاد

فلم يعبأوا بكتابه ، وسراياه تكرر نحو العراق وتغير على السواد ، فلما تجهز القوم نحوهم أعاد إليهم كتاباً يخبرهم أن القوم قد عسكروا وتحشدوا لهم ، وأنهم سائرون إليهم ، وكتب إليهم شراً أوله :

يا دارَ عيلةٍ من تذكرها الجزعا هيبت لي الممّ والأحران والوجعا
أبلغ إياداً وحلل في سراتهم إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا^(٣)
أن لا تخافون قوماً (لا أبالسكم) مشوا إليكم كأمنال الدّبي سرعا^(٤)
لو أن جمعهم راموا بهدّتهم شمّ الشّاربخ من شهّان لانصدعا^(٥)
فقدّوا أمركم لله دَرُّكم رحبّ الدراع بأمر الحرب مضطلعا^(٦)
فأوقع بهم فعمهم القتل ، فأأفلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض الروم ، وحلح بعد ذلك أكتاف العرب فسمى بعد ذلك سابور ذا الأكتاف ، وبحيفة المتلس مشهورة ، وفي كتب الأدب مذكورة ، وكانت على ذلك الأسلوب أيضاً ، ولا بد من ذكر خبرها وقصتها المستطرفة .

(١) قوله « يأتيكم دلاقاً » أي مسرعاً مندفعاً . والقتاد : شجر صلب له شوكة كالابر . ويضرب به المنبل في الخشونة والشدة كما قال أبو تمام :
نبا خبر كان القلب أمسى * يجر به على شوك القتاد
(٢) الكتائب جمع كتية وهي الطائفة من الجيش مجتمعة . (٣) السراة : جمع سرى وهو الرئيس ونصح الأمر : إذا وضع (٤) الدني : أصغر الجراد والمنمل (٥) الشماريخ : رؤوس الجبال . ونهلان : جبل (٦) انظر ص ١١٤ من هذا الجزء

صحيفة المتلّس

إن المتلّس (وهو شاعر مشهور اسمه جرير بن عبد المسيح) وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو المذکور ، فنزلا منه في خاصته ، وكانا يركبا معه للصيد فيركضان طول النهار فيتعبان ، وكان يشرب فيقفان على بابه التهار كله ولم يصلا إليه فضجر طرفة ، فقال فيه :

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغَوْنَا حَوْلَ قَبْتِنَا تَمُورٌ^(١)
لَمْرُكُ إِنْ قَابُوسَ بْنَ هَنْدٍ لَيَجْلِطُ مَلِكُهُ نُؤُكُ كَثِيرٌ^(٢)
وَقَالَ أَيْضًا :

وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ لَهُ غِي وَانَّ لَهُ كَشْحًا إِذَا قَامَ أَهْضَمًا^(٣)
نَظَلُّ نِسَاءَ الْحَيِّ بِعَكْفَنَ حَوْلَهُ يَقْلُنَّ عَسِيبٌ مِنْ سَرَارٍ مَلْهَمًا^(٤)

في أبيات مشهورة ؛ فبلغ ذلك عمرو بن هند فهم بقتل طرفة ، وخاف من هجاء المتلّس له لأنهما كانا خليلين ، فقال لهما : لعلكما اشتقتما لأهليكما ؛ فقالا : نعم ؛ فكتب لهما بصحيفتين وختهما ، وقال لهما : اذهبا إلى عاملي بالبحرين ، فقد أمرته أن يصلكما بجوائز ؛ فذهبا فرأى في طريقهما بشيخ يحدث وياً كل تمرأ ويقصع قلاً ، فقال المتلّس : ما رأيت شيئاً كالיום أحق من هذا ؛ فقال الشيخ : ما رأيت من حقٍّ أخرجُ خبيثاً وأدخل طيباً وأقتل عدواً ؛ وإنَّ أحقَّ مني من يحمل حنقه بيده وهو لا يدري ؛ فاستراب المتلّس بقوله وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة فقال له المتلّس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ؛ فقبض الصحيفة وقرأها فإذا فيها : إذا أذاك المتلّس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً ؛

(١) الرغوث : كل مرضعة . وتخور : تصيح (٢) النوك : الحق .
(٣) الكشح : الخصر . والاهضم : الدقيق (٤) العسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها والسرارة : خيار الشيء وصفوته . وملهم : موضع كثير النخل . شبه كشحه الاهضم بجريدة نخل من خيار نخل هذا المكان

فقال لطرقة : ادفع إليك صحيفتك فإن فيها مثل هذا ! فقال : كلا ! لم يكن ليبحرئ على ! فخذف المتلس بصحيفته في نهر الحيرة وقال :

قذفت بها في اليم من جنب كافر^(١) كذلك أقنؤ كل قيط مضل^(٢)
رضيت لها بالماء لما رأيتهما يحول بها التيار في كل جدول^(٣)
ثم مضى المتلس إلى هشام ، وذهب طرفة إلى عامل البحرين فأعطاه صحيفته ،
فقصده من أكحليه فنزف^(٤) حتى مات ، وقيل في قتله غير ذلك^(٥) . ومن
قوله في السجن يخاطب عمرو بن هند :

أبا منذرٍ كانت غروراً صحيفتي ولم أعطكم بالطوع مالى ولا عرضي
أبا منذرٍ أقنيت فاستبق بمضنا حنائيك بعض الشر أهون من بعض^(٥)

قبر أسلوبيهم

ثم تغيرت عواثدكم في ذلك فكانوا يبتدون في كتبهم بأسماء آلهتهم كاللات
والعزى ثم يذكرون مقاصدهم ، وفي (أدب الكاتب للصولي) بسنده : أن قريشاً
كانت تكتب في جاهليتها باسمك اللهم ، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كذلك ، ثم نزلت سورة هود وفيها « بسم الله مجريها ومرساها » فأمر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكتب في صدر كتبه : بسم الله ، ثم نزل في سورة
بنى إسرائيل « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى »
فكتب : بسم الله الرحمن ، ثم نزل في سورة النمل « إنه من سليمان وإنه بسم الله
الرحمن الرحيم » فجعل ذلك في صدر الكتاب إلى الساعة ؛ وغير الصولي ذكر
مثل ذلك أيضاً ؛ ونقل المسعودي في اللوح عن جماعة منهم ابن السائب الكلابي

(١) أقنؤ : اتخذ ، واقتط : الصك تكتب فيه الجائزة (٢) التيار : الموج ،
والجدول : النهر الصغير . (٣) الأكحل : عرق في الذراع يفسد . ونزف دمه :
سال حتى أفرط (٤) لهذه الكتابة مثال في تاريخ قدماء اليونان تمزى الى
بليروفون Bellérophon (٥) راجع ص ١١١ من هذا الجزء .

أن أول من كتب من قريش (باسمك اللهم) أمية بن أبي الصلت التثني، وذكروا في سبب ذلك قصة طويلة لا غرض لنا في قتلها؛ ومنهم من كان يكتب بعد البسملة: من فلان إلى فلان، ثم التحية، ثم يأتي (أما بعد) ثم يذكر مقصده بأوجز عبارة؛ وقد اختلف في أول من ابتداء ذلك على أقوال ذكرها الصولي، وعقد لذلك في كتابه باباً أطال الكلام فيه؛ وعن أبي حاتم السجستاني في كتاب المصبرين عند ذكر قس بن ساعدة: أنه أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية، وأول من تركاً على عصا، وأول من قال: أما بعد، وهو أول من كتب: إلى فلان ابن فلان؛ ورجع الصولي أن أول من قال «أما بعد» كعب بن لؤي وكان أول من سمي «الجمعة» وكانت تسمى «العروبة» قال: وهي فصل الخطاب، ومعناه على هذا أنه إنما يكون بعد حمد الله، أو بعد الدعاء، أو بعد قولهم من فلان ابن فلان إلى فلان، فيفصل بين الخطاب للتقدم وبين الخطاب الذي يعمى بعد، ولا تقع إلا بعد ما ذكرناه، ألا ترى قول سابق البربري لعمر بن عبد العزيز:

باسم الذي أنزلت من عنده السور الحمد لله أما بعد يا عمر!
فإن رضيت بما تأتي وما تذر فسكن على حذر، قد ينفع الحذر!

قال: والمعنى في أنها لا تقع مبتدأة أن المراد بها أما بعد هذا الكلام (يعنى الذي تقدم) فإن الخبر كذا وكذا. ثم أطال الكلام في وجوب ذكر الفاء بعد أما بعد، وبين معناها؛ وكان من عوائد العرب في كتبهم أيام جاهليتهم إذا كتبوها نزلوا لم يلزموا فيها السجع بل أرسلوه لإرسالاً؛ والسجع لم يلزمه منهم إلا السكاهن، واستعملوا في الخطاب والوصايا قليل، وذلك لأنهم جيلوا على الميل إلى السهل من كل شيء والنفرة من كل متكلف في أفهامهم وأقوالهم وغير ذلك، والسجع لكونه متكلف الألفاظ عما تنفر عنه الطباع، وتنبه الأسماع، والمستحب منه هو مقدار يجري من الكلام يجري الطراز من النوب، والملم

من الطرف^(١) ، والغال^(٢) من الوجه ، والعين من الإنسان ، والتواد من الحديقة ،
والإشارة من الحركة ؛ وقد علمت أنه متى كثرت الخيلان من الوجه وغرته كان
ترادف أجزاء السواد ذاهباً بيهجة تمام الحسن .

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن رومان أنه قال : كتب سليمان عليه السلام
(بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن داود إلى بلقيس ابنة دى شرح وقومها :
ألا تعلموا على وأتوني مسلمين) وقد حكى ذلك الكتاب الكريم ، فلما وصل
الكتاب إلى بلقيس ، واطلمت عليه ، وصفته بالسكرم لكونه مختموماً . وفي الحديث
« كرم الكتاب ختمه » وعن ابن القفيع « من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه
فقد استخف به » . وهكذا كان أسلوب العرب في مراسلهم ، ومكاتبات النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الملوك وغيرهم أيضاً على هذا الأسلوب ، وهكذا كان
أسلوب أهل الصدر الأول والثاني ، وهكذا إلى أن تغير ذلك الوضع بما هو
مذكور في كتب الإنشاء من الألفاظ للتكلفة ، والأساليب التي ينفرد عنها
الطبع ، وما أحسن ما كان عليه العرب ، وما أسهل ، وما أعذب ، وأطقه ، وعرب
نجد إلى اليوم على طريقة أسلافهم في ذلك الأسلوب . وقد ذكر الصولي
في (أدب الكتاب) عوائد المتأخرين في سائر فنون مكاتبتهم ومراسلاتهم ،
وكيف يخاطب الناس ملوكهم ، والملوك أمراءهم ورعايهم ، وكيف يخاطب الناس
بعضهم بعضاً ، وكيف المنشورات والتفانيد وغير ذلك من كتب العهد والتولية
والقضاء ؛ وأفرد باباً في بيان ما يتكاتب به الناس في عصره ، وبقيت للعرب
سنن وعوائد التزموها في كتبهم ، منها : الابتداء بالبسملة من حاشية القرطاس ،
ثم التحية من تحتها ، ويستقبلون أن يخرج الكلام عن البسملة فاضلاً بقليل ،
ولا يكتبونها وسطاً ويكون الدعاء فاضلاً ؛ وكان من الكتاب الإسلاميين من
يرى أن يجعله وسطاً في أسفل الكتاب بعد انقضاء الدعاء الثاني ، والتاريخ إذا

(١) ثوب من خز له اعلام (٢) الشامة ، والجمع خيلان

احتاج إلى تبين نسخة كتاب متقدم أو حساب ليفرق بين منزله من مصدر الكتاب وبين مجزء ؛ وقد ذهب إليه قوم ، ولا يفسح ما بين البسطة وبين السطر الذى يتلوا من الدعاء ، ولكن يفسح ما بين الدعاء إذا استتم وبين سائر الخطابة ولا يتجاوز بالدعاء ثلاثة أسطر ، ولا يستتم السطر الثالث على المشهور من مذاهب أجلاء الكتاب الإسلاميين ؛ ومنها ترتيب الكتاب وتطيينه ، وإعادة النظر عليه بعد الكتابة ، والختام وآدابه ، والعنوان ، وغير ذلك مما كانوا عليه ؛ وقد بسط الشولوى السلام على هذه الأمور فى (أدب الكتاب) .

ما كان يكتب فيه العرب

لم يكن للعرب قبل الإسلام القرطاس المصنوع اليوم ، وإنما ظهر هذا عند العرب سنة العشرين بعد المائة من الهجرة النبوية ، وهم الذين اخترعوه على قول بل كان القرطاس عندهم يومئذ كل ما يمكن أن يكتب عليه كالرق (بفتح الراء وهو جلد رقيق تحسن الكتابة عليه) وهو أغلب قرطاسهم ، وكذلك فى صدر الإسلام ، ومنه قوله سبحانه (والطور ، وكتاب مسطور ، فى رق منشور) وربما كانوا يكتبون على العصب والجريد وما شاكل ذلك ؛ وكما كانوا يسمون ما يكتب عليه بالقرطاس يسمونه (مُهَرَّقًا) و (صحيفة) و (سفرًا) وقد ورد ذكر القرطاس فى التنزيل وكذلك الصحف والأسفار : وهو مما يدل على معرفتهم به وشيوعه بينهم ؛ وكانت العرب تشبه المنزل إذا خلا ودرجت عليه الريح وصار أرضاً بالْمُهَرَّقِ ، قال الأعشى :

سلا دارَ لى هل تبين فتتلقى وأنى تردّ القولَ بيضاءَ تَمْلُقُ^(١)
وأنى تردّ القولَ دارَ كأنها لطول بلاها والتقدم مُهَرَّقًا
وشبه أبو نواس الناقَةَ البيضاءَ بالقرطاس فقال من أبيات :
« يَقِيقُ كَقَرطاس الوليد هجان^(٢) »

(١) السملق : القاع الصفصف (٢) أبيض يقق : شديد البياض

خص قرطاس الوليد لأنه معه كالرسم لم يكتب فيه بعد ، والمجان :
الكرام من الإبل وغيرها ، وقد استوفى جعفر بن حدان الكاتب وصف القرطاس
بقوله :

في يديه من القراطيس كالز نة جادت بوا كفي مدرار^(١)
كاللآء الرحيض كالبيض يبيض الهند ، كالبيض ، كالمياه الجوارى^(٢)
كالسراب الرقراق في عنفوان العير ف نصف النهار في أيار^(٣)
ما تنال أجلت عينك فيه حين يطوى أم في خصور العذارى ؟
يسبح الخط فيه عفواً فاكبو بو بوعث فيه ولا بمبار^(٤)
والكلام في هذا الباب يطول ، وما ذكرناه فيه الكفاية ، والله التوفيق .

مصاب العرب أيام ما عليهم

كان للعرب حساب غير ما هو المهود اليوم ، فإنه ما يحتاج إلى آلة فاجتنبوه
ورأوا أن ما قلت آله وانفرد الإنسان فيه بألة من جسمه ، كان أسهل وأفيد
وأنسب لفرضهم ، وهو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعوا كلا منها بأزاء عدد
مخصوص ، ثم رتبوا لأوضاع الأصابع آحاداً وعشرات ومئات وألوفاً ، ووضعوا
قواعد يتعرف بها حساب الألوف فيما فوقها بيد واحدة ، وقد ألف فيما ورد عنهم
من ذلك عدة رسائل ، منها : رسالة شرف الدين اليزدي وهى من أحسن ما ألف
في هذا العلم ، ونظم فيه أراجيز كثيرة ، منها : أرجوزة لطيفة لابن حرب أورد
فيها ما يحتاج إليه من هذا العلم ، ومنها أرجوزة أبى الحسن على الشهير بابن المقرئ

(١) الواكف : المطر ، والمدرار : الكثير الدر ، أى السيلان (٢) الملاء جمع
ملاءة وهى الربطة ذات لفقين ، والرحيض : المفسول (٣) السراب : ما تراه
نصف النهار كأنه ماء ، والرقراق : المتحرك ، وعنقوان الشيء بالضم أوله أو
أول بهجته . (٤) كبا يكبو : اتكب على وجهه ، والوعث : الطريق العسر ،
والعبار : الأثر .

وقد شرحها عبد القادر بن علي بن شعبان العوفي ، وأورد في شرحه فوائد كثيرة تتعلق بهذا العلم ^(١) ، وما روى عن العرب من الشعر المشتمل على هذا الحساب ، ولشمس الدين محمد بن أحمد الموصلي الخنيلي رحمه الله منظومة موجزة في بيان قواعد هذا الحساب مشتملة على لب لبابه ، وهي هذه بعد البسملة :

يُحْمَدُكَ يَا رَبِّاهُ أَبْدَأُ أَوَّلًا	فَازَلْتُ أَهْلًا لِلْحَمَامِدِ مَفْضَلًا
وَأَتَّبِعُ حُدَى بِالصَّلَاةِ عَلَى الرِّضَا	أَبَى الْقَاسِمِ الْمُهْدَى خَيْرَ مَنْ أَرْسَلَا
وَمَنْ بَعْدَ هَذَا أَيُّهَا السَّائِلُ اسْتَمِعْ	حِسَابَ الْيَدِ إِذْ عَنْهُ سَلَّتْ مَفْضَلَا
فِي عِدَدِ الْآحَادِ يَصَاحُ أَفْرَدَنْ	لِيُنَى يَدِيكَ اعْلَمْ وَإِيَّاكَ تَجْمَلَا
فَلَوْ أَحَدًا قَبِضَ خَنْصِرًا ثُمَّ يَنْصِرَا	لِلْأَثْنَيْنِ وَالْوَسْطَى كَذَلِكَ التَّسْكَلَا
بَعْدَ ثَلَاثٍ ثُمَّ لِلْخَنْصِرِ أَرْقَنْ	بِأَرْبَعَةٍ وَالْبَنْصِرِ الْخَمْسَةَ أَكْثَلَا
وَفِي السَّتَةِ اقْبِضْ بَنْصِرًا دُونَ كُلِّهَا	عَلَى طَرَفٍ لِلرَّاحَةِ اسْمُهُ وَاقْثَلَا
وَفِي السَّبْعَةِ اقْبِضْ تَحْتَ الْإِبْهَامِ خَنْصِرًا	وَفِي طَرَفٍ لِلرَّاحَةِ الْقَبْضُ فَاجْعَلَا
وَالْبَنْصِرِ أَرْفَعْ ثُمَّ فِي الثَّامَنِ اضْمَنْ	إِلَى خَنْصِرٍ فِي الْقَبْضِ لِلْبَنْصِرِ اعْقَلَا
وَفِي التَّسْعَةِ الْوَسْطَى اضْمَنْ مَعَهَا وَفِي	جَمِيعِ الْآحَادِ افْعَلْ ذَا وَإِنْ عَلا
وَفِي عَشْرَةٍ مَعَ عَقْدِ الْإِبْهَامِ فَاسْتَمِعْ	تَحْلِقُ رَأْسًا لِلْسَّبْعَةِ أَفْضَلَا
وَلِلْفَلَقِ مِنْ إِبْهَامِكَ اجْعَلْهُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ	بَعِيدَيْنِ هِيَ الْعَشْرُونَ فَاعْلَمْهُ وَاعْمَلَا
وَمَا بَيْنَ رَأْسِ السَّبْعَةِ اجْمَعْ	وَرَأْسَ لِلْإِبْهَامِ الثَّلَاثُونَ حَصَلَا
وَإِنْ تَرَكَبَ الْإِبْهَامُ يَصَاحُ فَاحْفَظْ	لِسَابِغَةٍ لِلْأَرْبَعِينَ مَكْثَلَا
وَإِبْهَامَكَ اجْعَلْ تَحْتَ سَابِغَةٍ إِذَا	تَعَمَّدْتَ لِلْخَمْسِينَ فَاحْفَظْهُ تَكْمَلَا
وَتَرَكَبَ الْإِبْهَامِ السَّبْعَةَ اسْتَمِعْ	كَقَابِضِ سَهْمٍ وَهِيَ سِتُونَ اِحْمَلَا
وَعَدَّكَ لِلْسَّبْعِينَ فِي بَطْنِ ثَالِثٍ	لِسَابِغَةٍ إِبْهَامِكَ اعْقِدْهُ تَجْمَلَا

(١) نشرتها (أنا) مع شرحها « لوح الحفظ » في الجزء الثاني من المجلد الخامس من مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق .

والإبهام من تحت المسبحة اجملن
وفي عدّ تسعين المسبحة اقبضن
وابهامك اجعل فوقها مثل حثية
يسراك كالآحاد ياذا العلوم من
كذا العشرات من يمينك أنها
وعشرة آلاف لابهامك اجعلن
يسراك وامهده كحلقة استمع
وقد نجزت والحمد لله وحده
يساعها فيما يرى من عيوبها
فخذها عروساً قد سمت شمس ضحوة
فإن تتمتع كالسكر عند امتناعها
فصفت لها ذهنًا غزيرًا محوذاً
ترى لما فيها بُزوغاً ككوكب
بنانا على ظفر ثمانين أكلنا
لما بين إبهام وما بينها اجلي
تروم وثوباً والمئين الا اجعلنا
يمينك فاحفظه وإياك نمولا
يسراك يا هذا الوف على الولا
وذلك مع سبابة يا أخا الملا
إذا طويّت والرأس فاجعله أسفلا
ميسرة تبني أخا مفصلاً
فما أحد من ذاك بإصاح قد خلا
وبدر دياجر قد بدا متللاً
على بملها عند الزفاف قدلا
وغصن في بحار العكر ثم تأنلا
ويأتيك منها العلم والفضل مقبلا

— وبعض أهل الفضل ذكر في بيان مراتب الأعداد في القصد مانصه : عند
العشرة تجعل السبابة حلقة ، والمشرن تجعل الإبهام بين السبابة والوسلى ،
والثلاثين تجعل رأس السبابة على رأس الإبهام ، والأربعين تجعل رأس الإبهام
خلف السبابة ، والخمسين تجعل الإبهام جالساً ، والستين تجعل ظهر رأس الإبهام على
الفصل الأعلى من باطن السبابة ، والسبعين تجعل رأس الإبهام على الفصل
الأسفل من باطن السبابة ، والثمانين تجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام ، والتسعين
تجعل السبابة حلقة غير مجوفة ؛ المائة تجعل رأس السبابة اليسرى كما جعلت اليمنى
في العشرة ؛ المائتين تجعل الإبهام اليسرى كما جعلت اليمنى في العشرين ، وعلى
هذا القياس إلى الألف في كل مائة كما في العشرات لكن اليد اليسرى ؛ ثم
نأخذ الألف كما تأخذ الأحاد إلى العشرة من اليد اليسرى ، ثم تأخذ العشرة

الآلاف، وهو أن تجعل جنب رأس الابهام على جنب رأس السبابة انتهى .
وبقي كلام كثير يطلب من محله ؛ وقد ورد حساب اليد في عدة أحاديث ،
وفي كلام كثير من رجال الصدر الأول وأجلة السلف ، وبه ينحل كثير من
آيات الماني التي حيرت الأفهام . (ومن العرب) من كان يحسب بالحصى
ويضبط عدده به كما دل عليه شعرهم . قال الأعشى ميمون من آيات فضل
فيها عامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة :

إن ترجع الحق إلى أهله فليست بالسدى ولا النائر^(١)
ولست في السلم بنى نائل ولست في الهيجاء بالجاسر^(٢)
ولست بالأكثرينهم حصي وإنما المرّة للكائر
ولست في الأثرين من مالك ولا أبي بكر أولى الناصر^(٣)
مهمّ هامة الحى إذا مادعوا ومالك في السؤدد القاهر

الحصى . السدد والمراد به هنا عدد الاعوان والأنصار . قال بعض شارحي
هذه الآيات : وإنما أطلق الحصى على السدد لأن العرب أميون لا يعرفون
الحساب بالقلم ، وإنما كانوا يملكون بالحصى وبه يحسبون للمدود ، واشتقوا منه فعلاً
فقالوا : أحصيت ، ومن العرب من كان لا يحسن الحساب أصلاً حتى نقل الصولى
في كتاب (أدب الكتاب) أن بعض العرب باع جوهراً نفيساً بألف درهم فقبل
له : كان يساوى أكثر من هذا فقال : ما ظننت أن عدداً أكثر من ألف !

(١) السدى : من السدى وهو مامد من الثوب . والثائر : اسم فاعل من
نرت الثوب نيراً بالفتح جطت له نيراً بالكسر وهو علم الثوب وهدبه ولحمته .
وهذا مثل يضرب في التبرى من الشيء كقولهم « لافى العير ولا فى النغير » وهذا
خطاب مع علقمة (٢) النائل : بمعنى النوال وهو العطاء . والهيجاء : الحرب .
والجاسر : من الجسارة وهى الجراءة والشجاعة .
(٣) الأثرين : جمع اثرى جمع تصحيح بمعنى ذى ثروة . ومالك : هو
جد عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .
وأبو بكر : عم جده واسمه عبيد (بالتضغير) ابن كلاب بن ربيعة المذكور بابو
بكر أخو جعفر بن كلاب ...

فلذلك كانوا يمدحون من يحسن الحساب والعدد ، ويصفونه بالحدق ، وينسبونه الى حكمة وعدل ، قال النابغة للنعمان في اعتذاره :

واحكم حكم فتاة الحى اذ نظرت^(١) إلى حمام مِراج^(٢) وارد التمد^(٣)
قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد^(٤)
فحبوه فالقوة^(٥) كما زعمت تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد^(٦)
فكلت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة^(٧) في ذلك العدد^(٨)

يريد كُنْ حكيماً في إنصافى كما حكمت جارية كانت لها حمامة فرأت قطاً
فغرته ستاً وستين فقالت . ليت الحمام لي ، الى حمامتي ، أو نصفه قد به ، ثم
الحمام ما به ا قالوا : وكانت لها قطاة ، وجعلت القطاة حماماً . وهذا قول
الأصمعي ، وبعضهم قال : أراد النابغة أحكم على بدل كما حكمت هذه الفتاة في العدد
فأصابها الأول أجود . أفلا ترى إلى النابغة كيف حكى هذا ، ونسب تلك الفتاة
إلى حكمة وعدل حين أحسنت العدد ؟ قال أبو عبيدة : وكان يقال للجارية (الزرقاء)
واسمها (عنز) وكانت من جدس . وقال غيره : القائلة لهذا هند بنت الخس ، وقد
مر الخلاف عند الكلام على حكايات العرب من الجزء الأول^(٩) . . وكان حساب
اليد مرجعاً على غيره بين الكتاب في الدولة العباسية على ما ذكره الصولي فإنه
قال : أجمع الحساب من كل جنس وملة بكل خط ولغة على أن ترا كيب الحساب
لا تملأ أربعة : عدد يضرب في عدد ، أو قسمة عدد على عدد ، أو إلقاء عدد من
عدد ، أو زيادة عدد على عدد . وتكلموا في أوائل العدد ونهاياتها بكلام كبير أحسنه

(١) التمد : الماء القليل . (٢) مِراج : يستشهد النحويون بهذا على ان (ما ، اذا)
اتصلت بليت فلاكثر اهمالها لعدم اختصاصها حينئذ بالاسماء ويجوز اعمالها
كما وردت الرواية في (الحمام) وقوله فقد أى فحسب . (٣) قوله :
« فحبوه » بعضهم يشدد السين لثلاث تنوالت أربع متحركات . وبعضهم
يخففها ويقول بجوازها في (البسيط) والقوة : وجدوه . (٤) أنظر تعليقاتنا
على هذه القصة في ص ٣٤١ من الجزء الاول . (٥) ص ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢

ما قال الهند إن الأعداد تبتدئ من واحدة وتنتهى إلى تسعة ثم تكون العشرة راجعة إلى حال الواحد على الرتبة ، وعلى هذا وضعوا حروفهم التسعة ، وقالوا : الحاسب الهندى أخرج لكثير المدد إلا أن الكتاب اجتنبوه لأن له آلة ، ورأوا أن ما قلت آفته وانفرد الإنسان فيه بآلة من جسمه كان أذهب فى السر ، وأليق بشأن الرئاسة ، وهو ما اقتصروا عليه من العقد بالبنان وإخراج رؤوس (الجل) فى أواخر العطور ، وحط التفضيلات عنها واحداً دون آخر وفرعاً دون أصل . قال : وَعُفِيَ بعض الكتاب بذلك حتى خف عقده ، وصار يلحق ببنانه مثل ما يلحق ببصره ولا يستبين الناظر مواقع أنامله ، قال : وقد شبه عبد الله بن أيوب أبو محمد التيمي وميض البرق بحفّة يد الحاسب فقال :

أعفى على بارق ماطر خفى كواحيك بالحاجب
كلُّ تَأَقُّدٍ فى السَّما يدا كاتباً ويذا حاسب

وقال بعض الكتاب :

وناطق تحبّر أتماظه عن نغبات العود بالزمر
بيننا تراه عاقداً خمسةً وستة صار إلى عشر
وصار من بعد إلى واحد كحاسب أخطأ فى كسر

ومن أحسن ما قيل فى تشبيه يد الحاسب بميض البرق بعد قول التيمي قول

هنازة من آيات :

وفرضت للناس الكتابة فاحذّوا فيها مثالك والعلوم فرائضُ
وإذا خططتْ فأنت غيثٌ ممشب وإذا حسبتْ فأنت برقٌ واميضُ
وإذا نهضتْ فأنت نجم ثاقب وإذا جلستْ فأنت ليث رابيضُ
فيك التمثل حين ينعت فاضلٌ وإليك يُرْجَعُ حين يشكل غامضُ

معايش العرب وأسبابها أيام جاهليتهم

كل أمة من الأمم لابد لها ما يقوم بضرورتها ، وسد فم حوائجها ، بأسباب متفاوتة ، وأعمال مختلفة ، يهديهم إليها خالقهم ، ويحفلها سبب أرزاقهم ؛ والعرب من الأمم القديمة التي مضى عليها عصر متطاولة ربما كانت السبب في خفاء كثير من أحوالهم على من بعدهم غير أن اللغة والشعر يقيدان كل شارد ، وينطقان بشؤون كل ما أسدل عليه حجاب الخفاء ؛ ومن المعلوم أن أسباب المايش والكسب وأصولها منحصرة في أمور ، منها :

التجارة

وهي من أشرف الأسباب وأعلاها قدراً ، ولهذا ورد في الحديث (التاجر الصدوق مع الكرام البررة) ويدخل فيها كل بيع وشراء ، وكانت من أهم أسباب معاشهم لاسيما سكنة الحجاز ونجد وما شابههما من الأقطار للمحطة والبلاد القليلة الخصب ؛ وكانت العرب على ما ذكر في فتح الباري شرح صحيح البخاري تتماح بكسب المال ولاسيما قريش ، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محظوظاً في التجارة ، وكان لقريش في السنة رحل أربع على ما ذكره بعض المفسرين في تفسير سورة قريش ، فإن أصحاب الإيلاف كانوا أربعة إخوة وهم بنو عبد مناف : أحدهما هاشم وكان يؤالف ملك الشام حيث أخذ منه خيلاً فأمن به في تجارته إلى الشام . الثاني : عبد شمس وكان يؤالف إلى الحبشة . والثالث : المطلب وكان يرحل إلى اليمن . والرابع : نوفل وكان يرحل إلى فارس . وكان هؤلاء يسمون المتجربين ، فيختلف بحر قريش بخيل هؤلاء الأخوة فلا يتعرض لهم أحد . وفي هؤلاء الأخوة بقول الشاعر^(١) :

(١) ج ٢ ص ٢٨٤

يا أيها الرجلُ المحوّلُ رحله هَلَّا نزلتَ بآل عبد منافِ
الأخنونَ المهدّ من آفاتِها والراحلونَ لرحلة الإيلافِ
والرائشونَ وليس يوجبُ رائشٌ والقائلونَ هَلُمَّ للأضيافِ
والخالطونَ غنيهم يفتقروم حتى يصيرَ غنيهم كالكفاي
« وقال مساور بن هند يهجو بني أسد »

زعمتم أن أخوتكم قريشٌ لم ألف وليس لكم إلافٌ
ألك أومئوا جوعاً وخوفاً وقد جاءت بنو أسدٍ وخافوا

ومن القسرين من قال : كان لقريش رحلتان رحلة في الشتاء إلى اليمن ،
ورحلة في الصيف إلى بصرى من أرض الشام ، كما روى عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ؛ وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله تعالى ، وولاء بيته
العزیز ، فلا يتعرض لهم ، والناس بين مختلف ومنهوب ؛ وعلى ذلك نزلت
السورة الكريمة . وذكر عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : أن السبب
في هاتين الرحلتين هو أن قريشاً إذا أصاب واحداً منهم مخصة خرج هو وعياله
إلى موضع وضروا على أنفسهم خباء حتى يموتوا^(١) إلى أن جاء هاشم بن عبد
مناف ، وكان سيد قومه ، وكان له ابن يقال له أسد ، وكان له ترب^(٢) من بني

(١) هذا من أوابدهم في الجاهلية ويسمى (الاعتقاد) : قال الزمخشري في
الأساس : « اعتقد الرجل إذا أغلق الباب على نفسه ليموت جوعاً ولا يسأل .
ولقي رجل - ربة تبكى لقتال : مالك ؟ قالت : نريد أن نعتقد . وأنشد
ابن الأعرابي :

وقائلة ذا زمان لاعتقاد ومن ذاك بقي على الاعتقاد »

وفي الناج وغيره من محمد بن أنس « أنهم كانوا إذا اشتد بهم الجوع أغلقوا
عليهم باباً وجعلوا حظيرة من شجرة يدخلون فيها ليموتوا جوعاً ، وقال
النظار بن هاشم الأسدي :

صاح بهم على اعتقاد زمان ممتقد قطاع بين الاقارن

قال شمر : وجدته في كتاب ابن بروج : اعتقد الرجل بالقاف وذلك أن يفلق
عليه باباً إذا احتاج حتى يموت » .

وقد كانوا يفعلون ذلك ترفعا عن ذلة السؤال وخساسة الاجتهاد . وقوله
تعالى « ولا تقتلوا أنفسكم » وما ورد من مثله في الصحيح مبطل لهذه الفعلة
الشنيعة ، والمادة الجاهلية الفظيعة . (٢) أي لدة ، وهما مترادفان الذكر
والأنثى في ذلك سواء ، يقال : هذه ترب هذه أي لدها ، وقيل : الترب من
ولد مملك .

مغزوم يحبه ويلعب معه ، فشكا إليه الضر والحاجة ، فدخل أسد على أمه يبكي ، فأرسلت إلى أولئك بدقيق وشحم فاشوا فيه أياماً ، ثم أتى ترب أسد إليه مرة أخرى وشكا إليه من الجوع ، فقام هاشم خطيباً في قريش فقال : إنكم أجذبتم جدباً تفلون فيه وتذلون ، وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم والناس لكم تبع ، قالوا : نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف ، فجمع كل بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام للتجارات ، فأريج النقيّ قسمة بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم ، فجاء الإسلام وهم على ذلك ، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالا ولا أعز من قريش . وهذا معنى قول شاعرهم فيهم :

والخالطون فقيرهم بغيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي

هذا ما كان من أمر قريش ، وسائر أهل الحجاز . وأما أهل اليمن وحمان والبحرين وهجر فكانت تجارتهم كثيرة ، ومعايشهم وافرة ، لما في بلادهم من الخشب والرغاء ، والذخائر المتنوعة ، والمادن الجيدة ، وغير ذلك من أسباب الثروة والنفي . وأما أهل نجد فكانوا دون غيرهم في الثروة والتجارة لما أن الغالب على أرضهم الرمال فكانت بلادهم دون بلاد سائر العرب في رفاهية العيش ، ورواج التجارة ، وكانوا يجتمعون في الأسواق (كل سوق له موسم من السنة على ما أسلفناه في الجزء الأول) فيجتمعون فيها للتجارات وغيرها . ولم أسواق آخر غير ما ذكرناه لأجل ذلك . ويسمون السوق أيضاً القسيمة ، ويقولون : نفقت السوق أي راجت ، وانمحقت : كسدت ، والسوم : عرض السلعة على البيع ، وبسته ناجراً : بناجز^(١) ويدأ بيد ، والناجش الذي يزيد في ثمن السلعة ، وليست من حاجته ليفقها على صاحبها . وقد ورد في الحديث انتهى عن ذلك . ويقولون للذي يبيع البز : البزاز ، وللذي يبيع الثياب : السمار وللذي يبيع الأكسية : الكساء ، وللذي يبيع القرا : القراء وللذي يبيع الرق : الرقاق ، وللذي يبيع الخلل : اللخلل ، وللذي يبيع البقول : البقول .

(١) أي تمجيلاً بتعجيل ، وهو منصوب بأبيكم ونحوه . ويرى بالرفع .

البقال . وللذى يبيع الدهن : الدهان ، وللذى يبيع الرؤوس الرأس ، ولا يقال له
رواس ؛ وللذى يبيع الطير الجذال ، والزجال الذى يرسلها من مكان إلى مكان ،
وللذى يبيع العطر المطار ، وللذى يبيع الأدوية الصيدلانى والصيدنان ، وللذى يبيع
اللولؤ اللال ، وللذى يبيع الآلية اللاء . ومنها :

الصنائع

وهى أيضاً من أسباب المعاش المحمود ، وورد فيها « الحرفة أمان من الفقر »
وكان فى العرب صنائع تقوم بما تمس إليه حوائجهم ، وتقتضيه ضرورياتهم ،
ولا بد لهم منها ، لاسيما البلاد التى قدم عليها عهد الحضارة . وقد تكلم ابن خلدون
فى مقدمته على هذا الموضوع ، وذكر أن العرب أبعد الناس عن الصنائع ، وعَلَّ
ذلك بأنهم أعرق فى البدو . وأبعد عن العمران الحضرى ، وما يدقو إليه من
الصنائع وغيرها ، وقد أطلب فى بيان ذلك إلى أن قال : وأما اليمن والبحرين
وعمان والجزيرة وإن ملكه العرب إلا أنهم تداولوا ملكه آلافاً من السنين
فى أم كثيرين منهم ، واختطوا أمصاره ومدنه ، وبنوا الناية من الحضارة
والترف مثل عاد وثمود والمعاينة وخير من بعدهم والتبابعة والأخواء ، فطال أمد
الملك والحضارة ، واستحكمت صيقتها ، وتوفرت الصنائع ورسخت ، فلم تبطل
ببلى النوبة ، فبقيت مستجدة حتى الآن ، واختصت بذلك الوطن كصناعة
الوشى والمصب وما يستجد من حوك الثياب والحرير فيها . وذكر رحمه الله
فصولاً مهمة فى هذا الباب لها من الحقيقة أوفر نصيب ؛ يئيد أنى أذكر ما كان
للرب من أمهات الصنائع التى زاولوها للقيام بمحاجاتهم ، وإن قلت فيهم ، ولم
تصل إلى نهاية الاتقان ، ولم تبلغ نصاب الكمال فإنى بصدد بيان أسباب معاشهم
على أن الكثير منهم كان بمعزل عن ذلك لما جيلوا عليه من الليل إلى المعالى ،
والتفاخر بالشجاعة والتروسية ، والتفاضل بالإقدام والجراءة ، والوفاء بالعهود ،

والقيام بواجب الأضياف ، وحفظ الفئام والقيام والكرم ، وغير ذلك من الشيم
وعلو الميم ؛ والقائم بأمر الصناعة لديهم دون غيره في المسكنة والتشرف فدونك
ما كان لديهم من الصنائع التي مست إليها حوائجهم ، وهدتنا إليها لتفهم — فيها :

صناعة البناء

هذه الصناعة كانت منحصرة لأهل الحضرة من العرب لأنهم الذين تمس
إليها حوائجهم . وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكن والمأوى
للأبدان في المدن . وعلل ذلك ابن خلدون في مقدمته : بأن الإنسان لما جبل
عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر
والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها ، ثم ذكر
كلاماً مفيداً يتعلق بهذه الصناعة ليس من غرضنا ، والقائمون بهذه الصناعة من
العرب متفاوتون فيها فمنهم البصير الماهر ، ومنهم القاصر ؛ وكانت في اليمن أبنية
عظيمة ، وقصور مشيدة ، وكذلك في غيرها كما ذكره الأصبهاني في كتاب
(سيرة العرب) وأبنيتهم كانت متفاوتة . فمنها البناء بالحجارة ، ومنها البناء
باللبن ، ومنها البناء بالأجر ، ومنها البناء بالطين والتراب ؛ وهي على أوضاع
مختلفة ، وأشكال متفاوتة ، وتفصيل ذلك لا يليق بهذا المختصر . فمن أبنيتهم
الدار . ويقال لها : الدارة والنزل والمزلة والمبادة والمعان والوطن والمغنى والمثوى
والمرج . ويقال لصحن الدار : حُرُّ الدار وقاعها وباحتها وساحتها وصرحتها
ومحبوبتها ؛ وفي الدار البيت وجمعه أبيت والسكنير البيوت ، والمخدع البيت
في البيت ، والنفق والسرب البيت تحت البيت ، والفرقة فرقة وهي العلية وجمعها
علالي ، والخزانة وهي التي يحفظ فيها الشيء ، قال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه مجزان^(١)

والمردد المضجع والحائط والجدار ما أطاف من البناء بالشئ ، والأرض أصل الحائط والرَّهص البناء من الطين اللوطوء يُنْصَدُّ بعضه فوق بعض طريقةً طريقةً ويقال لكل عرق من الحائط دِمَص ما خلا العرق الأسفل فإنه رهص ، والخط الواحد منه ساف والجمع أسوْف وسوْف . ويقال للصف الواحد من اللبن أيضاً ساف فإذا أقيم الآجرُ بعضه فوق بعض فهو السميّط ، ويقولون : ارتفع الحائط إذا بلغ أن يوضع عليه عقد الأزج أو أن يضي أو أن يقبب أو أن يسمن ، وبيت مضمي إذا سقف بالخشب ، والنماء ما يضي به ، وبيت مقبب ومسمً على هيئة السنام في تضايق أعلاه واتساع أسفله ، والبرزخ الفُرْجَة بين الأرجين في صهوة البيت ، والمهدف ترس الأزج .

وفي الدار الصفة وجمعها صيفاف ، ومنها الشرقية التي تقابل للمشرق ، والغربية التي تقابل للغرب ، والغراتية التي لا تقع الشمس فيها رأساً ، والمقنوءة مكان ظلّه دوم كالأماكن التي يجمد فيها الماء ، وبجذائنها للمشرقة ، والزاوية ملتقى الحائطين في البيت ، والكوة الثقب في أعلى البيت ينفذ ، ويقال لها : الشاروق ، والمشكاة التي في الحائط يقال لها الأوقة ويقال بيت مأوَّق . قال امرؤ القيس :

وبيت يفوح المسك في حجرانه بعيد من الآفات غير مأوَّق

ويقال للسطح : الإجار والصهوة ، وسقف البيت أعلاه الداخل ، وسمكه ما بين قراره إلى سقفه . والطاية السطح ومربد التمر . والدرج ما يرتقى فيه إلى السطح فإن كان من خشب فهو السلم ، والتَّعَب الفُتْرَج وكل مُزَقَّاة منها عتبة والجمع عتب وعتبات ، والفُتْرَع الخلاء بين المِزَقَّاتين ، والتفاريح والطُفَّ آجرٌ أو نحوه يمنح به أعلى الحائط ليقية المطر أن يسيل عليه ، وهو الكنة والإفريز وأفريز حائطه وطُفَّته ، وفي نحوه ، قال الهذلي :

وماضرب بيضاه يأوى مليكها إلى طُفَّ أعيا براقٍ ونازلٍ^(١)

والملأوة أعلى الحائط الذى لا يُقْمَى ، وقد يكون الطنف قراميد ، ويقال واحدها قرمد وهو الآجر الطويل . قال :

أَوْ دُمِيَّةٌ فِي مَرْمَرٍ مَرْفُوعَةٍ ^(١) بَيْنَتْ بَاجِرَ يُشَادُ بِقَرْمَدٍ

ويقال : المَرَادَةُ من الخشب لأعلى الحيطان ، والنَّجِيرَةُ سقفية بخشب لا يخالطها غيره ، والمرس حائط أو اسطوانة يقام فى البيت بوضع عليها طرف الجائز وهو المارضة ، والروافد خشب فوق المارضة ، واللَّين واحدة لينة ، والألجان الذى يضربه ، والملين الذى يُضرب به ؛ والسَّابِلُ الذى ينقل عليه ، والسَّمِيقَانِ والأسمفة خشبات يدخلان فى السابل ، والطُّوبُ الآجر والطُّوبُ الذى يطبخ أثونه ، والأطمية أتون الجرار والقصاص ونحوهما ، والبَلَاطُ الحجارة تُفَرَشُ بها الأرض ، يقال : دهليز مُبَلَّطٌ ودار مفروشة بالآجر والبلاط ، ويمال للبناء : الهاجرى . قل لييد :

كَقَمَرٍ هَاجَرِي إِذَا بَنَاهُ بِأَشْيَاءِ حَدِيدٍ عَلَى مِثَالٍ ^(٢)

والهاجرى : نسبة إلى قبيلة ، وأول من بنى كات من هذه القبيلة ، وقال الجوهري : وهاجرى نسبة إلى هجر ، ومنه قيل للبناء هاجرى ، والطَّيْنَانِ الذى يطين الحائط والسطح ونحوهما ، والملاط مارق من الطين ونحوه السَّيَّاعُ ، ويقال للمالج الذى يمسح به وجه الحائط المَسْمُومَةُ والمَسَجَّةُ والمَطْمَرُ الخيط الذى يقدر به البناء ، والشَّيد والقَصُّ الحص ، والجصاصة موضع الجص ، والملاحة تَجْمَدُ الملح . والشَّلَاجَةُ مكبس الثلج ، والجيار والسكس الصَّارُوج . قال الجوهري : الصاروج النورة وأخلطها فارسيّ معرب ، وكذلك كل كلمة فيها صاد وجيم لأنها لا يجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب .

وفى الدار الكنيف وأصله الحظيرة ، ويقال له الحُشُّ والسَّتْرَاحُ والخرج ، فأما الكِرْيَاسُ فالكنيف على السطح بقناة إلى الأرض وربما كان ثائثاً مكشوفاً

(١) الدمية : الصورة المنقشة من الرخام . ويشاد : يبنى (٢) الصقر : القصر

والمرحاض المختسل ، وللزباب والميزاب جميعا المقتب ، ويكون من خشب وغيره ؛ والبالوعة ثقب في وسط الدار ، وكذلك البالوعة والجمع البلايع ، ويقال للأسطوانة الآسية والسارية . قال جرير :

وجدنا بيتَ ضَبَّةٍ في مَمَدِّ كبيت الضَّبِّ ليس له سوار (١)
وطوار الدارِ فإِذَاهَا ، ومثله التَّنَاب والتدرة ، وجملت اسما لما يقوم عنه الإنسان إذا كان يلقى بها ، والنوى حاجز حول الخيمة يُحْفَرُ للطر ، والذمن آثار الدار والكبرس ما تلبد من الأبوال والأبصار ، والطلل ما شَخَصَ من الآثار ، والزوسم الزسم وهو كل أثر لا شخص له .
وفي الدار المطبخُ وهو موضع الطبخ ، والخيز موضع التنور ، والمسترُ والوطيس والتنور والميلم واحد ، والكرامة طبة التنور ، والمناقة حُجْرُهُ ، والساعور تنور في الأرض صغير .

وعما يتصل بالدار الإصطبلُ ويجمع على اصطبلات وأساطب ، وفيه التمربط وهو الموضع الذي تربط فيه الدواب ، والمربطُ بكسر الميم الحبيل الذي تربط به الدابة ، وفيه المعلق وهو موضع العلف ، والآري والآخية محبس الدابة ، يقال تَأْرَى أَى تحبس .

وفي الدار القصر ويقال له المَجْدَل والفَدَن والدفقر والصرح وهو كل بناء مرتفع . والأطم والأجم الحصن وجمهما أطام وآجام . قال قيس بن الخطيم :
فلولا دُرَى الأطام قد تصلمونه وترك الفلأشور كتم في الكواعب (٢)
والسور حائط الحصن ، والربض حائط حول السور ، والشرف ما أشرف فوق الحائط واستشرف الناس من ورائه أى رفعوا رؤوسهم ، والبلد ، ثم المدينة

(١) يقول : وجدنا شرف هذه القبيلة شرفا غريبا ضعيفا واهيا فيما بين العرب كبيت الضب الذي هو حجر في الأرض لا دعامة له فإذا ضرب بأصغر معول تهدم عليه فكذلك بيت شرف هذه القبيلة . (٢) يقول : لولا أعالي الحصون التي عرفتم التجاءكم إليها وهربكم من الصحراء — لسببنا نساءكم وشركناكم في النواهد منهم .

وهي أصغر من البلد ، ثم القرية وهي أصغر من المدينة ؛ ومن أبنيتهم البراة والقتره والناموس والدجبة والقزموص وهي مواضع يستتر فيها من الصيد ، والمرقب : موضع الطليمة وهو الديذبان^(١) ، والجواء مكان الحلى الحلال ، والموسم مكان السوق . والمخفل جمع الرجال ، والمائم جمع النساء ، والندي جمعهم للسمر والحديث والمصطبة مجتمعهم لعظام الأمور ، والخان مكان مبيت المسافرين ، والخانوت مكان الشراء والبيع ، والسدة مابني أمام الخانوت ، والمضادة خانوت صغير قدام الخانوت الكبير ، والحنة مكان التسوق في الغمر ، والماخور مكان الشرب في منازل الخمارين ، والديماس الحمام ، والآتون موقد ناره ، هذا كله مما يدل على أن القوم ممن كان له في هذه الصناعة اليد الطولى ، والقدم الراسخة كيف لا وفي أرضهم المباني القديمة ، والقصور المشيدة ! وقد بقيت إلى اليوم أطلالها ، ولم يبق من وجه البسيطة رسمها ولا مثالا !

بيوت أهل البادية من العرب

بيوت العرب على عشرة أنحاء : خباء من صوف ، ومجاد من وبر ، وقسطاط من شعر ، وسرادق من قطن ، وقال الجوهري السرادق واحد السردقات التي تمد فوق صحن الدار ، وكل بيت من كرسف القطن فهو سرادق ، قال رؤبة :
يا حاكم بن المنذر بن الجارود سرادق الجبد عليك ممدود
ويقال بيت مسردق ، قال الشاعر يذكر أبريز وقتله النعمان بن المنذر تحت أرجل الفيلة :

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه صدور القيول بمد بيت مسردق
ومن بيوتهم القشع وكانوا يتخذونه من الجلود ، والقشع : الجلد اليابس ، قال مقيم بن نويرة يرثي أخاه مالكا :

(١) العراقيون اليوم يبدلون الياء زايا فيقولون : « الدزدبان » .

ولا بَرَمًا تهدي النساء لمرسه إذ القشع من برد الشتاء تنمعا^(١)
والطُراف يبت كان الأغنياء منهم يتخذونه من الأديم ، قال قائلهم :
رأيت بني النبراء لا يتكروني ولا أهل هناك الطُراف الممدد

وبنو النبراء : هم الفقراء ، يريد أن المدوح يفره الفقراء والأغنياء .
والخطيرة يبت كانوا يتخذونه من شَذَب وهو جمع شذبة بالتحريك وهو ما يقطع
مما تفرق من أغصان الشجر ولم يكن في لبه ، قال الجوهري : والخطار الخطيرة
تعمل للابل من شجر لتقيها الريح والبرد ، والخطار الذي يعمل الخطيرة ،
والخيمة يبت تبنيه العرب من عيدان الشجر ، والجمع خيات وخيم مثل بدره
وبدر ، والغليم مثل الخيمة والجمع خيام مثل فرخ وفراخ ، ونخيم بمكان كذا ضرب
خيمته به والأقنة يبت يبنى من حجر والجمع أفن مثل ركبة وركب قال الطرمّاح :

فِي شَتَاظِي أَفْنٍ يَبْنِيهَا عُرَّةُ الطَّيْرِ كَصُومِ النَّعَامِ^(٢)

والكُبةُ يبت يبنى من لبن . وهذه البيوت المشرفة لم يتفق عليها أهل اللغة
بل اختلفوا في بعضها ، وهذه البيوت لأهل البوادي أحب لديهم من القصور
المشييدة والبيوت المزخرفة ، وفي ذلك يقول قائلهم :

كَبَيْتُ تَحْفَقُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفٍ^(٣)

(وقال آخر)

الحسن يظهر في شيئين رَوْنَقُهُ يبت من الشعر أو بيت من الشعر
وسبحان من تصرف في قلوب عباده كما شاء واختار ، ومنها :

(١) ج ١ ص ٧١ (٢) شتاذ كتمان جمع شتاذة وهي أعلى الجبل
و«بينها» بروى في موضعه «دونها» وعرة الطير ذوقه . ومن الطير يعر : سلح .
والصوم : سلح النعام (٣) البيت لميسون امرأة معاوية رضي الله عنه .
وسباني عند الكلام على (سكنة البوادي من العرب وما امتسازوا به عن
الحضرين) .

صناعة التجارة

هذه الصناعة من ضروريات كل أمة من الأمم لاسيما أهل العمران ، وقد بينا أن العرب منهم أهل حضر وحاجتهم إلى هذه الصناعة من الضروري ، فانه لا بد لهم من السقف لبيوتهم ، والأغلاق لأبوابهم والكراسى للجلوسهم ؛ ومنهم سكة البوادي وهم الأعراب ، ولا بد لهم من العمد والأوتاد لخيامهم ، والحدوج لظلماتهم ، والرماح والقسي والسهام لسلحهم إلى غير ذلك وكل واحدة من هذه الأمور فالخشب مادة لها ، ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة ، والصناعة المتكفلة بذلك الحصة لكل واحد من صورها هي التجارة على اختلاف رتبها . قال ابن خلدون : فيحتاج صاحبها إلى تفصيل الخشب أولا إما بخشب أصفر منه أو ألواح ، ثم تترك تلك القصاصل بحسب الصورة المطلوبة ، وهو في كل ذلك يحاول بصنمته لإعداد تلك القصاصل بالانتظام إلى أن تصير أعضاء لذلك الشكل المخصوص ؛ والقائم على هذه الصناعة هو النجار ، وهو ضرورى في العمران ، ثم إذا عظمت الحضارة ، وجاء الترف ، وتأنق الناس فيها يتخذونه من كل صنف : من سقف أو باب أو كرمى أو ماعون ، حدث التأنق في صناعة ذلك ، واستجداته بفرائب من الصناعة كالية ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الأبواب والكراسى ، ومثل تهئية القطع من الخشب بصناعة الخراط بحكم برهيا وتشكيلها ، ثم تؤلف على نسب مقدرة ، وتلحم بالدهاسن فتبدو لأى العين ملتحة ، وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجىء آنق ما يكون ، وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب من أى نوع كان ، ثم بين الأمور التى تحتاج إلى هذه الصناعة ، وما تتوقف هى عليه من المعارف ، ومن تماطى هذه الصناعة من الأوائل والأقدمين ، والمقصود من نقل كلامه بيان حقيقة هذه الصناعة

وتعريفها، فإنه لم يرجع على بيانها غيره، وأن العرب كان منهم من زاول هذه الصناعة ومارسها وتقدم فيها على حسب استعداده وقابليته؛ وقد رأيت في كلام الأئمة من أهل اللغة في ذكر أسماء أوصال الصور والأشكال المخصوصة ما يفيد كمال وقوفهم على هذه الصناعة، وكذلك ما ورد عنهم من أسماء آلات النجارة ما لو لم يمارسوها لما عرجوا عليها، ولنورد مما ذكرناه شيئاً من القسمين لزيادة البصيرة: -

أوصال الباب، وأسماء أجزائها

الباب من ضروريات الدار، ومن الأمور التي لا بد منها؛ وهي إنما تتكون بصناعة النجارة، والعرب قد وضعوا لكل جزء مما تركب منه اسماً كما وضعوا لجلتها أسماء، فنأسمائها: الباب والرتاج، قال امرؤ القيس:

له كفّل كالفحص لبده الندى إلى ثبيجٍ مثل الرتاج المضبب^(١)

ويقال له إذا كان واحداً فرد، فإن كان زوجاً فعها مصرعان، وهي أبواب أفراد وأبواب مصاريع، ومن أسماء الأوصال: ففي الباب ألواح والواحد لوح فقيه للسكبان وهما جانباه، وللزردم والمزدي ما يضم أسفل المنكبين، والمفعم ما يضم أعلاهما وهو اللوح للمروض بينهما ويقال له اللبحام، والصفائح الألواح العراض بينهما والواحدة صفيحة، والزافر الذي يقال له أنف الباب، ويد الباب أعلاه الذي يدور في الخلق الأعلى، ورجله الذي يدور في الخلق الأسفل، فإن كان من حديد فهو قطب؛ ويقال للتحق الأسفل الجُرور والتجُران. قال الشاعر:

صَبَبْتُ الماءَ في التَّجْرانِ صَبًّا تركت الباب ليس له صَرِيرُ

وصريره صريفه وهو صوته، والفائر الخشبة المثقوبة التي تدور فيها يد الباب، ويروى في الألفاظ:

(١) أي لهذا الفرس كفّل كالرمل المتراب. لبده الندى: أي ركب المطر بمضه على بعض. إلى ثبيج: أي مع ثبيج وهو مغرز الكاهل. والمضبب: الذي عليه ضببات الحديد.

وما عَزِزُ سِرٍّ يوماً فَطَبَّ وفائِزٌ والنَّارُ فيه تَلْهَبُ^(١)؛

وللباب المضادتان وما خشبتان تكشفانه ، والأسكفة الخشبية التي تضم العِصَاتين من أسفل ، والتَّعْبَةُ التي تضما من فوق ؛ وهذه الأربع إذا أدخل بعضها في بعض فصارت مربعة فهي إطارُ الباب كما يقال إطار للنخل . والتَّيْفَةُ ما فوق العتبة من الخشبة التي توصل بها ، وإلاد الباب وسَدَّه ومَلَاذَنُه خشبة تركب على ظهره تنفذُ إليها أذنان السامير ، وتوثقُ بها ألواح الباب ؛ والسامير ما كان من حديد والواحد مسمار ، والقَوْدُ الوَتْدُ من خشب وجمعه أوتاد ، والبوان خالفة الباب ، وفي الجملة : البوان عمود البيت ، وقال الجوهري : البوان بكسر الباء وضما عِود من أعمدة الخباء والجمع بُون بالضم ؛ وللباب حَلَقَتُه ومِقْرَعَتُه وهي التي يقرع بها الباب ، قال الشاعر :

مَنْ قَرَعَ البابَ وَلَمْ يَسْجُرْ عَنِ القِرْعِ دَخَلَ^(٢)

فإذا كان مكانها سَيْرٌ فهو وَدَمٌ ، والِرزة الحلقة التي يقع فيها الزُرْفين إذا أغلق ، وكتائف الباب وَصَبَاتُه ما يركب عليه من الحديد والواحدة صَبَّةٌ ، والسَكْتِيْفَةُ الورد ، والقَوْلَبُ حديدتان متركبتان ذكر وأُنثى ، والقَلَقُ موضع القِلَاق والمِنَاقُ ما يفتح بالفتح ، والقِلَاق بالعين غير معجمة ما لا يحتاج إلى مفتاح ، والقَمُوجُ حجر القلق ؛ وفي القلق البلاطيط والواحد بلطاط ، وهي الخشبات التي تقع في الثُّقْبِ التي ينفق الباب بها ، ويقال : قَلَقِلَ القَلَقَ حتى تقع البلاطيط في أفاقها ، والقِلَاق المفتاح وجمعه مقاليد ، وأسنان المفتاح هي التي ترفع البلاطيط عن الأفاق للمفتح ، والقَلَقُ في الباب يسمى الصير وهو الشق ، وفي الحديث « من نظر في صير

(١) يقول : ما ولد كريم على والديه قطعت سرته فكان سبب هلاكه ؟ وهذا ما ألغزت به الشعراء لأنه يتوهم أن « سر » من السرور ، وإنما يراد به قطع السرة ، والسرور لا يكون سببا للعطب كما يكون قطع السرة سببا له . وقوله « فائز » يقول : وما فائز تحرقه النار ؟ والفائز الذي ينال الفوز فكيف يفوز من التهنيت فيه النار ؟ وإنما المراد بالفائز الخشبية التي في الباب .

(٢) يريد أن من دام على طلب أمر ولم يفتر عنه وصل إلى مراده منه .

باب ففقت عينه فهو هَدَر ۝ فإن كانت في الباب خروج فهو مخرق ، فإذا لم تكن ألواح متضامة ، وكانت بينها فرج ، قيل : باب مُصْلَعٌ وَخُلِّلٌ ، ويقال لما كان كذلك من خشب غير ألواح مشبك ، وباب مصّح إذا كان من صفائح عراض حَسْبُ ، وتقول : أصفقت الباب وسَفَقْتَهُ إذا ألصقته بالعقبة ، وأجفته إذا تركت فيه فرجة ؛ وقد رددت الباب فهو مردود غير مصفّق ، وبلقت الباب فتحتة وانبلق افتتح ، والبلق الباب المفتوح ، وأغلقتة فهو مغلق ، والمحسن القفل وقد أقفلته فهو مقفل ، وللقفل عموده وهو حديدته الطويلة ، والفراشة التي تنيب في مغلق القفل منشب ، ونُمام الفراشة الحدائد المستطيلة المركبة عليها ، وأعيار الفراشة ما تتأ منها والواحد عير . ويقال للقفل : الحِلازة ، وقشّر القفل إذا عاجله بشيء يحشوه به فيفتحه من غير مفتاح .

أدوات النجارين وآلاتهم

لا يخفى أن لهذه الصناعة أدوات كثيرة لا يمكننا استيعابها في مثل هذا المقام ، وإنما نذكر بعضاً منها استدلالاً على مقصدنا . فنألاتهم (الفأس) وهي مؤنثة وجمعها أفؤس وفؤوس (والخَصِينُ) بانتهاء معجمة والصاد غير معجمة : فأس ذات خلف واحد (والخِدَاةُ) ذات رأسين والجمع حَدَا ، قال الشاعر :

يُبَاكِزُنَ الْعِضَاةَ بِمَقْنِمَاتٍ نَوَاجِدُهُنَّ كَالْحِلْدِمِ الْوَقِيعِ^(١)

أى الحدود المضروب بالمطارق (والصابور) الفأس العظيمة التي لها رأس واحد دقيق تسكس به الحجارة وهو المِعْوَلُ أيضاً ، وقد صقرت الحجارة صقراً إذا كسرتها بالصاقور (والكِرْزَنُ) والكِرْزِين بالكسر فأس عظيمة يقطع بها الشجر ومثله الكَرْزَم والكِرْزِيم والكِرْزُوم ، قال جرير :

وَأُورِثَكَ الْقَيْنَ الْقِلَاةَ وَمَرْجَلًا وَأَصْلَحَ أَخْرَاتِ الْفُؤُوسِ الْكَرَازِمَا^(٢)

(١) يقول : تفدو هذه الأبل إلى العضاء — وهو شجر له شوك — فتنفض اغصانها كأنها أسناتها التي تعمل فيها فؤوس قد حددت وضربت بالمطارق .

(٢) القين : الحداد . والعلاة : السندان . والمرجل : القدر .

(والقدوم) الفأس الصميرة ، وهى مخففة ، قال الشاعر :

ثَنِيْفُ رَأْسٍ فِي الزَّمَامِ كَأَنَّهُ قَدُومٌ فُؤُوسٍ مَاجٍ فِيهَا نِصَابُهَا^(١)
وقال الجوهري : والقدوم التى ينحت بها مخففة ؛ والجمع قدم ، قال الأعشى :

أَقَامَ بِهِ شَاهِبُورُ الْجَنُودِ حَوْلَيْنِ تَضْرِبُ فِيهِ الْقَدَمُ
وَجَمَعَ الْقَدَمَ قَدَامًا مِثْلَ قَالَسٍ وَقَلَانَسٍ ؛ وَأَنْغَلَرَتْ ثَقْبَ الْفَأْسِ ، وَنِصَابُهَا
خَشْبَتُهَا ، وَيُسَمَّى الْقَعَالُ . وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

أَنَّهُ وَهَى جَانِحَةٌ يَدَاهَا جَنُوحُ الْمُهْرَقِ عَلَى الْقَعَالِ^(٢)
وغيرها حديثها ، والوشيفة والنخاسة عويد يحمل فى خُرَّتِهَا أَوْفَى فَتَقُ نِصَابُهَا
ليضيقي ، وذلك إذا ضمر النصاب ولم يماسك ، يقال وشطته ونخسته ، وقلقت الفأس ،
ووماجت إذا اتسع خُرَّتِهَا واضطربت فى نصابها ، فإن خرجت منه قيل نَصَلَتْ
تنصل نصولاً . قال الراعى :

فِي مَهْمَةٍ قَلَقَتْ بِهِ هَامَاتِهَا فَلَقَى الْفُؤُوسَ إِذَا أَرْدَنَ نِصُولًا^(٣)
ومنها (المِشَار) وهو ما ينشر به الخشب أى يقطع ويقال نشرته وأشرته
ووشرته ، ولذلك يقال أيضاً مِشْشَار ، والنشارة ما سقط منه ، ومنها (المِخْفَرَة)
وهى آلة يحفر بها الخشب ، ومثلها المنقار ونقرت الشيء إذا ثقبته بالمِشْشَار ، ومنها
(المِسْحَلُ) وهو مِبْرَدُ أَخَشْنٍ مِنْ مِبْرَدِ الْحَدِيدِ ، وهو الذى يسحل به الخشب
أى ينحت ، والصغير من ذلك مِسْرَدٌ ، ومنها (المِثْقَبُ) وهى آلة يثقب بها
الخشب ، ومنها (الكلبتان) وهى آلة يجذب بها النجار المسبار من الخشب ،
ويأخذ بها الحداد الحديد المحبى ؛ ومنها (المتلة) وهى آلة من حديد كلأها رأس
فأس (ويديم النجار) وتطلق أيضاً على العصا الضخمة من الحديد لها رأس

(١) يقول : ترفع مع الزمام رأسا يشبه فى رفته وابطاله بعنق كانها حديدة
فأس مع نصالها وهى تضطرب فيه . (٢) يقول : جاءته وهى معتمدة يديها
كاعتماد الهبرقى (أى الحداد) على النصاب إذا أراد أن يعمل بحديدته فيه .
(٣) يقول : اضطربت رؤوس هذه الإبل فى هذه الصحراء كما تضطرب
الفؤوس إذا ارادت الخروج .

مفلطح يهدم بها الحائط . إلى غير ذلك من الآلات والأدوات المنصبة في كتب اللغة ، ولولا معرفتهم بهذه الصناعة لم يستعملوا تلك الأسماء لهذه الأدوات ، ومنها :

الحرارة

وهذه الصناعة أيضاً من ضروريات الأمم ، ولا يمكنهم الاستغناء عنها بوجه ومنافع الحديد للناس في معاشهم ومصالحهم ليست بخفية على أحد ، إذ ما من صنعة من الصنائع ولا عمل من الأعمال إلا والحديد أو ما يعمل به آلتها ، وفي التنزيل : « وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنْ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ » وهذه الصناعة من الصنائع القديمة في العالم ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزل مع آدم عليه السلام الميمنة والسندان والكلبتان . وروى أنه نزل ومعه المر والمسحاة . وفي خبر نزل ومعه خمسة أشياء من الحديد السندان والكلبتان والإبرة والمطرقة والميمنة وفُشرت بالمسن وتجمى بمعنى المطرقة أو العظيمة منها أو مآخذ به الرعى . وفي حديث ابن عباس نزل آدم عليه السلام من الجنة بالباسنة وهي آلات الصناعات أو سكة الحرث وليس برعى محض . وكانت العرب تسمى صاحب هذه الصنعة القين : قال الجوهري : القين الحداد والجمع القيون . وعن ابن السكيت يقال للحداد ما كان قين ولقد كان يقين قينا . يقال قن انادك هذا عند القين . وقنت الشيء أقينه قينا لمته وأصلحته ، وأنشد :

ولى كيدٌ مجروحةٌ قد بدا بها صدوع الهوى لو كان قينٌ يقينها

وفي المثل (إذا سمعت بسرى القين فإنه مصباح) وهو سعد القين . صار مثلاً في الكذب والباطل يقال دھدرين . سعد القين . ويقال لبني القين من بني أسد بلقين كما قالوا بلحرث وبلهجم وهو من شواذ التخفيف . وكان القيون مختلفين في الأعمال فمنهم من كان يعمل اللحم والازمة للوابهم وهي مشتملة على أجزاء كثيرة وأوصال مختلفة ، قال أبو عبد الله الإسكافي في كتاب المبادئ :

في اللجام الشكمية وهي الحديدية المقرضة في الفم ، والفأس الحديدية للتنصبة من الشكمية ، والقراشتان جانباً الشكمية ، وإليهما يربط العذاران وأخطافان والشاكلتان حديدتان مُعَقَّقَتَانِ للعنان والكثلوبان خُرَّتَانِ يدخل فيهما طرفا العنان ، والحكمة الحديدية التي تستدير حول الأنف والحنك الأسفل وهما حكمتان ، والمِسْحَلَانِ حديدتان تكتنفان الشَّدَقَيْنِ ، والحديدية الواصة على الصُدْغِ صُدْغٌ ، والعُرفُ ما في أطراف السيور وقد يكون من فضة والتَّكَلُّ بُجْمُ البغال . وقد أطنب في الكلام عن اللجام وما اشتمل عليه . والمقصود بيان أن هذه الصناعة كانت راسخة فيهم حتى تمكنوا من صنعة دقائقها ، ومنهم من كان يعمل لهم السيوف . وقد اشتهر بهذا العمل رجل اسمه سريح كان ماهراً في صنعها متقناً لها . والسيوف السريحيات نسبة إليه ، وكانوا يسمون الذي يطبعها أى يعملها الطباع والصيقل هو الذي يصقلها . وفي ذكر أسماء ما اشتمل عليه السيف يلم دقة صنعه وما يحتاج إليه من زيادة المعرفة في هذه الصناعة . فحديده هي النصل والسيلان سِنَخُهُ في القائم ، ومتن السيف ظهر النصل يقال سَخَنَ متنه أى أحماه ، وصدر السيف مقدمه ، وعرضاه وصفحاه وصفحاته وأللاه بطنه وظهره ؛ فأما حدها فهما القلقان والذبابان والفراران والشفرتان ، ومَضْرِبُهُ ما تُضْرَبُ به الضريبة وُظْبَتُهُ طرف المضربة ، وشبائته طرف الظبية ، وصَبْيَا السيف ناحيتا الشبابة ، وعَبْرَاهُ حرفان مرتفعان وسط متنه يقال سيف مُعَبَّرٌ . والقُرْصَانُ ما بين التمر إلى الحدين ، ووروقه مأوّه وفرِنْدُهُ ، وأثْرُهُ كديب النمل في متنه وهو مأثور ، وسيف مشطوب ومشطوب في متنه شطبية وهي طريقة فيه مرتفعة عنه ، وتسمى سِفِيْقَةُ السيف ، أو السَفِيقَةُ ما بين الشُطْبَتَيْنِ على صفحة السيف طولاً ، والسيف القائم وهو مقبضه ، وفي القائم القبيبة وهي القضة أو الحديدية في طرفه كالكرة ، ويسمى أعلى القبيبة القَلَّةُ ، يقال : سيف مقلٌّ . قال الهذلي :

ولقد شهدتُ الحَيَّ بعد رقادهم تُفلى جاجهم بكلِّ مَقْلٍ
والسبار الذى فى طرفى القبيعة وفى القائمِ الكلب والحِرَاءُ ، والشميرتان
طرفا الحِرَاءِ وفى إحداها حَلَقَةٌ فيها السير الذى يسمى القلس والتَّفَّةُ والنَّوَابَةُ
والعلاقة ، والسبار الذى فى وسط القائمِ أيضاً حِرَاءٌ وكتب وفى كل قائمِ كلبان ،
والسَّيْنُ الجلد الأحرش الحُجِّب الخشن يلبس القائمِ . والرأس من فضة أو حديد
يجمع بين طرفى السَّيْنِ ، وقد يسمى القائمُ رأساً . قال مُعَقَّر بن حمار البارقى :

هما بَطْلَانٌ يعترانِ كلاهما يُريدُ رئاسَ السيف والسيف نَادِرٌ^(١)

وغاشية القائمِ فضة أو حديد تُوارى رأس الجفن إذا أُمِدَّ ، وشاربها طرفا
الناشية وما تحت الناشية من الجفن الزافر ، والأسنان جمع أسِنَّةٍ وهى سيور
أدخل بعضها فى بعض وَضِعَتْ على القائمِ ، والجفْنُ العِشْدُ والقراب ، وإزاره
الجلد الذى يلبس ظاهراً ، وَخِلْتُهُ جلد يبطن به ، والنمل حديدية أسفل الجفن .
والمَحْمَلُ والحالة والنَجَاد وهو السير الذى يركب العائق ويحمل به . قال الشاعر :

إلى مَلَكٍ لا تَنْصُفُ النمل ساقَهُ أَجَلٌ لا وإن كانت طولاً محامِلُهُ^(٢)

أى لا تبلغ نمل سيفه نصف ساقه لطول قامته ، قال الشاعر :

كَأَنَّ عليها خِلَةً فارسيةً يُقَطِّعُها بين الجفون الصياقلُ^(٣)

لأنَّ الخِلَةَ كانت جلوداً منقوذة . والصانع جمع رضية وهى سيور تُصَفَّرُ
بين الجفن والنجاد قال الشنفرى :

هَتُوفٌ من اللسِ المتون برزبها رصعٌ قد نيطت إليها ومَحْمَلٌ^(٤)

والبسكرات الخلق التى فى النجاد كَفُوفُخ النساء وهى مُدَوَّرَاتٌ فى أطراف

(١) يقول : هما شجاعان يسقط كل واحد منهما صاحبه ويريد أن يعتمد
على الرأس والتصل قد خرج قائمه . ٢١ ، أى إلى ملك تام القامة فإذا تقلد
السيف لم يبلغ نمل سيفه نصف ساقه وإن كانت جمائله طويلة .
(٢) يقول : لم يبق من آثار هذه الدار إلا أعمار كانها جلود منقوشة يقطعها
الصياقل ليقتسوا جفون السيوف . (٤) يقول : قوس ترن إذا جلب وترها
من القسي اللينة الليط ويزينها ما رصع به جمبتها ومحمل سيف مقرون بها .
والرصاصع : سيور تصفر بين الجفون والنجاد .

الجنائيل مُتمسِك القيد ، والقيد حلق في أحد جانبي الجفن ، والزوائد أطراف القيد ، وقد يشد فيها السيور ، فإذا سهل خروجه من غمده قيل سَلِسَ ودَلَّقَ ، وإن تيسر قيل نَصَبَ وَحَلَجَ ، فإن ارتدَّ عن الضريبة قيل نَبَا ، فإن انكسر قيل انقصف ، وقيل صابيته أملت طرفه نحو الأرض كمصاباة الرماح ، وهزته فاهتز أى اضطرب . . ومنهم من كان يصنع لهم النبال والمسامير والسكاكين والأواني وسائر الأدوات والآلات ، والكلام فى بسط ذلك يطول ، وقد أطلب فى بيان ذلك أبو عبد الله الإسكافى فى كتاب المبادئ ، وكذا غيره من أئمة اللغة .

أدوات الحدادين وآلاتهم

من جملة آلاتهم وأدواتهم ، القَرْزُومُ والقلاة ، وهى السندانة ، وعن ابن دريد أن القَرْزوم بالقاف مغمومة لوح الإسكاف للدور ، (والمطرقة) وهى آلة يضرب بها الحديد ، و (الفطيس) أكبر منها وهى الميعة أيضاً ، يقال : وقت الحديد أقعماً وقصاً (والميزد) الذى يبرد به الحديد . والبرادة ، اسقط منه ، وفسالة الحديد ما تنسأ منه عند الضرب إذا طبع (والمُشْحَدُ) مبرد للحديد أعظمها وأخشنها . وقال الجوهري : المشحد المسن ، والمقرص ، للحديد كالمقرص للثوب . وقال الجوهري : والمفرص والمفراس الذى يقطع به الفضة ، قال الأعشى :

وأدفع عن أعراضكم وأعيركم لساناً كمنافس الخفاجى ملحبا

(والخفاجى) نسبة إلى خفاجة . بالفتح حى من بنى عامر مشهورين بهذه الصنعة (والمنفاخة) ما ينفخ به الكبير . والكبير الذى ينفخ فيه . وفى الصحاح : كبير الحداد زق أوجلد غليظ ذو حافات ، وأما المبنى من الطين فهو الكور (والمُشْرِجُ) مِطْرَق لا حروف لنواحيه ، ومطرقة مشرجة أى مطولة لا حروف لنواحيها ، وإذا كان الشيء مربّعاً فأمرت بنحت حروفه قلت شَرَجْتُهُ (والعَتَلَان) آلة

لصائغ وهو أصغر مطرقاته ، والذُذَاف الحديدية التي يدخل في أحد طرفيها الخاتم ويركزها على الجبأة وهي الخشبة التي بين يديه ؛ قال الشاعر :

* كَوْنُفِجِ السَّقْلَانِ عَلَى الذُّذَافِ * وَالْحُلَاجِ : منفاخه وهو حديدية مجوفة ينفخ فيها الصائغ إذا أراد النفخ في كبره وله الكلبتان واللتقب . ومنها :

الحياكة والنسج

هذه الصناعة من الصناعات التي كانت من مكاسب العرب ، وهي أيضاً من ضروريات الأمم ، فإن كل أمة ولاسيما أهل الحاضرة محتاجون لهذه الصناعة لأجل لبوسهم وفرشهم وحل أقمالم ونحو ذلك ؛ وقد آمن الله تعالى عليهم بقوله : (ومن الأنعام حمولة وفرشاً) الآية . وبهذه الصناعة يعرف كيفية نسج النزل من الصوف والكتان والقطن سداً في الطول والحاماً في العرض لذلك النسج بالاتحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة ، فمنها الأكسية من الصوف للاشتغال ، ومنها الثياب من القطن والكتان للباس . وبلاد العرب من العمران المعتدل فالدفء ضروري لهم ولا بد لهم من سراويل تقيهم الحر والبرد ، وربما استغنى عن هذه الصناعة أهل البلاد النحرقة إلى الحر كما ينقل عن كثير من السودان أنهم عراة في الغالب . وسيجيء إن شاء الله ذكر ما كان ينسجه العرب ، وكان من المستجاد لديهم نسج اليمن .

أدوات الحياكة والنسج

كل حرفة من الحرف ، وصناعة من الصناعات ، لابد لها من آلات تخصها ، وأدوات تتوقف عليها ، فمن آلات هذه الصناعة عند العرب : « الحفّ » وهو الذي تلمّظ به اللحمة أي تلتقم ويصنّق ليلتقمها السدى ، والجمع الحففة . وقال الجوهري قلاعن الأصمعي : الحفة المنوال ، وهو الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب . قال والبيد يقال له الحفّ هو المنسج ، وقيل عن أبي سعيد : الحفة

المنوال ، ولا يقال له حف وإنما الحف المنسج ؛ ومن أدواتها (الوشيمة) وهى المنسج وهى قسبة فى طرفها قرن يُدخل الفزل فى جوفها وتسمى السهم ، وقال الجوهري : الوشيمة لقيقة من غزل وتسمى القسبة التى تجعل النساج فيها لحمة الثوب للنسج وشيمة ، قال ذو الرُّمَّة :

به ملحِبٌ من معصِفات نَسَجَتْهُ كَنَسِجِ الْبَيَافِى بَرْدَهُ بِالْوَشَائِعِ
(وَالْمِشِيْمَةُ) ما يلف عليه الفزل (والثناية) التى يثنى عليها الثوب (والمَدَل) خشبة لها أستان كأستان المِذْشَار يقسم بها السدى ليعتدل (والصيصة) عود من طرفاء كمارى بالسهم فألحه أقبل بالصيصة وأدبر بها . وفى الصالح : الصيصة شَوْكَةُ الْحَالِكِ التى يسوى بها السداة واللحمة . قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرَّامِحُ تَنَوَّشُهُ^(١) كَوَقْعِ الصَّيَاصِى فِي النَّسِيجِ الْمَدَدِ

ومنه صيصة الديق التى فى رجليه (والنير) الخشبة المعارضة التى فيها الفزل وثوب منير ذو نيرين مضاعف النسج ، ومن اللغويين من يقول : النير لحمة الثوب فاذا نسج على نيرين كان أصفق وأبقى (والمداد) عصاً فى طرفيها صِنَارَتَانِ يمدد بها الثوب (والصنارة) رأس الفزل (والكفة) الخشبة المعارضة فى أسفل السدى (والحاران) يوضعان تحتها ليرفع السدى من الأرض ، والمهرة والرفيد بالفارسية تَلْهُ (والمثلث) قصبات ثلاث تسمى بالفارسية سِكَانَةً (والمبرم والبريم) الحبل الذى جمع بين مقتولين فقتلا حبلاً واحداً ، والمبرم من الثياب المقتول الفزل طاقين ومنه سعى المبرم وهو جنس من الثياب . وسدئ الثوب تسديته إذا مد الفزل ليسقيه الخزيرة وهى كالخساء من دقيق (والشَّقَشَقَةُ) والشفاشق قصب يُسْقَى ويوضع فى السدى عَرْضاً لِيَتِمَكَّنَ بِهِ مِنَ السَّقَى (والدعائم) خشبات تنصب ويمد عليها السدى ، والسدى والسقى واحد وسدئ مبرم وسدى سحيل

(١) أى تناوشه وتأخذه .

واللحمة بالفتح ما يُلحَم به ، وأداة الحائك المنصوبة تسمى (المنوال) وهو النول
أيضاً قال قائلهم :

حوكت على نولين إذ تحاك وتخبط الشوك ولا تشاك^(١)
ومنها :

الخياطة

وهذه الصناعة أيضاً من ضروريات العمران ؛ وكانت من مكاسب العرب
وأحد أسباب معاشهم ، وعرفها (ابن خلدون) بأنها تقدير المنسوجات على
اختلاف الأشكال والعوائد تفصل قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية ، ثم تلحم تلك
القطع بالخياطة المحككة وصللاً أو تنبيتاً أو تفسخاً على حسب نوع الصناعة . قال :
وهذه الصناعة مختصة بالمران الحضري لما أن أهل البدو يستغنون عنها ، وإنما
يشتملون الأنواب اشتغالاً ، وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإلحامها بالخياطة
لللباس من مذاهب الحضارة وفنونها . ثم بين سرّ تحريم الخيط في الحج ، وقدم
هذه الصنعة ، والتي قبلها ومن ابتدأ بها ، ومن وقف على كسوة العرب وما كانت
تلبسه وتقرشه وما ورد عنهم فيها من الأسماء تبين له كمال وقوفهم على هذه الصناعة ،
وهذه نبذة منها : —

كسوة العرب

الكسوة هي الثياب التي تلبس ، وقد ذكرنا أوائل الجزء الأول من هذا
الكتاب أن أهل البادية من العرب (وهم الرحل الذين لا يقيمون بمحل ، كان
شعارهم لبس الخيط في الغالب ، ولبس العائم تيجاناً على رؤوسهم ، وربما ألقوا
رداءً على ظهورهم وانزروا بإزار ، وأما أهل الحضر وسكنة المدر منهم فكانوا

(١) يصف رداءة نسجت على نيرين فهي في غاية من القوة والمتانة حتى إنها
تضرب الشوك ضرباً شديداً ولا يخرقها ولا يؤثر فيها لصفاتها .

يتننون في لبوسهم ، ويختلفون في كسوتهم ، فكان الكاهن لا يلبس المصنغ والعراف لا يدع تذليل قميصه وسحب رداءه ، والحكم لا يفارق الور ؛ والشاعر منهم كان إذا أراد المجاء دهن إحدى شقي رأسه ، وأرخی إزاره ، واتمل نملًا واحدة ، وكان لحراير النساء زى ، ولكل مملوك زى ولقوات الرايات زى^(١) وكانت سياه أهل الحرم إذا خرجوا من الحرم يتقلدوا القلائد ، وبعلقوا عليهم العلائق ، وإذا أذوم^(٢) أحدم الحج تز يا بزى الحاج ، وإذا ساق بدنة أشعرها^(٣) حتى إنهم خالفوا بين سمات الإبل والقمم ، وأعلموا البهيرة بغير علم السائبة وأعلموا الحامى بغير علم النحول ، وكذلك الفرع والرجبية^(٤) والوصيلة والعتيرة من النعم ، وكذلك سائر الأغنام السائمة ، وإذا كانت الإبل من حباء ملك غرزوا في أسنمتها الريش والخرق ، ولذلك قال الشاعر :

يَهَبُ المِجَنَّ بَرِيشَهَا وَرِعَانَهَا كَأَنَّ لَيْلٍ قَبْلَ صَبَاحِهِ الْمُتَبَجِّجِ
وَإِذَا بَلَّغْتَ الإِبِلَ أَلْفًا فَنَاقُوا عَيْنَ الْفَحْلِ ، فَإِنْ زَادَتْ فَنَاقُوا عَيْنَ الْآخَرِ
فَذلكَ هُوَ الْمُعْقَا وَالْمَعَى ، وَقَالَ شَاعِرُهُم :

فَنَاقَتْ لَهَا عَيْنَ الْفَحِيلِ تَعْيِيقًا وَفِيهِنَّ رَعْلَاءُ الْمَسَامِعِ وَالْحَامِ^(٥)
وَقَالَ الْآخَرُ :

وَهَبْ لَنَا وَأَنْتِ ذُو امْتِنَانٍ تَفْقَأُ فِيهَا أَعْيُنُ الْبُغْرَانِ
وَقَالَ الْآخَرُ :

فَكَانَ شُكْرُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمَنِّ كَيَّ الصَّحِيحَاتِ وَقَفَاءُ الْأَعْيُنِ
وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي الْإِبَاسِ وَالزَّى وَالسِّيَاهِ ، حَتَّى أَنَّهُمْ اعْتَبَرُوا

(١) مر ذكرهن في الجزء الثاني ص ٤ وه (٢) أو ذم الحج : أو جبه على نفسه (٣) البدنة : ناقة أو بقرة تنحر بمكة ، وأشعرها : أعلمها أى جعل لها علامة وهو أن يشق جلدها أو يقطعها في سنامها حتى يظهر الدم ويعرف أنها هدى . (٤) الرجبية : شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم . وشرح الكلمات الباقية : في أوائل هذا الجزء . (٥) التعييف : التكهن وزجر الطير . والرعلاء : الطويلة الأذن ، والناقاة تشق جلده من أذننها فتعلق في مؤخرها .

ذلك في غيرهم مما يخصهم ولو بسطنا الكلام على ملابسهم، وما قالوا فيها من الشعر، وما ورد عنهم من الأسماء، لأدى ذلك إلى سفر كبير؛ وكذلك الكلام على فرشهم، وأرائكهم، وما يتصل بذلك، فإنه يطول جداً، ونخص الكلام على ما ورد عنهم في العمام والتمال، وكان ذلك من زيهام العاصم :-

العمام وما ورد عنهم فيها من الشعر

كانت العمام تيجانهم وبها عزم، وفي الحديث « كانت عمام العرب محنكة » أى طرف منها تحت الحنك، ومن أسماء العمامة : المصابة، والمقطعة، والمفجّر، والمشوذ، والكوارة، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بث سرية فأمرهم أن يمسحوا على اللشاوذ والتساخين . وهى العمام والخفاف، وفلان حسن الشيدة : أى حسن العمة ؛ وفي (كتاب لباب الآداب) : وكانت السادة من العرب تلبس العمام المهرأة وهى الصفرة، قال الشاعر :

رايتك هربت العمام بعدما عمرت زماناً حاسراً لم تستم
فزعم الأزهرى أن تلك العمام المهرأة كانت تحمل إلى بلاد العرب
من هراة فاشتقوا لها وصفاً من اسمها، وأحسبه اخترع هذا الاشتقاق تمصّباً لبلده
هراة كما زعم حمزة الأصبهاني وهو أن السام الفضة وهو معرب عن سيم؛ وإنما نقول
هذا التعريب وأمثاله تكثيراً لسواد العربات من لفات الفرس وتمصّباً لهم .
وكان الزرقان يصنع عمامته بصفرة ، وذكره الشاعر^(١) فقال :
وأشهد من عوف سؤلاً كثيرة يحجون سب الزرقان المصفر^(٢)
وكان أبو أحيحة - سعيد بن العاصي^(٣) إذا اعتم بمكة لم يتم معه أحدٌ هكذا

(١) هو المخبل السعدي (٢) السب : الخمار والعمامة ، ويروى (المزغرا) بدل « المصفر » (٣) كذا والصواب « العاصي » وقد رايت كثيراً من المؤلفين والطابعين يفلطون فيقولون « العاصي » بالياء في هذا الرجل (أنظر البيان والتبيين : ج ٣ ص ٥١ وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت . والحقيقة أنه من « العوص » لا من « العصيان » ولذلك يقال لهم الاعياص .

في الشعر . ولعل ذلك أن يكون مقصوداً في بني عبد شمس . وقال أبو قيس ابن الأثلث :

وكان أبو أحيحة ، قد عظم بمكة غير مهتم ذمير
إذا شدد العصابة ذات يوم وقام إلى الجبال والخصوم
فقد حرمت على من كان يمشي بمكة غير مدخل سقيم^(١)
وكان البخري غداة جمع يدانهم بأنقان الحكيم^(٢)
بأزهر من سرة بني لوحي كبد الليل راق على النجوم^(٣)
هو البيت الذي بُليت عليه قرشُ السرِّ في الزمن القديم
وسطت ذوايب الفرعين منهم فأت لباب سِرهم الصميم^(٤)

وقال غيلان بن خرشة للأحنف : يا أبا بحر ! ما بقاء ما فيه العرب ؟ قال : إذا تقلدوا السيوف ، وشدوا العمام ، واستجادوا النعال ، ولم تأخذهم حية الأوغاد ! قال : وما حية الأوغاد ؟ قال : أن يمدوا التواهب ذلاً ! قال الجاحظ^(٥) : وإذا قالوا سيد معمر فإنا يريدون أن كل جناية يمتنيتها الجاني في تلك المشيرة فهي معصوبة برأسه . قال دريد بن الصمة :

أبلغ نسيماً وأوفى إن لقيتَهُما إن لم يكن كان في نسيهِما نسيماً
فلا يزالُ شهاباً يستضاء به يهدي المغانب ما لم تملك الصمم^(٦)
عاري الأشاجع معصوبٌ بِلِيتِهِ أصرُّ الزعامة في عزِّ نبيته نسيماً^(٧)
وقال الكناني :

(١) وفي هذا المعنى يقول الآخر :

أبو أحيحة من نعم عمته يضرب وان كان ذا مال وذا عدد
ويرزم الزبيريون أن هذا البيت باطل موضوع (الكامل للمبرد ج ١ ص ١٦٥)
طبع مطبعة التقدم بمصر . (٢) البخري : الحسن المنى والجسم .
(٣) سرة : جمع سري وهو الشرف . (٤) أي توسطت فكنت أنت
الواسطة بين الفرعين . (٥) البيان والتبيين ج ٣ ص ٥٢ (٦) المغانب : جمع
مغنب وهو الجيش ، والصمم : جمع صمة وهو الشجاع . (٧) الأشاجع :
جمع الأشجع وهي عروق ظواهر الكف . واللغة : الشعر المجاوز لشحمة
الأذن . والهرنين : الأنف ، والشمم : الارتفاع .

تَنَحَّبْتُهَا لِلنَّسْلِ وَهِيَ غَرِيبَةٌ خَفَاتَ بِهِ كَالْبَدْرِ خِرْقًا مَعًا^(١)
 فلو شاتمَ الفتيانَ في الحى ظالمًا لَمَّا وجدوا غيرَ التَّكْذِبِ مَشْمًا
 وولئك قيل لسعيد بن العاصي « ذو العصابة » وقد قال القائل^(٢) :
 كَلَّابُ أَوْهَا ذُو الْعِصَابَةِ وَأَبْنُهُ وَعِثَانُ مَا أَكْفَاؤُهَا بِكَثِيرٍ
 وقيل لأعرابي : إنك لتكثر لبسَ العمامة ! قال : إن شيئًا فيه السمع والبصر
 لجدير أن يوقى من القرز . وذكرت العمامة عند أبي الأسود الدؤلي . فقال : مُجَنَّةُ
 في الحرب ، ومكنة من الحر ، ومدفأة من القرز ، ووقار في الندى^(٣) ، وواقية
 من الأحداث ، وزيادة في القامة . وهي تمد عادة من عادات العرب . قال عمرو
 ابن امرئ القيس :

يَا مَالِ وَالسَّيِّدِ الْمَمْمُ قَدْ يَبْطِرُهُ بَسَدَ رَأْيِهِ الشَّرَفُ^(٤)
 نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مُخْتَلِفٌ

وكان من عادة فرسان العرب في اللوامة والجوع ، وفي أسواق العرب
 كأيام عكاظ وذى الحجاز ، وما أشبه ذلك التفتُّحُ إلا ما كان من أبي سليط طريف
 ابن تميم أحد بني عمرو بن جندب فإنه كان لا يتفتَّح ، ولا يبالي أن يثبت عينه جميع
 فرسان العرب^(٥) : وكانوا يكرهون أن يعرفوا فلا يكون لفرسان عدوهم هم غيهم ،
 فكان هذا من شأنهم ، وربما مع ذلك أعلم الفارس منهم نفسه بسياء : كان هزوة
 يوم بدر معلماً بريشة نمامة حمراء ، وكان الزبير معلماً بمامة صفراء ، ولذلك قال
 درهم بن زيد :

(١) الخرق: الفتى الحسن الكريم الخليفة (٢) هو خالد بن يزيد بن معاوية.
 والبيت من بيتين قالهما في زوجته أمية بنت سعيد بن العاص بن أمية حينما
 طلقها وتزوجها الوليد بن عبد الملك . والبيت الثاني :
 فإن تفتلتها والخلافة تنقلب باكسرم علقى منبر وسرير
 — ومعنى تفتلتها : تأخذها فجأة . (٣) المجلس (٤) يمال : ترخيم
 « يمالك » (٥) انظر الشرح في ص ١٨٥ من الجزء الثاني .

إنك لاقى غداً غواةً بنى لللكاه فانظر ما أنت مُزْدَهَفٌ^(١)
يمشون في البيض والدروع كما تمشى جبال مصعبٍ قُطِفٌ^(٢)
فأبدي سياتك يعرفوك كما يبدون سياتهم فقَعَفِرِفْ
وقال آخر:

إذا لمره أترى ثم قال لقومه : أنا السيد المُفَضَّى إليه المسمُ
ولم يُعطهم شيئاً أبوا أن يسودهم^(٣) وهان عليهم زعمه وهو أوم^(٤)
وقال آخر:

إذا كَشَفَ اليومُ العَمَاسُ من استيه فلا يرتدى مثلى ولا يتعم^(٥)
قالوا : وكان مصعب بن الزبير يتمم السقاء وهو أن يقصد العامة في القفاء ،
وكان منهم من يتمم الليلاء ، قال الفرزدق في محمد بن سعد بن أبي وقاص :

ولو شهد الخليل ابن سَعْدٍ لَقَتَعُوا عامته لليلاء عَصَباً مُهَنِّداً^(٦)
وقال شملة بن أخضر الضبي :

جَلَبْنَا الخليل من أطرافِ فُلُجٍ ترى فيها من الفزْرِ اقْوِاراً^(٧)
بكلِّ طَيْرَةٍ وبكلِّ طِرْفٍ يَزِينُ سوادَ مُقَلَّتِهِ العِذارِ^(٨)
حوالى عاصبٍ بالتاج متاً جبينَ أغرٍّ يستلبُ الدُّوَارِ^(٩)
رئيسٌ ما ينازعُهُ رئيسٌ سوى ضربِ القِدَاحِ إذا استشارا
وأُشْد :

إذا لبسوا عائمهم طَوَّوْها على گرم ، وإن سَقَرُوا أناروا

-
- (١) الازدهاف : الدنو والتقمم في النر والعداوة والاهلاك (٢) أبيض : جمع بيضة وهي هنا بيضة الحديد . ومصعب : جمع مصعب وهو الفحل الذي تركته فلم تركه ولم يمسسه جبل حتى صار صعباً . والقطف : جمع قطف وهي الدابة التي تسمى السير . (٣) أى وهو حقيق بأن يلام . (٤) يوم عماس : أى شديد . وكشف من أسسته : كناية عن الشدة والمكروه (٥) قنعوا : ضربوا والعصب المهند : السيف المعمول في الهند . (٦) فُلُج : اسم بلد . والاقوار : الضمور والتفير (٧) الطمرة : الفرس الجواد المستعمل للوثوب والعدو . والطرفة الكريم الطرفين من الإباء والأمهات . والمقلة : الحديقة . والعذار من اللجام ما سال على خد الفرس (٨) الدوار : شبه الدوران يأخذ في الرأس فيخيّل لصاحبه ان المنظورات تدور عليه .

يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَمْ سَوَاهُمْ وَلَكِنْ بِالطَّمَانِ مُمْ تَجَارُ
إِذَا مَا كُنْتَ جَارِيَنِي لَوْيَ فَأَنْتِ لِأَكْرَمِ الثَّقَلَيْنِ جَارُ
وربما جعلوا العمامة لواءً ، ألا ترى أن الأحنف بن قيس يوم مسمود بن عمر
حين عقد لعيس بن طلق اللواء إنما نزع عمامته من رأسه ففقدناها له ، وعلى ذلك قول
زيد بن كثوة المنبري :

مَنْعَتَ مِنَ الْمُهَارِ أَعْلَاهُ أُمُّوْ وَبِمَضُ الرِّجَالِ الْمُدْعَيْنِ زَنَاةُ^(١)
لَجَأَتْ بِهِ عَبَلُ الْقَوَامِ كَأَنَّمَا عَمَامَتُهُ فَوْقَ الرِّجَالِ لَوَاءُ^(٢)
وربما شدوا بالعمائم أو ساطعهم عند المجاهدة ، وإذا طالت العقبة ، ولذلك قال
شاعرهم :

فَسَبُّوا فَقَدْ جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَيَأْسَتْ الَّذِي يَرْجُو الْقَرَى عَنَا عَاصِمُ
دَفَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَالَّذِيخِ حَاضِلًا نَشَدَ عَلَى أَكْبَادِنَا بِالْعَمَائِمِ^(٣)
وقال الفرزدق :

بَنِي عَاصِمٍ إِنْ تَنْحَبُوهَا فَإِنَّكُمْ مَلَأْتِ السُّوْءَاتِ دُسْمُ الْعَمَائِمِ^(٤)
وقال آخر :

خَلِيلِي شَدَّ لِي بِفَضْلِ عَمَامَتِي عَلَى كَيْدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا
وقد ورد في العمامة شعر كثير . وفي العمامة الكور والجمع أكوار وهي
الطرائق التي يعصب بها الرأس ؛ ولائها : أدارها حول رأسه . والصوقمة مدخل
الرأس في العمامة . والفؤابة ما أرسل منها على الظهر ، والتفدة أعلى العمامة ، واعتم
التفداء كنفها على رأسه ولم يسد لها ، واعتم عمة مجراء أي ضخمة ، وتلحهاها أدار
دورا منها تحت الذقن وهو للأموه به ، واقطعها لأنها على رأسه ولم يدرها تحت

(١) المهار : الفجار . والزناء : الضيق . (٢) عبل : ضخم . (٣) الديخ .
اللذب الجريء وذكر الضباع وخطا بخطو : منى الخطيا وهو مشى رويد
(٤) لحب الطريق : سلكه ، والمرأة جامعها . ودسم العمام : سود العمام .

الخنك وهو المنعى عنه ، فإذا أدارها على بعض فـه فذلك النام ، وإذا أدارها على فـه فهو اللغام ، فإن بلغ بها أصل فـه فذلك الثقاب ، فإذا لم يظهر منه إلا العينان فهو الاحتجار والتوصيص .

ما ورد عنهم من الشعر في النعال

العرب لم تزل تلهج بذكر النعال ، والفـرس تلهج بذكر الخفاف ، وفي الحديث المأثور : إن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا ينهاون نساءهم عن لبس الخفاف الحر والصفر ، ويقولون : هو من زينة نساء آل فرعون . وأما قول شاعرهم :

إذا اخضرت نعال بني غرابي بَفَوْا ووجدتهم أسرى لثام
فلم يرد صفة النمل ، وإنما أراد بأنهم إذا اخضرت الأرض وأخصبوا ، طنوا ونضوا ، كما قال الآخر :

وأطول في دار الحفاظ إقامة وأوزن أحلاماً إذا النمل أخضلاً
ومثله قوله :

يا ابن هشام أهلك الناس الذين فكلمهم بسمى بسيفٍ وقرن^(١)
وأما قول الآخر :

وكيف أرتجى أن أسود عشمي وأئمت من سلى أبوها وخالها
رايتكم سوداً جاداً ومالكٌ مخضرةً يبيض سباط نعالها
فلم يذهب إلى مدح النعال في أنفسها ، وإنما ذهب إلى سباط أرجلهم وأقداسهم ، ونفى الجمودة والقصر عنهم . وقال النابغة :

رفاق النعال طيبٌ حُجُراتهم يَحْيَوْنَ بالريحان يوم السباسب^(٢)

(١) القرن : حد السيف والنصل (٢) قوله « طيب حُجُراتهم » أي انقفاء والحجزة : مقعد الأزار . والسباسب : أيام السنعانين أو السنعانين من أعياد النصراني . انظر ص ٣٤٨ من الجزء الأول .

يَصُونُونَ أَجْسَادًا قَدِيمًا نَمِيمُهَا بِمَخَالِصَةِ الْأُرْدَانِ مُخَضَّرِ الْمَنَابِكِ
وَبَنُو الْحَرثِ بَنَ سَدُوسٍ لَمْ تَرْتَبِطْ حَارًّا قَطْ ، وَلَمْ تَلْبَسْ نَمْلَاقُطَ إِذَا ثَبَتَ
وَقَدْ قَالَ قَائِلُهُمْ :

وَنَلْقَى النِّعَالَ إِذَا ثَبَتَ وَلَا تَسْتَمِينُ بِأَخْلَاقِهَا
وَنَحْنُ الدُّوَابَّةُ مِنْ وَائِلٍ إِلَيْهَا تَمُدُّ بِأَعْيَاقِهَا^(١)
وَمِنْ رَهْطِ خَالِدِ بْنِ مَعْمَرٍ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ شَاعِرٌ :
مُعَاوِيَ أَمِيرَ خَالِدِ بْنِ مَعْمَرٍ فَإِنَّكَ لَوْلَا خَالِدٌ لَمْ تَوْثِرِ
وَقَائِلُهُمْ يَقُولُ :

أَغَاضِبُهُ عَمْرُو بْنُ شَيْبَانَ إِنْ رَأَتْ عِدِيدِينَ مِنْ جَرَثُومَةٍ وَذَخِيسٍ^(٢)
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ أَيْرُ أَيْبِكُمْ . طَوِيلًا كَأَيْرِ الْحَرثِ بْنِ سَدُوسٍ^(٣)
وَأَمَّا قَوْلُ الْآخَرِ :

يَا لَيْتَ لِي تَمَلِّكُنِ مِنْ جِلْدِ الصَّبْعِ وَشَرَّكََا مِنْ اسْتِهَا لَا تَنْقَطِعُ
كُلُّ الْحِذَاءِ يَحْتَدِي الْحَالِي الْوَقْعِ^(٤)

فَهَذَا كَلَامٌ مَحْتَاجٌ ، وَالْحَتَّاجُ يَتَجَوَّزُ ، وَقَالَ النَّجَاشِيُّ لَهْنَدِ بْنِ عَاصِمٍ :
إِذَا اللَّهُ حَيًّا صَالِحًا مِنْ عِبَادِهِ كَرِيمًا غَفِيًّا اللَّهُ هَنْدُ بْنُ عَاصِمٍ
وَكُلُّ سُلُوكٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُ سَرِيعٌ إِلَى دَارِ النَّدَى وَالْمَكَارِمِ
وَلَا يَأْكُلُ السُّكْلَبُ السَّرُوقُ نَمْلُهُمْ وَلَا تَنْتَقِي الْمَخَّ الَّذِي فِي الْجَلْجَمِ^(٥)

(١) الدُّوَابَّةُ : مِنَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَكُلُّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ (٢) الْجَرَثُومَةُ : الْأَصْلُ .
وَالدَّخِيسُ : الْعِدَدُ الْكَثِيرُ (٣) أَيْرُ الْحَرثِ : يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي كَثْرَةِ الْأَوْلَادِ وَكَانَ
لَهُ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ ذَكَرًا . وَالْعَرَبُ يَقُولُ «فُلَانٌ طَوِيلُ الْأَيْرِ» إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْأَوْلَادِ .
وَمِمَّا يُنْسَبُ إِلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «مَنْ يَظَلُّ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَقِلُ بِهِ» أَيْ مِنْ
كَثْرَتِ أَخَوَتِهِ اسْتَظْهَرَ بِهِمْ وَضَرْبِ الْمَنْطِقَةِ أَذْكَانَتُهُ تَشَدُّ الظَّهْرَ مِثْلًا لِذَلِكَ .
(٤) هَذَا الرَّجُلُ يُنْسَبُ إِلَى أَبِي الْمَقْدَامِ جَسَاسِ بْنِ قَطِيبٍ . . وَالشَّرَّكَ :
جَمْعُ شَرِّكَ وَهُوَ سِيرُ النَّعْلِ . وَالْأَسْتِ : الدِّبَرُ . وَقَوْلُهُ : كُلُّ الْحِذَاءِ الْخِمْ مِثْلُ
يَضْرِبُ عِنْدَ الْحَاجَةِ تَحْمِلُ عَلَى التَّمَلُّقِ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَوَقَعَ الرَّجُلُ يَوْعُ
وَقَعًا إِذَا حَفِيَ مِنْ مَرِهِ عَلَى الْحِجَارَةِ (٥) انْتَقَى الْعِظَمُ : اسْتَخْرَجَ مَخَّهُ .

قال يونس « كانوا لا يأكلون الأدمغة ولا يتعاملون إلا بالسبِّ^(١) »
وقال كثير:

اذا بُدِّتْ لم تُطِيبِ الكلبَ رِيحُهَا وإن وُضِعَتْ في مجلسِ القومِ شُمَّتْ
وقال قتيبة بن الحرث:

إلى مَشَرٍّ لا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ ولا يَكْبَسُونَ السَّبَّ مالم يُخْصَرِ
وقال الأحنف « استجيدوا النعال ، فانها خلال الرجال » واذا مدح الشاعر
النعل بالجوادة فقد بدأ بمدح لابسها قبل أن يمدحها ومعنى قول قائلهم :
(و) قام بناني بالنعال حواسراً وألصقن وقع السَّبِّ تحت القلائدِ
أن النساء ذوات المصائب إذا قن في المناحات كن يضر بن صدورهن بالنعال ،
وقال خلف الأحمر :

سقى حجاجنا نَوَهَ الثُّرَيَّا على ما كان من مَطْلٍ ومُحْلِ
هُمُ جَمَعُوا النعالَ فَأَحْرَزُوهَا وسَدُّوا دُونَهَا بَاباً بِقُلِّ
اذا أَهْدَيْتُ فَاكْهَةً وَشَاةً وَعَشَرَ دِجَائِجٍ بَشُوا بِنَعْلِ
وَمَضُوا كَيْنٍ طَوْلَهَا ذِرَاعٌ وعشر من ردى للْقُلِّ خَشْلٍ^(٢)
فان أَهْدَيْتُ ذَاكَ لِتَحْمِلُونِي على نعلٍ فَدَقَّ اللهُ رِجْلِي
وقال كثير:

كَأَنَّ ابْنَ لَيْلَى حِينَ يَبْدُو فَتَنْجَلِي شَجُوفُ الْجَاهِ عَنْ مَهْمِبِ مَشَمَّتِ^(٣)
مِقَابِرُ خَطُوفٍ لَا يَنْتَرِ نَعْلَهُ رَهِيْفُ الشَّرَاكِ سَهْلَةُ الْمُتَسَمَّتِ^(٤)
اذا طُرِحَتْ لَمْ تُطِيبِ الْكَلْبَ رِيحُهَا وإن وُضِعَتْ في مجلسِ القومِ شُمَّتْ

(١) جلود البقر وكل جلد مدبوغ (٢) المقل : غصو شجر الدوم . والدوم :
شجرة تشبه النخلة في حالاتها . ويقال للمقل خشل اذا كان يابساً
(٣) الشجوف : جمع سحجف وهو الستر . ومليك مشممت . أى محبى
من معنى حياه اذا دعا له بالتحية (٤) رهيف الشراك : رفيق سير النعل
ومسمت النعل : اسفل من مخصرها الى طرفها .

وقال بشار :

إذا وُضعت في مجلس القوم نعلها تَضَوِّعُ مِسْكَاً ما أصابت . وعبرا
ولما قال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه لعمصة بن صوحان في
المنذر الجارود ما قال ، قال عمصة « يا أمير المؤمنين ! اتن قلت ذلك انه لَنَظَّار
في عطفه ، تقال في شراكه ، تسجبه حمرة بُرْدِيَّة » وذم رجل ابن التوأم فقال :
رأيت مشح النعل ، دَرِنَ الجورب ^(١) ، مَغْضَنٌ ^(٢) الخف ، دقيق الجربان ^(٣) »
وقال المهيم « يمين لا يحلف بها إلا الأعرابي أبداً أن يقول : لا أورد الله لك صادراً ،
ولا أصدر لك وارداً ، حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك » .

وقال آخر :

عَلِقَ الْفُؤَادُ بِرَبْقِ الْجَهْلِ ^(١) وَأَبْرَ واستمصى على الأهل
وصبا وقد شابت مفارقة سَفَهَا وكيف إصابة الكهل ^(٢)
أحدثت مُتَتَصِرِي وأدركني حللى وبَسَرَ فأنلى نَمَلِي ^(٣)

وقال آخر :

كم أرى من مُتَتَجِبٍ من نعال ورضائي منها بلبس البَوَالِي
كلُّ جَرْدَاءٍ قد نَحِيَفَهَا انْخِصَفُ بِأَفْطَارِهَا يَسْرُو النَّعَالِ ^(١)
لا تَدَانِي وليس تشبه في الخِلَاقَةِ إِنِّ أَبْرَزْتُ نَعَالِ الْمَوَالِي
لا ولا عن تقادُم العهد منها بَلِيَّتْ لا وَلَا لِيَكْرُ اللَّيَالِي
ولقد قلت حينَ أَوْرُ ذَا الْوَدِّ عليها يَثْرَوِي وبمالي
من يُنَالِي من الرجال بنعلٍ ؟ فسوأي إِذَنْ بهنَّ يَنَالِي
أَوْ بَنَاهُنَّ لِلْجَبَالِ فَإِنِّي فِي سِوَاهُنَّ زَيْنَتِي وَجَمَالِي

(١) وسخ (٢) مجعد (٣) جربان التقيص : طوقه الذي فيه الأزرار مخيطة
فاذا أريد ضمه أدخلت الأزرار في العرا قسم الصدر إلى النحر
(٤) ربق كل شيء : أوله وأصله (٥) المفارق : جمع مفروق وهو وسط الرأس
الذي يفرق فيه الشعر . والكهل : من وخظه الشيب (٦) المتعصر : الهرم
والعمر (٧) الجرداء : المجردة من الشعر . ونحيفها : تنقصها من أطرافها .

فِي إِخَائِي وَفِي وَقَائِي وَرَأْيِي وَعَقَائِي وَمَنْعَقِي وَقَتَالِي
مَا وَقَائِي الْخَفَا وَيَلْفَنِي الْحَا بَجَّةً مِنْهَا فَاتْنِي لَا أَبَالِي

وشعر العرب المشعر بلبسهم للنمال ، وإيثارهم لها على غيرها مما يليس بالأرجل
لا يمكن استيعابه في مثل هذا المقام ، وما ذكرناه وافٍ بالمقصود . ومنها :

الفهرمة

وهي من أسباب معاش العرب العامة ، لا سيما سكنة اليمن والبحرين وعمان
وهجر وغالب بلاد نجد ، فسكنة هذه البلاد كلها غالب معاشهم من الحرث
والفرس ، ولهم في فرس النخيل اهتمام وأى اهتمام ! وما ورد عنهم في شأنه كلام
طويل ، ومعرفتهم بشؤونه كعرفتهم بالخليل ؛ وحيث أن أرضهم وبلادهم صالحة
لإنبات أكثر نبات العالم ، وشجر الدنيا ، اتسع نطاق معارفهم في هذه الصناعة ومن
تتبع الكتب المؤلفة في النبات والشجر لاسيما كتاب (أبي حنيفة الديلموري) اعترف
بما ذكرناه مع ما في لغتهم من الشهود المدول عليه ؛ وغالب من تعامل في هذه الصناعة
سكنة البوادي منهم ؛ وبين السبب في ذلك ابن خلدون فقال : اعلم أن اختلاف
الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهن من المعاش ، فإن اجتماعهم إنما هو
للتعاون على تحصيله ، والابتداء بما هو ضروري منه ، ونشيط قبل الحاجة
والكفاية ، ففهم من يستعمل الفلح من الفراسة والزراعة ، ومنهم من ينتحل
القيام على الحيوان من الفهم والبقير والمز والنحل والود لتاجها ، واستخراج
فضلاتها ، وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد إلى
البدو ، لأنه منع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمساير للحيوان
وغير ذلك ، فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمراً ضرورياً لهم ، وكان حينئذ
اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفء
إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ، ويحصل بُلغة العيش من غير مزيد عليه ،

للعجز عما وراء ذلك ؛ ثم أخذ يذكر أسباب الحضارة وموجباتها ، والحاصل أن ما ذكرناه غالب مدار معاش العرب ، وما يقوم بدفع ضرورتهم ، وما تمس اليه حوائجهم ؛ ولهم أسباب آخر كالنوص على اللؤلؤ ؛ وإلى اليوم سكنة البحرين وهجر وغير ذلك من سكنة السواحل يعيشون عليه ، والبحث على اللؤلؤ والأصداف ، وكيفية صيده ، وما ورد عن العرب في ذلك مما لا يسعه المقام ، ومنهم من كان يعيش على صيد البر والبحر ، ولهم فيه مذاهب وعوائد مفصلة في كتب الحديث ، ومنهم من كان يبتاش بالمواشي والأنعام ، كالغنم والبقر والإبل ، ولهم في القيام عليها وتربيتها قدم راسخة ، وعلم واسع .

ما أوجب تفرغ العرب

من وقف على أحوال العرب ، وتصفح كتب أخبارهم ، وعرف شؤونهم على اختلاف طبقاتهم وأزمانهم ، تبين له أن العرب أمة قديمة مضى عليها أمد طويل ، وأتى عليها حين من الدهر لا يعلم له مبدأ معين ؛ وهم في كل ذلك ما بين ارتفاع وانحطاط ، وترقٍ وهبوط ، واختلاف واختلاف ، وسعادة وشقاء ، وعزّ وذل ، وعسر ويسر ، ومن استقراء أحوالهم تبين أن مدار تقدمهم وارتقائهم على منصّة السؤدد ، وذروة العزّ ، أمور (منها : بالعلم) فإن العلم على اختلاف فنونه ، ونشعب غصونه ، من أعظم أسباب سعادة الانسان ، وهو نور محض به يهتدى أولو البصائر والعرفان ، ولا نغنى به إلا العلم النافع الدافع لحاجات النوع الإنساني وضرورياته ، فدخل فيه جميع العلوم العقلية والنقلية ، الفرعية منها والأصلية . وأما الجهل فهو أساس كل بلاء ، وأصل كل جهد وعناء ، فلذا ترى كل أمة استنارت عقولها بالعلم ، وتحملت بحمل الفضل ، لم تزل تتدرج في مدارج الارتقاء ، وتتلاوأ منها أنوار الهداية لسلوك سواء السبيل ، وكل أمة امتد عليها رواق ظلام

الجهل ، واستحكم فيها داء النباوة ، انسدت عيون بصائرهم ، وفقدت نتائج أفكارها ، فضلت عن سلوك الجادة ، وحرمت اجتناء ثمار السعادة ، وانصرفت بالصفات القديمة ، وتخلقت بالأخلاق الغير المستقيمة ، وتاهت في بيدها الحرمان وجاءها موج البلاء من كل مكان ، فبالعلم النافع تسكون الثروة ، وبالعلم تهذب الأخلاق ، وبالعلم يسود الدليل ، وبالعلم ينتصر على العدو ، وبالعلم يقهر الخضم الألد ، وبالعلم تفك أغلال الأعناق من أسر التقليد ، وبالعلم تترك الأماني ، وينال كل مقصد بعيد ، ومن باد من العرب وهلك إنما كان من الجهل بعد العلم والتمسك بعد الهدى » « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات الجناد التي لم يخلق مثلها في البلاد^(١) ونبود الذين جابوا الصخر بالواد^(٢) وفرعون ذي الأوتاد^(٣) »

(١) عاد : جيل من العرب العاربة أو البائدة ، يقول النسابون انه من ولد عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام . قال الشيخ محمد عبده : وسواء صح النسب أم لم يصح فقد كان ذلك الجيل معروفا باسم عاد ويلقب أيضا بإرم وبقي مشهورا عند العرب بذلك ، قال : وذات العماد وصف لإرم التي هي قبيلة عاد نفسها ، ومعنى ذات العماد سكان الخيام حلا وارتحالا أو ذات العماد الرفيعة والقوة المنيعة . عبر بالعماد عن العلو والشرف والقوة . وكانت منازلهم بالرمال والاحقاف الى حضرموت ، وقد بلغت عاد من الشدة والقوة مبلغا لم يصل اليه سواها في عهدها ولذلك قال : التي لم يخلق مثلها في البلاد . والاستفهام في « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » للتذكير والتقرير انتهى . وهذا هو التحقيق الذي يقطع به العقل السليم . ولضعفه المفسرين الذين أصيبوا بالاسلام منهم بداهية ذهية وفاقرة عظمية ورزية كبرى ، حكايات خرافية واقاصيص منحولة واساطير مفتعلة في تصوير أرم ذات العماد بسود من ذكرها وجه القرطاس وتلك البراءة في الجرى بها واللسان في تلاوتها . وكان يجب ان ينزه عنها كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولكن انى لتلك العقول السخيفة والادعمة المعصبة الجافة ان تتحرر من أغلال التقليد الأعمى فتتمتع في نعمة العقل تحت ظلال الحق . . . ؟

فإذا وقع اليك أيها الاخ الببيب شيء من كتب أولئك « المخلوقين » فانبذه وراءك ظهريا وأياك وان تفرك الكنى واللقاب ! (٢) نمود : قبيلة من العرب البائدة . وجابوا الصخر : قطعوه ونحتوه كما قال تعالى « وتحتسون من الجبال بيوتا فارحين » فقد أتم الله عليهم بالقوة والعقل حتى صنعوا لأنفسهم بيوتا من الصخر بذلك الوادى الذي كانوا يقيمون فيه . وقد يصح ما قال بعضهم ان معنى جابوا الصخر بالواد انهم قطعوا الصخر واتخذوا منه واديا يخزنون فيه الماء لأنفسهم . ولا يفعل ذلك إلا اهل القوة والفهم من الأمم . (٣) فرعون : حاكم مصر في عهد موسى عليه السلام . والأوتاد : المبانى العظيمة . وللشيخ متزع غريب في اختيار تفسير الأوتاد بالمبانى العظيمة لم أره لغيره .

الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب^(١)
 إن ربك لبالمرصاد^(٢) . وهكذا من بقى منهم إماما تفرق جمعهم ، وتشتت شملهم
 وأحدرهم القتل والمهوان ، والفقر والخسران ، بعد أن ضاقت عنهم الخزون
 والسهول ، ودوخوا البلاد والأقطار ، بسيف لم يصبها فلول ، لما خيم عليهم
 غمام الجهل ، وعصفت عليهم عواصف الفوابة ، واتباع الأهواء كما هو مفصل
 في كتب التفسير والحديث . هؤلاء أولاد إسماعيل عليه السلام ، ولا سيما قریش
 منهم إنما كانوا من المزبكان مكيين ، ومن السؤدد بحصن حصين ، بسبب
 ما كان لهم من العلم أوفر نصيب ، فأترن منه بالقدح الملى والرقيب فذلت
 لهم يومئذ القبائل ، ودانت لهم البلاد ، فلم يكن دونها حائل ، وبذلك سموا
 قریشاً كما قال الشاعر :

وقریشٌ هي التي تسكنُ البع رَ بها سُميتِ قریشٌ قریشا
 نأكلُ الفثَ والسَّمينَ ولا تترك فيه لدى جَنَاحَينِ ريشا
 هكذا في البلادِ حتى قریشِ يأكلونَ البلادَ أَكْلاً كَيْشاً^(٣)

ولم يزالوا على عزيمتهم ومجددهم ، واقبالهم وشرفهم ؛ إلى أن تناقص منهم العلم
 وتقلص عنهم ظل المعارف والفضائل ، وذلك قبيل الإسلام بنحو ثلثمائة سنة ،
 وهو المعنى بزمن الجاهلية على قول منصور ، فحينئذ شاع فيهم الجهل ، واختلت
 منهم الأحوال ، وفسد منهم أكثر الخلق المحمود ، وارتفعت منهم البركات ،
 وفشى فيهم المنكر ، وتناعدت منهم المم ، وفقرت منهم العزائم ، وتفرق منهم
 الشمل ، وكثرت فيهم البدع والأهواء ؛ إلى أن أشرقت عليهم أنوار بدر

(١) السوط : لفظ شاع استعماله في الجداد المضفور الذي يضرب به وان
 كان في الأصل اسماً للخلط والمزج . وصب السوط انزاله بشدة مع توالي
 ضرباته بلا انقطاع (٢) هو المكان الذي يقوم به الرصد وهو القوم الذين
 يرصدون أي يرقبون بالخير أو الشر . والكلام على التمثيل أي إن ربك القائم
 بتدبير أمرك رقيب على عباده لا يفوته من شئونهم شيء ، ثم هو مجاز كل
 عامل بعمله فلا يفوته أحد فلا يظن أهل الطغيان الذين يكثرون في الأرض
 الفساد أن يتفطنوا من الله وعقابه . (٣) سريعاً .

الإسلام ، وبعث الله تعالى من أنفسهم رسولاً مؤيِّداً بالآيات الباهرة ، والمعجزات الظاهرة ، مكرماً بطهارة الأعراق ، مشرفاً بما جيل عليه من مكارم الأخلاق ، التي تقض بها عوائد الفطر ، ويأين لها جميع البشر : من فروسيته وشجاعته وبأسه ونجدة ، وعزيمته وحمته ، وعلمه وحلمه ، وزهده وعبادته ، ورضاه وصبره ، وحمده وشكره ، وذكره وفكره ، واعتباره وتبصره ، وخوفه وخشوعه ، وتواضعه وخضوعه ، وكرم آيائه وجدوده ، وسخائه وجوده ، وفصاحته وصدق لهجته ، ورعايته للعهد ، ووفائه بالوعد ، وأمانته وشفقتة ، وحسن خلقه وخلقه ، وحيائه ولينه ، وثقته ويقينه ، وعفوه ورحمته ، وصفحه ورأفته ، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة ، والسمائل السديدة ؛ فوجدتم إذ ذاك ما بين عابد أوئان ، ومستترٍ على إيقاد النيران ، واجهد في تخريب البلاد ، وتعذيب العباد ؛ وجأتم على السجود للشجر ، والخصوع للحجر ، إلى غير ذلك من الضلال والنكر ، هذا مع ما كانوا عليه من الاستعداد والقابلية لقبول الخير ، ورجاحة الأحلام ، وصحة العقول ؛ فجد حينئذ بدعائهم إلى مافيه سعادتهم ، وكابد ما كابد في تفسير عوائدهم ، لاسيما قومه وعشيرته ، فقد نال منهم ما تشيب منه النواصي ، وتنهده الصياصي ، فإن العرب ولا سيما قريشاً — كما وصفهم الكتاب الكريم — كانوا من الدهاء واللد عند الخصومة وخلاصة الألسنة ، وبلاغة للنطق ، والتمسك بما ألفوه من العوائد ، على جانب عظيم — إلى أن جمعهم على كلمة الإيمان ، وعلمهم من المعارف والكمالات ما فيه سعادتهم دنيا وأخرى ، ومرتهم على محاسن الأخلاق ، وحشم على السعي والتكسب ، وأصلح لهم ما أفسدوه ، وجدد لهم ما بدلوه وغيره ، حتى نبعت من قلوبهم ينابيع الحكم الجمّة ، والمعارف النورانية ، وقاضت على الصدور والألسنة ، وامتلاً منها الكتب والدفاتر ؛ وأصبحوا أعلم من في الأرض ، فاما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا وكان لهم به علم وصرفة ! وبذلك تقدموا

يومئذ ذلك التقدم الذى بهر العقول ؛ واستولوا على غالب أقطار المعمورة ، وجلبوا عن القلوب ظلماتها ، وأشادوا الدين الحق على أمتن أساس ، وأخذوا العالم من جلبج الفساد .

ومن أسباب نصرهم انفاق كلمتهم

من للملوم الذى لا يستراب فيه أن القوم متى اتفقت آراؤهم ، واجتمعت كلمتهم . صاروا يداً واحدة على من سوام ، وانتصروا على عدوم ، وتشيد بنيان مجددم ، وهابهم من سوام ؛ وكان العرب أيام جاهليتهم لا تجمعهم كلمة ، ولا ينظمهم سلك نظام ، وعادى بعضهم بعضاً ، وانتشرت بينهم الحروب والمنازعات ، كما أخبرت بذلك كتب أيامهم^(١) فلذلك فشى فيهم يومئذ الليل والصفار ، وعظم الهوان ، إلى أن أخذت العناية الإلهية بأيديهم من ذلك العناء ، وجمع شملهم بكلمة الحق وأوجب عليهم الدين المبين الاعتصام بحبل الله ، وأن لا يفرقوا ، وأمرهم أن يكونوا كالبنين للرصوص يشد بعضهم بعضاً ، وكالجدد الواحد إذا شكا عضو منه شكا جميعه ؛ وكان بين الأوس والخزرج حروب أيام الجاهلية تطاولت نحو مائة وعشرين سنة حتى قارب أن ينفى الحيان ؛ فلما جاءهم الإسلام ، ونشرفوا به ، ارتفعت الشحناء من بينهم ، وأصبحوا يداً واحدة على من سوام ، وذلك قوله عز اسمه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأثف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) فلما ألف الله كلمة العرب على الإسلام ، وتوجهوا للطلب مافى أيدي الأمم من الملك ، لم يكن دونه حى ولا قوّر ، فكان لهم من الملك الواسع ما هو معلوم لمتبعي كتب الأخبار ؛ فلذلك كان خطباؤهم وحكاؤهم ينادون عليهم بالألفة ،

(١) أى حروبهم .

ويحذرونهم من التفرق واختلاف السكاسة ، وينذرونهم بما يستتبع ذلك من العواقب
الوخيمة والنتائج الفاسدة ؛ وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب مادل على ذلك
من شعرهم وخطبهم ووصاياهم ما فيه الكفاية ومنها :

العدل

العدل إذا كان شاملاً فهو أحد قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به ،
ولا صلاح فيها إلا معه ، وهو الداعي إلى الألفة ، والباعث على الطاعة ، وبه تتصمر
البلاد ، وبه تنمى الأموال ، وممه يكثر النسل ، وبه يأمن السلطان ، وليس شيء
أسرع في خراب الأرض ، ولا أفسد لضائر الخلق من الجور ، لأنه ليس يقف
على حد ، ولا ينتهى إلى غاية ، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل ؛
والعرب لما استناروا بنور الدين اللبين ، وجهت متبدد شملهم كلمة الحق ، ودان
لهم من دان من الأمم ، شملوا الناس بالعدل في أحكامهم إذ كان من أهم مقاصد
الشريعة الفراء ، وأعظم مطالبها وأجلّ قضاياها ؛ وبذلك نطقت آيات التنزيل .
منها : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ
أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ مُمِيعًا بصيراً) وفي الحديث
« بئس الزاد إلى الماد ، العدوان على العباد » إلى غير ذلك من النصوص التي
يضيق عنها المجال ، ومن وقف على سير الخلفاء الراشدين وغيرهم من أمراء
العدل من العرب ، تبين له أن ما كان من استقامة ملكهم واتساعه إنما هو بالعدل
الشامل ، ووضع الأمور في مواضعها ؛ والعدل باب واسع يجرى في أمور كثيرة
ومرجه إلى عدل الإنسان في نفسه ، ثم عدله في غيره ، فأما عدله في نفسه فيكون
بحملها على المصالح ، وكفها عن القبائح ؛ ثم بالوقوف في أحوالها على أعدل الأمور
من تجاوز أو تقصير ، فإن التجاوز فيها جور ، والتقصير فيها ظلم ومن ظلم نفسه فهو
لغيره أظلم ، ومن جار عليها فهو على غيره أجور ؛ وأما عدله في غيره فهو على أقسام :

منها عدل الإنسان فيمن دونه : كالسلطان في رعيته ، والرئيس مع صحبته ، ويدخل فيه الرجل مع أهل بيته ، والأستاذ مع تلامذته ، والسيد مع خدامه وأرقائه ، ففي الحديث « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » والعدل هنا يكون باتباع الميسور ، وحذف الميسور ، وترك التسلط بالقوة وابتغاء الحق في الميسور ، فإن اتباع الميسور أდوم ، وحذف الميسور أسلم ، وترك التسلط أعطف على المحبة ، وابتغاء الحق أبث على النصرة ؛ وهذه أمور إن لم تسلم للزعيم المدبر كان الفساد ينظره أكثر ، والاختلاف بتدبيره أظهر ، وفي الحديث « أشد الناس عذاباً يوم القيامة من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه » وعن بعضهم « ليس للبجائر جار ، ولا تعمر له دار » وعن آخر « أقرب الأشياء صرعة الظلوم ، وأفذ السهام دعوة للظلم » ومنها : « عدل الإنسان مع من فوقه كالرعية مع سلطانها ، والصحابة مع رئيسها ، وعائلة الرجل معه » وغير ذلك ، فقد يكون بإخلاص الطاعة ، وبذل النصرة ، وصدق الولاء ، فإن إخلاص الطاعة أجمع للشل ، وبذل النصرة أضعف للوهن ، وصدق الولاء أنقى لسوء الظن وهذه أمور إن لم تجتمع في المرء تسلط عليه من كان يدفع عنه ، واضطر إلى انقياد من يتقى به ، قال البخاري :

مَنْ أَحْوَجَ ذَا كَرَمٍ مُخْطَى إِلَيْكَ بِيَعُضِ أَخْلَاقِ الثَّامِ
وفي استمرار هذا حل نظام جامع ، وفساد صلاح شامل ، قال بعض الأكابر « ألع من فوقك يطمك من دونك » ومنها : عدل الإنسان مع أكرهائه ، وذلك بترك الاستطالة ، وبجانب الإدلال ، وكف الأذى ، لأن ترك الاستطالة آلف وبجانب الإدلال أعطف ، وكف الأذى أنصف ؛ وهذه أمور إن لم تخلص في الأكفاء أسرع فيهم تقاطع الأعداء ففسدوا وأفسدوا ؛ وهذا كلام إجمالي على العدل وأقسامه ، والتسكف بتفصيله ، واستيما بجزئياته كتب الشريعة ؛ والمقصود هنا بيان أن من جملة ما أوجب تقدم العرب بمد انحطاطهم

لزمهم جادة العدالة ، والاتحاد عن مسالك الظلم ، والبني والمدوان ، وقد تنبه بعض أكابرهم أيام الجاهلية لما يترتب على العدل من المصالح فتماعدوا بينهم على مجانبة الظلم ، والمباعدة عن الجور ، وترك البني على الناس ، فقدوا حلف الفضول وغيره في مكة على ما سبق بيانه أوائل الكتاب ، وقد أعرضت عن ذكر أمور آخر أوجبت تقدمهم فيها تترتب على ما ذكر من الأصول الثلاثة التي هي منشأ كل خير ، وبالله التوفيق .

سكنة البوادي من العرب وما استأزوا به عن الحضريين

البادية هي الأرض التي ليس فيها بناء من دور وقصور وغير ذلك ، وهي البدو أيضاً والنسبة إليه بدوى ، وفي الحديث « من بدا جفا » أى من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب . والبداوة الإقامة بالبادية وهو خلاف الحضارة ، وللبدى خلاف الحضرة ؛ ولما كان سكنتى البادية تقتضى صيانة المزا والشرف رجحها غالب العرب على الحضرة ، وكثر حنينهم إليها ، وذكر وحشها وطيرها ورياضها ونبتها وشجرها وأغوارها وأمجادها ورياحها ومياهها ، ولا زالوا يفخرون في شعرهم بسكناها قال القطامي (١) :

وَمَنْ تَكُنِ الحِصَارَةَ أُعْجِبْتُهُ فَأَيُّ رِجَالِ بَادِيَةٍ تَرَانَا (٢)

(١) بفتح القاف وضمها كما نص عليه ابن الشجري في أماليه ، والمجد في قاموسه ، وسيد الرحيم الصبسي في معاهده ، وقول إبراهيم اليازجى في مجلة الضياء : أن الصواب الضم ، وهم من أوهامه الناشئة من غروره وهوميه ، وقلة تتبعه ودرسه ! والقطامي لقب غلب عليه واسمه عمير بن شبيب ، وهو شاعر إسلامي مقل ، رقيق الحواشي ، كثير الأمثال ، حسن التشبيب .. وهو صاحب هذا البيت :

أنا محيوك فاسلم أيها الطلل وان بليت وان طال بك الطيل
الذى انتحل صدره جميل الزهاوى المتفلسف فقتل في مدح أمير عربى :
أنا محيوك فاسلم أيها الملك ومصطوك لعرش شاءه الفلك !!
(٢) يقول : إن كل ما أعجبك من رجال الحضرة فهو أكثر بيننا منهم وإن كنا أهل بادية .

وَمَنْ رَهِطَ الْجَعَشَ فَإِنَّا فِينَا قَتَا سُلَيْمًا وَأَفْرَاسًا حِسَانًا^(١)
وَكُنَّا إِذَا أَغْرَزْنَا عَلَى جَنَابِهِ وَأَغْوَزَهُمْ نُهْبٌ حَيْثُ كَانَا^(٢)
أَغْرَزْنَا مِنَ الصِّيَابِ عَلَى حُلُولٍ وَضَبَةٍ إِنَّهُ مِنْ حَانَ حَانَا^(٣)
وَأَحْيَانَا عَلَى بَكَرٍ أَخِينَا إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا^(٤)

وقال آخر من قصيدة يمدح بها قوماً من سكة البادية :

لِلوَقْدُونَ بِجِدْرِ نَارٍ بَادِيَةٍ لَا يَحْضِرُونَ وَقَدْ عَزَّ فِي الْحَضَرِ
وقال آخر :

هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه من نسل شيانَ بين الصَّالِ والسَّلمِ^(٥)
— وروى أن ميسون بنت بَعدل لما اتصلت بمعاوية ، وقلها من البدو إلى
الشام ، وكانت تكثر الحنين إلى أناسها ، والتذكر لسقوط رأسها ، فاستمع عليها
ذات يوم وهي تنشد هذه الأبيات : —

لَبِيتَ تَحْفَقُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفٍ^(٦)
وَلَيْسَ عِبَادَةٌ وَتَقَرُّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لِبْسِ الشَّفُوفِ^(٧)

(١) يقول : وإذا رضى أهل الحضر باقتناء الحمير وربطها فإنا لا نرضى إلا
بما عندنا من الرماح التي تسلب النفوس والخيول الحصان التي تعين على
دفع الأعداء . (٢) وكن : أى الخيل أنزلها منزلة أربابها وهم المقيرون . وجواب
إذا أول البيت بعده والجملة خبر كن (٣) معنى البيتين ذلك وهذا : أن أرباب
الخيول منا كانوا إذا أغلروا على ناحية ، وتصر عليهم السلب والنهب من
الاباعد عطفوا على الأقارب : الضباب وبكر وغيرهم . والحلول . الذين يكونون
في مكان واحد وقوله « أنه من حان حانا » هذا التفتات كأنه التفت إلى
إنسان وقال له : أنه من هلك بفزونا فقد هلك (٤) « على بكر » متعلق بفعل
مضمر دل عليه ما قبله كأنه قال : وأحياناً أغر على بكر . (٥) شيان : بن ذهل
وشيبان بن ثعلبة قبيلتان . والصال والسلم : شجرتان من شجر البادية .
وفرداً : منصوب على المدح أو الحال . والمعنى : هذا المثلر إليه صاحب الاسم
المشهور إذا ذكر رجلاً فرداً في محاسنه وفضائله من نسل شيان واولاد هذه
القبيلة المقيمين بالبادية والإقامة بها مما تمدح به العرب لأن فقد العز في الحضر !
والبيت من شواهد المعاني . وقاله ابن الرومي الشاعر المشهور صاحب النظم
العجيب ، والتوليد الغريب ، (٦) قوله « البيت » اللام لا الانتدام وتخفق تضطرب
والأرواح والأرياح : جمع ربح . والمنيف العالي . (٧) تقر : منصوب بأن مضمومة بعد
الواو ، و « أن تقر » في تأويل مصدر معطوف على مصدر هو « ولبس عبادة »
والشئوف جمع شف وهو الثوب الرقيق سمي بذلك لأنه يرق فيحكى ما تحته .

وأكل كُسيرة في كُسرة يتي أحبُّ إلى من أكل الرغيف^(١)
وأصوات الرياح بكلِّ فجٍّ أحبُّ إلى من نقر الدُّفوفِ
وكلب ينبع الطُّرَّاقَ دوني أحبُّ إلى من قطره ألوف^(٢)
وبكر يتبع الأظمان صعب أحبُّ إلى من ينل زفوف^(٣)
وخرق من بنى عى نحيف أحبُّ إلى من عِلج عليف^(٤)

فلما سمع معاوية الأبيات قال لها : ما رزيت ابنة بجذل حتى جعلتني عجباً
عنيفاً ؟ وهذا من حنين أهل البادية إليها ، والتبيرة من الحضر ، وذكر الراغب
أن امرأة ضبية تسمى حسانة قدمت على بركة في روضة بين الراحين والأزهار
في اللف وقت وأبهجه — وكانت قد احتملت من البادية إلى الحضر — فقيل
لها : كيف حالك هنا ؟ أليس هذا أطيب مما كنت فيه بالبادية ؟ فأطرقت ساعة ،
ثم تنفست وقالت : —

أقول لأدنى صاحبي أيسره وللعين دمع يُخْذِرُ الكحل ساكبه :
لعمري لتهزُّ باللوى نازح القذى بعيد النواحي غير طرقي مشاره^(٥)
أحبُّ إلينا من صهاريج مُلئت للعب ولم تمنحْ لذي ملاعبه^(٦)
فياحبذا نجدُ وطيبُ ترابه إذا هضبت بالمشى هواضبه^(٧)

(١) الكسيرة (بالتصغير) القطعة من الخبز . والكسر : طرف الخساء من
الأرض (٢) الطراق : جمع طارق وهو الذي يأتي ليلاً . (٣) البكر : (يفتح
الموحدة) الفتى من الإبل . والأظمان : جمع ظمينة وهي المرأة ما دامت في
الهودج وقيل غير ذلك (انظر ج ٢ ص ١٢٤) وصعب : صفة لبكر . وروى
سقب وهو الذكر من ولد أئناقة . والزفوف : السريع (٤) الخرق : الفتى
الحسن الكريم الخليفة والعليج : الرجل الضخم ، ويحتمل أن تريد أن الأمر
أحب إليها من ذي الحية . قال أبو زيد : يقال لكل ذي لحية عليج ولا يقال
القلام إذا كان أمدد عليج . والآول أنسب لقولها (عليف) أي مسمن بالعلف .
قال الأعلام : تعني به معاوية لقوته وشده ، مع سمنه ونعمته (٥) اللوى :
ما التوى من الرمال . والنزاح : القذى الصافي الذي لا يسوبه كدر والطرق :
الماء الذي خاضته الإبل وبالت فيه (٦) الصهاريج جمع صهريج وهو حوض
يجتمع فيه الماء وبركة مصهجة معمولة بالصاروج وهو شيء يخلط بالنورة
وطأى به الحياض ونحوها وهو مغرب (٧) هضبت السماء : فاضت ،
وَالهَاضِبَةُ : السحابَةُ .

وربح صَبَاً بُجْدًا إِذَا مَا تَنَسَّمت ضحى أوسرت جَنَحَ الظَّلامِ جَنَائِهِ ^(١)
 وأقسمُ لا أنساء مادمت حيةً وما دام ليل من نهار يعاقبه
 ولا زال هذا القَطَرُ يُسْفِرُ لوعةً بذاكراه حتى يترك الماء شاربهُ
 وقال آخر ^(٢) وقد تذكر بعض أودية البوادي فصبا إليه : —
 وحَبْدًا حين تُمسي الريحُ باردةً وادى أَشَى وَفَتِيانٌ به هُضمٌ ^(٣)
 ياليت شعري عن جَنَّتِي مُكَشَّحةً وحيث تُبْقِي من الحَناءِ الأَظُمُ ^(٤)
 عن الإِشاعة هل زالتْ مَخارِبُها وهل تَغَيَّرَ من آرامِها لِمَ ^(٥)
 وجنة مايزم الدهر حاضرها جبارها بالندی والحمل محترم ^(٦)
 وقال أعرابي انتقل من البداوة إلى الحضارة فرأى الكاء (وهو طائر برى)
 في الحضر ، وكان قد عهدده يفرخ على شجر الألاء والأرطى ^(٧) ، فقال لهذا
 الطائر : فارق هذا المكان فإنه ليس لك فيه الشجر الذى نعيش عليه ، وأشفق
 من أن تمرض كما مرضت ؛ وذلك معنى قوله :
 ألا أيها الكاء مالك هنا الأء ولا أرطى ، فأين تبض ؟

(١) الجنائب : ربح تهب من مطلع سهيل في الجنوب الى مطلع الثريا .
 (٢) هو زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث ، ويقال له زياد بن منقذ
 أحد بني عدى من بني تميم « وكان قد نزل (صنعاء) فاستوباها ، وكان
 منزله بجند في (وادى اشى) فنظم قصيدة مطربة مشجبة يتشوق فيها الى
 بلاده ، ومنها هذه الابيات . وقد أوردها أبو تمام في باب النسيب من ديوان
 الحماسة . . (٣) برد الريح بدل على القحط لوقوعه شتاء . وادى اشى :
 موضع بالوشم . والوشم : واد باليمامة فيه نخل . وهضم . جمع هضوم
 وهو الذى يصرف ماله ويبدله كيفما شاء في الضيافة (٤) مكشحة : موضع
 باليمامة يشتمل على خمس قرى عليها سور واحد من لبن وفيه نخيل وزروع .
 وقال الخفصى : هو نخل في جزع الوادى قريبا من اشى ، والحناء : رمل من
 رمال عالج ، والأظم : الحصن . (٥) عن الاشاعة : بدل من « جنبى مكشحة »
 وهو موضع أيضا والمخارم : الطرق في الجبال . والأزم : الطريق — ومعنى
 البيتين : ياليت علمى بأحوال هذه المواضع هل هى باقية على ما عهدتها أم
 تغيرت (٦) الجبار : النخلة الطويلة ، والندی : الرطوبة . والحمل : الطلع .
 والاحتزام : الالتفاف والمراد فيها الخصب . يقول : واستخبر أيضا عن أحوال
 جنة تحمل أبدا وتقدم مخضرة معمورة بالنخل التى يجتنى منها الثمر .
 (٧) الألاء : كسحاب شجر مر دائم الخضرة . والأرطى : شجر كنود
 الخلاف وثمره كالصناب مرة تأكلها الإبل غضة وعروقه حمر .

فاصعد إلى أرض المسكاكي واجتنب قري مصر، لا تُصَيِّح وأنت مريض
وقال عبد لبني قريط يقال له (مطير) اشتاق إلى أرضه :
أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَيْنَنَ لَيْلَةً (صداء) منى (والبياض) بيمد^(١)
بوادٍ من اللباء أعلاه عوسجٌ وأسفلُه رِمَتْ عليه جعيد^(٢)
وهل أسمعُ الصعر أصواتَ فَيَّةٍ بذى الموزوى من ناشئه ووليد
وقال آخر :

أَيَا جَبَلِيٍّ غَوْرِيَّ تَهَامَةً كُلَّمَا تَطَالَّتْ نَجْدًا أَشْرَفْتُ لِي ذِرَاكَا
عَدَمْتُكَ لَا يُونُسَ النَّاطِرَ الْفَنَى بِهِ الشَّوْقُ شَيْثًا دُونَهُ قَلْنَا كَا
أَصَابِكَا مِنْ حَبٍّ نَجْدٍ حَرَارَةً وَغَلَّ فَلَا يَرَوِي بِمَاءٍ صَدَا كَا
وقال قائد بن حكيم متشوقاً إلى أرضه :

مَنْ الْعَيْسُ مِنْ مِصْرَيْنَا رَافِضَاتِنَا إِلَى نَجْدٍ أَوْ بَادٍ لِيَنْقِي قَلَامَا^(٣)
وَمَزَجَ إِلَيْهَا الطَّرْفَ حَقِّي يَرِدُهُ قَوْسُ الْقَرَى فِي الْبَعْدِ يَنْقِي آلَمَا^(٤)
عَلَى مَتْنٍ عَادِي كَأَنَّ أَمَارَهُ رِجَالُ تَنَادَى أَفْلَطْنَاهَا جَهْلَاهَا
وقال :

خَلِيلِي إِنْ حَانَتْ بِمِصْرٍ مَنِيَّتِي وَأَزْمَعْنَا أَنْ تَحْفَرَا لِي بِهَا قَبْرَا
فَلَا تَنْسِيَا أَنْ تَقْرَأَا لِي عَلَى الْفَضَى وَنَجْدٍ سَلَامًا لَا قَلِيلًا وَلَا نَزْرَا
وَأَنْ سَرَتْ يَاسِبِحَانِ رَبِّي بِالْفَضَى أَوْ الْمَرْتِ مِنْ نَجْدٍ مَخْبِئَةً صَمْرَا
وقال آخر :

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَيْنَنَ لَيْلَةً بِصَحْرَاءَ مَا بَيْنَ الْجَنُومِ إِلَى شَعْرَى ؟

(١) صداء : ماء معروف (بالبياض) وهو بلد بين سعد بن زيد مناة وكعب ابن كلاب - عن نصر (٢) الرمت : مرعى للأبل من الحمض وشجر يشبه الفضي . ومرعى جهيد : جهده المال . وهذا كلا يجهد المال إذا كان يلح على رعيته (٣) العيس : الأبل البيض يخالط بياضها شقرة (٤) يقال : قمست الأكام في السراب (وهو الآل) إذا ارتفعت فرايتها كأنها تطفو (٥) المرت : المغارة بلا نبات أو الأرض لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها . والمخيسة : الأبل التي لم تسرح ولكنها حبست للثحر أو القسم .

وهل أَرَدَنَ العَيْنَ والشَّلَّ جامعٌ
 وميث اللوى من قصد مطلع الفجر؟
 فكيف ولم أصبح أحدث فتية
 كرام المساعي من ربيعة أو وبر؟
 حتى يَرَّ بهم في كل يوم كربة
 مصائب أمثال للعبدة الزهر^(١)
 وقال آخر :

ألا يا ديارَ الحى والحى جيرة
 بحيث تهنت في العروقِ جَبوبها
 سقتك نجلا من ربيع تنابست
 عليك وهبت غير نفس جنوبها^(٢)
 ألا ليت شعري هل يَمُودُنَّ ماضى
 لنا فيك ، أم هل تفرنّ ذنوبها ؟
 وقال آخر :

لقد كان بالدهنا حياةً للذيذة
 ومحتطب لا يشتري بالدرام
 وقال صدقة بن نافع القيلي متشوقاً إلى دياره وكان بالجزيرة :
 أَرقت بحران الجزيرة مَوْهِنًا
 لبرق بدالى ناضب متعال^(٣)
 بدا مثلَ تلماع الفتاة بكفها
 ومن دونه نأى وغير قلال
 فَمِثُّ كَأَن العَيْن تكحل فلفلا
 وبى عس حى بين وملال
 فهل يَرَّجِمُنْ عيش مضى لسيله
 وأظلال سدر يانع وسَيَّال ؟
 وهل ترجعنْ أيا منا يَمْتَسَّالِج
 وشرب بأوشال لهن ظلال ؟
 ويبض كأمثال للآه يَسْتَبِينَا
 بقيل ، وما مع قيلين فصال ؟
 إلى غير ذلك من الشعر المشتمل على الحنين إلى البادية وما فيها ، والشعراء
 الإسلاميون سبقوا الجاهليين إذا سلكوا مسلكهم ومنهاجهم ، والأموى في نجدياته
 وعراقياته أتى بما لم يسبق إليه . من ذلك قوله :
 وأسرى بعيس كالآهلة فوقها
 وجوه من الأقصار أبهى وأنورُ

(١) السرب : القطع من الظباء والنساء وغيرها (٢) النجاء ككتاب جمع
 النجو للسحاب (٣) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه .

ويعجبني فتح العمار وربما
ويخشد غدى بالحي صفحة الثرى
إذا جرّ من أذيله المتحقر^(١)
ورود بمستن البرامع أكر^(٢)
على العز والكوم للراصيل تنحر^(٣)
ويسمو إليه الطارق للتوز^(٤)
وقوله :

خليل هذا ربّ لي بنى القصى
وقد كنّا لي مستعدين على البكا
أظنّ وحيداً لا أرى من أحبه
ولو غاب عني واحدٌ منكاً وهت
فكيف أذود المم عن تجلداً
وقوله :

بمنشط الشيخ من نجد لنا وطن
إذا رأى الأنق بالظلماء مختمراً
ونشفة من حرّار هزّ لمسه
تشقّ غليلاً بصدرى لا يزحزحه
لم تجر ذكراه إلا حق مغترب^(٥)
أمسى وناظره بالدمع منتقب
روحة في سراها مسها لقب
دمع تهيب به الأشواق منسكب^(٦)
وقوله :

ونضة من ربّ ذى الأمل قابلي
ولم يطلب تربها من روضة أف
لكنّ ذا الأمل طالب الواديان به
بها نسيم يزيد القلب أحزانا
فهاج رياه أطراباً وأشجاناً^(٧)
حيث الرّباب تجرّ الذيل أحيانا

(١) العمار : بها والبر والعرين : الاتف (٢) حرس الضب يحرسه : صاده
(٣) الكوم : القطعة من الأبل . وناقة كوما : عظيمة السنم طولته .
والراصيل : الخفاف التي تمطيك ما مندها عفوا (٤) الطارق : الزائر ليلا .
(٥) منشط مفعل من نشط اذا خرج . والشيوخ : نبت (٦) أهاب به ،
زجره (٧) روضة انف : لم ترع .

ولم يكن لى أكناف الحمى وطننا ولا الفوارس من نهبان جيراننا إلى غير ذلك مما يطول ذكره ، وقد أطنب المسعودى فى اختيار العرب سكنى البوادرى وسببه (وهذا ملخص ما ذكره) قال : ورأت العرب أن جولان الأرض ونخبير بقاعها على الأيام أشبه بالرز ، وألقى بذى الأفة ، وقالوا نكون محكين فى الأرض نسكن حيث نشاء أصلح من غيره . قال : وذكر آخرون أن القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الأخطار ، وقيل لهم والأقدار ، وشدة الأفة والحمة من المرة والحرب من العار ، بدأت التفكير فى المنازل ، والتقدير للمواطن فتأملوا شأن المدن والأبنية فوجدوا فيها مرة وقصا ، ومنهم من قال : إن الأرضين تمرض كما تمرض الأجسام ، وتلحقها الآفات ، والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح إذ الهواء ربما قوى فأضر بأجسام سكانه ، وأحال أمزجة قطانه ، ومنهم من قال إن الأبنية والتحويط حصر عن التصرف فى الأرض ، ومقطعة عن الجولان ، وتقييد للهم ، وحبس لما فى التراز من المسابقة إلى الشرف ، ولا خير فى اللبث على هذه الحالة ، وقالوا إن الأبنية والأطلال تحصر الغذاء ، وتمنع اتساع الهواء ، وتسد سרוحه على المرور ، وقذاء عن السلوك ، فسكنوا البر الأفيع الذى لا يخافون فيه من حصر ، ولا من منازلة ضر ، هذا مع ارتفاع الأقداء ، وسماحة الأهواء ، واعتزال الوباء ، وتهذيب الأحلام فى هذه المواطن ، وتقاء القرائع فى التنقل فى المساكن ، وصحة الأمزجة وقوة التظنة ، وصفاء الألوان ، وصيانة الأجسام ، فإن القول والآراء ، تتولد من حيث تولد الهواء . وطبع الهواء القضاء ، وفى هذا أمن من العاهات والأسقام والعلل والالام ؛ فأثرت العرب سكنى البوادرى والحلول فى البيداء ، فهم أقوى الناس هما ، وأشدم أحلاما ، وأصمهم أجساما ، وأعزم جارا ، وأحماهم ذمارا ، وأفضلهم جوارا ، وأجودهم فطنا ، لما أكسبهم إياه صفاء الجو ، وتقاء القضاء ، لأن الأبدان تحتوى أجزاءها على متكاتف الأكدار ، وعناء

الأقذار ، بما يرتفع إليه ، ويتلاطم في عرصاته ، واقفة من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه ، ففى أكنافه جميع ما يتصعد إليه ، وكذلك تراكيب الأعداء والأدواء والساهاة فى أهل المدن ، وتركبت فى أجسامهم ، وتضاعفت فى أشعارهم وأنثارهم ، فضلت العرب على سائر ما عداها من بوادى الأمم المترضة ، لما ذكر من تخيرها الأماكن ، وارتياح المواطن ، قال السعوى : وكذلك جانبوا فضاضة الأكراد ، وسكان الجبال ، من الأجيال الجافية ، وغيرهم الذين سكنوا خروت الأرض ودهاسها ، وذلك لأن هذه الأمم الساكنة هذه الجبال والأودية تناسب أخلاقها مساكنها فى انخفاضها وارتفاعها لعدم استقامة الاعتدال فى أرضها ، فلذلك كانت أخلاق قطنها على ما هى عليه من الغلظ :

وقد وفد على كسرى أنوشروان بعض خطباء العرب فسأله كسرى عن شأن العرب وسكنائها واختيارها البدو ؟ فقال : أيها الملك ملكوا الأرض ولم تملككم ، وأمنوا من التحصين بالأسوار ، واعتمدوا على المهرقات البائرة ، والرماح السائرة ، فن ملك قطعة من الأرض فكأنها كلها له يردون منها خيارها ويقصدون أطرافها ، قال : فأين حظوظهم من الفلك ؟ قال : من تحت القردة ورأس الحجر وسعد الجدى مشرفين على الأرض بحسب ذلك ! قال : فإرياحها ؟ قال : أكثرها النكباء بالليل والصبا عند انقلاب الشمس ، قال فكم الرياح ؟ قال أربع فإذا انحرقت واحدة منهن قيل نكباء ، وما بين سهيل إلى طرف بياض القنجر جنوب ، وما بازائها مما يستقبلها من المغرب شمال ، وما جاء من وراء الكعبة فى دبور ، وما جاء من قبل ذلك فى صبا ، قال : فما أكثر غذائهم ؟ قال : اللحم والابن والنبذ والتمر ، قال فما خلائهم ؟ قال : العز والشرف والمكارم وقرى الضيف وانذار الجار وإجارة الخائف وأداء الحملات^(١) وبذل المهج فى المكرمات ،

(١) الحملات : الدية والغرامة .

وهم سداة الليل ، وليوث القيل ، وعمار البر ، وأنس القفر ، ألفوا القناعة ، وسبقوا الضراعة ، لهم الأخذ بالثار ، والأنفة من العار ، والحماية للذمار ! قال كسرى : لقد وصفت هذا الجبل كرمًا ونبلا ، وما أولانا بأنجاح ذلك فيهم ! فتخيرت العرب البرارى والمهامه والمصاف ، فنههم المنجد والمتهم ممن سكن أغوار الأرض كخوربيسان وغور غزة من أرض الشام من بلاد فلسطين والأردن ومن سكنه من غلم وجذام ؛ ولجميع العرب مياه يجمعون عليها وقطع من الأرض يعرجون عليها كالرها والسماوة والتهائم وأنجاد الأرض والبقاع والقيعان والوهاد ، ولست ترى قبيلة من العرب توغل عن الأماكن المعروفة لهم ، والمياه المشهورة بهم ، كاه ضارج وماء العتيق والسباط وما أشبه ذلك من المياه وقد استوقفاها الزغشرى وأبو لعدة الأصمغاني وغيرهما من الأئمة في كتبهم للمشهورة .

ما امتاز به عرب البوادي عن أهل الحضر

الفرق بين سكنة البوادي وبين سكان البلاد والقرى مما يظهر لكل أحد وذلك في الأجسام والحواس الظاهرة والباطنة والصور والأخلاق والقوة والضعف ولحمة اللسان وسماحة اليد والجرأة والشجاعة وغير ذلك مما يطول ذكره حتى إن من وازن بين نبات البادية ونبات البلد وجد بينهما فرقا من وجوه مختلفة ، وكذلك وحشه ودوارجه وطيره وسائر ما يكون في البر فإنه ممتاز عما يتكون في البلد في الخواص والأوصاف ، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته عدة فصول مشتملة على فروق بين القرين .

« منها » أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه ، وأن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها لأن البدو هم المقتضرون على الضروري في أحوالهم الماجزون عما فوقه ، وأن الحضر المقتنون بماجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجى والكمال وسابق عليه ، ولأن الضروري

أصل والكمالى فرع ناشئ ، قاليدو أصل المدن والحضر وسابق عليهما لأن أول مطالب الإنسان الضرورى ، ولا ينتهى إلا الكمال والترف إلا إذا كان الضرورى حاصلًا فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة ، وأطال الكلام فى بيان ذلك .

« ومنها » أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر ، وذلك لأن النفس إذا كانت على القطرة الأولى كانت متهيئة لقبول مايرد عليها وينطعم فيها من خير أو شر ، ويقدر ماسبق إليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر ، ويصعب عليها اكتسابه ، فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير ، وحصلت له ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه ، وكذا صاحب الشر لمذا سبقت إليه أيضًا عوائده :

« ومنها » أن أهل البدو أقرب للشجاعة من أهل الحضر ، وذلك لأن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة ، وانغمسوا فى النعيم والترف ووكّلوا أمرهم فى المداغة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم ، والحاكم الذى يوسمهم والحامية التى تولت حراستهم ، واستنماوا إلى الأسوار التى تحوطهم والحرز الذى يحول دونهم ، فلا تهيجهم هيعة ، ولا ينفّرهم صيد ، فهم غارون آمنون قد ألقوا السلاح ، وتوالت على ذلك منهم الأجيال ، وتنزّلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على أبى مثوأم ، حتى صار ذلك خلقًا يتنزل منزلة الطبيعة ، وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع ، وتوحشهم فى الضواحي ، وبعدهم عن الحامية ، واقتبأهم عن الأسوار والأبواب ، قائمون بالدفاع عن أنفسهم لا يكلونها إلى سوام ، ولا يتقون فيها بغيرهم ، فهم دائمًا يحملون السلاح ، ويتلفتون عن كل جانب فى الطرق ، ويتجافون عن الهجوع إلا غرارًا فى المجالس وعلى الرجال وفوق الاكتاب ، ويتوجسون للنبتات والهيئات ، ويتفردون فى القفر والبيداء ، مدلين بيأسهم ، واقفين بأنفسهم ، قد صار لهم البأس خلقًا ،

والشجاعة سجية ، يرجعون إليها متى دعاهم دافع أو استنفروهم صارخ ، وأهل الحضرة متى خاطبهم في البادية أو صاحبهم في السفر فهم عيال عليهم لا يملكون عليهم شيئاً من أمر أنفسهم ، وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواحي والجهات وموارد المياه ومشارع السبل .

« ومنها » أن معاناة أهل الحضرة للأحكام مفسدة للباس فيهم ، ذاهبة بالمنفعة منهم ، وأن الحضرة لا يمكنه سكنى البدو بل لا يمكن أن يسكنه إلا القبائل ، وأن الصريح من النسب إنما يوجد لأهل البادية من العرب لا أهل الحضرة منهم ، وأن أهل البادية أقدر على التغلب من سوامهم ، وأن الأمة إذا كانت بدوية وحشية كان ملكها أوسع ، وأن أهل البادية من العرب لا يتغلبون إلا على البساط ، وأن البدويين إذا تغلبوا على الأوطان أسرع إليها الخراب بخلاف أهل الحضرة ، وأن أهل البادية من العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك ، وأن أهل البادية من القبائل والمصائب مغلوبون لأهل الأمصار ، وأن أهل البادية قاصرون عن سكنى المصر الكثير العمران . وقد أطنب في الكلام على بيان أسباب هذه الفروق مما لا حاجة إلى نقله ، ومن أضمن النظر ، ودقق في أحوال الفريقين ، ظهرت له فروق أخرى ، وسبحان من ميز كل قوم بمخصائص لا توجد في غيرهم ، وصفات لا تتعداهم إلى من سوامهم (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآياتٍ للعالمين) .

خاتمة الكتاب

هذا آخر ما يترده في التوفيق والانعام ، من بيان ما كان عليه العرب قبل الاسلام ؛ وقد جاء بحمد الله تعالى بهجةً للناظرين ، ونزعةً للقارئين ، يَبْدَأُ أن ما أورده في كل باب ، دُرَّةً عَقْدٍ نحر وقطرة من بحر عُبَابٍ ، فإنَّ أحوال طبقة واحدة من طبقات أولئك الأخيار ، لا يقوم باستيعابها عدة أسفار ، ولو

سلك القلم سبيل الاختصار ، وعسى الله تعالى أن يقيض لإنجاز هذا المرام ،
بعض ذوى المهمة العلية من أئمة الأدب الأعلام ، فقد سهل الطريق ، على من
ساعده التوفيق ، فالرب عن يميني الاعتناء بذكرهم ، ويفحص عن طيب
خبرهم فهم أهل المآثر ، وأصل الفضائل والمفاخر ، بمزايهم تزينت صفحات
الطُرُوس ، وبمجد سجاياهم تبسم وجه الدهر الميوس ؛ وسنفرد إن شاء الله تعالى
أحسن كتاب ، يستوعب أحوال من بقى اليوم من أولئك القوم الأنجابه ، وقد
انتشروا في البلاد ، وملأوا الأغوار والأنجاد ، وفيهم مما كان عليه أسلافهم بقايا ،
وفيهم من هاتيك المسكارم والسجايا ولست أعنى بهم كل من تكلم بلنهم أو سكن
في خطتهم ، واقسم بسمتهم :

فا كلّ مخضوب البنان بثينة ولا كل مصقول الحديد يمانى
وأبأل الله تعالى الأجر الجزيل ، والذكر الجليل ، إذا فنى الجسم ، ونسى
منى الاسم ، والحمد لله ذى الأنعام ، فى البدء والختام ، وهو الأول بلا عدد ،
والآخر بلا أمد ، الحكيم بغير توقيف من أحد ، الذى أحسن لما أودب ، وأجزل
لما وهب ، حمداً متصل المدد ، جارياً على الأبد ، وصلى الله على النبي الأمي ،
ذى الأصل الزكي ، والقلب الذكي ، والكف الندي ، والزند الورى ، ذى الرسالة
الصادقة ، والمقالة الناصحة ، والعقرة الصالحة ، والأسرة الناصحة ، صلاة جامعة بينه
وبين أهله الطاهرين الأبرار ، الطيبين الأخيار .

وكان الفراغ من تسويده غرة جماد الآخرة من السنة الرابعة بعد الثلاثمائة
والألف من الهجرة ١٣٠٤ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ؟

أنظر الفهارس

ثلاثة فهارس

الفهرس الأول — فى موضوعات الكتاب

الفهرس الثانى — فى أسماء الرجال والنساء

الفهرس الثالث — فى أسماء البلدان والقبائل وغيرها

الفهرس الأول

في موضوعات الكتاب

صفحة	صفحة
٧٦	الغائب إذا لم يقفوا على خبره ٣٠
٨٠	ما يطفئ نار الحرب بزعمهم ٤
٨٢	مذاهبهم في الخرزات والرقى ٥
٨٤	مذاهبهم في الوشم ١٠
٨٥	النيابة والتدب ١١
أنفة شعراءهم من التكسب	النعى ١٣
٩٠	قولهم للبيت لا تبعد ١٤
٩٣	جزن النواصي ١٥
٩٣	شد اللسان ١٧
٩٧	خضاب النحر ١٨
١٠١	التعقية ١٨
١٠٤	حل الملوك على الاعتناق إذا
١٠٤	مرضوا ٢٠
١٠٥	دية الملوك وغيرهم ٢٢
١٠٧	تحريم الخمر إلى أن يأخذوا بالثار ٢٤
١٠٧	مذاهبهم في الخلع والرجل اللعين ٢٧
١٠٨	المعاقرة في الإبل ٣٠
١٠٩	تفرد العزير بالحى ٣١
١١٠	البحيرة والسائبة ٣٦
١١٢	الفرع والعتيرة ٤٠
١١٣	وأد البنات ٤٢
١١٤	مذاهبهم في الميسر ٥٣
١١٤	الاستقسام بالأزلام ٦٦
١١٥	مذاهبهم في النسيء ٧٠
	شهور العرب وما أخذ أسمائها ٧٦
	العلوم والمعارف في الجاهلية ٨٠
	علم الشعر والقريض ٨٢
	احتفاء القبائل بشعرائها ٨٤
	تنقل الشعر في القبائل ٨٥
	أنفة شعراءهم من التكسب
	بالشعر ٩٠
	مآثر شعراءهم وغرر شعرهم ٩٣
	أمرؤ القيس ٩٣
	زهير بن أبى سلمى ٩٧
	الناطقة الذيباني ١٠١
	أوس بن حجر ١٠٤
	بشر بن أبى خازم ١٠٤
	الافوه الأودى ١٠٥
	عبيد بن الأبرص ١٠٧
	المرقش ١٠٧
	مهلهل — ربيعة ١٠٨
	الأسود بن يعفر ١٠٩
	طرفة بن العبد ١١٠
	المتلس — جرير بن عبد المسيح ١١٢
	علقمة بن عبدة ١١٣
	أبو دؤاد الأيادى ١١٤
	لقيط بن معبد ١١٤
	حاتم الطائي ١١٥

صفحة		١١٥	عمرو بن كلثوم
١٤١	المنتخل الهذلي	١١٦	عنترة بن شداد
١٤٢	أبو صخر الهذلي	١١٧	طفيل الغنوي
١٤٣	تميم بن مقبل	١١٨	الأضبط بن قريع
١٤٣	عبد بن الطيب	١١٩	عدي بن زيد
١٤٣	حميد بن ثور	١٢١	الحريث بن حنزة
١٤٤	متمم بن نيرة	١٢١	أمية بن أبي الصلت
١٤٤	دريد بن الصمة	١٢٢	قس بن ساعدة
١٤٥	سويد بن أبي كاهل	١٢٣	عائذ بن محسن
١٤٦	التجاشي الحريثي	١٢٤	الممزق العبدى
١٤٦	الشمخ بن ضرار	١٢٥	عبد قيس بن خفاف
١٤٦	عمرو بن معد يكرب	١٢٦	الشنفرى
١٤٧	عمرو بن الاهتم	١٢٦	عروة بن الورد
١٤٧	سحيم عبد بنى الحساس	١٢٦	أقنون التغلى
١٤٧	أبو عجين الثقفي	١٢٧	شيص بن الخطيم
١٤٨	كعب بن سعد	١٢٧	احيعة بن الجلاح
١٤٨	معن بن اوس	١٢٨	عامر بن الطفيل
١٤٨	كعب بن جعبل	١٢٨	أبو الطمحان القيني
١٤٨	زياد بن زيد	١٢٩	الاعشى
١٤٨	أبو الأسود الدؤلى	١٣٠	ليبد بن ربيعة
١٤٨	زفر بن الحرث	١٣٢	كعب بن زهير
١٥٠	عبد الله بن قيس	١٣٣	العلاء بن الحضرمي
١٥٠	المتوكل اللثي	١٣٤	النمر بن تولب
١٥١	عاداتهم في الخطب والوصايا	١٣٥	حسان بن ثابت
١٥٥	خطباء العرب في الجاهلية	١٣٧	النابعة الجمعدى
١٥٥	قس بن ساعدة	١٣٨	الخطبة
١٥٦	سحبان وائل	١٤٠	أبو ذؤيب الهذلي
١٥٧	دويد بن زيد	١٤٠	أبو خراش الهذلي
١٥٩	زهير بن جناب		

صفحة		صفحة	
٢١٤	التاريخ عند العرب	١٦١	مرثد الخير الحميري
٢١٩	زمن القطر	١٦٤	الحوث بن كعب المدحجي
٢٢٣	علم العرب بالسماء وكائنات الجو	١٦٥	قيس بن زهير العبسي
٢٢٤	السموات والأفلاك	١٦٦	الربيع بن ضبيع
٢٢٨	منازل القمر وأنوارها	١٦٨	أبو الطمحان القيني
٢٣٥	أقسام الأنواء وأيامها	١٦٩	ذو الأصبع العدواني
٢٣٦	البعد بين المنازل	١٧٠	الأوس بن حارثة
٢٣٧	ما نقوله العرب في طلوع المنازل	١٧٢	أكرم بن صبيح القيسي
	والكواكب	١٧٣	قيس بن عاصم المنقري
٢٤٠	الطالع والغارب من المنازل	١٧٤	عمرو بن كلثوم
٢٤١	بروج الفلك	١٧٥	نعيم بن ثعلبة الكنانى
٢٤٣	فصول السنة والاختلاف فيها	١٧٦	أبو سيارة العدواني
٢٤٥	الجمرات وسقوطها	١٧٧	الحوث بن ذبيان
٢٤٦	مخايل العرب في الأنواء	١٧٩	الخطب في صدر الإسلام
٢٦١	علم القيامة والعبادة	١٨٢	علم الأنساب
٢٦٣	علم الفراسة	١٨٨	طبقات الأنساب
٢٦٩	علم الكهانة والعرافة		ما يجب للناظر في علم الأنساب
٢٧٤	كلام في العرافة	١٩٢	مذهب العرب في أسماء القبائل
٢٧٥	من اشتهر من الكهان والعرافين	١٩٣	مذهبهم في التسمية والكنى
٢٧٥	عزى سلبه الكاهن	١٩٨	من اشتهر في معرفة النسب
٢٧٨	شق بن أمار	١٩٨	دغفل بن حفظة السدوسي
٢٨١	سطيح بن مازن	٢٠٢	ورقاء الأشعر
٢٨٣	طريقة الكاهنة	٢٠٢	زيد بن الكيس القرى
٢٨٨	زبراء الكاهنة	٢٠٢	النخار بن أوس
٢٩١	خنافر بن التوأم	٢٠٥	صعصعة بن صوحان
٢٩٣	صواحبات مصاد بن مذعور	٢٠٦	عبد الله بن عبد الحजर
٢٩٥	سلي الهمدانية	٢٠٧	أمثال العرب في النسب
٢٩٦	عقيراء الكاهنة	٢١٠	علم العرب بالأخبار

صفحة		صفحة	
٣٥١	محاسن الخيل وما يستحب فيها	٣٩٩	سواد بن قارب
٣٥٢	علم العرب بمخلق الإنسان	٣٠٢	سبب إسلامه وقصته
٣٥٤	علم الرمي بالسهم	٣٠٥	فاطمة بنت مر
٣٥٤	المراماة بالسهم وغيره	٣٠٦	الرافون
٣٥٥	النضال وأنواعه	٣٠٧	علم الزجر والعيافة
٣٥٥	القوس وما وضع لها	٣١٢	كيفية الزجر عند العرب
٣٥٧	السهم وما وضع لها	٣١٣	من أشهرهم بالزجر والعيافة
٣٥٨	علم نزول الغيث	٣١٣	حسل بن عامر
٣٦٠	الرياح وأوصافها	٣١٤	أبو ذؤيب الهذلي
٣٦١	السحب وأنواعها	٣١٦	جابر بن عمرو
٣٦٣	الرعد والبرق	٣١٦	جندب بن العنبر
٣٦٤	معرفة علم الملاحة	٣١٨	مرة الأسدي
٣٦٧	كتابة العرب في الجاهلية	٣١٩	من أنكر الزجر والطيرة منهم
٣٧٠	فوائد لغوية بالكتابة وآلاتها	٣٢٣	الطرق بالحصى والخط
٣٧٢	مكائبات العرب ورسالاتهم	٣٢٧	علم الطب
٣٧٤	صحيفة المتلس	٣٢٨	مشاهير أطباء العرب
٣٧٥	تغير أسلوبهم	٣٢٨	الحارث بن كلدة
٣٧٨	ما كان يكتب فيه العرب	٣٢٥	النضر بن الحارث
٣٧٩	حساب العرب أيام جاهليتهم	٣٢٧	ابن حذيم
٣٨٥	معايش العرب وأسبابها	٣٣٩	نبذة من أسماء العلل
٣٨٥	التجارة	٣٤٣	علم الريافة
٣٨٨	الصنائع	٣٤٤	علم الاهتداء في البراري
٣٨٩	صناعة البناء	٣٤٦	علم العرب بأدواء الخيل
٣٩٣	بيوت أهل البادية	٣٤٦	عيوب الخيل
٣٩٥	صناعة التجارة	٣٤٨	عيوبها التي تكون خلقة فيها
٣٩٦	أوصال الباب وأسماء أجزائها	٣٥٠	البواب الحادثة فيها

صفحة		صفحة	
٤١٧	الفلاحة	٣٩٨	أدوات النجارين وآلاتهم
٤١٨	ما أوجب تقدم العرب	٤٠٠	الحدادة
٤٢٢	أسباب التقدم في اتفاق الكلمة	٤٠٣	أدوات الحدادين وآلاتهم
٤٢٣	العدل	٤٠٤	الحياكة والنسيج
٤٢٥	سكنة البوادي وما امتازوا به	٤٠٤	أدوات الحياكة والنسيج
	ما امتاز به عرب البوادي عن	٤٠٦	الخيطة
٤٣٤	الحضر	٤٠٦	كسوة العرب
٤٣٦	خاتمة الكتاب	٤٠٨	العصائم وماورد عنهم فيها من الشعر
		٤١٣	ماورد عنهم من الشعر في النعال

أنظر الفهرس الثاني

الفهرس الثاني

في أسماء الرجال والنساء

(١)

ابن العاجب ٥٨ و١٥٧	ابراهيم (عليه السلام) ٣٦ و٢٩ و٤٧ و٨٩ و١٣
ابن السكيت ٦. و١.٧ و١١. و١٣ و٢٩	٧٧ و١٥٨ و٢١٥ و٢٢١ و٢٦٧
٢٣٩ و٢٣٨	ابراهيم اليلاحي ٢٥
ابن بزي ٦. و٦٤ و٤٨ و٢٧٨	ابوزيد ٢٩٢
ابن السيد ٦٤ و١١٢ و١٢١ و٢٤٤ و٣٤١	الابلق الاسدي ٣١٢ و٣٠٧
ابن القيم ٦٩ و١٩٢ و٢٦٦ و٢٦٨ و٣٠٨ و٣١٢	ابن الاعرابي ١٥ و١٩ و٢٠ و٢١ و٢٦ و٢٩ و٩٩
ابن اسحق ٧٢ و٢٧٩	١.٧ و٢٢٣ و٢٧٧ و٢٨٧ و٢٢٢ و٢٤١ و٢٨٦
ابن مردويه ٧٣	٢٨٧ و٢٩٩
ابن النحاس ٧٨	ابن الدمينه ٥
ابن رشيق ٨٢ و٨٦	ابن خلعون ٦ و٢٧١ و٢٧٥ و٢٨٢ و٣.٦ و٣.٧
ابن سلام الجعفي ٨٥ و٨٨ و٩.٠	٢٢٤ و٢٢٣ و٣٨٨ و٢٩٥ و٢٤٤
ابن الاثير ٨٦ و١١٩ و٢٧. و٣١٢ و٣٢٧ و٣٢٨	ابن الجوزي ١١ و٢٧٨
ابن حاتم ٨٦ و٨٧	ابن جني ١٢ و٣٦ و٨٩
ابن شميل ١٥٩	ابن القطاع ١٥
ابن مساك ١٥٠	ابن الانباري ١٧ و١٨ و٢٤ و١١٨ و٢٢٢ و٢٣٨
ابن الحنفية ١١٦	ابن مالك ٢١
ابن المعتز ١٨٦	ابن سيده ٢٢ و٦٠
ابن حزم ١٨٦ و١٩١	ابن دريد ٢٢ و١.٩ و١٢٤ و١٢٢ و١٤٨ و١٥٧
ابن فرعة ٩٠	١٥٨ و١٦١ و١٧٠ و١٧٧ و٢٢٢ و٢٢٠ و٢٤٧
ابن ولاد ١.٣	٢٩٢ و٢٩٩ و٤.٣
ابن سلام ١.٧	ابن عبد ديه ٢٢
ابن الرومي ١١٢ و٢٦٦	ابن سين ٦٥ و١٨٠
ابن اذينة ١٢٦	ابن قتيبة ٢٩ و٢٨٢ و٥٥ و٥٧ و٦٤ و٩٢ و٩٩
ابن عبد البر ١٢٢ و١٨٧	١١٠ و١٣٤ و١٣٨ و١٤١ و٢.٩ و٢١١ و٢٢٧
ابن الكلبي ١٢٦ و١٦٥ و١٧٤ و١٧٧ و١٨٠	٢٤٤ و٢٥٥ و٢٤١
٢٦١ و٢٩٥ و٢٩٩	ابن الشجري ٣٠ و٤٢٥
ابن الزبير ١٢٨	ابن المسيب ٣٦
ابن حبيب ١٩٤	ابن عباس ٢٧ و٢٨ و٣٩ و٤٣ و٤٤ و٥٣ و٦٨
ابن احمد ٢١٨ و٣٦٠ و٣٦٣	٥٦٩ و٧٨ و١١٠ و١١٩ و٢٨١ و٣٨٦ و٤٠٠
ابن النفيعي ٢٢٢	ابن سعدون ٢٧ و٢٨
ابن فضالوفا ٢٢٢	ابن جرير ٢٩ و٥٢
ابن صياد ٢٧٢ و٢٧٤	ابن جرهم ٥٢
ابن هشام ٢٦٦	ابن عطية ٥٢
ابن ذي يزن ٢٧٩	ابن مقبل ٥٦ و٥٧
ابن عباد ٢٨٢	

- ابو ذكوان ٢١٦
 ابو الحسن بن عبد العزيز ٢٢٠
 ابو الهيثم ٢٢١ و ٢٢٧
 ابو كشة ٢٢٢
 ابو فيد النحوى ٢٢٣
 ابو الحسن بن شميل ٢٢٤
 ابو محمد ٢٢٧
 ابو اسحق ٢٢٢
 ابو المكنون النحوى ٢٥١
 ابو معشر ٢٧٥
 ابو صالح ٢٧٥ و ٢٨٧
 ابو سليمان ٢٧٦ و ٢٨٥ و ٢٨٨
 ابو مغفل ٢٨٨
 ابو خالد التيمي ٢٩٠
 ابو هيبنة بن الجراح ٢٩٥
 ابو عونلة ٣٢٢
 ابو دؤاد ٣٤٩
 ابو اسحق الطرابلسى ٣٦١
 ابو الحسن بن الفري ٣٧٩
 ابو عبد الله الاسكالى ٤٠٠ و ٤٠٣
 ابو سعيد ٤٠٤
 ابو احيحة سعيد بن العاصى ٤٠٨ و ٤٠٩
 ابو قيس بن الاسلت ٤٠٩
 ابو حنيفة الدينوى ٤١٧
 ابو سعيد السكرى ٤٥
 ابو موسى ٢٧
 الاثرم ٧٠
 ابلة ابن التمنخل ١٣
 الاجلج ٣١٣
 احمد تيمور باشا ١٠٧
 احمد بن عبيد ١٢٤
 الاحنف ٤١٥
 الاحنف بن قيس ٤١٢
 احيحة بن الجلاح ١٢٧
 الاخضرى ٧
 الاخطل ١٥٠ و ٢٩٠
 آدم (عليه السلام) ١٥٨ و ٤٠٠
 آدم بن عيسى ٢٧٩
 الازدى ١٨٦
 الازهرى ٢٢ و ٨٥ و ٢٥٨ و ٢٨٠ و ٢٢٧
 اسامة بن زيد ٢٦٢
 اسحق بن راهويه ٧٠
 اسد بن خزيمة ١٦٤
 اسد بن هاشم ٢٨٦
 اسد بن وبرة ١٩٤ و ١٩٥
 اسماعيل (عليه السلام) ٢٦ و ٤٦ و ٤٨ و ٤٩
 و ٧١ و ٧٥ و ٨١ و ١١٥ و ٢٢٠
 اسماعيل بن هيثم ٢٦
 الاسود بن معمر ١٠٩
 الاسود بن النضر ٢٢
 اسماء بنت دريم ١٩٤
 اسماء بنت ابي بكر ١٩٦
 اسلم بن سفرة ٣٦٨ و ٣٦٩
 اسيد بن ذى الاصبع ١٧٠
 الاشعر الجعفى ١٩
 الاثونى ٢١
 الانهوب بن زميلة ٣٠
 الاصبرى بن روم ١١٩
 الاصفهاني ١٧ و ٢٤ و ٦٧ و ١٠٨ و ١٧٠ و ٢١٠
 و ٢١١ و ٢٦٠ و ٢٦٢ و ٢٦٩ و ٢٦٧ و ٢٠٦
 و ٣٣٦ و ٣٥٩
 الاصمعى ٩ و ١٢ و ٢١ و ٤٠ و ٥١ و ٨٨ و ٩٧
 و ١٢١ و ١٤٠ و ١٥٦ و ١٥٧ و ٢١٥ و ٢٤٧ و ٢٤٨
 و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٨ و ٢٥٩
 و ٢٦٠ و ٢٧٧ و ٢٩٢ و ٣٠٠ و ٣٠٢ و ٤٠٤
 الاصبغ بن قريع ١١٨
 الانشى ٥٧ و ٨٨ و ٩١ و ٩٧ و ٩٨ و ١٢٠ و ١٢٩
 و ١٣٠ و ١٤٦ و ١٦٧ و ٢٧٨ و ٢٨٢ و ٣٩٩ و ٤٠٢
 الانسى بن لعبه ٢١١
 الانلم ١٤ و ٩٤ و ٢٢٤
 الاعور العجلى ٢٦
 انفسس (الملك) انفسس انفسس ٧١
 الانقلب العجلى ٨٣ و ٩٠
 الانقى الجرهمى ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦
 افنون التظلى ١٣٦
 افلوه الاوى ١٠٥
 الافرع بن حابس ٤٥
 اكثم بن الجون ٢٩
 اكثم بن صيفى ١٧٢
 اكيد بن عبد الملك ٣٦٨
 الامام احمد ٥٤
 الامنى ٨٦ و ١٢٤

بالتيس ملكة سبا ٢١٢ و ٢٧٧
بليروفون ٢٧٥
البناء زهير ١٠١
البيروني ٢٢٢

(۷)

طابث شرا ٢٤ و ٢٦٢
 التبريزي ٢٢ و ٢٦١
 تبع الحميري ٢١٢
 تستيف (ملك الفرس) ٢٦٤
 تميم بن مقبل ١٤٢
 تميم بن مر ١٦٤
 التولي ١٨١
 تيم اللات ٢٠٨ و ٢٠٩

(ٹ)

لابت بن جابر ٢٤
الثعالبي ٥٦ و١٣٨ و١٩٨ و٢٢٠ و٢٢١ و٢٢٢
٣٦١
ثعلب ١٨ و٩٩
ثعلب بن وبرة ١٩٤

(८)

جابر بن عبد الله ٩
 جابر بن سفيان ٥٤
 جابر بن عمرو ٢١٦
 الجاحظ ١٧ و١٥ و٨٦ و ١٠٧ و ١١٨ و ١٢٨
 و١٥١ و ١٥٣ و ١١١ و ٢١٢ و ٤٠٩
 جيلة بن المنذر ١٣٦
 جيلة بن الأيهم ١٣٦
 جرجي زبدان ٢٢٧
 الجرسي ٢٢٠
 جروان بن مالك ١٢٨
 جرير ٩ و ٢٠ و ٢٠٥ و ٣٩٢ و ٣٩٨
 جرير بن عبد السميع (التلمس) ٣٧٢ و ٨٨٨
 جرير بن عبد الله ١٨٥
 جزء بن غرار ٨٨
 جزء بن غالب ٢٢٢
 جندب بن مرة ٢٣
 جندب بن قطيب ٤١٤
 جندب بن الخزرج ١٧١
 جعفر بن كلاب ١١

امرو القيس ٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠
٨٥ و٨٦ و٨٧ و٨٨ و٨٩ و٩٠ و٩١ و٩٢ و٩٣ و٩٤ و٩٥
٩٨ و٩٩ و١٠٠ و١٠١ و١٠٢ و١٠٣ و١٠٤ و١٠٥
٢٩٦ و٢٩٧

أمرؤ القيس بن عمرو ١٠٩
أمرؤ القيس بن حمام ٨٦ و ٨٧
أم عطية ١٢
أم الحويرث صاحبة كبر ٢١١
أمنة بنت وهب ٤٩ و ٢٠٥
أمنة بنت سعيد ٤١
أمية بن حذيفة ٧٢
أمية بن أبى الصلت ١٢١ و ٢٢٧ و ٢٦٩ و ٢٧٦

اعمار بن نزار ۲۶۵ و ۲۶۶
 کیف بن حارثة ۲۹۹ و ۳۰۰
 الاھمن بن سنان ۲۴
 اوس بن حجر ۴۰ و ۶۰ و ۸۸ و ۱۰۴ و ۱۶۲
 ۱۶۹ و ۲۱۸ و ۲۳۷ و ۲۳۸
 اوس بن حارثة ۱۵۸ و ۱۷۰ و ۱۷۱
 اباد بن نزار ۲۶۴ و ۲۶۵ و ۲۶۶ و ۲۷۲ و ۲۷۳
 اباد بن سود ۱۰۹

(۷)

بجير بن زهير ٩٩
 البختري ٨٩ ٤٢٤
 البخاري ٢٤ ٤٥ ٦٩ ٢١٨
 بختنصر (الملك) ٢٦٤
 بدر بن حنن ١٤
 برج بن مسهر ٢٩٩ ٣٠٠
 بسطام بن قيس ١٩٩
 بشام بن برد ١٢١ ٤١٦
 بشر بن أبي خازم ١٥ ١٦ ١٠٤
 بسر بن عرو ٥٤
 بشر ٣٥٧ ٢٦٦
 بشر بن عبد الملك ٣٦٨
 البطالوني ؟
 البغدادى ٢٢ ٥٦ ٨٦ ٨٩ ١٢٢ ١٥٧
 البغامي ٦٤
 البكري ١٩
 بكر بن محمد ٧٠

(ج)

الزرقان بن بدر ١٣٩
 زبراد الكتفنة ٢٨٨ و ٢٨٩
 الزرقان ٤٠٨
 الزبيدي ٥ و ٥٤ و ٦٤ و ٨٦ و ١٠٩ و ١١٤ و ١٦٦ و ١٢٠ و ١٤٠ و ١٥٩ و ٢٧٤
 الزبيد بن عبد الملك ٨٢ و ٨٥
 الزبيد بن زكار ١٨٩
 الزبيد بن الموام ١٩٤
 الزبيد ٤١٠
 الزجاج ٢ و ٣٦ و ٣٧ و ٢٨ و ١٨٩ و ٢٣٠ و ٢٢٢ و ٢٢٣
 الزجاجي ٢٢٩ و ٢٢٠ و ٢٣٥
 الزرقاء ٢٨٣
 زار بن الحرث ١٤٩
 الزمخشري ٣٣٧ و ٢٨٦ و ٤٢٤
 الزهري ٤٧ و ٦١
 زهرة امرأة كلاب بن مرة ٣٠٦
 زهير بن أبي سلمى ١٤ و ١٦ و ٨٢ و ٨٨ و ٩١ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٤ و ١٢٩ و ١٢٨ و ٢١١
 زهير بن جشاپ ٨٦ و ٨٧ و ١٥٩ و ١٦٠ و ٢٦٠
 الزولني ٢٧ و ٩٥ و ٩٦
 زياد الأصم ٨٤
 زياد بن معاوية (النابغة) ١٠١
 زياد بن زيد الطمري ١٤٩
 زياد بن عمرو ٢٥٩
 زياد بن سيار ٣٢١
 زياد بن حمل ٤٢٨
 زياد بن أسلم ٣٩
 زياد بن عمرو ٤٥
 زياد بن كوة ٤١٢

(س)

سابق البربري ١٥٠ و ٣٧٦
 سابقو ١١٩
 سابقو ذي الائتلاف ٣٧٢ و ٣٧٣
 سابقون بن أسطوخ ١١٩
 سالم بن وابصة ١٥
 سبيع بن الحرث ١٦١ و ١٦٢
 سحيان وأل ١٥٢ و ١٥٦
 سحنون اليهودي ٧٠
 سحيم ٢٠ و ٢١

خنابل بن التوام ٣٩١
 الخنسله ٩٩ و ١٤٥
 الخوازمي ١٢ و ١٢٨
 خويلد بن خالد ٩
 خيثم بن عدي ٢٢٠

(د)

داود بن رشيد ٣٣٣
 درهم بن زيد ٤١٠
 دويد بن الصمة ١٤٤ و ٤٠٥ و ٤٠٩
 دميل ٨٩
 دعلج بن حنظلة ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠
 الدمايني ١٢٢
 المنصورى ٩٤
 دودان بن أسد ٢٦٠
 دويد بن زيد ١٥٧ و ١٥٨
 الدمشقي ٢١١ و ٢٢٠ و ٢٢٣

(ذ)

ذو الرمة ٦٠ و ٨٩ و ٢٢٢ و ٢٢٥ و ٢٣٧ و ٢٦٢ و ٤٠٥
 ذو الأصبع المدائني ١٤٢ و ١٦٣ و ١٦٩ و ١٧٠
 ذو القرنين ٢١١ و ٢١٢
 ذكبان بن ذريرة ١٩٤ و ١٩٥
 الذبالب بن نضر ٢٩٩

(ر)

الراجز ٥ و ١٥٩ و ٣٦٢
 الرافعي ٤١ و ٤٧٧
 الرزاعي ٢١٧ و ٢١٩
 رباح بن عجله ٦ و ٣٠٧
 ربيعة بن سليمان ٨٧ و ١٠٧
 الربيع بن ضبيح ١٦٦ و ١٦٧ و ٢١١
 ربيعة بن نزار ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦
 رباح بن ربيعة ١٦٠
 الرستقي ١١٢
 الرشيد ٢٠٢
 الرهمي ٢٣٧
 الرقاسي الكلبى ٢٢٠
 رعم بن عمر ١٠٥
 ربيعة بن الحجاج ٨٩ و ٢٢٠ و ٢٢٧ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩
 ربيعة ٣٦٢
 روم بن يعضو ١٢٠
 الريان (أخو النعمان) ٤٢

لشافعي ٢٣ و ٣٨ و ٦٩ و ٨٨ و ٢٦٦ و ٢٦٧
 شاذي بن عامر ٢١٤
 شبيب ١٥٤
 شرف الدين اليزدي ٣٧٩
 شعبة بن قيس ٦٣
 الشعبي ٢١٤
 شعيب (عليه السلام) ١٦٤
 شق بن اتمام ٢٧٨ و ٢٩٧ و ٢٨٠ و ٢٨١
 و ٢٨٢ و ٢٠٢
 الشماخ بن فرات ٢٨ و ١٤٦ و ٣٩٨
 شمر ٣٨٦
 الشمردل ٦
 شمس الدين الموصلي ٢٨٠
 شملة بن اخضر ٤١١
 الشنفرى ٢٤ و ١٣٦ و ٤٠٢
 (ص)
 الصابي ٧٥
 الصاحب بن عباد ٨٩
 صالح بن كيسان ٤٧
 الصبان ٢١
 صدقة بن نافع ٤٣٠
 صعب بن جثالة ٣٤
 صمصمة بن ناجية ٤٥ و ٤٦
 صمصمة بن صوحان ٤١٦
 ضحية بنت عبد الملك ٣٢
 سلامة بن عمرو ١٠٥
 صمراخت لقيم بن لقمان ٢١٢ و ٢١٣
 الصبياد بنت حرب ٣٨٨
 الصولي ١٢١ و ٢١٤ و ٢١٦ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٣٦٨
 و ٣٧٢ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٨٣
 (ض)
 ضابي بن الحرث ٢١٩
 ضابي بن حارث اليرجمي ٣٢٠
 ضبة بن اود ١٠٥
 الضبي ١١٣
 الضحاح ٧٣
 (ط)
 الطبراني ٤٦
 طرفة بن العبد ١١ و ١٤ و ٦٠ و ٨٧ و ٨٨ و ١٠٧
 و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧
 و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥

سحيم بن وائل ٥٤
 سحيم عبد بنى الصحناس ١٤٧
 السخاوى ٦٠
 سرخان بن وبرة ١٩٤ و ١٩٥
 سطيف بن مازن ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣
 و ٢٠٢ و ٢٠٦
 السعد التفتازاني ١٠
 سعد بن مالك ٨٧
 سعد بن الضباب ٩٠
 سعد بن زيد ٢١٥
 سعد بن عباد ٢١٥
 سعد بن زينة ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨
 سعد بن ابي وقاص ٢٢٨
 سعد بن الالفوى ٢٢٣
 سعد بن السيب ٧٠
 سعد بن جبير ٧٠
 سعيد بن عبد الرحمن ١٣٧
 سعيد بن شمان ١٥٦
 سعيد بن العاصي ٤١٠
 سليمان بن امية ٣٦٩
 السكري ٥٢ و ٨٦ و ١٤٢
 السكين بن سعيد ٢٨٨ و ٢٩٣ و ٢٩٥
 سلكسن ١١٠
 سلمى الهمدانية ٢٩٥
 سليمان (عليه السلام) ٢٢٠ و ٣٧٧
 سليمان بن عبد الملك ٢٤
 سليمان بن جليل ٢٢٢
 سليمة بن مالك ١٤٨
 سنان بن خالد ٢٤
 السهيلي ٧٤ و ٢١١ و ٢١٨
 سواد بن قارب ٢٧٤ و ٢٩٩ و ٣٠٣ و ٣٠٤
 و ٣٠٥ و ٣٠٦
 سودة بنت زهرة ٤٢ و ٤٤
 سويد بن ابي كاهل ١٤٥
 حيان بن عمرو ٢٣
 سبيويه ١٤ و ٢٦ و ٩٤ و ٢١٨ و ٢٢٠
 لسيد القرقي ١١ و ٢٦ و ١٣٦ و ١٤٢ و ١٥٩
 و ١٦٧
 سيف الدولة صدقة بن منصور ٢٦٢
 السيوطي ٢٦ و ١٥٠ و ٢٢٣ و ٣٦٨
 (ش)
 شاس بن نهار ١٢٤

و١٨٠ و٢٠٩
عبد الله بن الزمري ٨٤
عبد الله بن قيس الرقيات ١٥٠
عبد الرحمن بن أبي هيس ١٧٠
عبد المسيح بن بقلية ٢٨٢ و٢٨٤
عبد الله بن أيوب ٢٨٤
عبد الرحيم العباسي ١٠٢ و٤٢٥
عبد القاهر الجرجاني ٩٧
عبد الله بن الزبير ١٦٧ و١٦٩
عبد الله بن جدهان ١٢١
عبد قيس بن خلف ١٢٥
عبد الرحمن بن حسان ١٢٧
عبد الله بن عباس ١٦٧
عبد الله بن جعفر ١٦٧
عبد القادر العمري ٢٨٠
عبد الرحمن بن عوف ١٨٦
عبد الرحمن العمري ٢٢٢
عبد الله بن سعد ٢٩٩ و٢٠١
عبد الملك بن أبجر ٢٢٢
عبد بن الطيب ١١٢ و١٤٢
عبد شمس ٢٨٥
عيسى بن مطلق ٤١٢
عبيد الله بن زياد ١٤٩
عبيد بن الأبرص ١٠٧
عنبه بن ربيعة ٨٤
العنبي ٢٠٩ و٢٥٨
نعمان (رضى الله عنه) ٩٨ و١٨٧ و٢٢٨
الحجاج ٨٣ و٨٩ و٢٥٨
الحجر السلولي ١٥٤
عدي بن زيد ١٠٧
عدي بن ربيعة ١٠٨
عدي بن زيد الأبادي ١١٩
عزابة بن أوس ٢٨ و١٤٦
عزاف اليمامة ٢٠٧ و٣١٢
عروة بن حزام ٥
عروة بن الورد ١٢٦
عروة الهلبي ١٤٠ و١٤١
عروة بن عازب ٣١٢
عزة صاحبة كثر ٢٠٩
عزى سلمة الكاهن ٢٧٥ و٢٣٩
المصطفى ٥٦ و٧٤ و٨٨ و٢٦٢
المصري ٨٧ و٢١١

طريف بن الماصي ١٧٧ و١٧٨ و١٧٩
طريقة الكاهنة (طريقة الخير) ٢٨٢ و٢٨٤
و٢٨٥ و٢٨٧ و٢٨٨
الطرماع الأحمدي ٦٠ و١٥٠
الطرماع بن حكيم ٢٩٩
الطرماع ٢٩٤
طليل الفتوى ١١٧ و٢٢٢
طليل ذي النورين ١٧٧
طلحة الطلحات ١٥٧
طلحة بن عبد الله ١٥٧
طلحة الخفي ١٥٧
طلحة العباسي ١٥٧
طلحة الجودي ١٥٧
طلحة النراهم ١٥٧
طلحة الندي ١٥٧
طليعة بن غوليد ٢٧٤

(ظ)

ظبية بنت الكيس النعمري ١٦٥

(ع)

عاجنة بن عامر ٢٢٢
طارق النشفي ٢٩٩ و٣٠٠ و٣٠٢
عاصم بن ثابت ٢٢٥
عامر بن جذرة ٢٦٨
عامر بن رهم ١٠٥
عامر بن الطليل ١٢٨ و١٦٨ و٢٨٢
عائشة (رضى الله عنها) ١٩٦
عائشة بنت طلحة ٢٠٩
عقيد بن حصن ١٢٣
العباس بن مرداس ٢٢
عباد بن حريق ٧٢
العباس بن هشام ٢٩٢
عبد الله بن عمر ٩ و١٦٧
عبد بنوث القحطاني ١٧
عبد بنوث بن وقاص ١٧
عبد الرزاق ٢٩
عبد المطلب بن هاشم ٤٤ و٤٦ و٤٧ و٤٨ و٤٩
و٢٠٠ و٢٧٥ و٢٧٦ و٣٠٥
عبد الله بن حكيم ٤٥
عبد الله بن عبد المطلب ٤٧ و٤٩ و٣٠٥
عبد الملك بن مروان ٥٦ و٨٩ و١٦٦ و١٦٧

- عصام الكندي ٢٠
عصام بن شهر ٢٠ و ٢١ و ٢٢
عطارد بن حاجب ٤٥
عطاه ٢٨٦
عطاه بن يسار ٢٢٢
عفره بنت عقال ٥
عفره الكاهنة ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨
العفيلي ٧
عقال بن معاصر ٥
عقبة بن أبي معيط ٢٢٥
عقيل بن علقمة ١٤٨
عقيل بن أبي طالب ٢٧٥
عقيل بن فالح ١٤٤
عكرمة مولى ابن عباس ٢١٠
المكلى ٢١٠
العلاء بن الحضرمي ١٢٢
علس (لو جمن) ١٦١
علقمة الفعل ٩٧
علقمة بن هيب ١٠٧
علقمة بن عبدة ١١٢
علقمة بن علاثة ١٢٩ و ٢٨٢
علقمة بن صفوان ٢٧٩
علي (رضى الله عنه) ٢٠ و ٢١ و ١١٦ و ١٤٦ و ١٨٠ و ١٨٧ و ١٩٧ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠٤ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٢٨ و ٢٣٢ و ٢٣٦ و ٢٤٢ و ٤١٦
علي بن جبلة ١٠٢
علياء بن الحرث ٢٦
عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ٢١ و ٢٤
و ٥ و ٨٢ و ٨٤ و ٩١ و ١٠٠ و ١٠٢ و ١١٥ و ١٢٤ و ١٣٧ و ١٤٣ و ١٨٥ و ١٨٧ و ١٩٠ و ٢١٥ و ٢٦٢ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢٢٨
عمرو بن اسد ٢٥
عمرو بن لحي ٣٦ و ٣٩ و ٧١ و ٨١
عمرو بن سعيد الاندلسي ١٥٣
عمرو بن كثر ٤٥ و ٨٧ و ١١٥ و ١١٦ و ١٢١ و ١٧٤ و ٢٦٥
عمرو بن قميئة ٥٥ و ٨٧
عمرو بن عمار ٦٣ و ٦٤
عمرو بن حنبل ٦٤
عمرو بن العاص ٨٢ و ٤٠٨
عمرو بن المنذر ٢٢٧
عمرو بن هند ١١٠ و ١١١ و ١١٦ و ٢٧٤ و ٢٧٥
- عمرو بن شيبان ٤١٤
عمر بن عبد العزيز ٢٧٦
عمرو بن أمية القيس ٤١٠
عمرو بن عبدة الله ٨٩
عمرو بن حرملة ١٠٧
عمرو بن عدى ١١٦
عمرو بن شيبه ١٢٧
عمرو بن معد يكرب ١٢٦
عمرو بن الإهم ١٤٦
عمرو بن الخزرج ١٧٠
عمرو بن أحمر ١٨٩
عمرو بن أبي ديبه ١٩٩
عمرو بن عمار مزيقياء ٢٨٢ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧
عمرو بن براءه ٢٩٥ و ٢٩٦
عمرة بنت سبيع ٢٢٢
عمير بن قيس ٧٢
عمير بن سبيع ٤٢٥
عمرو بن جليل ١٤٨
عمرو بن عقيل ١٤٨
عمليه بن خالد ١٧٦
عنتره ٢٨٤
عنتره العيسى ٩٦ و ١١٦ و ١١٧
عنتره بن وبرة ١٩٢
عوس بن آدم ٤١٩
عوف بن معلم ٢٠
عوف بن عمرو ٥٤
عوف بن حديقه ٧٢
عوف بن سعد ٨٧
عوف بن الخزرج ١٧٠
عويمر الهللي ١٤١
عيسى (عليه السلام) ١٦٧ و ١٨٤
العينى ٢٢ و ١١٨
(غ)
غالب أبو الفزدق ٢٠ و ٣١
غالب بن هر ٢٨٠
الغوى ٥٩
غيلان بن خرشة ٤٠٩
(ف)
فاطمة بنت قيس ٤٤
فاطمة بنت المنذر ١٠٨

فاطمة بنت مر الضعيف ٢٠٥

فاقره امراء مرة الاسدى ٢١٨ و ٢١٩

الغراء ٢ و ٢٨ و ٩٤

الغراء السلى ١٥

الغردى ٢٢ و ٢٤ و ٢٠ و ٤٥ و ٤٦ و ٨٤ و ٨٧

١٢١ و ٢٢٢ و ٤١١ و ٤١٢

فروة بن مسيك ٢٨٧

فزر بن وبرة ١٩٤

فضالة بن كلفة ٤٠

الفضل بن عبد الصمد ٦٩

الفضل بن عيسى ١٧٧

فقيم بن نملة ٧٢

فهد بن وبرة ١٩٤ و ١٩٥

المعوى ١٧ و ١٧٨

(ق)

قابوس بن هند ٣٧٤

القاضي عياض ٢٤

القاضي عبد الحسن ٢٢٠

قالد بن حكيم ٤٢٩

قادة ٢٦ و ٥٢ و ٦٩ و ٢٨٧

قنينة بن مسلم ٥٦

قنينة بنت الحرث ٢٢٦

قنينة بن الحرث ٤١٥

قدامة بن جراد ١٩٩

قراة بن حنش ٢٢ و ٢٣

القزوينى ٢٧٩

قس بن ساعدة ١٢٢ و ١٥٥ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢٧٦

قسي بن كلاب ٢٠٠

القضائى ٢٥

القننى ١٣٦

القلاخ بن حزن ١٩٨

قلع بن حذيفة ٧٢

القلشندى ١٨٠ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٢٣

قمة بن الياس ٣٦٤

قيس بن عاصم ٤٣ و ١٤٣ و ١٧٣

قيس بن الضظيم ١٢٧ و ٢٩٢

قيس بن عبد الله ١٣٧ و ١٢٨

قيس بن زهير ١٢٩

قيس بن مفر ١٥٦

قيس بن خزيمة ١٥٢

قيس بن زهير المعبى ١٦٥

قيس بن رفاعة ١٨٠

(ك)

كاهل بن اسد ٢٥

كنة عزة ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١

كنة ٤١٥

كسرى ١١٠ و ١٩٩ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣

كسرى ابو سروان ٢١٤ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٢

٢٣٤ و ٢٣٢ و ٢٣٤

كعب بن زهير ٨٨ و ٩٩ و ١٠١ و ١٢٢

كعب بن مامة ١١٠

كعب بن سعد ١٤٨

كعب بن جعيل ١٤٨

كعب بن الخزرج ١٧١

كعب بن لؤى ٢١٥ و ٢٧٦

كعب بن مالك ٣١٥

كلاب بن مرة ٧٨

كلب بن وبرة ١٩١ و ١٩٤

الكلبي ٢٥ و ٧٣ و ٢٨٧

كليبين والى ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ١٠٩ و ١١١ و ١٥٩

الكويت ٧٣ و ٢١٢

(ل)

ليبد ١١ و ٥٤ و ٩١ و ٩٢ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢

١٥٢ و ٢٢٠ و ٣٦٢ و ٣٩١

ليبد بن ربيعة ٣٦٧

الليثاني ٥ و ٦

اللىلى ١٥٠

لقمان بن عاد الاكبر ٢١٢ و ٢١٣

لقمان بن عاد الاصغر ٢١٢

لقمان الحكيم ٢١٢ و ٤٠٩

لقيط بن معبد ١١٤

لقيم بن لقمان ٢١٢ و ٢١٣

لوس شيفو اليسوى ١٠٧

لوط (عليه السلام) ١٨٣

الليث ١٧ و ١٥٩ و ٢٢٠

(م)

مارية بنت ظالم ١٢٦

مارية بنت ارقم ١٣٦

مالك بن اسد ٢٥ و ٣٦

مالك بن نويرة ٥٩ و ٦٥ و ١٤٤ و ٢٩٢

مالك بن الربيع ٦٠	محمد بن الحسن ٢٦٦
مالك بن قنبح ١٤٤	محمد بن عباد ٢٨٨ و ٢٩٥
مالك بن فهيم ٢٨٦ و ١٤٨	محمد بن ظفر ٢٩٦ و ٢٩٨
مالك بن زهير ١٦٦	محمد بن سعيد ٢٢٢
مالك بن الاوس ١٧٠ و ١٧١	محمد بن انس ٢٨٦
مالك بن نصر ٢٧٩	محمود شهاب الدين الالوسي (الجد) ٥٠ و ١٨
مامة ملك اباد ١١٠	محمود شكرى الالوسي (المؤلف) ١١٨
الماوردي ٢٤ و ٢٧ و ١٨٨ و ١٩٠ و ٢٦٤ و ٢٠٢	المخيل السعدي ٤٠٨
٢٠٦ و	الدائني ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١٢
ملوية امرأة حاتم ١١٥	مرثمر بن مرة ٢٦٨
المامون العارني ١٨١	مرثد بن كلال ٢٩٦
المبرد ٢٦ و ١٢٤ و ٢١٩ و ٤٠٩	مرثد الخضر الصغير ١٦١
المتنبي ١٥ و ٨٩	مرثد بن ابي عمران ١٩
المتنخل الهللي ١٣ و ١٤١	المرزباني ٢٤٤
متمم بن نيرة ٥٩ و ٦٥ و ١٤٤ و ٣٩٣	المرهل ٢٠٢
المتلمس (جريز بن عبد السميع) ٨٧ و ١١١	المرقش ٥٥ و ٧١ و ١٠٧ و ٢٢٠
١١٢ و ٢٧٤ و ٢٧٥	مرة بن عبد رضى ٢٩٩ و ٣٠٠
التوكل الليثي ١٥٠	مرة الاسدي ٢١٨
المتنب ١٢٤	مريم (عليها السلام) ٦٩
مجاهد ٣٦	مسالول بن هند ٢٨٦
المجد ٨١ و ٨٦ و ١٦١ و ١٩٤ و ٢٣٨ و ٤٢٥	المستوفى بن ربيعة ٢١٩
مجزر الاسلمي ٢٦٢ و ٢٦٣	مسروق بن الاجدع ١٩٦
محب الدين الطغيب ٦٤	مسعود بن عمرو ٤٥ و ١١٢
محمد (عليه الصلاة والسلام) ٩ و ١٢ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٩ و ٤١ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٩ و ٥٢ و ٥٣ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٢ و ٧٤ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٨ و ٩٠ و ٩٣ و ٩٩ و ١٠١ و ١٠٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٦ و ١٣٢ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٥٥ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٨٠ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٦ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٨ و ٢٤٧ و ٢٥١ و ٢٦٢ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٧٠ و ٢٧٤ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٧ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٣٠٢ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٨ و ٣٣٢ و ٣٣٤ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٧٠ و ٣٧٥ و ٣٧٧ و ٢٨٥ و ٤٠٨ و ٤١٣ و ٤٣٧	مسعود بن الرافض ٢٢٠
محمد بن اسحق ٣٦ و ٣٨	المرزاني ٤١ و ١٦٨
محمد بن الحنفية ١١٦	المسعودي ٢٢٦ و ٢٧٥ و ٤٢٢ و ٤٢٣
محمد بن عبد ٢٥١ و ٤١٩	مسلم ١٢ و ٥٢
محمد بن سعد ٤١١	مسلم بن الوليد ٨٩
محمد بن علي ١٨٤	مسلمة بن عبد الملك ١٨٦
محمد بن اسعد العارني ١٨٩	المسيب بن علس ٨٨
	مسيلمة الكلابي ٢٧٤
	مصاد بن مد عور ٢٩٢
	مصعب بن الزبير ١٨٠ و ٤١١
	مضر بن نزار ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦
	المضرب بن كعب ٩٩
	المطري ٢١٨
	مطلب بن عبد مناف ٢٨٥
	معاذ بن جبل ٢٩٢
	معاوية ٦٢ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٥٢ و ١٥٦ و ١٦٧ و ١٨٠ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٢٨ و ٢٢٦ و ٢٢٧
	معاوية بن الحكم ٢٢٣
	معبد أخو طرفة ١١

- معيد بن محنة ٢٣
معيد بن شبة ٢٤
معيد بن عدنان ٢٥
معر بن حماد ٢٤٧
معر بن حماد البلقى ٢٠٢
معد بن نوس ١٤٨
المقرة بن عبد الله ٤٨
المفضل الفاسى ١٢٤ و ١٩٩ و ٢١٢ و ٢١٦ و ٢٢١
المفضل بن سلعة ٢٢٨
مقاتل ٢٨٧
مقاتل بن سليمان ٢٢١
مقبلى ١٨٠
المزنى الصدي ١٢٢
الماوى ١٨٢
المندر بن ماء السماء ٩٠
المندر بن معرق ١٢٧
المندى ٢٧٧
المندى بن النضر ١٢٦
المندى ٢٦٨
مهليل بنو كليب ٢٢
مهليل بن ديمية ٨٢ و ٨٥ و ٨٧ و ٨٩ و ١٠٨ و ١٥٤
مهليل الشمر ٢٦٤
موسى (عليه السلام) ٢١٦
ميشم بن شوب ١٦١ و ١٩٢
الميداني ٢٦ و ٢٢ و ٤٠ و ٤٢ و ٦٠ و ١٥٨ و ١٩٩
و ١٧٧ و ٢٨٧ و ٢٠٥ و ٢٢١ و ٢٢٧
ميمونة بنت الحرث ٢٤
ميمون بن فبس ٢٨٦ و ١٢٦
(ن)
النايفة الجعدى ١٢٧ و ١٢٨ و ٢١٤
الناخلة الليثاني ٢٠ و ٢٢ و ٢٤ و ٨٨ و ٩٠ و ٩٧
و ٩٨ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٢٧ و ٢١٦
و ٢٢١ و ٢٧١ و ٢٨٢ و ١١٣
النجاشى الشاعر ٥١ و ١٢٣ و ١٤٤
نزار بن معد ٢٦ و ٢٦٥ و ٢٦٦
نزه بن وبرة ١٩٢
النضر بن الحرث ٢٣٢ و ٢٣٦
النظير بن هاشم ٢٨٦
النعمان بن القدر ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٤ و ٩٠ و ٩١
و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٩ و ١٢٠ و ١٢٤ و ١٢٦ و ١٢٧
- ٢٥٧ و ٢٨٢ و ٢٩٢
معيان بن عاد ٦٠
المصان بن بنسور ٢١٢
نسيم بن بعلبة ١٧٥
نخيل بن عبد المزى ٢٧٥ و ٢٧٦
النمى ٢٤
النمر بن بولب العكلى ١٢٢ و ١١٢ و ٢١٢
النمر بن قاسط ١٢٤ و ١٦٥
النمر بن حسان ١٧٧
نهد بن سعد ٢١٥
نوح (عليه السلام) ٢١٩
نوفل بن عبد مناف ٢٨٥
النوى ٢١٨ و ٢٧٠
النوى ٨٩
(ه)
هاشم بن عبد مناف ٨٢ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧
الهلى ١٩ و ٣٩٠ و ٤٠١
هليل بن عامر ٢٨
هزيم بن سنان ١٦ و ٩١ و ١٠٠ و ٢١١
هرون الرشيد ٢٧٤ و ٢٧٥
هشام بن سعد ١٧ و ٢٧٥
هشام بن القيرة ٢١٥
هشام ولفد أبى جهم ٢١٥
هشام ٢٧٥
الهمداني ٢١٢ و ٢٦١
هند بنت الحارث ٢٨٢
هند بنت عاصم ٤١٢
هني مولى عمر (رضي) ٢٢
هود (عليه السلام) ٣٨
الهيثم بن عدى ٤٢
الهيثم ٤١٦
(و)
الواقي بقاء ٢٢٢
الواحدى ٥٤
والق بن القسط ٩٩٤
وبرة بن تغلب ١٩٢
الوقاصى ٢١٠
الوليد بن طية ٩٢

زيد بن رومان ٧ و ٢٧٧	الوليد بن عبد الملك ٤١٠
يزيد بن عمرو ١٠٢	وهب أبو أمية ٤٤
يزيد بن ضبة ١٠٧	وهب ١٨٣
يزيد بن الكهل ١٧٢	وهب بن عبد مناف ٢٢٢
يزيد بن عبد الملك ٢١٠	(ي)
يزيد بن مفرغ ٢٦٢	يالقوت الحموي ٢١ و ٢٧٦
يوسف بن عبد الملك ٧٢	يحابر بن مالك بن ادد ٢٩٣
يونس (عليه السلام) ٦٩	بعبى بن زكريا ١٨٣
يونس النحوي ١١٩ و ١٤٥	مذكر بن عنترة ١٠٥
يونس بن حبيب ١٦٨	يزيد بن يزيد ١٤
يونس ٤١٥	

انظر الفهرس الثالث

الفهرس الثالث

في أسماء البلدان والقبايل وغيرها

بنو هذيل ٢٨	(أ)	الاحقاف ١٩
» كلب ٢٠		الاراك ٢٨٧
» زياح ٣١		الاردن ٤٣٤
» بكر بن وائل ٤٢		الاشاة ٤٢٨
» زهرة ٤٤		انقرة ١١٠
» عمرو بن جندب ٥٥		الان ٦٤
» مظلوم ٨٨ و ١٨٩ و ٢١٥ و ٢١١ و ٢٨٦		الاميلج ١٩
» اسرائيل ٦٧ و ١٨٩ و ٢١٤		الانبار ٣٦٨
» ميد القيس ٨٤		
» قصي ٨٤	(ب)	
» لعلب ٨٦ و ٨٧ و ١٨٧ و ٢٠٨		بارك ١٠٩
» فريف ٤٢٩		بحر القلزم ٢٦٤
» بكر ٨٧		بحر الهند ٢٦٤
» ميد الله بن فطمان ٨٨		بحر فارس ٢٦٤
» نيم ٩٠		البحرين ١٩١ و ٢١٤ و ٢٢٨ و ٢٦٤ و ٣٦٥ و ٣٧٤
» عبد شمس ٩٢		و ٢٧٥ و ٢٨٧ و ٢١٧ و ٢١٨
» حمام ٩٢		بحيرة طبرية ٢٨١
» عامر ١٠٢ و ١٢٨		بحيرة ساوة ٢٨١
» الحرث بن كعب ١٠٣		بدر ٣٢٥
» ايناد ١٠٩ و ١١٠ و ١١٤ و ٢٦٤ و ٣٦٩		بولين ٦٤
» معد ١٠٩ و ٢١٥		البصرة ١٠٩ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٢٨ و ٢١٥ و ٢٢٨
» سمد بن زيد مناة ١١٩ و ٤٢٩		بصرى ٢٨٦ و ٢٨٧
» المعجلان ١٤٣		بغداد ١١٩ و ٢٦٦
» ليس ١٥٦ و ٢٠١ و ٢١٤ و ٢١٦		بنو لام ١٥
» الانصار ٢٣٥		» فزارة ١٥ و ١٦ و ٢٣ و ١٧٧
» ميد النار ٣٣٦		» اسد ١٦ و ٢٥ و ٢٠١ و ٢٠٩ و ٣١١ و ٣١٢
» نيم الرباب ٣٣٧		» بنو ١٦ و ١٦٦
» الحرث بن سموس ٣٣٧		» طبر ١٦ و ٢٨٦ و ٢٩٩ و ٣٦٨
» حنيلة ٣٣٧		» صادرة ٢٢
» مسعيم ٣٣٧		» مرة بن عوف ٢٢
» جديس ٣٨٣		» تمسيم ٢٤ و ٣٠ و ٤٢ و ٤٥ و ١٧٢ و ١٧٣
» عاصم ٤١٢		٢٠١ و ٢٠٣ و ٢١٤ و ٢١٦ و ٢٢٨
» امية ١٦٦ و ١٨٩ و ٢٣٥		بنو حمير ٢٥
» باهلة ١٥٧		بنو كندة ٢٠ و ٢٥ و ٢٢ و ٨٩ و ٢٠١ و ٢٨٧
» ربيع ١٦٧		بنو كاهل بن اسد ٢٦
بنو كنانة بن القين ١٦٨		

بنو النخع ٢٥٥
 » غنى ٢٥٠
 » ربيعة بن ملك ٢٥٩
 » مدليج ٢٦٢
 » لهب ٢٦٢ و ٢١١
 » الازد ٢٦٢ و ٢٨٧ و ٢١١
 » مزيد ٢٦٢
 » الانمار ٢٦٤ و ٢٨٧
 » نزار بن معد ٢٦٥
 » ساسان ٢٨٢
 » الاوس والخزرج ٢٨٦ و ٢٨٧
 » بجيلة ٢٨٧
 » عاملة ٢٨٧
 » غسان ٢٨٧ و ٢٨٨
 » لقيم ٢٨٧ و ٢٣٤
 » جلدان ٢٨٧ و ٢٣٤
 » شيبان بن نهل ٢٣٦
 » عسى ٢٨٨
 » ناصب ٢٨٨
 » داهن ٢٨٨
 » دثام ٢٨٨
 » مالك بن آد ٢٩٣
 » يعابر ٢٩٣
 » كعب ٣١١
 » ساعدة ٣١٥
 » نقيف ٣٢٤ و ٣٣٥
 » كنة ٣٣٤
 » البياض ٣٣٩
 » بيروت ٣٣٩

(ت)

التابعة ٣٢٧ و ٣٦٩
 » كريت ١١٩
 » التميم ٣٢
 » تهامة ٢١٥ و ٢٥٥ و ٢٨٦ و ٢٢٩
 » التهائم ٣٢٤

(ث)

نبي ١٧٦
 » نمود ٨٠
 » نهران ٣٧٣

بنو الخزرج ١٧١
 » بكر بن وائل ١٧٤
 » كتانة ١٧٥ و ١٨٩ و ٢٠١ و ٢٦٢
 » شيبان بن نعلية ٢٢٦
 » عدوان ١٧٦
 » عبد مناف ١٨٩
 » هانم ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ٣٠٥
 » ابي طالب ١٨٩
 » العباس ١٨٩
 » همدان ١٨٩ و ٢٢٢
 » مدحج ١٨٩ و ٢٨٧
 » عدنان ١٩٠ و ١٩١
 » نمود ١٩٢
 » مدين ١٩٢
 » عامر بن صعصعة ٢٠١
 » خزاعة ٢٠١ و ٢٨٦ و ٢٨٧
 » عبد المنان ٢٠١
 » بيم اللات ٢٠٢
 » عوف بن سعد ٢٠٢
 » شيبان ٢٠٢
 » قفصة ٢٠٢ و ٢٨٨
 » خندف ٢٠٢
 » معركة ٢٠٢
 » الرباب ٢٠٢
 » مالك ٢٠٢ و ٣٦٥
 » حنظلة ٢٠٢
 » يربوع ٢٠٢
 » البراءة ٢٠٢
 » مالك بن حنظلة ٢٠٢
 » دارم ٢٠٢
 » كعب بن ربيعة ٢٢٩
 » عبد الله ٢٠٢
 » زدارة ٢٠٢
 » علقمة ٢٠٢
 » الحرف بن كعب ٢٠٧ و ٢٥٥
 » زيد ٢٠٧ و ٢٥٥
 » حاجب بن غفار ٢٠٨
 » اسمعيل ٢١٥
 » زيد ٢١٥
 » اسحق ٢١٥
 » عامر بن لؤي ٢٥٤
 » بنو جفني ٢٥٥

(ط)

الطليبيون ١٩٢
الطائف ٨٥ و ٢٦٦ و ٢٢٨ و ٢٦٩
طبرستان ١٧٣
طيرة ٢٨١
طوس ٨٥

(ع)

ع. ٨٥ و ١٩٢ و ٤١٩
العاقبة ٢١٢
المعجم (الفرس) ١٥٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ٢١٢ و ٢٦٤
و ١٨١ و ٢٨٢ و ٢٢٨ و ٢٨٥
عدين ٢٧٩
عدنان ٨٥ و ٨١
عدوي ٣٦
الطبيب ١٠٩
العراق ١٠٦ و ١١٠ و ٢١١ و ٢٥٥ و ٢٦٢ و ٢٨٦
و ٢٨٨ و ٢٤٤ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٢ و ٣٧٣
عرفات ٢٤ و ١٣٠
العرم ٢٨٧
العقبة ٧٢
عكاف ٨٥
عمان ٢١٢ و ٢٢٨ و ٢٥٥ و ٢٨٦ و ٣٦٤ و ٣٨٧
و ٤١٧

(غ)

الغار ١٦٦
غوريستان ٤٣٤
غور غزة ٤٣٤
غور ٢٨٧

(ف)

الفرات ١١٠ و ١١٩ و ٣٦٧
فرنسا ١١٠
فلسطين ٤٣٤
فيد ٢١

(ق)

القائمية ١٠٩ و ٢١٠
قحطان ٨٠
القرية ٣٣٧
قرش ٤٤ و ٤٨ و ٦٦ و ٦٨ و ١٦٧ و ١٨٦ و ١٨٧
و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ٢٠٦ و ٢٠٨ و ٢١٥

٢٨٢ و ٢٠٦ و ٢١٥ و ٢٢٥ و ٣٦٩ و ٣٧٥
٢٧٦ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٤٢٠
قصر عمان ٢٨٧

(ك)

كاتب ١٣٠
الكلمات ١٧٤ و ٦٦ و ٦٨ و ٢٥٢ و ٢١٢ و ٢٤٥
الكل ٢١٠
الكوفة ٢٠ و ٢١ و ٨٩ و ١٠٦ و ١٠٧ و ٢١٠ و ٣١٨

(ل)

ليبسك ١٩

(م)

ماء السيل ٤٣٤
ماء ضارح ٤٣٤
ماء الطيق ٤٣٤
المصعب ٢٢
المدينة المنورة ٢٤ و ٢١٢ و ٣٢ و ٨٦ و ١٨٧ و ٢١٠
و ٢٧٤ و ٢٠٤ و ٢١٥ و ٢٢٨
الزوجة ٧١
أكرونة ١٧٦
مشارف ٥
مصر ٢٠ و ٦٦ و ٦٩ و ١١٨ و ١٢٨ و ١٧٦ و ١٨٥
و ٢١٢ و ٢٢٢ و ٢٥١ و ٢٨٢ و ٢١٤ و ٢١٤ و ٢٥٩
و ٣٦٩ و ٤٠٩ و ١١٩ و ٤٦٩
مصر ١١ و ١٢ و ٧٢ و ١٠٤ و ١٨٩ و ١٩١ و ١٩٢
و ٢٠٢ و ٢٠٢ و ٢١٢ و ٢٩٢ و ٣١٧ و ٣٦٩
مصر ١١٠
مكة المكرمة ٢٣ و ٢٤ و ٢١ و ٢٤ و ٢٦ و ٨٥ و ١٢٠
و ١٨٧ و ٢١٢ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٦٢ و ٢٦٧ و ٢٨٧
و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٤٤ و ٣٦٨ و ٤٠٧
مضى ٢٢ و ٧٢ و ١٧٥ و ١٧٦
مكشع ٤٢٨
مكوصل ١١٩

(ن)

نجد ٥ و ٢٥٥ و ٢٦٢ و ٢١٢ و ٢٨٧ و ٤١٧ و ٤٦٦
و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٢١
نجران ٥ و ٢٦٤ و ٢٥٥
نطقة ٨٥
النصارى ١٨٧

وادی الوشم ٢٢٨

(ی)

یشرب ٧١ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٩٢
الیمامة ٦ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣١٠ و ١١٣ و ٣٢٨
و ٣٣٧ و ٤٢٨
الیمین ٥ و ٢٨ و ٨٠ و ٨١ و ٨٨ و ١٠٣ و ١٠٩
و ١٧٣ و ١٨٩ و ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٩
و ٢٣٨ و ٢٦٦ و ٢٧٩ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٦ و ٢٨٧
و ٢٩٣ و ٣٠٣ و ٣١١ و ٣٢١ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٤٤
و ٣٦٤ و ٣٦٩ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٤١٧
الیهود ٧١ و ٢٧٤
الیونان ٢١٣ و ٣٧٥

النقیع ٢١ و ٣٣ و ٣٤

نهر الحيرة ٣٧٥

النیر ٣١

(هـ)

هجر ٢٨٧ و ٤١٧ و ٤١٨

همدان ١٨٩

الهند ١٢٠ و ٣٦٤ و ٣٨٤

(و)

وادی انشی ٤٢٨

وادی سبأ ٢٨٧

وادی السملوة ٢٨١

ملحق

يشتمل على الشروح والفوائد — بقلم الشارح

الجزء الأول

صفحة سطر

١١ — ١٣ (الأندلس) في ضبط هذه الكلمة اختلاف ، ولعل ضبطنا الذي اعتمدنا به على التاج أصح من غيره .

٣٩ — ١٢ (دردى وزير للعارف الخ) كذا في الأصل ، والصواب : دوروى Victor Durwy كما جاء في محاضرة (الجامعة السورية) لصديقنا الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي .

١٣٧ — ٥ (إذ سامه الخ) سامه الأمر : كلفه إياه وأكثر ما يستعمل في الشر والمذاب . والخطة بالضم : الأمر والطريقة . والنسب : القتل والقهر وتحميل الانسان ما يكره . وجار صوابه : حار ، أى يا حارث فهو منادى مرخم يحذف آخره .

١٧٤ — ١٤ (لفضلنا النساء . . .) للشهور : لفضلت النساء . . .

« ١٦ — (سيم) كذا بسقوط أداة النفي (لا) . وقد نصوا على وجوبها واستشهدوا بقول امرئ القيس « ولا سيم يوم بدارة جلجل » وقال أئمة اللغة : إن من أهلها فقد أخطأ . انظر مادة (سوى) في تاج العروس . وخاتمة الأشموني في باب الاستثناء .

٢١٨ — ٩ (الجذ) هو الكاتب البليغ ، والأديب الضليع ، واللغوى المفسر الشهير السيد محمود شهاب الدين بن السيد عبد الله الألوسى : صاحب تفسير (روح المعاني) وغيره من المؤلفات الجليلة .

صفحة سطر

وترجمته مفصلة في كتابتنا (ذكرى الامام الأومى) و (مشاهير
المراق في القرن الثالث عشر والرابع عشر) .
٢٤٣—١٤ (أبا جارتا . . .) انظر الجزء الثانى ص ٤٩

٢٤٤ — ٩ (اليوم يبلو . . .) انظر الجزء الثانى ص ٢٩١

٢٤٦ — ٦ (الناس) وردت في معجم البلدان (٨ : ١٤٠ — مصر) :
« النسناسة » خطأ . فليتبّه !

٢٤٨ — ٥ (أشرق ثبير) توجيه معناه في (ثبير) من معجم البلدان .

٢٦٨ — ٣ (حولى أسيد . . .) هكذا هي الرواية المشهورة . ورواية ابن برى :

حولى فوارس من أسيد شجمة وإذا نزلت فحول يلقى خضم
وقد فسرنا (خضمًا) بالجمع الكثير من الناس كما هو المشهور .
وقيل : بل خضم هنا لقب للعنبر بن عمرو بن تميم وغلب على القبيلة
وانما سموا بذلك لكثرة أكلهم ومضغهم بالأضراس ، وأسيد :
قبيلة من قبائل عمرو بن تميم .

٢٧٦—١٤ (تيم بن مرة . . .) البيتين . هكذا هما في الأصل . ووردا في
كتاب الأحكام السلطانية (ص ٦٦) لأبى الحسن الماوردى كذلك
وعلق للمصحح عليهما هذه العبارة : « هكذا في الأصل ولم نقف
على تصحيح ذلك فليحرر » .

٢٨١ — ٢ (لعمرى . . . الايات) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم
ونحوه . والندى : الجود . والجد : العطية .

٣٨١ — ٦ (روى بن الكلبي) انظر صبح الاعشى (١ : ٣٧٨) .

٢٨٣ — ٨ (وانا ليوث . البيت) قوله (والكللا) هكذا ورد في (نهاية

صفحة سطر

الأرب للمقشندى ، وغيرها ، والصواب « انطلى » وهى الأعناق أو أصولها .

٣٢٩-٥ (جمعة) وردت هذه الكلمة فى الطبعة الأولى (خمة) بالخاء المعجمة ولما رجعنا إلى الأصول المعتمدة : كاتماموس ، وتاج العروس ، واللسان ، والبيان والتبيين ، والأغنى ، و (تذييل فى نساء العرب) للمستشرق Perron وغيرها — وجدناها كلها تقول جمعة بالجيم فأذعننا لها وحملنا ما فى الكتاب على الخطأ المطبعى ثم بعد طبع الكتاب اطلعنا فى مجلة لثة العرب البغدادية على تحقيق هذه الكلمة للاستاذ رحمه الله فإذا به يثبت أنها (خمة) كما أوردها فى بلوغ الأرب . وهذا نص عبارته (اليوم وجدت فرصة لنقل ما ذكرت لكم فذهبت إلى خزانة كتب مدرسة السلطانية وراجعت شرح حديث أم زرع للقاسمى عياض ، وذكر فى هذا الشرح على سبيل الاستطراد نبذة يسيرة من كلام من اشتهر بالنصاحة من نساء الجاهلية فقال : ومنهن خمة بضم الخاء وفتح اللام والعين المهملة كما ضبطه صاحب العباب والحكم وابن الشجرى فى كتابه ما اتفق لفظه واختلف معناه . يقال خمع فى مشيته أى ظلم وبه خماع أى ظلم والخامعة الضبيع — إلى أن قال : واختلف فى نسبها والمشهور أنها ابنة الخنس ، أخت هند ، وقيل غير ذلك) انتهى

٣٥٥-١ (أزدشير) هكذا بالزى وهو خطأ مشهور ، والصواب (أزدشير) ١٤١٩٣٦٣ راء .

٣٥٩-٦ (كنيسة القيامة) كنيسة للنصارى بالبيت المقدس . قال ياقوت وغيره واللفظ له : وصفها لا ينضبط حسناً وكثرة مال وتعميق عمارة وهى وسط البلاد والصور يحيط بها ولم فيها مقبرة يسمونها (٣٠ - ثالث)

القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته فيها . والصحيح أن اسمها (قامة) لأنها كانت مزبلة أهل البلد . وكان في ظاهر المدينة يقطع بها أيدي المفسدين ويصلب بها اللصوص فلما صلب المسيح في هذا الموضع عظموه كما ترى . الخ .

- ٣٥٩ — ١٩ (الأحد الجديد) : ورد في صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤١٨) :
(حد الحدود) . ولعل الأول أصح ، وذلك لأنهم —
قالوا — يحددون فيه الآلات وأثاث البيوت واللباس . . .
٣٦١ — ١٩ (عيد المظال) ويقال عيد المظلة . وقد ذكر الأستاذ المصنف أنه
ثمانية أيام . وفي صبح الأعشى (٢ : ٤٢٦) هو سبعة أيام .
٣٦٣ — ٦ (عيد الفور) ورد في الصبح (٢ : ٤٢٧) : عيد الفوز بالزاي !
٣٨٧ — ١٣ (وقد نعت الخنساء . . . الخ) تقدم لنا في ص ٢٥ قد هذه
الرواية فأغنى عن إعادته .

الجزء الثاني

- ١٣ — ١٥ (ولن تصادف . . البيت) ضبطنا كلمة (المنتجع) فيه بالفتح
وهي المنزل في طلب الكلأ . ولعل الأولى (منتجع) بكسر
الجيم اسم فاعل . يقال : انتجع فلان أى طلب الكلأ في موضعه ،
٥٣ — ١٤ (الأعياص) هم أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر بن عبد مناف
وم : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، وم أخوة
حرب وأبي حرب وسفيان وأبي سفيان ويقال لهؤلاء (العنابس)
قال أبو النجم العجلى .

لكن أخلائي بنو الأعياص هم النواصي وبنو النواصي
منهم سعيد وأبوه الناصي ؟

وقال الليث : أعياص قریش كرامهم ينتمون إلى عيص وعيص
في آبائهم .

١٢٢ - ١١ (ولأنت أشجع من أسامة النخ) نسبة هذا البيت إلى الأعشى

لا تصح وإنما هو للمسيب بن علس وبعضهم يرويه هكذا :
ولأنت أشجع من أسامة إذ دُعيت نزال ولج في الذعر
ويعزوه لزهير ابن أبي سلى وهو وم قديم لصاحب الصحاح وغيره
والصواب الذى عليه المحققون أنه مركب من بيتين أحدهما لزهير
والثاني للمسيب بن علس . قال الشيخ عبد القادر البغدادي :
(هو مركب من بيتين فإن البيت الذى فيه دعيت نزال وهو
لزهير صدره كذا) :

ولنم حشو الفرع أنت إذا دعيت نزال ولج في الذعر
وقوله « ولأنت أشجع من أسامة إذ » إنما هو صدر بيت للمسيب
ابن علس ، وعجزه « يقع الصراخ ولج في الذعر » وهذا ليس فيه
دعيت نزال . والبيت الشاهد كما ذكرناه هو رواية سيدييه وسائر
النحويين . وبين المسيب بن علس على ما رتبناه هو رواية الجاحظ
في كتاب البيان والتبيين . وقد رأيت البيتين في ديوانيهما كذلك
انتهى . وفي تصحيح لسان العرب للعلامة أحمد تيمور بأشازيادة
تفصيل لذلك . . .

١٤٦ - ١٠ « لا تقبروني .. البيت » قبره ، دفنه وواراه في التراب . وأقبره .

جعل له قبراً . قال الفراء : وقوله تعالى « ثم أماته فأقبره » أى

صفحة سطر

جعله مقبوراً ممن يقبر ولم يجعله ممن يلقى للطير والسباع كأن القبر
مما أكرم به بنو آدم ، ولم يقل فقبره لأن القابر هو الدافن بيده ،
وللقبر هو الله لأنه صيره ذا قبر وليس فُعله كفعل الآدمي .
ويقال : أقبر القوم أى أعطاهم قتيلاً ليقبروه .

١٥٧-١٤ (من مباح الحيين الخ) أنظر الجزء الأول ص ٣٢ .

٢١٢ - ٢ (القليس) انظر الشرح في ص ٢٥١ من الجزء الأول .

٢٣٦ - ٩ (يا أقرع بن حابس . البيت) مر في الجزء الأول ص ٣٠١ وغيرها
ولم تتعرض له بشيء ، وقد كتبنا في هذا المقام ما فيه الكفاية .

٣٠١ - ٥ (سنة أزمة . الأبيات) هذه الأبيات - إلا الأخير منها - مدحجة

مداخلة ، وقد أساء المنضد ترتيبها على الوجه الصحيح . فليتنبه !

٣١٩-٢١ (بجسته لا ينفع التبخيخ) لعل الأولى : نجسته لو ينفع التنجيس .

